

رفيع
عبد الرحمن السجدي
أسكنه الله الفردوس

ظلال أبي سفيان

أمام أضواء السنة المحمدية

مألفت
محمد الزاوي حمزة
مدير (دار الحديث) مكة المكرمة
والدرس بالمعالم الفكرية

القاهرة
١٣٧٨

المطبعة السلفية - وفاء
٢١ شارع النخيل بالروضة ليلون ٨٩٨٣٦٤

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحمد لله ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، وهدى الانسانية ، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا لنا سنته ، بعد أن حفظ بهم كتابه ، وعلى من تبهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد فقد وصلت إلى نسخة من كتاب: الله الشيخ محمود أبو رية ، وتمرص فيه لجمهور أرملة عشر قرناً بذه أعلام للسليين ، لتحرى سنة سيد المرسلين ، وصياتها من عبث المايين ، وأهواء للترضين . فررت بفصوله وأبوابه وأنا على فراش للرض في مستشفى الطائف بيذا عن الرجاء ، وكنتُ كلما وقمت فيه على ظلم للحق ، وهضم لأعظم جهود على في الاسلام ، وانحراف عن جادة الصواب ، لزدت يقيناً بوجود التنبيه على ذلك ، الى أن خال الله لي كتابة هذا الكتاب ليسكون قرينة لي عنده سبحانه ، ودفاعاً مني عن سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه

أعطانا الأستاذ تودجاً في (التبريف بكتابه) بما سينطوى عليه من الشك والتشكيك في علم الحديث وتحقير جهود أهله فيه ، فقال عنه في ص ٤ :

إن العلماء والأدياء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسون رجال الحديث . يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم . وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل الخ

ولنا أن نسأل الأستاذ عن هؤلاء العلماء الذين لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية ، هل يريد بهم الجند بئ درهم والجهنم بن صفوان وواصل بن عطاء والنظام والقاضي عبد الجبار والغضري والرازي وأضرابهم ؟

ونسأله أيضاً عن الذين يسون رجال الحديث - على حد تمييز الأستاذ - والذين ترك العلماء والأدياء أمر الحديث لهم يدرسونه على طريقتهم التي قامت على قواعد جامدة لا تتغير

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٨٣

ولا تبدل، هل منهم في نظر الأستاذ أكرام التابعين كالخسن البعري وابن سيرين وسيد ابن السيب وابن جبير والشحن، ومن يعدم كازهرى وشيوخه وعروة بن الزبير وتلاميذه كالك وكثبان بن عينة والتورى واليث بن سعد، وتلاميذهم كالثاني وأحمد بن حنبل، ومن يعدم كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى فمن يعدم

هل هؤلاء الاعلام أيها الأستاذ غير علماء، وطريقتهم جامدة ولا تتغير ولا تبدل؟ وإذا كان هؤلاء وأمثالهم ليسوا من العلماء عند الأستاذ ويأبىدون لا يعرفون التجديد ولا مساهمة الزمن وسراعاة مقتضى الحال، فليدنا الأستاذ مذكورا عن المجددين الذين يرشاهم، ويأسف على مجاباتهم لدراسة الحديث وتجديده وتهذيبه

أما مجابة الأدباء لدراسة الحديث فقد تتفق مع الأستاذ في ذلك إذا كانت يريد بالأدباء أمثال ابن القنق وشار بن برد وحاد عمرد والمجاهد وعبد الحميد الكاتب وجبريل والقرظف والبحتري وأبى تمام والإعشى والحريرى

هؤلاء الذين اجتمع جماعة من أئمتهم فقال أحدهم: علام اجتمعتم؟ فقال ثان منهم: لتتذوق المحسنات! وقال ثالث: وهل في الدنيا محسنة؟

فأمثال هؤلاء. صان الله حديث نبيه عنهم وعن دراستهم له، وماذا يسحبهم في الحديث مما يخفى على قلوبهم؟!!

ثم ألم يشغل بالحديث من الأدباء من مخير من أولئك وأئوم سيللا وأزكى دينا، ألم يكن ابن جرير محمدا وأديبا، بته ابن قتية وابن الأعرابى وأبا عبيد وأمثالهم

لقد نلص ابن الأثير كتابه غريب الحديث من حصة وعشرين كتابا في غريب الحديث لأعلام من المؤلفين كلهم أئمة في الأدب والفن والحديث والفقه، وقد أبلوا في ذلك بلا حسنا

فضلا عن شرح الحديث كالإيزى والطنطاوي والمافظ السقلاوى، بل الأئمة الفقهاء المحدثين كالك والثاني وأحمد وخيار أصحابهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الأئمة

شمس الدين بن القيم وشمس الدين الذهبي وابن عبد الحادى وابن مفلح. وقبلهم ابن قدامة صاحب اللقى وساطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وعبد القنى للقدس، وقبلهم إمام الأئمة ابن خزيمة وتلميذه الامام الفيلسوف المحدث ابن حبان وغيرهم كثير من نجوم الهدى وشموس الإرشاد وبدور العلم

قول لم يكن هؤلاء علماء ولا أدباء. لأئمتهم اشتغلوا بالحديث، وإنما العلماء والأدباء عند أى رية هم المجهية والتسكسون وأمثال عبد الحين الرافضى والمطائرين على أهل الحديث والصحابه كافي هريرة وسأوة والمترفين بين الصحابة إلى بكريه وعمره وهشاميه وطهرية، كأنا حين الإسلام ثوب مهلهل غيط من رقع متباينة، وفرق متناجزة متصادية

والذين عرفوا حقيقته هم أمثال جولدزيجر اليهودى المشرق الطامع على نبي الاسلام بأنه مصروع مهتر بوق لجسكايه سخافات المبد القديم الخ ما قاله في كتابه العقائد الاسلاميه، وكتابه الآخر مذاهب السلفين في التفسير.

وقد تميل أبورية شيئا من شكوكه (في ض ٥) حيث تساءل «هل أسر النبي ﷺ بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه، أو تركه ونسى من كتابته؟ وهل دونه الصحابة ومن يعدم أو انصرفوا عن تدوينه» وتسأل: «هل ماروى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبي - لفظا ومعنى - أو كان مخالفا له؟ وما هي الوسائل التي تدست اليه من نزعات أعدائه، والوثرات التي أصابه من أغراض أوليائه، حتى شيب بما ليس منه، ونسب إليه ما هو غريب عنه؟» وماذا كان موقف علماء الأمة منه؟ وما مبلغ قننتهم به ومدى اختلافهم فيه. بعد أن عراه ما عراه وتأثر به! وما إلى ذلك من الأمور المهمة التي يجب أن يبرنها كل مسلم أو باحث في الدين الاسلامى قبل النظر فيه

وسأؤخر مناقشة هذه الشكوك، وترياق هذه السموم، حتى يحى موضع بسطها، بحيث يتذ منقول له: إن الاسلام والباحث فيه في غنى عن آراء اليهودى المشرق جولدزيجر وما قاله عن نبي الاسلام، فضلا عن قوله في حديث نبي الاسلام وحمله. ونسجل

له مقدما بأن عدالة أهل الحديث بتدليل النبي ﷺ لهم بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه كيد الكاذبين وافتحال المبطلين » ، ونذكر له مثل من أخرج عن سنة النبي ﷺ أو كادها من حديث أبي موسى الأشعري برنوعا إلى النبي قال « مثل ما يمتن الله به كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طيبة أبيت العشب والكلأ ، وكان منها أجابى أمسكت لاء فشرب الناس والأعنام وسقوا منها زروعهم ، وكان منها قيدان لا تمسك ماء ولا تثبت به زرعاً ، فذلك مثل من نفعه الله بما جئت به ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً » ١

وهؤلاء الثبيان التي لا تمسك ماء ولا تثبت زرعاً الذين لم يرفعوا بما جاء به النبي ﷺ وأسام الدين الهنتم بطونهم وفروعهم عن التوجه لما جاء به النبي ﷺ ، أو صدقتم الأهواء والبدع عن الاشتغال بما جاء به النبي صلوات الله عليه واتيها أهواهم التي سموها « مقولات » ، وقالوا عن أحاديث النبي ﷺ إنها أحاديث آساد غلبة لا تفيد اليقين كما تفيد أهواؤهم ، ومنهم من انتصب لمدادوة السنن والتشكيك فيها كأنوارج والروافض والجهية وعلاء الكلام المبتدع المحدث الذين قال الشافعي فيهم : رأي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنصال ويظاف بهم في الأسواق ويقال : هذا جزء من ترك ما جاء عن الله ورسوله إلى الهوى والبدع

جاء رجل من الخوارج إلى عمران بن حصين الصحابي الجليل يشككه في العمل بالحديث النبوي ، فقال له عمران بن حصين : أرى في القرآن كيفية الصلاة وأدائها وشروطها وأوقاتها . أرى فيه كيفية الزكاة وأنواعها ومقاديرها . أرى فيه مناسك الحج والعمرة وأحكامها

فأجابته وكان منصفاً ، ولم يكن جهله مركباً : شفيق شفاك الله

إن هذا الخارجى أهقل وأورع من كثير ممن يشكون ويشككون في سنة النبي ﷺ وزومعالم يريده أن يسل بالقرآن كما حمل به النبي ﷺ وأصحابه وخيار سلف

هذه الأمة ومن تيمم من أهل السنة والجماعة

أما هؤلاء للزنايون في دينهم ، التاركون لسنة والجماعة ، قد سمنا عنهم غرائب وأوابد كقول بعضهم : أخذ صلاتي من القرآن فأسجد مرة واحدة وأركع بعد السجود ، ولا أتشهد ، ولا أتقيد بعدد من الركعات ، ولا بأوقات الصلاة إلى آخر ما سمع منهم من هزء وسخف

يقول أبو ربة (ص ٦) في أسباب تأليف كتابه إنه عندما درس الحديث وجد في معاني كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح ولا يثبت علم صحيح ، وأنه وجد مثل ذلك في كثير من الأحاديث التي شئت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها

والحمد لله الذي جعله يسب غصبه وسقده على كثير من الأحاديث التي شئت بها كتب التفسير والتاريخ ، فليست كتب التفسير والتاريخ هي كتب الأحاديث ، بل الأحاديث حيث هي في دواوين السنة المشهورة ككلمات الكتب التي تخصصت لتدوين أحاديثه صلوات الله عليه

وإذا كان في غرائب الأحاديث وشواذها وموضوعها ما لا يوافق العقل ولا يثبت العلم - كما في كثير من كتب التفسير - فلا يضر ذلك صحيح الأحاديث ، وما ثبت منها عند أهل الدين وقوا حياتهم عليه

يقول : إن ما يثير عجبه أنه كان إذا قرأ كلمة لأحد أجلاف العرب يهتز ليلاتها .. وإذا قرأ بعض ما ينسب إلى النبي ﷺ لا يجد هذه الأرمجة ولا ذلك الاهتزاز

ونحمد الله أن بعض الأحاديث هو الذي لم يهز أرمجة الأستاذ ولم ير فيه ما يهيج من البلاغة والقصاحة ، وليسكن ذلك في الترائب والضمائم والمناكير

أما الصحيح فإن الله الحمد أنوار النبوة وبلاغة سيد من نطق بالصاد ، واتكلم بالصدق في ذلك ذوق الملاء الراسخين من الأمة الفضلاء والأدباء المتكئين ، لا ذوق إلى رية وأمثاله

وليس الأستاذ أبو رية أن في السنتين لأغنى أم كنوم ومحمد عبد الرهاب ولطى مراد وعبد الخليم حافظ من يأخذم الطرب عند سماع الأغاني، ولكنهم يضيفون صدرا بسماع القرآن والحديث، وربما ضرب النجوم على آذانهم عند سماع القرآن والحديث

وليس ذلك ميب في القرآن والحديث أو لأنه لا بلاغة أو فصاحة فيها، ولكن الناس فيها يشقون مذاهب، والجنل كما قيل تؤذيه أو تقتله الزائفة الزكية، وتلد له الزوائج السكرية ويميش فيها

وهول للأستاذ: إن الرسول بته الله مملا وسرييا ومركيا للأبيض والأخضر والأسود فلا خير إذا تنزل في كلامه إلى بعض طبقات من يعيش مملا لم ولم يتكلم ما يتكلم الشراء والتفرون من أنواع الخيالات والاستعارات ومحسنات الديدع. بل إنه كان يتحرى في بعض الأحوال أن يخاطب أبناء القبائل بالألفاظ الشاذة من لهجاتهم

ويقول الأستاذ (في ص ٧): إنه بعد طول البحث وطول السير والسكد انتهى إلى حقائق محيية ونتاج خطيرة! إذ وجد أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا، حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق الرسول به. قال: ووجدت أن الصحيح - على اصطلاحهم - إن هو إلا ممان بما فهمه بعض الرواة. وتبين له أن ما يسمى في اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته في نظر رواه، لا أنه صحيح في ذاته. قال: ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته ﷺ إلا شعاع ضئيل الخ فيقال للأستاذ: «ما أنت بالحكم التزمى حكومته» ويقال له: لسكل علم وفن علوه وفرسائه وقاده

ففض الطرف إليك من غير فلا صعبا بلغت ولا كلابا
إن أئمة الدين والفقه ونجوم الهداية والتقى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم قد
تلقوا ما صح عن النبي ﷺ بالقبول، وبنوا عليه دينهم وأحكامهم وقهمهم
وقديما قيل:

وكم من عائب قولا صحيحا وأقبح من الفهم السقيم
وقيل: ومن يلك ذا فم من مريض يجد مرأ به لاء الأؤلا
و: قد تشكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفهم طعم لاء من مقم
والذي يجارى في علوم ليست من اختصاصه

كناسطع صخرة يوما ليومها ولم يهنا وأوهى قرنه الوعل
نظر أبو رية إلى الحديث بمنظار أسود، بمنظار الجهمية والنطوارج والرافضة، فقال: إنه لا يرى في أكثره شعاع النبوة، وأنه منسول من البلاغة والفصاحة، إلى آخر ما رعى به للحديث. وقولنا له: إن كل إناء ينضح بما فيه، وعين السخط تبتدى المساويا
وقد نظر سلف الأمة وأئمتها في غير القرون إلى الحديث بين البصيرة والإنصاف
فأروه ناصما وعلى الصحيح منه أنوار النبوة وأضواء الهداية

وقوله (في ص ٧) إنه وجد الصحيح من الحديث على اصطلاحهم إن هو إلا ممان بما فهمه بعض الرواة الخ، وأن الصحيح إنما كانت صحته في نظر رواه لا أنه صحيح في نفسه ..

هذا الحكم الجائر على الحديث الصحيح، وأنه ممان بما فهمه بعض الرواة، حكم مشهور جاهل بطرق الحديث ومتونه، وخلاف ما أجمعت عليه الأئمة من تافى أحاديث الصحيحين بالقبول، وعلماء الحديث الذين تلقوا حديثه ﷺ بالقبول والعمل أصح قولاً وأهدى سبيلاً

وقوله (ص ٧): أنه قد بان له أن النبي ﷺ لم يمدل لحديثه كتابا يكتبونه عندما كان ينطق به كاجمل للقرآن الحكيم، وتركه يذهب بنير قيد إلى أذهان السامعين، تخضمه الفناكرة لحكمها القاهرة، الذي لا يستطيع إنسان معها أن ينكره أو ينازع فيه من سمو أو غلط أو نسيان. ثم علق على ذلك بالخاشية أن الأنبياء والرسل يترجمون من النسيان

والخطأ ما يترى كل إنسان لأنهم بشر، إلا فيما يملونه عن الله ، وفي هذه الحالة قطع بين الله لهم الحق ، فما بالك بنيرهم !

ثم قال : وبذلك تتكاثف نظم القاطع ، وتغرق سياق معانيه . ثم ذكر حديث مسلم « لا تكتبوا عنى سوى القرآن ، فمن كتب عنى غير القرآن فليحجه »

ونقول : إذا كان الرسول أمر بالتبليغ عنه فقال في حجة الوداع « هل بلغت ؟ قالوا نعم . قال : ليبلغ الشاهد الشائب » وقال « نقرأ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدركها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » وقال الله تعالى لزوجات نبيه ﷺ ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ وحدث عنه الصحابة بعضهم بعضاً وحدثوا عنه من بعدهم من التابعين هم وزوجاته الطاهرات ، كل حدث بما سمع من النبي ﷺ من غير تخرج من خطأ أو نسيان ، وصحابة النبي ﷺ هم الذين اختارهم الله لصحبة النبي ﷺ وتحمل دين الله تعالى عنه من القرآن والحديث وتبليغها لسائر الناس عامة ، ولو رأى النبي ﷺ أو لو علم الله تعالى ضرورة كتابة الحديث وتدوينه في زمنه ﷺ كالتقريب لما سكت النبي ﷺ عن ذلك ولا أمهله الله تعالى الذي بعث رسوله في الاميين يطو عليهم آيات الله تعالى ويؤمهم ويعلمهم الكتاب والحكمة واث كانوا من قبل لنى خلال

والتشكك في الحديث لأنه لم يكتب في زمانه ، وتجاوز للخطأ والنسيان وتبديل اللفظ النبوي بمعنى فيها الرواة ورووها بالمعنى مردود هذا الشك والتشكيك بما أتى الله تعالى على هذه الأمة بقوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

والى منكر أنكر من تحريف دين الله بتبديل أحاديث النبي ﷺ بالمعنى والنسيان والخطأ وغسلها من الفصاحة والبلاغة كما زعم هذا الأستاذ أبو رية

ولقد انتصب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لم بأحسان لحفظ دين الله

في كتابه وسنة نبيه ﷺ تحقيقاً لرعد الله تعالى بحفظ كتابه زماً بينته سنة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والذكر هو القرآن وما بينه من حديث . وقد عايناهم قال زنادقة الرافضة وغلاتهم : إن القرآن لم يحفظ كما أنزل . لأنه لم ينص على خلافة على رضى الله عنه ، وانهبوا الصحابة بكتان ما هونص في على مداينة لأبي بكر وعمر وعثمان ، فضاعت نصوص القرآن بزعمهم

واليوم يحى . أبو رية يزعم للسلفين أن أقوال النبي ﷺ وأحاديثه بسبب عدم كتابة الصحابة لها وما بدله الرواة بمعانيه التي فهموها أو لم يفهموها من الأحاديث ، مع ما يعترضهم من الخطأ والنسيان وما لم يسلم منها أحد حتى الأنبياء والمرسلون

فإذا انقم الى مزاعم غلاة الرافضة في القرآن رأى أبو رية في الحديث افتتح باب التمثل من الذين ، والاحاد فيه على مصرعيه ، أمام التجار والفاسق والملاحدة ، ولم يبق لله حجة على خلقه في زعم هؤلاء .

بل لم يبق لقول الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ أى علم أو معنى أو معنى

وكذلك قول الله تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ، فأين هى الحججة على الناس إذا ضاع القرآن بزعم غلاة الرافضة ، وضاعت السنة بغيرها الرواة ونسيانهم وتصرفهم في الحديث برواية معناه وتضييعهم لنصوص كلامه ﷺ بزعم أبى رية

فاهتروا أيها اللاحدة والتجار والفاسق بما أتحكم به غلاة الرافضة وأبو رية

حديث

« من كذب على متعبداً فليتبوأ مقعده من النار »

يذكر أبو رية (في ص ٩) أنه عنى بالبحث عن هذا الحديث حتى وصل بسند

حلول إلى أن كلمة (متصدا) لم تأت في روايات كبار الصحابة، قال: ويبدو أن هذه الكلمة قد نزلت إلى هذا الحديث من سبيل (الإدراج) لكي يسكن الرواة فيما يروونه عن غيرهم من جهة الخطأ والزم أو الناطق أو سوء الفهم، ليرووا عن أنفسهم أنهم الكذب، ولا يكون عليهم في الرواية أى حرج. أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوع بها الذين يضمنون الأحاديث عن غير عد علمهم، ليسعدوا بها أنفوسهم، وليثق الناس فيهم (كأنفسهم وغيرهم). اه كلامه.

فكلمة «متصدا» على تحقيق الأستاذ أية إما مدرجة في الحديث أو موضوعه مكتوبة، وليست من كلام النبي ﷺ، كما انتهت إليه عبارة هذا الأستاذ وطول بحثه.

فيقال له: من هم كبار الصحابة الذين خلت رواياتهم لهذا الحديث من كلمة متصدا حتى يرد بروايتهم رواية من روى «متصدا». والحديث قد ذكر العلماء تواتره بهذه اللفظة، والحديث لا يكون حديثاً نبوياً إلا إذا رواه عنه صحابي، فلا يكون ترك من ترك هذه الرواية حجة على من حفظها ورواها.

والتمدد شرط لعقوبة من ارتكب محظوراً رأى محظوراً، ألم يقل الله فيما علم المؤمنين أن يدعوا به ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي الحديث نص على رفع المؤاخذه عن الناس والخطي.

ألم يقل الله سبحانه ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً فهو جحيم ما كانا فيها وغيض الله عليه ولسته وأعد له عذاباً أليماً﴾ فجعل هذا الوعيد الشديد الذي تشقق له الجلود والأبدان على قاتل المؤمن «متصدا»

الأستاذ أبو رية بأي رحمة الله للناس والخطي، ويريد أن يسوى بينها وبين التمدد في الوعيد وتبوء مقعد النار.

ولعل الخواارج الذين يكفرون بالذنوب لا يسوّون بين الناس والخطي. وبين التمدد

رُفِعَ

عبر (الرحم) (التبري)
(سنة) (المر) (المرور)

رواية الحديث بالمعنى

وقال أبو رية (في ص ٨): «ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا للناس من أحاديث النبي ﷺ ووجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق النبي به استباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى، ثم سار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بدم فيبقى التأثير عن التقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم يؤديه إلى غيره بما استطاع أن يمكنه ذهنه منه... ثم استشهد على ذلك بقول وكيع: إذا لم يكن المعنى ولسا فقد هلك الناس. ويقول الثوري: إن قلت إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني، فأما هو للمعنى»

قال هذا الأستاذ: وقد ظلت الألفاظ تختلف والمعاني تتغير بتغير الرواة، وفيهم كما قال السيب على الأعمام والمولدون وغيرهم من ليسوا بعراب ولجنتهم العربية ليست خالصة. وروى البخاري بأنه كان يروى على المعنى. ثم ذكر أن رواية الحديث بالمعنى ضرر كبير في الدين واللغة والأدب. وذكر أنهم أباحوا لأنفسهم أخذ الحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختل نطقه بالتقديم والتأخير، أن يأخذوا ببعض الحديث ويضعون بعضاً.

أقول: أي عدا، للإسلام أكثر من هذه الدائرة؟ الصحابة وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق به النبي ﷺ واستباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى، وسار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بدم، وعلى رأي الألفاظ تختلف، والمعاني تتغير بتغير الرواة، وفيهم على رأي الأعمام والمولدون من ليسوا بعراب ولجنتهم العربية ليست بخالصة، والبخاري على جلالة قدره يروى بالمعنى، ورواية الحديث بالمعنى عنده ضرر كبير في الدين واللغة والأدب لما يصيبه من اللحن والخطأ واختلال نظامه بالتقديم والتأخير، فأى تحلل من الإسلام الذي بينه رسول الله ﷺ وبين الله وكتابه فوق هذا التحلل؟!!

أحسن الله عزاء المسلمين في سنة نبهم ﷺ التي هي بيان لكتاب الله بعد شكوك أبي رية في أمانة الصحابة والتابعين وسائر الرواة واختلافهم في ألتناظ الحديث وتبوير الثاني بتبوير الألفاظ وما عراه من اللحن والخطأ والتقديم والتأخير والاختصار في نظر التشكيك. وأى إساءة علن وسوء رأى إساءة الأمة من الصحابة والتابعين الذين أتى الله عليهم في كتابه بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أكبر من هذا الظن السي. الذي غلبه هذا التشكك بل التشكك في سنة النبي ﷺ بهذه السموم التي نفتها من صدره على الصحابة وخيار الأمة من رواة سنة نبهم صلوات الله وسلامه عليه

حياة النبي ﷺ الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رهبان بينهم ترام رُكُما سَجِدًا يثبتون فضلا من الله ورضوانا، سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزوح أخرج شطأ فآزره فاستوى على سُوقة يُعجب الرزاع ليعيق بهم الكفار ﴾

من هم النجم من الرواة الذين أخذت مجيئهم حديث رسول الله ﷺ باللحن والخطأ والاختصار والتقديم والتأخير، أم نافع مولى ابن عمر؟ أم هكرمة مولى ابن عباس؟ أم ابن سيرين والحسن البصري وأمثالهم ممن لا تقل عريبتهم عن قرأتهم من العرب؟ فهذا نافع مولى ابن عمر كان فرس دهان مع سالم وبلال وغيرهما من أبناء عبد الله بن عمر. وهذا هكرمة مولى ابن عباس وناسر علم مولا أ كثر من أبناء ابن عباس أنفسهم العرب الهاشمين

والبخارى الإمام الجليل لم يسلم من إزاي رية بأنه يروى بالمفى، فيكون على رأيه عرضة للحن والخطأ والتقديم والتأخير عند أبي رية لأنه أجمى ولا يقدّر أن يتيم اللفظ النبوي بزعمه، وأين البخارى من الصحابة الذين رماهم أبو رية بأنهم عجزوا عن أداء اللفظ النبوي على وجهه فرووه بالمفى المرص للحن والخطأ والحذف والاختصار؟

وإذا كان هذا رأى أبى رية في غير القرون بشهادة النبي ﷺ فمن الدرسُ بدمه عند؟ سبحانهك هذا بهتان عظيم في سلف خير أمة أخرجت للناس، وضياح سنا تكفل الله بحفظه من دينه وكتابه وبيانه الذى أرسل به رسوله

ماذا يقول أبو رية في قوله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لنبين لناس ما نزل إليهم ﴾ فهل ضاع هذا البيان وعصفت به العجة واللحن والخطأ ورواية للمفى؟ ويقول الله سبحانه ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتر عليكم آياتنا ويدلّكم الكتاب والحكمة ﴾ فآين الحكمة للخطوة على الكتاب؟ هل نسفتها رواية للمفى والعجة واللحن والخطأ التي ساطها أبو رية لشك في الحديث النبوي؟

جمع القرآن وتدوينه

ذكر أبو رية جمع القرآن وتدوينه (في ص ١٠) حتى جاء متواترا، ثم قال: ولو أن الحديث قد دون في عصر النبي كما دون القرآن، وأخذله من وسائل التسمي والحققة ما أخذ القرآن بلا. كله متواترا كذلك ولا اخلف للسلفون فيه هذا الاختلاف الشديد الذي لم يستطع أحد - على مر المصور - تلافيه

ثم ذكر أن تدوين الحديث لم يقع إلا في القرن الثاني بعد وفاة النبي ﷺ بأكثر من مائة سنة. قال: ولم يكن ذلك بدافع من الرواة وإنما كان بولوع من الولاء، وأنه قد بدا أول ما بدا غير كامل، ثم تقب في أطوار مختلفة، حتى خرج في صورته الأخيرة حوالي منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى

ثم قال (في ص ١١): فالتكلمون وعلاء الأصول لما كان الخبر عندهم ينقسم الى متواتر وآحاد... قال: والآحاد لا يعطى إلا الظن، والظن لا ينفى من الحق شيئا ورأوا - ينى المتكلمين والأصوليين - أن ما يأتي من طريق الآحاد الذي هو طئي الدلالة ولا يجوز البناء في العقائد على الظن، فقد ردوا كل حديث لا يتفق مع ما ذهبوا اليه من أصول، وما وضعوه من قواعد. وما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الآحاد

لا يتردّد بها في العقائد معها قوت أسانيدها وتمددت طرقها

ويقال لهذا المنهج على الحديث بهذه المعجمات المأهولة :

إن تواتر القرآن لفظه ومثله حتى حركات ألفاظه وإيجازاته للانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أمر اختص به القرآن دون سائر الرّوح الإلهي من التوراة والإنجيل والزبور والحديث النبوي ، ليجعله الله حجة على خلقه الى يوم القيامة

أما الرّوح الآخر من الكتب السجادية السابقة والحديث النبوي فقد راعت فيها الحكمة الربانية النزول عن الجلال الالهي والإيجاز الذي اختص به القرآن الى مدارك البشر مختلفي المراتب في الفهم والإدراك ، فالمصيب على الحديث النبوي والتشكيك فيه - بأنه لم يتواتر أو روى بعرضه بالحق - جهل بالحكمة الربانية في تنوع وجهه حسب حاجة الناس اليه ، فرة بالتواتر والإيجاز الإلهي ومرة بالنزول الى أهله الناس على اختلاف طبقاتهم في الفهم ، فلو كان الحديث في درجة القرآن تواترا وإيجازا وعلا لما انتفع به إلا القليل الأقل من الناس ، ولاحتاج الى بيان آخر أنزل منه حتى يخالف عقول الأسود والأحر والأبيض من الناس

وذهب أبو رية وراء المفكرين والأصوليين الى أن الأحاديث آحاد لا تنفذ إلا الظن وإن الظن لا يبنى من الحق شيئا ، وأن المفكرين يردون من الأحاديث ما يخالف الذي ذهبوا اليه من الأصول والقواعد

ونسأله : من هم المفكرون بأن الأحاديث لا تنفذ إلا الظن الذي لا يبنى من الحق شيئا ، والذين يردون الأحاديث الخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أم الجهمية والكلوبج والمعتزلة الذين وضعوا لأنفسهم أهوا . وبدعا سموها أصولا وقواعد ردوا بها الأحاديث الصحيحة . وحرّفوا القرآن لأجلها ؟

خذ مثلا حديث جرير بن عبد الله البجلي مرفوعا « إنكم سترون رديكم يوم القيامة كاترون البدر ليس دونه صاحب لا تضامون - أو لا تضارون - في رؤيته »

رده الجهمية والكلوبج والمعتزلة بأهوائهم وبدعهم التي سموها أصولا عقلية وقواعد منطقية بزعمهم أنه يقتضي التشبيه والتجسيم والجهة واللواحية

ولما أيد السلف هذا الحديث بقول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ حرّفوا الآية بتأويل أنها منتظرة ثواب ربها !

مثل آخر : حديث أبي هريرة وغيره مرفوعا « ينزل الله الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من داع فاستجب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » واه أصحاب الصلاح والسنن والسانيد

وردّه الجهمية والمعتزلة وأسألهم يشبهات جلية سموها أصولا عقلية بأنه يستلزم الحركة والانتقال وهما من صفات الأجسام

فاذا أورد عليهم من القرآن قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو تأتيهم الملائكة أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ إلخ حرّفوها بما يوافق أهواءهم وبدعهم التي وصفوا الله فيها بأوصاف اللدوم والتمثيل وأنه لا فوق العالم ولا داخله ولا ولا ولا التي لا تنطبق الا على الدم والتمثيل

ثم يقال لأي رية : من هم المفكرون الذين ردوا الأحاديث الخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أم الصحابة وخيار التابعين وأجله الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة والثوري وابن عيينة وابن المبارك وحاد بن زيد وحاد بن سلة وأسألهم من أئمة الهدى وشيوخ الهداية ؟

وأزل قليلا الى من بدم : فهل ردها أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة في أصول الديانة وهو آخر كتبه ، والأشعري علم شهير من أعلام علماء الكلام ويتندى به ومنظله جماعة الأشاعرة . وخذ من مشاهير القائلين أبا بكر الباقلاني ، فهل رده هذه الأحاديث في كتابه التمهيد وقد طبع حديثا كاملا ؟

يا أيها رية ، إن المفكرين الذين ردوا الحديث الصحيح المخالف لقواعدهم وأصولهم م - ٢ - غلطت أن رية

يزعم أنه حديث آحاد غنى م الجبهة والمترية والذين قال قائلهم في خاتمة مطاوعة :

لمرى لقد طقت المعاهد كلها وسيرت طارفي بين تلك للملم
فلم أر إلا واضحا كصف حائر على ذفن أو قارعا سن نادم

وقال الآخر : لقد تأملت الطرق الكلامية فلم أرها تشفى غليلا ، أو ترى غليلا .
ورأيت أحسن الطرق طريق القرآن ، أتوا في الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾
وأفرا في التنزيه ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ، ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾
وأما الأصول التي يرد أهلها الحديث الصحيح بدعوى أنه حديث آحاد وظنى فعلى
مثل يحصل الرأى الذى قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله علم بلا دين
وقال فيه « كأننا هو من وحى الشياطين »

أما أمثال الرسالة للإمام الشافعى وللواقفات للإمام الشافعى ونحوهما فلا ترد الحديث
الصحيح فضلا عما جرى عليه خيار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ياحسان إلى يوم القيامة ، فالحديث الصحيح حجة عندكم في الأصول والفروع على حد
سواء في الإيمان والعقائد والأعمال الصالحة

ولم توجد التفرقة بين الأصول والنور في الاحتجاج بالحديث الصحيح بدعوى
أنه حديث آحاد وظنى إلا عندما ثبت في السليين أهل البدع والأهواء والكلام البتدع
الذى قال الشافعى في أهله « رأيت في أهل الكلام أن يضربوا بالحديد والنعال ويطاف
بهم في الأسواق ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة إلى البدع ، واتخذ غير
سبيل المؤمنين »

إن الاحتجاج بالحديث الصحيح وتصديق رواية العدل الثقة أتبته الكتاب
الكريم والسنة النبوية المتواترة وافقت عليه فطر الخلائق وعقولهم في كل زمان ومكان
قد قال الله تعالى ﴿ وأشهدوا شاهدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلاين فرجل

وأمرأتان من الشهاد. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الاخرى ﴾ قبل
شهادة رجلين مرضيين من الشهاد. أو رجل وأمرأتين ولم يرز شهادتهم بدعوى أنها
شهادة آحاد ظنية ولا بد من التواتر

وقال تعالى في شهادة الرجعة والطلاق ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ ولم يقل
شهادة تواتر- وقال تعالى ﴿ إن جاءكم قاصق بنبا فنبئوا ﴾ أو ﴿ فنبئوا ﴾ فأمر بالتبين
والثبوت في خبر القاصق فيفيد قبول خبر العدل الرضى بلا شرط تواتر

وفي السنة النبوية الكثير الطيب من قبول خبر العدل الثقة ، فهذه كتب رسول
الله ﷺ إلى الملوك في سائر الاقطار ، إلى كسرى وقبصر والنجاني والمقوقس وأمرأ نجد
وقطر وغيرها ، ما كان يقوم بها إلا أفراد من الرسل . ولم يقل لم أحد من الملوك : أتم
آحاد لا يستفاد من خبركم اليقين

هام أهل قباء في القصر النبوى أنتم آت وهم يصلون الى بيت المقدس فقال : أشهد
لقد صليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا وهم ركوع من التوجه إلى بيت
المقدس إلى التوجه إلى الكعبة للشرقة ، ولم يقولوا لهذا إلا أن خبرك خبر آحاد لا يفيد
اليقين . وأما يفيد الظن الذى لا يبنى من الحق شيئا

اتد كذب وأخطأ خطأ فاحشا من قال : إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن الذى لا
يبنى من الحق شيئا . فخير الآحاد قد يقرن به من القرآن ما يجعله كالشمس الطامعة
صدقا ويقينا

إذا سمعت طارقا يبابك وجارك الخادم يقول : إن الأمير أو رسوله بالباب يريد
مقابلتك ، وكان التأثير باديا في كلامه وعلى وجهه ، أليس من الحكمة أن تقول له : إئت
خبرك خبر آحاد وهو لا يفيد اليقين ، وأما هو ظن لا يبنى من الحق شيئا ؟

إن معاملات الناس في دينهم وديانهم ومعايشهم قائمة كلها على قبول خبر العدل
الرضا ، فهذا المؤذن يقبل الناس دلالة أذانه على دخول الوقت ، فيصلون ويمسكون

ويضطرون بأذانه إذا كان مروفاً عندهم بالدلالة والرضا ، ولا يقولون له : إن ندائك نداء آحاد لا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يبنى من الحق شيئاً

يمرء خادمك فيقول : إن نمن النشأ أو السكر أو اللحم أو الخضر قد زاد عما أخذت له من قرد واحتاج إلى زيادة قدرها كذا وكذا ، وهو عدل رضا عندك ، فهل تعطيه ما أخبرك به أم تقول له : إن خبرك خبر آحاد ولا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يبنى من الحق شيئاً ؟

إن أمارات الصدق وسمات الصادقين وعلامات الكذب والكاذبين أمرٌ بين في فطر الناس وعقولهم وتمييزهم ، وهو سبيل الانتفاع بصدق الصادقين وتجنب الكذب والكاذبين

وهؤلاء أنبياء الله ورسله في أدوار بينهم ، وبجانهم للتنبؤون والكمينة والسحرة ، والناس تميز سبيل الأنبياء والصادقين والرسل والناسحين ، وتحذر طرق الكذبة من التنبئين والكمين والسحرة ﴿ انبهوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ، ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيطلع ، إن الله لا يصلح عمل للفسدين ﴾ ، ﴿ ولا يقلع الساحر حيث أتى ﴾ ، ﴿ فلما يأيندكم منى هدى فن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له مبيتة ضنكا . ونحشره يوم النيازة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت في الدنيا بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآياتنا ، ولذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾

وقوله (آخر ص ١٠) : « إن تدوين الحديث لم يكن بدافع من الرواة ، وإنما كان يوازح من الولاة » فأى عيب على الحديث في ذلك ؟ وأبو رية يبنى بالولاة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وهو نفسه كان من كبار الدلاء والرواة ، ولحديثه مسند مطبوع في الهند ، ولو فترغ لذلك لكان هو البائس لتدوين الحديث قبل القرن ثلثهم لهذا الخبير العظيم

والقرآن نفسه جمع في صحت بشورة من زيد بن ثابت على أبي بكر لما استقر القتل بالقرآن . في قال أهل الردة بالجملة ، وكتبت مصاحف الأمصار في خلافة عثمان عندما اختلف الناس في غزوة أذريجان وصار كل واحد يصصح قراءته التي تلقاها عن بعض الصحابة وينكر قراءة الآخرين ، فذهب بعضهم إلى عثمان رضى الله عنه فقال له : أدرك أمة محمد قبل أن يخلفوا في كتاب ربهم كما اختلف من قبلهم ، فكتب مصاحف الأمصار على البرضة الأخيرة ، وأمر بحرق سواها . فإذا أشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله – وهو للمحق بالخلفاء الراشدين علما ودينا وورعا ونصحا للأمة – على قاضي المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بتدوين ما يلته من أحاديث النبي ﷺ فاعتل ، فأى عيب يلحق الحديث أو رجال السلف من ذلك ؟ وهل يرى أبو رية في عمل عثمان بالمصاحف ما يؤاخذ به كما يحاول أن يؤاخذ عمر بن عبد العزيز على عمله في تدوين السنة ؟

وقوله (في ص ١٢) : « وإن هؤلاء الأئمة الكبار قد كانوا لقرهم من الصحابة وكبار التابعين أوسع علما وأعمق فقها من أصحاب كتب السنة الذين لم تشتهر كتبهم إلا بعد انقضاء القرون الأولى التي هي خير القرون بنص الحديث

ويقال له : هؤلاء الأئمة الكبار لم يكونوا من أئمة الحديث ؟ أليس مالك والشافعي وأحمد والثوري وابن عيينة وابن المبارك وأضرابهم أئمة في الحديث كما هم أئمة في الفقه ؟ أليست أحاديثهم هي الرواية في كتب السنة الشهيرة التي عليها أبو رية بأنها لم تشتهر إلا بعد القرون القاضية ، مع أن ما فيها من أحاديث هي بينها أحاديث خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم : لم يجترعها أصحاب هذه الكتب ، وإنما نقلوها عن الطبقة التي قبلهم ، ودونوها بعد الجهد المشكور في الرحلة والرواية . وتميز الرواة بصدقهم من كاذبهم

فهذه لم ولمزه بأن كتبهم لم تشتهر إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة كذب وظلم وجهتان ، فليس في كتبهم إلا رواية خير القرون

وقد أعجب أبو رية بكتابه - إعجاب بعض الطائر بابه - إذ قال (ص ١٣) : ولما كان هذا البحث لم يُمنَ به أحد ، وكانت دراسته واجبة قبل النظر في كتب الحديث والتفسير والتاريخ والفقه والأصول والنحو وكل ما يتصل بالدين الإسلامي ، وكان يجب أن يفرّد بالتأليف منذ ألف سنة عندما ظهرت كتب الحديث للمروقة . . . حتى توضع هذه الكتب في مكانها الصحيح من الدين ، ويعرف الناس حقيقة ما روى فيها من أحاديث ليكونوا منها في أصرم على يقين ، من أجل ذلك رأيت من الخير أن أسوّى منه كتاباً مبرّراً جليماً أذنيه في الناس حتى يكونوا على بينة من الحديث النبوي يدرسونه على نور العلم وينهضوه بمنطق العقل

ثم قال (ص ١٤) : وأرجو وقد حسرت القاب عن وجه الحق في أمر الحديث المحدث - الذي جعله الأصل الثاني من الأدلة الشرعية بعد السنة العملية ، واتخذوا منه أساساً لتأييد الفرق الإسلامية ودلائل على الخرافات والأوهام ، وقالوا بزمهم لها دينية - وكشفت القناع عما خفي على الناس من أمره ، وعرضت صورة صادقة من تاريخه ، أرجو أن أكون قد وقفت إلى إصابة النرض الأول - الدفاع عن السنة النبوية وحمايتها مما يشوبها

إلى أن قال (ص ١٥) : وإذا كان هذا الكتاب سيئير ولا ريب آراء كثير من المسلمين فيما ورثوه من عقائد وما درسوه من أحكام ، فانه سيفقههم إن شاء الله على حقائق كثيرة تزيدهم تبصرة وعلماً بدينهم ، وعمل لهم مشاكل متعددة مما تضيق به صدورهم ، ويدفع عنهم شبهات مما يتيك عليها المخالفون والصادون عن دينهم ، وبذلك يستقيم النظر إلى معرفة أصول الدين ، ويستدل الرأي في أغراضه من المسلمين وغير المسلمين ، وذكر (ص ١٥) أنه يتوجه بسله هذا - بعد الله - إلى اللّغّفين من المسلمين خاصة ، وإلى اللّغّيين بالدراسات الدينية عامة ، لأنهم الذين يعرفون قبيته ويدركون قدره

أقول : سأصير على هذا الزرور والتهويل ، حتى أرى نور العلم ومنطق العقل الذي سيقدّمه أبو رية في كتابه الذي يحجز المسلمون من ألف سنة مضت عن الإيمان بمثله ! والذي سيقلب العقائد والآراء والأفكار - كما زعم - رأساً على عقب ، والذي توجه به إلى الله وإلى اللّغّفين من المسلمين وغير المسلمين الذين يعرفون قبيته ويدركون قدره .

سأصير على هذا كله ، وليس الخير كالميان ، وعند الامتحان يحكم المرء أو يهان ولو أنه قد تيسر له ما كذبه المسلمون في خدمة الدين والحديث من كتب المرح والتشديد ومن كتب علل الحديث وشواذه وبيان المنكر من السلام لا ادعى أن كتابه لم يكتب مثله من ألف سنة مضت ! وظنى أنه نظر في شيء من كتب الحديث نظر العوام الذين لا يفقهون منه إلا أماني ، فسأدت نظرتهم إلى ما نظر منه

النهي عن كتابة الحديث

نهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه - عمل الصحابة بذلك

قال (ص ٢٣) : « كان رسول الله صلى الله عليه - وآله - كاتبا - مينا ومفسرا للقرآن بنقله وقوله ، ولكن أقواله في هذا البيان أو في غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن »

هذا البيان لكتاب الله والتفسير له من فعل النبي ﷺ وقوله قد حفظت أحاديثه عن النبي ﷺ كما حفظ القرآن ، ولا يصيرها أنها لم تدون في زمنه ﷺ شأن سائر العلوم - الفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة ومفردات اللغة - ويظهر أن أبا ربة لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، فأخذ من عدم التدوين النهي عن كتابة الحديث

وكتابة الحديث وجوزها بل واستحبها والتغيب فيها دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وخيارها إلى يوم القيامة

فن الكتاب قوله تعالى ﴿ هو الذي يث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقال ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فبين للناس بيانه الذي يبقى لهم ما بقي الكتاب الذي عهد الله بحفظه . وقال لنساء نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فأبأت الله كتابه ، والحكمة بيان النبي ﷺ لكتاب بأقواله وأفعاله ، فهل بين النبي ﷺ كتابه بالحكمة التي يشه بها مع الكتاب لتحفظ وتبقى ما بقي الكتاب حفظا وكتابة ؟ أم بينها ونهى عنها لتنسى وتترك ويستبدل بها الناس أهواهم وبدعهم وما يشتهون ؟

وسنة النبي ﷺ للتوازية من الكتابة للوكل : فيسر وكسرى والتجاشى والتفوق وأسماء نحد وقطر وغيرهم ، فكسب إليهم رسائلهم من الكتاب والحكمة ، فهل كتب لهمؤلاء . ونهى عن كتابة حديثه لمن يأتي بعده إلى يوم القيامة ؟ لماذا ينهى عن ذلك ؟

أليس هو مبعوثا لهم كما هو مبعوث الى من كتب لم ؟ أم يريد لم أن لا يرفوا هديه وحكته ويمشيوا عنها بأهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم ؟

وفي حديث حجة الوداع برفات الذي حضره ما ينيف على مائة ألف حينما سلم ﷺ : هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد . ورفع أصميه إلى السماء وحملها إليهم ليبلغ الشاهد الغائب . أليس التبليغ يكون باللفظ وبالكاتبة ، أم يباح لفظا ويحظر كتابة ؟

وفي الحديث « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » يحظر هذا التبليغ بالكاتبة ، أم يؤمر به بسبب يستطیع السامع للبلغ لفظا وكتابة ؟

وحديث أبي شاه الجاني لا طلب من النبي ﷺ كتابة خطبته يوم فتح مكة فقال « اكتبوا لأبي شاه » أكان خاصا بأبي شاه ومن أمرهم بالكاتبة فلا يجوز لتيهم أن يكتب أو يكتب له ؟ !

ثم عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من خيار الأمة إلى يوم القيامة في كتابة حديث رسول الله ﷺ أكان هدى أو ضلالة حتى يأتي أبو ربة وأمثاله في القرن الرابع عشر يدعة النهي عن كتابة الحديث النبوي بشواذ ظنوها أنه على ذلك ، وماهى إلا شبهات لا تحدش وجه الكتاب والسنة والإجماع والسبل للتوارث من خير التوارث إلى يوم القيامة وسبل المؤمنين وعوامه للفتنة

شبهات من ظن النهي عن كتابة الحديث

(١) حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فن كتب عنى غير القرآن فليسمه » رواه مسلم وأحمد والدارمي والترمذى والنسائى عنه فقال (أولا) لمن احتج به : كيف نتجج بحديث نهى النبي ﷺ عن كتابته وأمر بحرقه ؟ فالحديث النهى عن كتابته للأمر بحرقه كيف يكون حجة ودليلا ؟ ألا يقال فيه

ما قيل في حجاج التكاوين قديما :

حجاج كازياج تهاقن فكلهن كاسر مكسور

والحديث له وجه صحيح سنذكره قريبا إن شاء الله تعالى

(ثانيا) الذين روه أحد وسلم والداري والترمذي والنسائي لماذا كتبوه هو وغيره؟ هل هم لم يفهموه ، أم فهموه وخالفوه فينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أنت تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وحاشا من ذلك : من عدم فهمه ، أو من مخالفته

(ثالثا) الإجماع متعقد على جواز كتابة حديث النبي ﷺ من عهد خير القرون إلى يوم القيامة ، فإخالفه إما غير صحيح ، أو منسوخ ، أو مارض بما هو أقوى منه ، والسمل للأقوى

الحديث صحيح ، ووجهه - كما قال العلماء - خوفه ﷺ في بداية الأمر أن يختلط القرآن بغيره ، إلى أن يتبرنوا بأسلوب القرآن ويتبرسوا ببلاغته وتوجد لهم ملكة تميز نظم القرآن وإيجازه من نظم كلام البشر ، وهي حكمة صحيحة ووجه مقول ، يدركها من نظر في أسباب ورود القراءات الشاذة وتدوين ما سمع من الصحابة على وجه التفسير على أنه قرآن قرؤه على هذا الوجه كما قرؤا القرآن للتواتر ، وفيه كبت كتب الشواذ من القراءات كالأربع فوق العشر والقراءات الشاذة لابن خالوية ، ولقد أحسن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الراشدين حينما كتب للمصاحف الأئمة - وبث بها إلى الأمصار : السكوة والبصرة والشام وأمر بحرق ما عداها ، ومع هذا بقيت شواذ القراءات في روايات الناس وفي كتب الشواذ والتفاسير

وقوله (ص ٢٧) : إنه سب لا يقتنع به عاقل عالم ولا يقبله محقق دارس اللهم إذا جملنا الأحاديث من جنس القرآن في البلاغة وأن أسلوبها في الإيجاز من أسلوبه الخ

وتقول له : هو سب معقول عنه الأئمة والعلماء ، ولا بشيرنا أنك لا تقبله ، وليس كل الناس يعقل إيجاز القرآن وينرق بين بلاغته وبلاغة سائر الكلام ، والناس طبقات في الدارك ، وفيهم الأعمى والمرك ومن فسدت لتهمم بالاختلاط بالأعاجم رأت امرأة زوجها من الصحابة خارجا من عند أمته لللوكة له ، فظنت أنه واقصا ، فأنكر ذلك ، فقالت لا أصدق حتى تقرأ قرآنا إن كنت لست جنبا منها ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النصارى الكافرينا وأن العرش فوق اللاء طائف وفوق العرش رب العالمينا

فقلت : صدق الله وآمنت بأنك لم تحس الجارية . وأمثال هذه المرأة التي لم تفرق بين الشعر والقرآن كثير وكثير جدا

هؤلاء الذين رووا عن ابن عباس قول الله ﴿ ليس عليكم جناح أن تنصوا فضلا من من ربكم ﴾ في موسم الحج ، فرووا قوله « في موسم الحج » على أنه قراءة لابن عباس ، وظاهر أنها تفسير منه فهؤلاء لم يكونوا مفرقين بين القرآن المعجز للتواتر وبين ما قاله ابن عباس على وجه التفسير فرووه على أنه قراءة له . والذين سمعوا من ابن مسعود ﴿ وأمر أنه قأنة ﴾ زهو فاعد ، فرووها عنه قراءة له - والذين سمعوا منه أو من غيره ﴿ فن لم يجد فصيام ثلاثه أيام ﴾ متواليات ، فرووها قراءة . والذين سمعوا من حفصة وغيرها ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾ وصالدة العصر ، فرووها قراءة . هذا وأمثاله كثير في كتب القراءات الشاذة والتفسير وغيرها لم تجع بلاغة القرآن وإيجازه أمثال هؤلاء . أن ينظروا فيما سمعوا من الصحابة على وجه التفسير أن يروه قراءة ، ولولا مصاحف عثمان وانتشار أئمة القراء ومشاهير الحفظة لاختلط على كثير من الناس بل على أكثرهم ما قل تفسيراً وروى غلطاً أنه قراءة

فاذا خاف النبي ﷺ على هؤلاء ، وأمثالهم في بداية العهد أن يختلط عليهم القرآن بما

كتبوه من حديثه فنام عن كتابة الحديث مؤثقا حتى يترسوا بأساليب القرآن ويندوقوا بلاغته وإيجازه ألا يكون ذلك من نصحه ﷺ لأئمة؟

وقوله (ص ٢٥) إن أحاديث النبي عن كتابة الحديث أصح وأقوى ، سبيلة منه وتنهو ، فكيف يجمل ما انفرد به مسلم أصح وأقوى مما اتفق عليه في الصحيحين البخاري ومسلم وما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى

وقوله (ص ٢٥) : لنا أن نستدل على كون النبي هو للتأخر بأمرين : أحدهما استدلال من روى عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي ﷺ ، وثانيها عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ، ولو دونوه ونشروه لواتر ما دونوه

والجواب عن الأول أن الأحاديث للنسوخة رواها ورواها وعملوا بها بعد النبي ﷺ حينما لم يملوا بالنسخ ولم يندفعوا في ذلك ، فهذا تطبيق إن مسود يديه بين ركبتيه وقت الركوع ، ووقفه بين اثنين هو إمامها في الصلاة بلا تقدم عليها ، وعمله بذلك بعد وفاة النبي ﷺ لعدم عمله بنسخ ذلك ، ومتممة النساء - أي الزواج للوقت - يقول بها ابن عباس بعد موت النبي ﷺ وقد أخبره ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصرم النبي ﷺ لها في غزوة خيبر ، وكذلك قوله يحمل الحر الانسية للأكل مع رواية غيره كعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ونحوه كثير من أهل العلم من الصحابة وغيرهم للاقتداء في آنية الحر والبداء ، ولزفت للنهي عن ذلك أولا ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ « انيذروا في كل شيء ولا تشربوا مسكرا » ، والامثلة في ذلك كثيرة جدا . فرواية بعض الصحابة لأحاديث النبي عن كتابة الحديث بعد وفاته ليس دليلا على عدم نسخها ، فالنسخات كلها رويت بعد وفاته لعدم علم رواتها بنسخها

وقوله « ثانيها عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره الخ » دليل على أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، وإن بلغ به إصابه بكتابه إلى حد الدعوى بأنه لم يؤلف

منه من ألف سنة ، فالصحابة لم يدونوا الحديث ، ولا الفقه ، ولا الأصول ، ولا النحو ، ولا البلاغة ، ولا مفردات اللغة ، ولا التاريخ ، فهل يدل عدم تدوينهم لهذه العلوم الاسلامية على النهي من كتابتها ، وبالتالي تحريم تدوينها ؟!

الصحابة رضي الله عنهم من المؤمنين الذين بث بهم رسول الله ليذكهم ويطلبهم الكتاب والحكمة ، وقد تحملا دين الله عن رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة مغلوب راعية وسعظ عديم الظاهر ، حتى القرآن لو لم يباينوه حفظا لا حفظه كتابا بعضهم الخالية من القسط والشكل وأقنات المد مثل (إن جادكم فاسق نبأ فحوا) قرئت فتنبهوا بالثاء من التثنية ، وقرئت فتنبهوا بالياء من الباء ، ولولا الحفظ كيف كنا نجبر قراءة (فأزلهما الشيطان) أي من الزلل ، من قراءة « فأزلهما » من الإزالة ، كيف تنبذ القراءتان من رسم (فأزلهما) ؟ وهكذا قراءة (إلا الله يقص الحق) من القصص وقراءتها « إلا الله يقص الحق » من القصص وقد رسمت « مص » وقراءة « وكان من نبي قتل » قرئت « قتل » بالياء للمجهول و « قاتل » بالياء للفاعل

وهكذا حفظ الله القرآن والحديث النبوي بحفظ الصحابة لها لا بالكتابة ، والقرآن لو لم يكتب قط لكان ناسل تلقيه وتلقيته من حفظ الحفاظ من العهد النبوي إلى الآن - هو للظهور الأمل لا تولاه الله من حفظه إلى يوم القيامة . وهذه ميزة امتازت بها شريعة الاسلام على جميع الشرائع ، ومن يجعل ذلك فهو أجمل المجهلاء

ولما زالت الأمية عن هذه الأمة الموصومة من الخطأ دونوا القرآن لفظه وقراءاته ،

وددونوا الحديث والفقه الخ

فالتك في الحديث أنه لم يدونه الصحابة شك عدو في الدين وفي حفظ الله له حجة على خلقه إلى يوم القيامة : كتاب الله المجيد ، وسنة نبيه ﷺ وعمل السلف الصالح في شبر القرون بذلك

بقية أدلة النبي عن كتابة الحديث

(٢) قصة عائشة (ص ٢٣) في جمع أبي بكر لعامة حديث ثم حرقها الخ رواها الحاكم وجمع الجوامع للسيوطي وتفيد المخطيب البندادي وتذكره الحفاظ الذهبي

والجواب : يجب لحق القرن الرابع عشر أن يشكك في أحاديث الصحيبين والسنن والسند لأئمتها دونت على خلاف نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، ويجتزأ لإجماع الأمة على قبولها ، ثم يحى إلى أثر يرويه الحاكم والمخطيب البندادي والسيوطي في جمع جوامعه وهي عمدة بالموضوعات والاضاف والتأخير . حيثك أن الحاكم قال في الذهبي : إن ربح مستدركه موضوعات ومكذوبات ، وربه صحيح على شرطها . وربه صحيح ليس على شرطها ، وربه حسن أو ضيف . وقد ألف الذهبي المستدرك على المستدرك ناقض فيه الحاكم في الكثير الأكثر مما زعم صحته ، ولذلك جاب الداء بعد الذهبي على تصحيح أخطاء الحاكم وأوهامه بما قاله الذهبي على مستدركه . وأما السيوطي فلم يقتبس بالصحيح في كتبه ، فهو ساطب ليل جمع الأفاضل والمطرب ، على أنه حطب قد ينفع

ثم هؤلاء الذين روهوا هذا الأثر الصديق كيف ساع لم خلافه فكثيروا الكتب الطوال والقصار والبساط والخضرات في علم الحديث ، خصوصاً المخطيب البندادي والسيوطي . فلو صح عندهم هذا الأثر ما ساع لم مخالفته

وهذا محققنا أبو رية كيف ساع له الاستدلال بشئ . وضع كتابه لتفكيك فيه وصحح نهي النبي ﷺ وعمل أصحابه بنهيه عن كتابته (أقومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة تردون إلى أشد العذاب وما الله بنافل عما تعملون) والآية في وعيد اليهود ، ولكن من عمل بمثل عمل اليهود بما ناه الله عنهم فله نصيب من وعيدهم

وقد قال سفيان بن عيينة أو الثوري : من فسد من علمائنا فقيه شبه من اليهود ، ومن

فسد من عبائنا فقيه شبه من النصارى

ثم ليس في قصة أبي بكر - إن صحت - احترام الحديث والعمل به ؟ فقد حرق ما جمع منه خوفاً من أن يكون وثق بغير ثقة ، إذن فالثقة هو موضع التبول بخلاف غير الثقة . ألم تقل القصة عنه إنه حرق ما جمع حتى لا يشك الناس فيما لم يجمع عما لم يبلغه ؟ فقد احترق ما لم يجمع عما لم يبلغه فرق ما جمع حفظاً لما لم يجمع ، فهو قد احترق الحديث ما جمع منه وما لم يجمع ، وعلم أن دين الله محفوظ في الصدور ، وستدونه الأمة متى تيسر لها التدوين . فأبو بكر لم يقل أحرق ما جمعت لأنه لا فائدة فيه ، ولا لأن النبي ﷺ قد نهى عن كتابته ، ولكنه أحرق ما جمع - إن صحت الرواية بذلك - لأنه خاف من إغراض الناس عما لم يجمع بسبب ما جمع ، وخاف من دخول فيما جمع ، فهو على كل حال يحرق حديث رسول الله ويري لومه للدين ، ما جمع منه وما لم يجمع وليس يرى ما يراه محقق القرن الرابع عشر أبو رية في ظلاله أن الحديث ليس من الدين ولا حاجة للدين به وأنه منى عن كتابته الخ

(٣) قصة عمر (ص ٢٤) التي رواها ابن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة - يعني ابن الزبير - أن عمر أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب رسول الله أو استشارهم فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطلق يستخير الله شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لأشوب كتاب الله بشئ أبداً ، أو لا أليس كتاب الله بشئ أبداً . وعن يحيى بن جعدة عن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب إلى الأصم : من كان عنده شئ فليبعه . اهـ

والجواب أن هذه القصة لو كانت صحيحة لما ساع لراويها ابن عبد البر والبيهقي وما من علماء الحديث ومن دون في الدواوين النافعة للمنة كالنهي شرح الموطأ لابن عبد البر والاستنباط في أسماء الأصحاب له والدم وفضله له كالسنن الكبرى للحافظ البيهقي ومعرفة

السن له والدخل إليها

بأنه سائر أئمة الحديث من عهد مالك في موطنه ومن بعده من تابعي التابعين فن يمدح إلى زمن ابن حزم وابن عبد البر ويقدم البيهقي وابن جرير وغيرهم ، كل هؤلاء كتبوا الحديث ودونوه وانتفع بدواوينهم خيار الأمة وأهل السنة والجماعة ، عدا من طبع الله على قلوبهم من الجهمية والرافضة وشراو أهل الكلام من المعتزلة وأشباههم ومن غرق في أهوائهم وبدعهم ومعتداتهم

(ثانياً) راوى القصة هروث بن الزبير من أوساط التابعين ، وأى له في إدراك عمر ، وهو لم يدرك الرواية عن أبيه الذي يده عمر بضع عشرة سنة

ويحى بن جعدة كذلك لم يدرك عمر

(ثالثاً) إن صحت هذه القصة من عمر كانت من اجتباهااته الكثيرة التي قد تخالفه فيها مع احترامنا لجلالة قدره وسابقتها في الاسلام وعز الاسلام على يديه بعد اسلامه وفي خلافته ونصحه لصحبة الرسول ووزارته لأبي بكر وقيامه بأمر الاسلام أيام خلافته خير قيام ، ومع هذا كله وثوق هذا كله يسوغ لنا أن نخالف بعض اجتباهااته إلى ما هو أقوى منها في السنة الصحيحة أو النص المصريح ، من ذلك : (١) في مرض الوفاة النبوية طلب عليه السلام كتابا يكتبه لأمنه لا يضلون بعده ، فقال عمر : حسبتا كتاب الله ، وجوز أن يكون ذلك من أثر الحبي ، وقال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابة الكتاب . ونحن نوافق عمر أن كتاب الله فيه الهدى والكفاية ، وليس في ترك الكتاب رزية ولا كل الرزية كما قال ابن عباس ، وإنما فات من ذلك وصية كان عليه السلام يريد تأكيدها ، فلم يضع بترك كتابه عليه السلام شيء من الدين ، وإنما كان يائنا وتأكيدها لا سبق له يائنه وتأكيده . (٢) نهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أيام خلافته لئمة الحج وقرانه بالعمرة اجتباها منه رضى الله عنه لاكثر زوار بيت الله بمكة مفرد وعمره مفردة بغير آخر ، وقد صحت السنة الصحيحة المبرجة مع نصوص القرآن

بمشروعية التمتع والقرآن ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة إرداع منهم للتمتع ومنهم القارن ومنهم للفرد ، كل هذا بطله وإقراره ، بل أوجب على من لم يسبق الهدى أن يفسخ الحج إلى العمرة . وقال عمر بن حصين : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن بالتمتع ولم يحمى نسخ لذلك ، فقد رجع برأيه ما شاء ، يبنى عمر أو معاوية ، وأنه قد الاجتمع بد عمر ومعاوية بمشروعية التمتع والقرآن وخالفوا عمر لاتباع النص من القرآن والسنة المبرجة وعذروا عمر في اجتباهاه ، وعرفوا أن فضله الكثير ينشر هذه الاجتباهاات وينطها ، مع خلافهم لكثير من اجتباهاه حتى صحت النص بخلاف اجتباهاه ، ولسنا في حاجة إلى تنديد ما خالف اجتباهاه نص من النصوص وإتياع الناس للنص وخلافهم لاجتباهاه مع الاحترام له والتبجيل

(رابعا) نحن نوافق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه - إن صحت عنه هذه القصة - في أن تعرض عما يشغل عن كتاب الله ، فضلا عما يستبدل بكتاب الله ويستعاض به عن كتاب الله

أما ما بين كتاب الله وعمر عليه ويسره فهو الركن الثاني من دين الاسلام ، وفي الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به بدى لن تضلوا » كتاب الله ، وسنتي »

(٤) قصة التماس بن محمد (ص ٢٤) ومنه عبد الله بن الوليد أن يكتب عنه حديثا ، وقول التماس : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأشبه الناس أن يأثرو بها ، فلما أثرو بها أمر بحرقها ، مشاة كشاة أهل الكتاب له ، رواها ابن سعد

والجواب كما تقدم أنها لو صحت لا غافلها الناس جميعا من عهد عمر إلى يوم القيامة ، وكيف جاز لأروباها ابن سعد أن يغافلها ، وقد كتب طبقاته في عدة مجلدات ، وكان يقرأها الامام أحمد كرامة كرامة . ومن قبله كان سائر الناس من الصحابة والتابعين وتابعهم يردونها إلى يوم القيامة

وإن قلنا بن محمد بن أبي بكر الصديق أن يدرك عمر بن الخطاب ، وقد كان

مطلبا صئيرا في خلافة علي بن أبي طالب حينما حرق للصيريين أباه لانتقامه بقتل عثمان مع قاتليه ، فضمت عائشة القاسم الى كفالتها حينئذ ، ولله لم يكن ذلك ولا كان موجودا أيام عمر

والسبب من محقق القرن الرابع عشر الذي زعم أنه وضع كتابه الذي لم يوضع مثله وكان يجب أن يوضع من ألف سنة ، المصنف منه أن يشكك في صحيح الأحاديث وعمل خير القرون فمن يهدم من اتقى آثارهم بهذه المنطلقات والمباني المنسوبة للشاذة التي هي كالمصنف ، ولم الخنزير ، وللشقة ، والرفقة ، والتردية ، والنطية ، وأكلة السم ، بجانب الكثير الطيب من مؤلفات أئمة الاسلام في المساند والصحاح والسفن

(٥) وذكر (في ص ٢٤) قصة دخول زيد بن ثابت على معاوية وقول زيد : إن رسول الله أسرا أن لا تكتب شيئا من حديثه ، فدعا معاوية ما كتبه عن زيد بن ثابت

ذكر أبو رية هذه القصة بلا زمام ولا خطام ، بل سبها كالسوابب التي سبها المشركون لأصحابهم ، فبالله عليك هل يعطى عمل خيار الناس من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة بأمثال هذه السوابب التي لا زمام لها ولا خطام ؟ أما كان يجب على المتدبر بشيء أن يذكر من رواه ومن صححه ومن احتج به ومن عمل به ؟

فإذا كان أبو رية لم يمزق قصة زيد مع معاوية إلى شيء من كتب الرواية ، ولو التي تروى للتراب والمنسكبات والشواذ ، فمن في حل من الإعراض عنها وإطراحها ، وقد ذكرها ابن عبد البر ، وفي سندها طعن وانقطاع

(٦) وذكر (في ص ٢٤) خطبة علي - يعني ابن أبي طالب - وقوله : أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فحاه ، فأنا هلك الناس حيث تنبوا الأحاديث عنهم وتركوا كتاب ربهم . اهـ

ذكرها بلا زمام ولا خطام ، بحيرة من البحائر وسائبة من السوابب ، لم يمزعها حتى ولو لرواة الأكاذيب والبرصعات ، فكيف نترك لأجلها - وهذا حلها - كتاب الله

وسنة فيه وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ؟ أبطل هذه الرفقة ترك عمل مالك والنوري وابن عينة ، ومن يهدم الشافعي وأحمد والبخاري وسلم وأصحاب السنن والصحاح والمسند وغيرها ؟

ورأى النعمة عن علي - علي ما ذكره المشكك في السنة - هو جابر بن عبد الله بن يسار ، ولا يحضرني الآن من هو جابر بن عبد الله بن يسار هذا ، ولعل اسمه معروف عن جابر بن عبد الله بن جابر العتيبي روى عن بشر بن معاذ أنه صلى مع النبي ﷺ ، قال المواقف الدعوي في البراءة : وهذا كذب ، وبشر لا يوجد له فيها أحسب . ويحتمل أن يكون جابرا آخر وهو جابر الجعفي ذلك الثالث المالك للزمن برجمة علي وأنه فوق السحاب ، فإن يكن هو الجعفي فلا غرابة فيمن يتقبل في أبي هريرة حين عبد الحسين الجعفي الرافضي أن يتقبل في هدم سنة رسول الله ﷺ رواية هذا المالك السائق جابر الجعفي للزمن بالرجمة ، فقل هذا السيل عام لم يهتد إليه السلفون في ١٤ قرنا واهتدى إليه معتقدا في القرن الرابع عشر . وإن يكن غير جابر بن عبد الله العتيبي وغير جابر الجعفي فمنسكرة من المنسكبات لا يؤيده له

(٧) قصة ابن مسعود (ص ٢٤) أنه أتى بصحيفة فيها حديث ، فدعا بناء فملاها ثم غسلها ثم أسرها فأحرقته ثم قال : أذكر الله رجلا يملأها عند أحد إلا أغلني به ، والله لو أعلم أنها بدير هند ليلتها ، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم نذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

وهذه كوابلها مملوثة بلا رباط ، لا تستحق مجرود الجري ورائها ثم في لفظ النعمة « صحيفة فيها حديث » ولم يذكر في القصة حديث من ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ فيستحق هذا الذنب عليه من ابن مسعود ، كلا ثم ألف كلا . ابن مسعود الذي يرمى ولجة عندما أتى بقدره فذكر له حديث يؤيد فواء ففرح فرحا عظيما ، والفتوى في امرأة مات عنها زوجها قبل الدخول بها ولم يسم لها صداقا فقال : لما

صدق مثلاً ولما ليرث وعليها البعثة ، فذكر له أن رسول الله ﷺ حكم لبروع بنت واشق بثلث ذلك ، ففرح ابن مسعود بذلك فرحاً شديداً ، وأولم ولية لذلك . هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مع حديثه حياً وفرحاً واحتراماً . وأما إذا كان في هذه الصحيفة خرافة من خرافات أهل الكتاب لغيري لأن مسود أن ينضب هذا النضب وإن يتيسر إلى دير هند ليجرقها . ويشهد لهذا اعتباره بما أهلك أهل الكتاب من قبلنا من نذم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . يعني واتباعهم ما نكلو الشياطين على ذلك سلبات ، وكذلك ما قال الله فيهم ﴿ وإن منهم لفرقة بلوون ألستهم بالكتاب لتحبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾

وحاشا للسليدين خصوصاً أئمة الحديث والكتاب والسنّة أن يكونوا كذلك عند ابن مسعود أو غيره من الصحابة

وقوله (ص ٢٥) : وهناك غير ذلك أخبار كثيرة يرجع إليها في كتابي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وتفيد العلم للبتدائي وغيرهما

وجوابه أنه لو وجد في الكتابين أمثل مما ذكره من الأشكال للتحفة واللوقودة وللقرية والنظيمة وأكلة السبع التي مرت عليك ميثاق غير مذكرة ، لما تأخر عن شحن كتابه بميثاقا وردها ، ولا ضنّ بميثاقا على قارئ كتابه . وقد ناقشته في جميعها وبيننا أنه لا يستدل بها إلا عدو للدين الإسلام يجتهد في هدم تآني أصوله أو من اتبع غير سبيل المؤمنين في العمل بحديث نبيه ﷺ وحفظه وتدوينه

وقوله (ص ٢٥) : ولئن كان هناك بعض أحاديث رويت في الرخصة بكتابة الحديث فإن أحاديث النبي أصح وأقوى منها إلخ ، فقد أجبتاه على ذلك وبيننا كذبه وجماله في ذلك وأن جواز كتابة الحديث النبوي والترغيب في ذلك جاء به الكتاب والسنّة الصحيحة . وعمل السليدين من لدن الصحابة إلى قيام الساعة . فأرجع إلى ذلك إن دئت

قوله (ص ٢٧) في تبوين أمر الحديث والعمل به : ثم ما جرى عليه علماء الأمصار

في القرن الأول والثاني من اكتهاد الواحد منهم كأي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وإن قل ، وعدم تنبيه في جمع غيره إليه ليقوم دينه وبين أحكامه - قوى عندك ذلك للترجيح (يعني النبي عن كتابة الحديث على جواز كتابته)

ونقول لذلك الشاك للشك في الحديث النبوي : إن الواجب على كل مسلم أن يعمل بما بلغه من دين الله - كتابه وسنة نبيه ﷺ - لقول الله تعالى ﴿ لا تذكر به ومن يبلغ ﴾ فحق لم يبلغه شيء من كتاب الله أو سنة نبيه فهو مذمور في عدم العمل بما لم يبلغه من ذلك

وأما اتهامه علماء الأمصار بعدم تنبيه في جمع غير ما بلغهم فتبهم بامالة لؤلؤء العلماء ، وكيف سأل له أن يرميهم بما هم برآء منه من عدم الجدة والاجتهاد في تحصيل دينهم وهم لم يبلغوا درجة الإمامة في الدين إلا بالجد والاجتهاد والإخلاص للدين ، أصوله وفروعه ، كتابه وسنة نبيه

والتييل بأي حنيفة لغة الرواية وعدم التنقيح في تحصيلها له محل آخر ناقشته فيه ، وليس إقلال أبي حنيفة من الحديث بمحنة على إكثار أقرانه من جمع الحديث والاجتهاد في تحصيله ، فليس أبو حنيفة بمحنة على الزمري وتلاميذه مالك وابن عيينة والأوزاعي والثوري وأضرليهم ، ولا من يندم كآين للبارك والثاني وعبد الرحمن بن مهدي ، ومن يندم أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وهم جرح

وقوله ص ٢٧ : بل نجد الفقهاء ... لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والانفاق على العمل به . فهذه كتب الفتن في المذاهب للنبوة ولا سيما كتب الحنفية فللألفية فالشافعية فيها مئات المسائل الخالفة للأحاديث للفق على صحتها ، ولا يمسد أحد منهم مخالفا لأصول الدين

وجوابه : أن الفقهاء ليس من وظفتهم تحرير الصحيح ، وإنما ذلك عمل أهل الحديث . وأما عدم الاجتناع على العمل به وجود مئات من المسائل الخالفة للأحاديث المتفق

على صحتها ولم يبد أحد منهم مخالفا لأصول الدين ، فجوابه أن هؤلاء المخالفين للأحاديث المتفق على صحتها من الفقهاء إن كانوا مقلدين فلا حساب لهم ، وقد تقدم عن ابن عبد البر إجماع العلماء على أن التقليد ليس بما لم

وإن كانوا من الأئمة فلا يظن بإمام من أئمة المسلمين أنه قدم صدق في الأئمة أن يخالف حديثا صحيحا بنهر عذر من الأعذار التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة (رفع اللام عن الأئمة الأعلام) فذكر عشرة أعذار لما وجد من بعض الأئمة من مخالفة لحديث صحيح ، منها عدم بلغه إياه والله يقول في القرآن ﴿لَا تَذَكَّرُ بِهِ وَمَنْ يَخُفْ﴾

ومنها أن يتعارض بما هو أصح عنده منه كظاهر آية أو حديث يبلغه براه أصح من الآخر أو يظنه منسوخا ، وإن كان غيره لا يرى رايه . وفي الحديث «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» . والمؤاخذه مرفوعة عن الناس والخطيئة . بدلالة القرآن والحديث ، قال الله تعالى تملأ رسوله وللذين ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي حديث مسلم «قال الله : قد ضللت» يعني أنه سبحانه رفع المؤاخذه عن الناس والخطيئة . وأما حديث عبد الله بن عمرو وأجر الخطيئة المجتهد في طلب الحق على قدر وسعه ، فنسقط قوله : ولم يبد أحد منهم . أي بعد مخالفته للأحاديث . مخالفا لأصول الدين . لأن الأئمة الذين وجد منهم مخالفة ما للحديث لهم من الأعذار ما بينه شيخ الإسلام في كتابه (رفع اللام عن الأئمة الأعلام)

وقوله (ص ٢٧) : «وقد أورد ابن القيم في أعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملاً بالتأيس أو لتبر ذلك»

وجوابه أن ما أورد ابن القيم في ذلك إنما هو شكوى من تعصب للمقلدين الذين هم بشهادة ابن عبد البر ليسوا من أهل العلم ، فلا يكون عملهم حجة على الإسلام وعلمائه ولا على الحديث وأهله ، ومتى كان عمل التعصب والجلل والتقليد حجة في الدين ؟

روى الشافعي حديثاً ، قيل له : أناخذ بهذا ؟ فامتنع له وقال : أتراني خارجاً من

كنيسة ؟ تراني في وسطى زفار ؟ - إشارة للكفار - أروى حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا آخذ به ؟ ! وحكي الإجماع على أنه من ثبتت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه فاسق ، حكاه عنه البيهقي في (الدخل إلى معرفة الدين)

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث ابن عمر «أمرت . أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» في باب قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ من كتاب الإيمان في أول صحيحه ، قال الحافظ : وفيه - أي في حديث ابن عمر - دليل على أن السنة قد تحققت على أكبر الصحابة ، أي كاخني حديث ابن عمر هذا على أبي بكر وعمر الذي فيه أن مانع الزكاة يقتل كما يقتل تارك شهادة الإسلام . قال : ويطلع عليها آحادهم - أي كابن عمر - قال ابن حجر : فلا عيرة بالآراء ولو قويت مع وجود سنة مخالفتها

الصحابة ورواية الحديث

قال (ص ٢٩) : وغيتهم عن روايته ، نهيم عنها ، تشديداً في قبول الأخبار ، نهي عمر لأبي هريرة وكعب عن رواية الحديث

ثم قال (ص ٢٩) : «إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت في نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد توافقت بأن صحابته قد استمعوا إلى تنبيهه ، ولم يكتبوا حديث بعد موته - كما عطلت بما مر بك»

قلت : لم يمر حديث صحيح في النهي عن كتابة حديثه ﷺ إلا حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم وأحمد وغيرهما ، وتقدم الجواب عنه وأنه كان في حالة خاصة هي خوف اختلاط الحديث بالقرآن في أول الأمر ، فلما تبين الأمر واتضح الطريق ألجأ ﷺ لم الكتابة وصحت الأحاديث بذلك وتواترت السنة به فضلاً عن أمر القرآن بذكر ما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة التي هي سنته ﷺ ، وكتابة الرسول إلى الملوك والأقوال

والأمراء يملئهم دينه ، وأما الآثار عن الصحابة باستباح نبيه فليست وثيقة ولا مترادفة كما زعم ، بل هي ميثاق منخفضة وموقودة ومتروكة ونظيحة وأكيدة السباع والذئاب ومن البهائم والسواب التي لا زمام ولا خنظام لها ولا ظهر يركب ولا لين يشرب ، كما مر عليك ذلك فيما مضى والحمد بذلك قريب ، وحسبك أنها عن أمثال جابر الجعفي للزمن برجمة على إلى الدنيا وارتفاعه فوق السحاب إن لم تكن عن موهوم ، ثم عن عروة بن الزبير الذي لم يلق عمر ، وعن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ، ومن هو الأسود بن هلال ؟

قال (ص ٢٩) : فإنا نجد هؤلاء الصحابة لم يقف بهم الأمر عند ذلك ، وإنما كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون عنها ، وأنهم كانوا يتشدّدون في قبول الأخبار تشديداً قوياً

وسترى أن ما استدل به من ضوال الآثار الشاردة التي ضاعت عن أربابها في غيافي القطار وممالك الصحارى

وقال (ص ٢٩) : « روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال : ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيه فقال : إنكم تحذّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس يبدّكم أشدّ اختلافاً ، فلا تحذّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فلتستحلوا حلاله وحرّموا حرامه »

والجواب : (١) إن راوى هذا الأثر قد بين انقسام ظهوه بأنه من مراسيل ابن أبي مليكة الذي لم يدرك أبا بكر ولا رآه بينه ، ومثل هذا الأثر الساقط كيف تقوم به حجة على إبطال عمل خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم ثم إلى يوم القيامة في رواية حديث رسول الله ﷺ والنحدث به ، وكيف تردّ به الأحاديث الصحيحة بل للتواترة في أمره ﷺ بالتبليغ عنه ، قال ذلك في حجة الوداع في ملأ يزيد على مائة ألف ، وقاله في مناسبات كثيرة ، ولا زال الصحابة يحذّثون عن رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته حتى دوّنت دواوين السنة من عهد التابعين وتابعيهم

وينظر أن محقق القرن الرابع عشر أبارية لا يميز للرسول والنبي من الفصل والسند ، أو لا مانع عنده في تفكيره ومنطقه أن ينسف الجبل بهيمة يحملها الريح

(٢) وهل لم يهده عقله للمجب به إلى أن هذا الأثر لم يصح لما خالفه راويه الذهبي ، بل الأمة كلها من عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، فهل ضل جميع المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى القرن الرابع عشر حتى اعتدى أبورية إلى هذا الاكتشاف ، أم هي الدسيسة الرافضة التي حكمت بضلال الصحابة والتابعين وتابعيهم إلا نفرا من الزوافض والزنادقة والملاحدة !

وقال (ص ٢٩) : « وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجعلهم من الآفاق ، عبد الله بن جذينة وأبا الدرداء ، وأما ذو وعبة بن عاصم فقال : ما هذه الأحاديث التي أنشيت (١٤) عن رسول الله في الآفاق ؟ فأراد : تنافنا ؟ قال : أقصوا عندي ، لا والله لا تناقروني ما عشت ، فمن أعلم ، تأخذ ونرد عليك . فاقروه حتى مات »

قال : « وفي رواية ابن حزم في (الأحكام) أنه حين ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث »

وهذه بحجة أخرى من تفكير محقق القرن الرابع عشر أن ينسف عمل سلف الأمة ويخارها من صدر الإسلام إلى الآن بتفكير من متكررات تاريخ ابن عساكر في القرن السادس أو السابع . إن بين ابن عساكر وبين عبد الرحمن بن عوف مفاوز تقطع فيها أعتاق للطي وتهلك فيها ثقات الطائرات ، فإين سند ابن عساكر إلى عبد الرحمن بن عوف الذي تحميد أن تهديم به دواوين السنة من مساند وصحاح وسنن ، وتهديم به عمل الأمة الإسلامية من عهد نبيها إلى قيام الساعة ؟

لقد كان السبوطي حاطب ليل في جانب أئمة الحديث وأعلامه ، لكنه أغفل وأعرف بهذا الشأن من محقق القرن الرابع عشر ، فذكر في أول جابه أن علامة

عن ابن الخطاب ينزل لأبي هريرة : لتفركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس (أى بلاده) . وقال لكعب الأحبار : لتفركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة . وكذلك فعل معها عثمان بن عفان »

والجواب أنها كإبقتها عما لا يمتنع به إلا جاهل بكتب الحديث ، ولا يميز بين ما هو حجة وما ليس منها بحجة . ولقد صدق ولّى الله الدلو على إذ قال ما معناه : إن الحجة في الحديث الصحيحان وكتب السنن المشهورة ، وما وراء ذلك تشبه المبتدعين من الروافض والجهنية والخواارج . وظاهر القصة يدل على أنها من وضع الروافض الذين يريدون رسم عمر بكرهه حديث رسول الله ﷺ ثم شهادة الأثر نفسه على تناقضه ، فتهدد عمر لأبي هريرة بنفيه إلى أرض دوس بلاده ، لأنها لا تستحق نصح عمر وحجابه لها من أحداث أبي هريرة إن كانت غير صحيحة ، وغير الصحيح نعى منه أرض دوس كما يحى منه غيرها . ولو كانت أحداث أبي هريرة غير صحيحة عند عمر لنسكل به بقطع لسانه لا بنفيه إلى أرض قومه أو غيرها

أما كعب فما كانت له أحداث إلا عن إسرائيلياته ، وهو ليس من جهة الحديث النبوى ولا هو أهل ذلك ، والقصة تدل على غيظ راويها من أبي هريرة حتى قرته بكعب الأحبار في رواية الحديث

(٤) قال (ص ٣٠) : « وروى ابن سعد عن محمود بن عبيد (صوابه ابن لبيد^(١)) قال : سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يحمل لأحد يروى حديثا لم يسع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر ، فإني لم أعنى أن أحدث عن رسول الله أن لا أكون أوعى أصحابه ، إلا أنى سمته يقول « من قال على ما ألم أقل قد نبؤا مقبده من النار »

والكلام على هذه كالكلام على سابقاتها من جهة ستم سندها وإعراض أصحاب القواوين الشهيرة عنها ، وطبقات ابن سعد ليست من دواوين السنة ، وإنما هي تاريخ

(١) وقد صحح أبو رية خطأ تلك الصفحة ولم يصحح هذا الخطأ فيها لأنه لا يبرره

الضنف تشل ما ينقله من تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب وكامل ابن عدى وضغف العتيل الخ ، فلم يمول تكل ما في هذه الكتب وأمثالها إذ هي كتب الترائب وللناكير ، وأين هي من كتب الصحاح والسنن واللسانيد ، وأين الثرى من الثريا ، وأين البحر من اللآلىء والجواهر ؟

لو كان لأبي رية علم أو عقل لما استدلل على إبطال السنة بهذه الجيف التي وقع عليها ، بل لو كان له فهم لعل بطلان القصة من متبا فضلا عن سندها ، إذ كيف ينسب عمر على أربعة من الصحابة فقط هم عبد الله بن حذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وعقبة بن عامر ، ويترك سواهم مثاث ومثاث من الصحابة فيهم عبد الله ابنه ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك وغيرهم ، فلم يفتق عمر ذرعا إلا هؤلاء الأربعة وبرضى عن مثاث من الصحابة سوام

ولو كان أبو رية ينهم صناعة القول لأدرك بطلان القصة من قولها : « جهمهم من الآفاق » فأى آفاق كان فيه أبى ذر وأبو الدرداء وعقبة بن عامر وعبد الله بن حذيفة ؟ إنهم لم يكونوا إلا بالمدينة . ولو صدقنا القصة ونشككنا فيها رواه هؤلاء الأربعة وأهلنا روايتهم لبقى لنا من السنة الحمضية وحديث رسول الله ﷺ الكثير الطيب الذى يرين منه فؤاد أبي رية !

وكيف ساغ لابن عساكر أن يكتب تاريخه الكبير في ثمانين جزءا ، ولان حزم أن يكتب كتبه الستة في السنة وقتها كالإصاى الذى قيل فيه إنه ٥٠ مجلدا والجل للطبع والتفصيل وغيرها من غفاس مؤلفاته ، كيف ساغ لهؤلاء وغيرهم أن يكتبوا كتبهم ويدونوا دواوينهم لوصح هذا الأمر ؟

لعل أبا رية لا يتورع عن تنسيقهم لمخالفتهم في نظره هذه الجيف التي وقع عليها . وظنها بجهله أنها تهدم عمل الأمة في حفظ سنة نبينا !

قال (في أول ص ٣٠) : « وروى ابن عساكر عن السائب بن يزيد قال : سمعت

لطبقات الرواة ، ولا حجة لما فيها من الأحاديث .

ومن جهة لائن توافق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على شكه فيما لم يعرف في عهد الشيخين أبى بكر وعمر حتى يتبين من صحته ، قد نجحت في زمنه بدع التشيع والتلويع

قال ابن سيرين : كانوا قبل الفتنة لا يملأون عن الأستاذ ، فلما وقت الفتنة قالوا : هاتوا سندكم ، والمراد بالفتنة البنى على عثمان رضى الله عنه لظهور التشيع والتلويع حينئذ (٥) قال (ص ٣٠) : « وفي جامع بيان العلم وفضله لحافظ الترمذ ابن عبد البر عن الشعبي عن قرظ بن كعب (فذكر قصة خروجهم إلى العراق ووداع عمر لم وقوله لم : إنكم تأتون بلدة لأهلها دوى كدوى النحل ، فلا تصدوم بالأساديت عن رسول الله وأنا شريككم) . وفي رواية أخرى : إنكم تأتون أهل قرية لها دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوم بالأجاديت لتشلوهم ، جودوا القرآن . وأقوا الرواية عن رسول الله »

والجواب أن الفصة كسويتها من الليث التي لم يذكرها سند صحيح ولا عمل مقبول ، ولو صحت لما خالفها نفاها حافظ الترمذ ابن عبد البر ، وحافظ الترمذ ابن عبد البر استحق هذا القب - الذي اعترف به محققنا - محققا ، لا استحق به أن يسمى حافظا للترمذ ، فكيف ساع له أن يحفظ ما نعى عنه عمر ، بل كيف ساع له أن يروى نهى عمر ثم يخالفه ؟

للأبارية لا يعرف أن سبب ضلال المخارج والرافضة والمهية هو اعراضهم عن سنة رسول الله ﷺ بدعواهم الاكتفاء بالقرآن وحده

لما خرجت المخارج على بن أبى طالب رضى الله وأرسل إليهم ابن عمه الحبر عبد الله بن عباس قال له على رضى الله عنه : لا تناظرهم بالقرآن - يعنى لأنهم يؤثرونه على غير وجهه - ما لم يبين بسنة رسول الله ﷺ ، ولكن ناظرهم بسنة أبى بكر وعمر . يعنى إلى يفترون بها . ناظرهم فرجع منهم إلى الحق من هده الله تعالى إليه

(٦) قال (ص ٣٠ - ٣١) : « ولا غرابة أن ينمل عمر ذلك لأنه كان لا يصدق إلا على القرآن والسنة العلية » ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخارى « لم أكذب لكم كتابا إن تضلوا بسنده . فقال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، نجبا كتاب الله »

وجوابه أن السنة العلية التي ينملها الأستاذ تصوير قولية عندما يرونها رأوها ، فلا فرق بينها وبين ما يشكك به من أقوال رسول الله ﷺ

والمعجب من هذا الذي عاب على القضاة علمهم ببعض الحديث وزك بضه أن يترك من حديث ابن عباس قوله : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب

(٧) قال (ص ٣١) : « وروى ابن سعد في الطبقات عن السائب بن يزيد أنه - صحب سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فاستمعت بعدتنا عن النبي حديثا حتى رجع ، وسئل عن شئ فاستعجم وقال : إني أخاف أن أحدثكم واحدا فتزيهوا عليه للآفة . قال : وسعد هذا من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة »

والجواب : أين السند ، ومن صحبه ، ومن احتج به ؟ وليس كتاب الطبقات لابن سعد سوى كتاب تاريخ في طبقات الرواة ، وليس بديوان من دراوين السنة التي فصل بما صح فيها بدون بحث وتمحيص

ومع التسليم يفرض صحة هذا الأمر أن من يحمل علما إتاما يحمله ليفيد به الناس ، وقد حدث غيره ممن هم أكبر منه صحة ومن سادات المبشرين بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطائفة والزيير وعبد الرحمن بن عوف وسواهم كثير ، غدنوا بما رأوا وما سمعوا ، ولم يخافوا ماخاها سعد لوصح هذا عنه ، رضى الله عنهم أجمعين

(٨) قال (ص ٣١) : « وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى ابن مسعود سنة ، فاستمعت يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله ، إلا أنه حدث ذلك

يوم يحدث جرى على لسانه قال رسول الله ﷺ ففلا الكرب حتى رأيت البرق ينحدر على جبينه ثم قال : إن شاء الله ، إما فوق ذلك أو قريب في ذلك أو دون ذلك »

والجواب : صحيح نقله وإلا فإرمه . وعلى فرض الصحة فأي بأس أن لا يسمع عمرو بن ميمون من ابن مسعود ويسمع غيره ؟ وأحاديث ابن مسعود في الصحيح والسنن والسائيد شهيرة لأنها من م مثل عمرو بن ميمون أو أبيه ، ولثبتت مقدم على الثاني ، ومن سمع حجة على من لم يسمع

(٩) ونقل (في ص ٣١) قصة علقمة بن قيس وارتاده عندما حدث حديثاً رواه ابن مسعود . والجواب تقدم عن أمثال هذه القصص سراً وتكراراً فلا حاجة للإملال به .

وعلقمة يرتد لتحديثه ، فله ورعه ورقة قلبه ، وغيره قام بما أوجب الله ورسوله من تبليغ دين الله حتى لا يضيع كما ضاع دين أهل الكتاب الذين نسوا خطاً ما ذكروا به (١٠) ومثله (في ص ٣١) عدم تحديث والده ميمون الكردى مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومخافة أبي قتادة أن يزل لسانه بشئ لم يقله رسول الله

وجوابه سبق مثله مراراً ، ومن هو والده ميمون الكردى ؟ وأحاديث أبي قتادة تفيض بها الصحيح والسنن والسائيد ، فإذا لم يسمع عبد الرحمن بن كعب منها شيئاً فقد سمعها الجهم النخعي من خيار الرواة وثقاتهم

(١١) ذكر (في ص ٣١ - ٣٢) عن كتاب دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي قصة سمع الأثير لحديث رجل سمعه يحدث عن رسول الله ، وتلطيظ الأثير لهذا الرجل أن الحديث كان عن أهل الكتاب فغلط الرجل وجمله عن رسول الله ﷺ وأن هذا وأشباهه مما أثير من التحديث عن رسول الله

والجواب : ما سقطت السماء على الأرض إذا غلط غلط في حديث حكاها النبي ﷺ عن بني إسرائيل فحدث به الغلط عن النبي ﷺ ، فهل معنى هذا أن كل الرواة

غالطون ، وليس فيهم من حدث حقاً ، ومن صدق ولم يغلط ؟ وهل من لوازم ذلك أن كل دواوين السنة وصحاحها وسننها تكون عند الأستاذ محل شك وتشكيك ؟

في كتب اللال كالللال لابن اللدني شيخ البخاري ، والللال لابن أبي حاتم عن أبيه وأبي زرة ، والللال للدارقطني وأمثالها يقولون عن حديث إن رفته خطأ والصواب معروف ، أو إن نسجه للنبي ﷺ غلط وهو أشبه بالإسرائيليات ، ومع هذا فهناك الصحيح للشهيرة التي لا يتطرق إليها احتمال الزم أو التلط . فآفة الحديث صححوا الصحيح ، ونهبوا على الخطأ والشيف واللول ، ومن له عارسة يكتب التوم يعرف ذلك ولا يشك في الصحيح لوجود غلط غلط ، أو وهم وهم ، لا سيما وأن الصحيح والغلط والزم قد دخل كل منه في المكان الثلاثي به من قبل أن يخلق الله أباً ربه ، ومن قبل أن يشغل أبو ربه حياته فيما لا طائل منحه ولا قيمة له

٢ و (في ص ٣٢) قصة صحبة السائب بن يزيد لعبد الرحمن بن عوف وطلمة ابن عبد الله (صوابه عبيد) وسعد بن أبي وقاص والثدائي بن الأسود ، فلم يسمع الواحد منهم يحدث عن رسول الله ، ورواها البخاري والدارقطني

وجوابه كسوابقه : لم يسمع السائب ، وسمع من هو خير منه . وأحاديث هؤلاء وأمثالهم مملوءة بها كتب الاسلام ودواوين السنة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ

(١٣) وقصة دجين (في ص ٣٢) عن أسلم مولى عمر أنه لم يحدث عن عمر غلوفه أن يزيد أو ينقص ، لأن رسول الله قال « من كذب على فهورى النار » روله أحد وأبو يعلى .

وجوابه : من هو دجين هذا ؟ وأحاديث أسلم عن عمر وغيره تملأ للوطا والصحيح والسنن ، فإذا جاء دجين عن أسلم بما يخالف الإجماع والمعروف كان أسلم ما يقال فيه إنه غلط عليه إن لم يكن كذب

(١٤) وقصة عمران بن حصين (ص ٣٢) في امتناعه عن الحديث خوفاً أن يغلط كما

غلط غيره من الصحابة أو يخطئ. كما يخطئون ، لا أنهم كانوا يصدون . ١٠
لا زمام ولا خطام ، سائبة لا تقوم بها حجة . وأحاديث عمران بن حصين الثانية تملأ
دواوين السنة ، وحاشا لعمران بن حصين أن يسيء الظن بأخواته من الصحابة ، وقد
تكفل الله بحفظ دينه بوجود من يبين غلط التابعين وأوهام الراشدين
(١٥) وحديث ابن ماجه (ص ٣٢) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن أرقم
قوله : كبرنا ونسبنا ، والحديث عن رسول الله شديد
والجواب : إن زيد بن أرقم إذا أتى أن يحدث عن رسول الله لكبره ونسبانه فذلك
من تقواه واحتياطة كاحتياط أمثاله ، وقد حدث هو نفسه في شبابه وإبان حفظه كما حدث
عنه غيره ما حفظوه ، فجزاهم الله عن السنة المحمدية أفضل الجزاء
(١٦) وقول ابن قتيبة (ص ٣٢) : كان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول
الله ﷺ كأي بكر والزيبر وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقولون الرواية عنه ، بل
كان بعضهم لا يكاد يروى شيئا كسيد بن زيد بن عمرو بن خليل وهو أحد البشارة
للشهود لم بالجنة . ١١
وجوابه : إن ابن قتيبة يعلم كما يعلم غيره من أهل العلم أن هؤلاء الثقلين من رواية
الحديث النبوي بجانبهم الكثير الأكثر من السكتين من الرواية ، وفيهم الخلفاء
الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومنهم العبادة عبد الله بن عمرو وعبد الله ابن
عباس وأنس وأبو هريرة وسواهم كثير وكثير جدا رضى الله عن هؤلاء . وهؤلاء
وإتلال هؤلاء ليس بحجة على إكتار غيرهم ، (والله أنزل من السماء ماء فسات
أودية بقدرها)

وإذا لم يوجد في البخاري ومسلم حديث واحد لأبي عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه
الأمة لأنه اشتغل بقيادة الجيوش الإسلامية في فتح الشام ومات قديما في خلافة أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب قبل سنة عشرين من الهجرة فأبى عيب على الصحيحين ، وأبى

عيب على خلوة الصحيحين من حديث أبي عبيدة ، وفيها من حديث الأكارب أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي وأنس وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وأبي هريرة رضوان الله
عليهم وجزاهم الله عن شريعة الاسلام خيرا
إن للشككين في سنة رسول الله ﷺ كأي ربة مثلهم كمثل التريق الذي يتصلق
بما لا ينجي ، وكأني يرى الخلفاء الشمس بنفخة من شذيقه . و :

كناطع صخرة يوما ليوهنا فلم يبرئها وأوى قرنه الرعل

تشديد الصحابة في قبول الأخبار

قال (ص ٣٣) : « كان الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم - كما
علت - يتقون كثرة الأحاديث عن النبي ، بل كانوا يرغبون عن روايته ، إذ كانوا
يظنون أن النبي قد نهي عن كتابة حديثه ، وأنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أن
يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي ﷺ على وجهه الصحيح ، لأن الذاكرة لا يمكن أن
تضبط كل ما تسمع » الخ

وجوابه أن ذلك كذب على الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم ، ودعوى
لم يدعيها دليل ، فهي ساقطة على رأس مدعيها . ودعوى رغبته عن رواية حديث
ﷺ مثالا في السقوط والتأثر الذي يكذبه الواقع ، فأحاديث الخلفاء الراشدين وكبار
الصحابة وأهل الفتيا منهم تعقب بأريجها كتب السنة والحديث ، لا ينكرها إلا مباحث .
وكذلك دعواه عليهم بنهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، وما كان النهي إلا مؤقتا لعله
زال حكمها بزوالها كما تقدم

وإني أتهمهم أنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أداء ما سمعوه منه على وجهه الصحيح
سواء كان بخيار خلق الله الذين اختارهم الله لنحل دينه عن نبيه ﷺ . فوالله ولا حفظهم
المقطع النظير لما وصل اليها دين الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ على هذا الوجه للمعجز
م - ، * ظلت أبي ربة

الطرق التي لا نظيره ولا مثيل، والدعوى عليهم بدم اثبات من سمع منهم أو حدث أن يزيد أو ينقص أو يبدل أو يحرف أو ينط دعوى خيثة ثبتت في دوس الرافضة الذين اضطنوا العداوة والبغضاء للجاهل الصحابة وصفتهم واتهمهم بتبديل الدين والقرآن محاباة لأبي بكر وعمر وعثمان

ورواية المنى التي يشكك هذا الشكك بسببها في سنة رسول الله ﷺ التي حفظها الله لحفظ القرآن وبيانه إن كانت جاءت نادراً لبعضهم فقد تشكلت له بحفظ دينه، وهياً من حفظ لفظ رسول الله ﷺ على وجهه كما قاله، ولم نسمع من هذا الشكك إلا تشكيكاً مبهاً لا قيمة له، وإذا لم يحفظ الله بيان نبيه لكتابته فائدة حفظ كتابه إذا لم يحفظ بيانه؟

وسوء الفطن بأصحاب رسول الله ﷺ أنهم أفسدوا سنته وحديثه بالزيادة والتقصان والتقديم والتأخير ورواية للنبي دسيسة خبيثة من أعداء الاسلام، رافضة وجهمية وخوارج، ومثلها لمن أعداء الاسلام في القرآن بسبب زوله على سبعة أحرف وتوقع قراماته التواترة، ودعوى الرافض على الصحابة تراؤمهم مع أبي بكر وعمر وعثمان على حذف نصوص الخلافة وحصرها بزعمهم في علي

فاذا اجتمعت هذه الشكوك في قلب إنسان مع شكوك أبي رية في أمانة الصحابة في حفظ حديث رسول الله ﷺ وتغييره بالزيادة والتقصان والتقديم والتأخير ورواية للنبي فاذا يبقى يد ذلك من الإسلام اللهم إلا الأهواء والبدع ودين الصابئة والمجوس وفلسفة اليونان والفرس والهند

ودعوله (ص ٣٣) أن أبا بكر كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة من غيره على أنه سمعه من الرسول ﷺ دعوى كاذبة لم يُتم عليها دليلاً، فإن احتج بقصة المدة فهي حادثة جزئية لا تدل على هذا الحصر الذي ادعاه في عمل أبي بكر أنه كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة غيره معه

وقوله: قال الذهبي في ترجمته - يعني أبا بكر - إنه أول من احتاط في قبول الأخبار

هي حسنة كريمة لأبي بكر رضوان الله تعالى عليه، والاحتياط في قبول الأخبار غير رفضها والتشكك فيها كما فعل محقق القرن الرابع عشر

قال (ص ٣٣ - ٣٤): « روى ابن شهاب عن قبيصة أن المدة جاءت أبا بكر تنس أن تورث، فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً. ثم سأل الناس، فقام لليرة فقال: كان رسول الله يعطيه السدس. فقال: هل معك أحد؟ فتشهد محمد بن مسلمة بثل ذلك، فأتاه لهما أبو بكر. » ١٠

والقصة فيها قبول أبي ر لحديث عن رسول الله ﷺ ليس في القرآن، بل فيه حكم زائد على ما في القرآن. وتأكيد بشهادة محمد بن مسلمة مع لليرة بن شعبة احتياط مقبول في حكم زائد على ما في القرآن، ولعل ذلك منه لأنه حكم مالي يورث من ليس له نصيب من لليراث في كتاب الله، فأشبه ما أوجب من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين بمن رضى من الشهداء. في المماثلات التالية:

وما ذكر (ص ٣٤) أن عمر كان أشد احتياطاً وثباتاً - يعني من أبي بكر - وقله عن ابن قتيبة أن عمر كان شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في المسك لا شاهد له عليه، وقله عن الذهبي في الطبقات أنه ربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، وذكر قصة أبي موسى في استنذاته على عمر ثلاثاً ورجوعه لما لم يؤذن له، واحتجاج أبي موسى بالحديث في ذلك وطلب عمر منه من يشهد معه وسؤال أبي موسى من الصحابة من يشهد معه وقول أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، وقول أبي سعيد فكنت أصغر القوم فقلت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك

والعجب العجيب أن يستدل هذا الشكك بهذا على أن الشك والتشكيك في الصحيح من سنة رسول الله وأصحابه، وكيف لم يفهم هذا الشكك قول الذهبي « ربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب »، فهل هذا الأستاذ أجيب اللسان أو لليرة حتى لم يفهم لفظ « ربما » التي يعبر بها عن التليل النادر ولفظة « إذا ارتاب »

(ثانياً) في قصة أبي موسى لم يكذب به ، وإنما أراد أن يؤكد برأى آخر دفءهم والسيان ، وقبل شهادة أصغر القوم أبي سعيد الخدري . وقول أبي بن كعب سيد القراء « لا يقوم ملك إلا أضرتنا » دليل على صدق الصحابة وقبول أخبارهم صفاً كانوا أو كياراً ، ولم يتردد في ذلك عمر

وأغل للشك من القصة قول عمر « ألماني الصنق في الأسواق » يعني اشتداله بالتجارة عن رواية أمثال هذا الحديث الذي حفظه أصغر الصحابة ، أغفل الشك في هذا الاحتذر من عمر ، لأنه شجا في حلقه

قال (ص ٣٤) : فانظر كيف تشدد عمر في أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدّر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث في غير ذلك من أصول الدين أو فروعها .

وهو له : انظر كيف قبل عمر الحديث من أصغر القوم - أبي سعيد الخدري - واعتذر بما قاته من أمثال هذا الحديث بقوله « ألماني الصنق في الأسواق » يعني الاشتغال بالتجارة ، فإن هذا إقرار لبدأ رواية الحديث وقبوله والصل به ، وهو عكس ما أشاع أبورية حياته في زعمه وإدعائه للشك في أمة محمد ﷺ في هذا التراث العظيم من سنة فيها وتشرمه وهدايته وتوجيهاته

وقوله في هذا الحديث « ليس فيه حلال ولا حرام » غلط قطع ، فأحكام الإذن والاستئذان من أمور الحلال والحرام ، وقد عني بها القرآن فضلاع الحديث ، كما في سورة النور (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلوا على أهلها - وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم) وأعاد حديث أبي موسى أن عدم رد السلام ثلاثاً بمنزلة ارجعوا ، فهو بيان لأنواع عدم الإذن

وفي الواقع أن ابن عمر رأى سعد بن أبي وقاص يمسح على خفيه في الوضوء ، فترقب ابن عمر في ذلك ، فقال له سعد : إذا رجعت إلى المدينة فقل أباك ، فقال أباه فقال له أبوه : إذا حدثك سعد بحديث فلا تسأل عنه غيره . ففي هذا قبول عمر لحديث

سعد ، وإقرار لبدأ رواية الحديث وقبوله والصل به ، وأمره لآبائه أن يكتفي بحديث التفة للعدل - كسعد وأمثلة - وهو الذي جرى عليه أئمة الحديث وأعلام السنين ، وهو عكس ما زعمه أبورية ويريد مخادعة للسنيين به

وفي صحيح البخاري أن عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد شعراً في السجد فليحظ إليه عمر بيته ، فقال حسان : كنت فيه مع من هو خير منك - يعني رسول الله ﷺ - ثم نأشد حسان أبا هريرة : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول حاجيم - يعني للشركيين - روح القدس معك ، اللهم أبده روح القدس ؟ فسكت عمر

وأمثال هذا كثير وكثير في السنة المحمدية الطاهرة ، وفي قبول عمر لرواية الصادقين والصل بذلك . وقد كتب ولي الله الدهلوي رسالة سماها (مذهب عمر) فيها الكثير الطيب من عمل عمر بالحديث النبوي ، واحترام روايته ، وقبول أخبار الثقات منهم

ثم يقال لهذا الشك : كيف ساء لك الاحتجاج بحديث أبي سعيد الخدري برواية البخاري وهو من الكعب التي تشكك أنت في صحتها وتحمل معاولك لمدها ؟!

وقوله (ص ٣٤ - ٣٥) : « وقد استند إلى هذه القصة من يقولون إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بفرده لا يقبل حتى ينضم إليه غيره كما في الشهادة الخ »

والجواب : من هم هؤلاء الذين قالوا إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ؟ أم من ين بآ أم أهل التكرؤ مثلك ؟ وقد سقنا لك شواهد عن عمر في قبوله خبر التفة كيف كان . ولا دليل في القصة لمن قال إن خبر العدل بفرده لا يقبل حتى ينضم إليه غيره ، فالقصة سادة جزئية لا دليل فيها على العموم ، وجاء عن عمر أمثلة كثيرة لقبول خبر العدل ، وسيرته قاض عدل بذلك

وقد قدمنا في أول الكتاب دلالة الكتاب الجيد والسنة التواترة وعمل الناس في كل زمان ومكان بقبول خبر التفة ، والطراح وسواها الخوف من خطئه ونسيانه ، لأن ذلك

أمر نادر ، ولا تقوم به أمور المجتمع كله ، ولا يمول على هذا الوسواس إلا عمسوف النفل سقيم الوجدان
وضربنا لهذا الرجل مثلاً بجانده اذا أعبره باستفذان مستأذن على يابه أبرد قوله أم بأمره بالأذن للمستأذن ؟ ولو فتحنا باب الشك في خبر الثقة بوسواس جواز الخطأ والتسليم عليه لفسدت مصالح الناس وتمطلت أعالمهم ، فضلاً عن مخالفة ذلك للكتاب والسنة ودين الاسلام الذي هو دين القطرة والمقول

الكذب على رسول الله ﷺ

اجتهد أبو رية (ص ٣٦ - ٣٧) في البحث في حديث « من كذب على » ، متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وخرج من محله إلى أن كلمة « متعمداً » ليست من كلام النبي ﷺ وأنها إما مدرجة في الحديث من بعض الرواة ، أو موضوعة على النبي ﷺ أى مكذوبة عليه ، قال : ليسوع بها الذين يضمنون الحديث على رسول الله حسيبة من غير عدد كما كان يفعل هؤلاء الصالحون من المؤمنين ويقولون « نحن نكذب له لا عليه » ، أو يتكى عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوم أو بسوء التهم لكيلا يكون عليهم حرج في ذلك ، لأن الخطيئة غير مأثوم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء الرواة قاعدتهم للشهرة « انما الكذب على من تمده » ١

والجواب : سواء حجت كلمة متعمداً عن النبي ﷺ كما رواها انس خادم النبي ﷺ وأبو هريرة حافظ هذه الأمة لحديث نبيا أو لم تصح ، وكانت مدرجة أو موضوعة كما زعم محقق القرن الرابع عشر ، فان الإجماع الذي قلله الحافظ ابن حجر في فتح الباري بشرح البخاري أن الخطيئة غير مأثوم ، ونقل أبو رية عن ابن حجر هذا الإجماع في كتابه (ص ٣٩) ودليل هذا الإجماع ما أثنى الله على رسوله وللمؤمنين وما عليهم إياه (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وفي حديث مسلم « قال الله قد فلتت » ، فالخطأ والتسليم قد رفع الله عنا المؤاخذة بهما بنص القرآن وصحيح الحديث ، وما أظنه يخالف في ذلك أحد حتى لتلواجر ، سوى محقق القرن الرابع عشر أبي رية الذي ضيق رحمة الله على خلقه ، وأبى إلا

مؤاخذة الخطيئة ، والناسي ، على خلاف الكتاب والسنة والإجماع ولو آخذنا هذ الرجل بما ذهب إليه من مؤاخذة الناسي والخطيئة . غير التمسد لسكان فلنا أن نقول : هو في قدر جهنم ، وفي الدوزك الأسفل منها ، لكذبه على الله سبحانه في تحريف آية من كتاب الله تعالى (ص ١٦ س ١٧) هي قول الله تعالى ﴿ قد خلعت من قبلكم سنن من قبلكم الخ » فذكرها غلطاً هكذا « قد خلعت سنن من قبلكم الخ » فقدم وأشر وحرف لفظ القرآن غلطاً منه ، فأبها أعظم جرماً : تغيير لفظ كتاب الله ، أو الخطأ في حديث رسول الله ﷺ ؟

وكذلك كذبه على الله (في ص ٣٦ س ٩) بأنه - يعني الله سبحانه على ما تفيد عبارته - « رسول دين عام وصاحب رسول شريعة للناس كافة »

فإذا اعترض هو أو من ينتدر عنه بأن هذه والتي قبلها غلط مطعبي ، قلنا وابن كنت عن تصحيحها قبل الطبع وأنت للبائس له بنفسك للرة بعد للرة في المطبعة وفي البيت يا من لا يتبل عذر الناسي والخطيئة . الذين عذرها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه وبالإجماع الذي اعترفت به قتلا عن الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ وأمير المؤمنين في الحديث بشهادتك أم أنه يدعي لنفسه الصصة عن الخطأ والتسليم ، وهذه الدعوى لا تسع من أحد ولا في مستثنى المجازيب !

الكذب على النبي قبل وفاته

والكذب عليه بعد وفاته صلوات الله عليه

وقد وقع الكذب على الله ورسوله ﷺ في حياته من المنافقين ، قال الله تعالى ﴿ اتين لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنفرتنك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيبالا ولأرضعوا خلاصكم فينبؤنكم التفتة وفيكم نساؤون لم ﴾

والكذب عليه بد وقته كثير وواقع من الكاذبين عليه من الرضاعين وجهلة البباد وغيرهم ، ولكن ذلك لا يدل على ما يرى اليه أبو رية من الشك فيا رواء الثقات المذكول الأثناء على دينه وحديثه من أمهات المؤمنين وكرام الصحابة وخيار التابعين وتابعهم إلى قيام الساعة

ووجود كذب وكاذبين في الناس لا يرفع الصدق عن عموم الناس ، فلو تشكك متشكك في خبر عدل صادق ثقة من أجل وجود كاذب ، لكان أحق مباحثا خارجا عن فطر الناس وعقولهم

وقد اعتد أبو رية (ص ٤٣) على مقدمة صحيح مسلم فيا قل من كذب بعض الناس على رسول الله ﷺ ، فإذا كان مسلم ومنه البخاري وغيرهما من أئمة الحديث حجة عند أبي رية ومعدة في النقل - وهذا هو المطلوب - سقطت شكوكه وتكليفاته على السنة ، وإن لم يكونوا حجة فكيف ساغ له الاستدلال بها في مقدمة صحيح مسلم ليهدم به الثابت من أحاديث النبي ﷺ عند ثقات الأمة من أصحاب النبي ﷺ وخيار التابعين وأئمة الحديث النبوي حنفا وتقدا وتحميما ؟ !

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وراويهم عن التابعين

ذكر (في ص ٤٧) عن ابن القيم سماع ابن عباس لشعرين حديثا من النبي ﷺ ، وعن ابن مسين والقطان وأبي داود أنها تسعة أحاديث ، وعن الأمدى في أحكامه حصرا في أربعة

ثم ذكر أن أحد روى لابن عباس ١٩٩٦ حديثا ، يتي أنها عدا ما سمعه ، وقد سمعها من غيره من الصحابة عن النبي ﷺ ، يتي فسكون موضع شك عند أبي رية

ونقول لأبي رية الذي أنتم نفسه على هذه الأمور من غير أبوابها : إن الذين روى عنهم ابن عباس حديث النبي ﷺ ووثق بهم - وهم أهل أن يوثق بهم - مثل أبي بكر

وعمر وعثمان وعلي ، وأمهات المؤمنين كعائشة وخاتمة ميمونة بنت الحارث وأم سلمة ونفصة ، وغيرهم من أكابر الصحابة مثل قوله : حدثني رجال مرشيون ، وأرضام عندي عربن لخطاب ، أن النبي ﷺ كان ينهى عن الصلاة - يعني الثالثة - بعد العصر ، فمن لم يسمعه ما وسع حبر الأمة للدعوة له بالحكمة والفتنة في الدين فلا وسع الله عليه

وقد قل أبو رية عن الدكتور أحمد أمين في فجر الاسلام عدّه لابن عباس في الطبقة الأولى في العلم ، وفي صحيح البخاري أن عمر كان يمد ابن عباس في سائتيه ويخذه مع أكابر الصحابة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلي وغيره ، فإذا وثق ابن عباس بأكابر الصحابة واللفاء الرشددين فروى عنهم أحاديث رسول الله ﷺ ووثق بهم وأرسلها عنهم ، ولو سمى لسمى أكابر الثقات ، فأى بأس وجيب على الإمام أحمد أن يروي عنه في مسنده ١٩٩٦ حديثا لم يسمع إلا بعضها مشافهة من النبي ﷺ وسمعا من أكابر الصحابة وأمهات المؤمنين . انطلع رأسك يا أبا رية في جبال الدنيا ، فستبصر وينكسر رأسك ، وسنة رسول الله ﷺ لا خير عليها من ظلمات شكوكك ومضحكات خزيعلاتك

وقوله (ص ٤٨) : « وأما التابعون فقد كان من عادتهم إرسال الأخبار » واستدل بما روى الأعمش قال : قلت لأبراهيم النخعي إذا حدثني فأستد ، قال : إذا قلت لك حدثني فلان عن عبد الله فهو الذي حدثني ، وإذا قلت لك حدثني عبد الله فقد حدثني جماعة عنه

لحسكه على التابعين أنه كان من عادتهم إرسال الأخبار ، وقوله في سائبة الصفحة ٤٨ : وكان التابعون يثبتون في ذلك سبيل الصحابة فيا يروون من الأحاديث التي لم يسموها من النبي ﷺ وإنما تلقوها من أسواتهم ، فانهم كانوا لا يذكرون أسماء من تلقوها عنهم ، كل هذا جهل وظلم للصحابة والتابعين وانفراء على الأحاديث المسندة للشهيرة والسفينة في دواوين السنة كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي . وذكره إبراهيم النخعي كدليل على اتهام التابعين بما اتهمهم به من حكة الجائر الظالم ، وقد ذكر

الأئمة : عن إبراهيم النخعي أنه كثير الإرسال ، فمن كان هكذا كيف يكون عمله وصلة لآثر التابعين سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، والشعبي ، والزهري ، وغير هؤلاء الأئمة

وقول أبي رية (ص ٤٩) : وقد روى التابعون عن تابعي التابعين . ومثل برواية الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري عن مالك وهو تليدهما ، فأعجب على الزهري ويحيى ابن سعيد الأنصاري إذا رأيا عند مالك حديثاً عن أحد شيوخه - نافع مولى ابن عمر أو سالم بن عبد الله بن عمر - فروياه عنه حفظاً للعلم وثقة بتليدهما إمام أهل التثبت والصدق والمدالة مالك بن أنس جامع علم أهل المدينة ومدونه في موطنه

وقوله (ص ٤٨ - ٤٩) : على أن الصحابة في روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا - كما أبتأ - يذكرون أن أحاديثهم قد جاءت من سبل الرواية عن غيرهم ، بل يروون ما يروون في المناشير التي تستدعي ذكر الحديث معاً طال الزمن من غير عزو إلى من سموا منهم ثقة بهم إلى أن وقت الفتنة ، ومن ثم قالوا : سموا لنا رجالكم . ثم قل (ص ٤٩) عن ابن سيرين : لم يكونوا يبالغون عن الإسناد ، فلما وقت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم . قال : والفتنة قد ذرقرتها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه . هـ

والسبب من محققنا بسوق الكلام على عوالمه فهدم آخره أوله ولا يفتن لذلك ، أو هي شهرة الطعن على حديث رسول الله ﷺ ولو بالمذايان والكلام المتناقض

فراه في أول كلامه ينهم الصحابة بروايتهم عن إخوانهم من الصحابة والتابعين بدون ذكر من روى عنهم - أي من الصحابة والتابعين من غير عزو إلى من روى عنهم - ثقة بهم ، ثم قل عن ابن سيرين أنهم - يعني الصحابة - لم يكونوا يبالغون عن الإسناد فلما وقت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، والفتنة ذرقرتها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه

إذن كانت هتهم بمن يحدونهم في زمن أبي بكر وعمر قبل الفتنة ، وكان ذلك أزهـ

عصور الاسلام ، حتى فسّر بعضهم « الصراط المستقيم » الذي نال الله نفاذاً إليه في فاعلة الكتاب سبع عشرة مرة على الأقل في كل يوم ، فسروه بأنه سنة أبي بكر وعمر ، فكان العصر عصر صدق وأمانة وعدالة ، ومن أخطأ منهم ردوه عن سطوته بشهادة الله لم في قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ والآية وإن كانت في الأئمة الاسلامية جميعاً فالصحابية خصوصاً أمز عصر أبي بكر وعمر في الذروة العليا منها

ومتى كان التابعون يحدون الصحابة أيام أبي بكر وعمر ؟ ومن هو ذلك التابعي الذي حدث الصحابة قبل الفتنة أي قبل زمان عثمان أو قبل سنة ٣٤ هـ وأكبرهم كسيدة ابن المسيب ولقد في آخر خلافة عمر ، فكيف كان هو أو من هم أصغر منه أئمة حديث الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأمهات المؤمنين

ينظر أن أياً رية لا يعرف ما يجري به قلبه من التفات والتناقض للهوى والسي ، وشهوة الشك في أحاديث رسول الله ﷺ ، فكنت ما يضحك للعلاء أو يكيهم عليه قال (في نهاية ص ٥٠ في آخر الحاشية) عن حديث في فضل عائشة : رواه أبو تميم من جهة أحد بن خيل !!

قلت : والذي له اشتغال بعلم الحديث ويكتب رجاله يستغرب هذا الاسم ، أحد بن خيل ، فهو محرف إما من محقق القرن الرابع عشر أو من جاسي حروف الكتاب ، ومعا يكن من أسرار الشك في سنن رسول الله ﷺ وحديثه قد ضيق رحمة الله من الخفي ، فيكون هو أول من تضيق عنه رحمة الله بما كتب يده ، وتعبه وهواه

وقال (ص ٥١) : « رواه الشيخان عن عامر بن مسروق » وهذا من جهل بأوليات أسماء الرجال وجمله بأشهر الأسانيد وأوضحها ، وصواب السند : عامر ، وهو ابن إبراهيم الشعبي الإمام العلم ، عن مسروق ، وهو ابن الأجلع المحدثان من مشاهير التابعين

نقد الصحابة بعضهم لبعض (س ١٩ - ٢٠)

أكثر الشكك للشكك في أحاديث النبي ﷺ من ذكر إنكار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رد بعض أحاديث الصحابة لظنها أنها خالفة للقرآن، وقد أجاب العلماء عن ذلك فينبوا صفة الأحاديث وخالقوا أم المؤمنين في ظنها مدارسة القرآن لهذه الأحاديث التي ردها

(١) من ذلك حديث عمر وابنه وغيرهما في الصحيح من نداء النبي ﷺ تقتل بدر وقوله لم «يا فلان وفلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقد وجدتم ما وعدني ربي حقا» فقال له عمر: يا رسول الله كيف تنادي قوما قد جبنوا - أي صاروا جفينا - فقال ﷺ: ما أنتم بأجمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يسمعون «ردته عائشة لظنها أنه يخالف قوله تعالى «إنك لا تسع للوفى»»، «وما أنت بمسمع من في القبور»

وأجاب الدلائل بأنه لا مدارسة بين الحديث وما ذكرت من القرآن فالقرآن يسل النبي ﷺ لحزنه على عدم سماع الكفار لدعوته، وبين أنه منهم موفى القلوب سم الأذان في الأيصار «سم بكم هي فهم لا يسمعون» فلا تناقض بين ذلك وبين حديث قتيل بدر أهل القلب، وقد قال قتادة: أحياهم الله حتى سموا نوبيخ النبي ﷺ. ومثل ذلك حديث الليث «حتى إذا تولوا عنه وإنه ليس قرع عالم» وغيره كثير

(٢) ومثله ردّها حديث عمر وابنه «إن الليث يذنب بيكاه أهله عليه» لظنها مدارسته لقول الله تعالى «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وأجاب العلماء بعدم المارضة، إما لأنه وما يكون أوصى بالكساة عليه فيذنب بوزره هو، أو يكون قد قصر في حياته في عدم نعي أهله عن الكساة. قل الأموات فيذنب بدمه عليه لقوله تعالى «قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقدوها نيرانا والمجانرة» ويكون بكاه أهله عليه الذي قصر في نهجهم عن مثله في حياته سببا لمؤاخذته في قصيره في تعليم أهله. وأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بأن العذاب هو الألم لما وقع فيه أهله من مخالفة الشرع، وليس عقوبته على ذنب غيره

الذي فته آية «لا تزر وازرة وزر أخرى»، وأيا ما كان الأمر فليس بين ما ردت أم المؤمنين وبين الآية تناقض كما ظنت

لقد سمعت حديث رسول الله ﷺ «من نوقش الحساب هلك» فظنته مبالغة لقول الله تعالى «فسوف يحاسب حسابا يسيرا» فيبين لها النبي ﷺ أن ذلك العرض، وأما من نوقش الحساب فقد هلك. وقالت للنبي ﷺ: يرسم أزواجك يبيع وعمره وأربع يبيع فقط، لأنها حاضت قبل أن تم عرتها، فقال لها النبي ﷺ «يكفيك طوائفك ورسبك عن حجك وعمرتك» فلم تنتفع، فأرسل معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التميم تطيبا لظلمتها

وقال الله لها ولأزواج نبيه «وقرن في بيوتكن» وقال النبي ﷺ لمن في حجة الوداع «هذه ثم لزوم الحصر» - بنى لزوم البيت بعده ﷺ، ولكنها تناولت الحديث بأولها خطأ وخرجت إلى الكوفة لأجل قلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه. ولما عقر جعلها في وقفة الجبل التي سميت باسم جعلها ذكرها على غنظتها فكبت حتى بليت خمارها ونددت وتابت إلى الله تعالى، ولما من الحسنات وصحة نبيه ﷺ ما ينشر ذلك كله

وهكذا رضي الله عن أم المؤمنين عائشة وسائر الأمهات الطاهرات وعلوم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، نتعرف بفضلهم وتقرض وترسم عليهم ولا نفتقد الصفة في أحد - أيا كان - بعد رسول الله ﷺ، ولم حسنات تحو وتفيض على ما صدر منهم من خطأ مأثور، وكثير من مقولات الشيعة عليهم دور وبهتان

ومسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المراج يقينها المجر ابن عباس وتنفيا أم المؤمنين عائشة، وفي حديث أبي ذر عند مسلم: هل رأيت ربك؟ فقال ﷺ «رأيت نورا» وفي لفظ «نور أي أراه» وجمع العلماء بين ما ذهب إليه ابن عباس في إثبات رؤيته ﷺ لله ليلة المراج وما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها من نفي ذلك بأن مراد ابن عباس رؤيته ﷺ بقلبه، ولا ينافي ما فته عائشة من رؤيته ﷺ لله بصره، ويتأيد بلفظ

حديث أبي ذر « رأيت نوراً » بنى رأى من حجب أنوار الله تعالى التي جاءت في حديث أبي موسى صرفونا « إن في سبعين حجاً من نار أو نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » ، فلا فائدة من التحويل إنكار عائشة لما ذهب إليه غيرها من إثبات الرؤية ليلة للعراج

وما قال للشك في آخر حاشية ص ٥١ أركأ أو فائلا « وليست المسألة من السليبات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي » شئشة نعرفنا من أنعم من سدى كتابه وخطه من الشك في الأحاديث النبوية والحكم عليها حكماً جائزاً ظلالاً أنها لا تنفي اليقين ، إنما تنفي بزعم الظن ، والله حسيه على ما افترأ عليها من هذا الباطل ، فإذا لم تند أحاديثه عليه السلام اليقين فمن أين يستفاد اليقين ؟ أمن هوس المتكلمين وتزعمات الجهمية وضلالات الروافض ؟ فالهم غفوا وغفراً ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

وخاتمة السور التي ستم بها باب هده الصحابة بعضهم بعضاً إذ نقل عن الدكتور أحمد أمين (ص ٥٢-٥٣) ما قاله أحد أمين عن الزيدى الرافضى الطامع على أصحاب رسول الله المجاهد لما شهد لم به الكتاب والصفة الصحيحة ، وهذه الرسالة للنسوبة لبعض الزيدية لعلها لليلة السكانية في النص عن تولى معاوية لذي يسى ابن عقيل الحضرمي - وما هو يزيدى ولكنه رافضى فغير - إذ يقول : إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً بل ويلين بعضهم بعضاً ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالثبوت التي لا يصح فيها نقد ولا لمن لعلت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحلمهم من عوام أهل دهرنا ، وهذا طلحة والزيير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا أن يمكروا عن على . وهذا معاوية وعمر بن الخطاب لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف . وكذلك روى عن عمر أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بشفقه وشنون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبها إلى سرقة مال النبي . واقتطاعه ، وقال أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ . وكان التابعون يسلكون

بالصحابية هذا للسلك ويقولون في النصاة منهم هذا ، وإنما اتخذهم السامة أرباباً بعد ذلك ، والصحابة قوم من الناس لم يخالسوا عليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ومن أحسن حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومباشرته لا غير ، بل رءا كانت ذنوبهم الخش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فماصينا أخف لأننا أعذر » اه

أقول : - لقد قدرت على وأدبت بصري براءة وقتل هذه التفادرات لتري التبع الذي خرج من قلب هذا الرافضى - ابن عقيل أو غيره - في بنض أصحاب رسول الله وشرب أبي ربة في كتابه من هذا التبع والمديد ، لأن قلبه مؤوف بهذا البنض واليقين والمديد لأصحاب رسول الله عليه السلام ، فكيف من يعدم من خيار الأمة وحلة العلم النبوى من التابعين وتاييهم بإحسان

أين غاب عن أبي ربة قول الله تعالى « محمد رسول الله » ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تزام ركاباً سجداً يبتون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في الثروة ومتلهم في الإنجيل كزوع أخرج شطاه فأكرزه فاستلظ فاستوى على سوقه يمشي الزرع لينظ بهم الكفار ، وهذا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم منفرة وأجراً عظيماً في قول هذا النص القرآني باطل ، أم منسوخ ، أم جاء في غير محله اللان به ؟ وقول الله سبحانه « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » فإن هذا من الذين اضطننوا النل هؤلاء الكرام الأغصان

وشحنوا قلوبهم به ؟ وقوله عز وجل ﴿ والذين أخرجوا من ديارهم بنير حتى إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ وقوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وقوله ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله علم حكيم ﴾ وقوله ﴿ هو الذي يثب في الأميين رسولا منهم يطلع عليهم آياته ويذكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا قبل ذلك لنى ضلال مبين ﴾ ودعاء الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿ وبنا وابست فيهم رسولا منهم يطلع عليهم آياتك ويسلمهم الكتاب والحكمة ويذكرهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ والحديث الصحيح : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد دعيا ما بلغ مدأ أحدكم ولا تصيفه » والحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين أو ثلاثة

وإذا كان هذا الرافضى لطيف الذى سماه أحد أمين زيدا - سواء كان ابن عقيل الحضرى أو غيره - قد ورت عن زراعى حنظلة الرافض من زيادة الفرس واليهود الذين أذى قلوبهم ظهور الاسلام ولا سيما في زمن أزهر عهوده وأبى عصوره بعد عصر النبوة أحنى به عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى انتهى غيظهم منه بأخيه في عراب رسول الله ﷺ وهو يصلى بالمسلمين صلاة الفجر - أقول إذا كان غيظ هذا الرافضى الذى ورثه عن زيادة الفرس واليهود فقال في الصحابة رضى عن عمر وعثمان ومعاوية ومجربى الماص وأبى هريرة ماقال ، فالعجب من الدكتور أحمد أمين الذى زعم أنه مؤرخ الإسلام فيما سماه فجر الاسلام ، وضى الاسلام ، ولا يجب في ارتشاف أبى ربة من هذا التبيح والصدبد وقبه في كتابه الذى سماه أضواء على السنة الجديدة ، وأعاجيبه كثيرة هذه إحداهما ، ومنها تكراره دى نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه معتمدا على أصل ما جاء في ذلك أحنى حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وهو قد هدم الاعتقاد عليه بما نقل عن أم المؤمنين عائشة (ص ٥٢) قالت عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى : ما علم أنس بن مالك وأبى

سعيد الخدرى حديث رسول الله ، وإنما كانا غلامين صغيرين ه . فإذا كان قول أم المؤمنين في أنس وأبى سعيد الخدرى إنما لا علم لها بحديث رسول الله ﷺ لصغرهما حجة ، إذا كان قولها هذا حجة عند أبى ربة ، فلا حق له أن يستدل بحديث ما عن أبى سعيد الخدرى ، ومن ذلك حديثه فى النهى عن كتابة الحديث فقد أسقطه بكلام عائشة هذا ، وإن لم يكن كلامها حجة عنده فى أنس وأبى سعيد سقط احتجاجه بسائر كلامها فى رد عارذت عن بعض الصحابة خصوصا حديث عمر وابنه فى توبيخ الذى قتل بدر أهل القليب وفى تنذيب البيت بكاء أهله عليه وغير ذلك مما شوش به أبورية فى فصله هذا ، وهكذا يلقى أبورية أضواء بنفسه ، وتبقى دواوين الحديث والسنة وأئمة الحديث النبوى نجوم هداية وبين لكلام الله تعالى والدين الاسلام ، رغم أنف مبغضيه من الرافضى والخواارج وأبى ربة

وكلام الرافضى - ابن عقيل الحضرى - الذى قلده أحد أمين فى ضحاه الظلم واعتداه أبورية فى أضوائه للظلمة (ص ٥٢ و ٥٣) ما هو إلا تحقير الصحابة ، وجحد لضعفائهم ، وقهأ كاذب منفضوه وبهت سنيق كثرله (ص ٥٢) فى الصحابة : ويلعن بعضهم بعضا وهو كذب ورب الكعبة ما كان أصحاب رسول الله بلمانيين ولا سبانيين بعضهم بعضا ، إلا ما تنسبه الشيعة لأمر المؤمنين على بن أبى طالب فى خصومه فى السياسة وكثير منه مبالغ فيه وكوفى على حله ليكفر الله عنه ، فقايله خصومه بمثل ما بدا منه أو أشد

وقول الرافضى (ص ٥٢) وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وبجانبهم لم يروا أن يحكموا عن على ، وهذا معاوية وعمر بن المصطفى لم يفسروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف

وجوابه : إن عليا رضى الله عنه هو الذى بدأ بالقتال مجتهدا متأولا ، فقتلوا معه ما فضل معهم ، حتى غلن غلاتهم أن له فى ذلك ضلما - وشاشا - فذلك تأليه بمثل ما قالهم به

وجاء عن بعض خيار الأئمة - التوري وابن عينة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري - فيما جرى بين الصحابة من البلعاص والتثال، تلك الحكمة الذهبية: هذه دماء طهر الله منها سيوفنا فطهر منها الناس

ومن قرأ منهاج السنة النبوية في حق كلام الشيعة والتقية للإمام ابن تيمية ومختصره لغير تلاميذه مؤرخ الإسلام المحافظ الذهبي، يخرج منها بالرضا، والترضى على أصحاب رسول الله ﷺ جميعا، ولين يمتنعهم من الزواض والفلواج ومن سلك سبيلهم، كهذا المفسر ومن رضى قوله

وقول الزايفي (ص ٥٢) : وكالذي روى عن عمر أنه ملن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بشفقه وخون عمرو بن العاص ومساوية ونسبها إلى سرقه مال النبي، واقتطاعه، وقل أن يكون من الصحابة من سلم من لسانه أو يده، إلى كثير من أمثال ذلك مما روي التاريخ

جوابه أن هذه ضغائن وظل وأحقاد وكاذيب من زنادقة القرس واليهود على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي لم ير الإسلام بعد عصر النبي ﷺ وخليفته أبي بكر أمير من عصره وأزهر وأفقر، هؤلاء الزنادقة الذين أزال عمر جيوشهم من إيران وطرد اليهود من جزيرة العرب وأعز الله الإسلام بسلامه وخلاته، أكل النبط قلوبهم من عمر، وتأمروا على اغتياله وهو قائم يصلى التجر في محراب رسول الله ﷺ بخيار المسلمين، ثم لم يكنهم ذلك حتى زرعوا تلك الشجرة الخبيثة شجرة الرفض وتغريق جماعة المسلمين، أو من عى قلبه بقرهاتهم، وجاء هذا المفسر الزايفي بسلك أساليب أعداء الإسلام في بهت عمر وتغريده وتنقيصه، وجاء أعيى القلب هذا أبو روية بمتند كلام هذا المذوف وقبحه وصديده، وبلن عليه بقوله في الحاشية : راجع ترجمة أبي هريرة، وراجع فصل عدالة الصحابة !

وسنراجع ذلك إن شاء الله تعالى حتى نرى فيظنك على سائر الأمة وصحابتها وحجة

أمانات ديننا الذين هم خير أمة أخرجت للناس، ونرى كترك بما أنزل الله في القرآن في فضائل أصحاب فيه، ونشهد على نفاقك ينضك لأصحاب رسول الله ﷺ الأعداء على الكفار الرحاء بينهم الزكج السجود الذين رفع الله منارهم وأعل قدرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وشهد لم الواقع والتاريخ بما لم يشهده لأحد غيرهم

وقول الزايفي (ص ٥٣) « وأسأل ذلك عما رواه التاريخ » فقال لهذا الزايفي الخبيث : أي تاريخ هذا الذي اعتدت عليه في ثلب الصحابة وتنقيصهم وذمهم ؟ أم تاريخ لوط بن عتف الشيء الحقن والكذاب المقتري ؟ أم تاريخ ابن الكلبي صاحب مثالب الصحابة ؟ أم غيرهما من كذابين نحلة الزواض واللفرن على خيار سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة ؟ !

وقول هذا الزايفي (ص ٥٣) « وإنما اتخذهم الأمة أروبا » بيتان عظيم على خيار الأمة الذين سماهم عامة، وبهتتهم بأنهم اتخذوا الصحابة أروبا، ولقد صدق القائل : رضى بدلتها وانسلت

لقد تسكلم هذا الزايفي المفسر ابن عتيل مع أحد وجهاء المجاز الشيخ محمد أفندي نصيف عين أحيان جدة ووجهها بشىء من رضى هذا المفسر، فقال له الشيخ نصيف : يا سيد - وخسارة فيه كذا سيد - إن الناس لم عقول ودين، فلا تطلع فيهم أن يبدوا أهل البيت واللوين الذى تنفى إليهم، أو ما هذا مناه. وذلك حينما قال له هذا الزايفي : أهدكم - أو أهدكم - معطلة كتب ابن تيمية الناصي

ويقال لهذا الزايفي الجاهل (القائل في ص ٥٣ في الصحابة : ومن أساء منهم ذمناه) ومن أنت أيها التنكرة حتى تترف الإساءة للصحابة وتذمهم على ذلك ؟ انتظرنا ثابلك في سرداب سائرنا وكل من علف الدواب المدة زكوبه هندخروبه بزعم الخير من جماعتك، وقد مضى على غياه بزعمهم نحو أنت سنة وهو غنى. في سردابه، أفذا أن لهذا اللوهوم للدوم أن يخرج لينصر جماعته ؟ وليت شرى كيف حال مراديه في إلب

سنة من بوله وغائله ؟ ولكن الجير لا يسجزم أن يمتنعوا له خوارق من اجتراح أرض السرداب فتأخروا ، أو أن يسخ روحاً لا تبول ولا تتنوط ، وما ذلك على قول الجير بتريب ولا مجيب . أليست هذه العقائد السخيفة هي التي حولت أبناءكم في العراق إلى شيوعية ، وفي إيران إلى حزب توده ؟! وهل كانت تكون هذه الانحرافات الشيوعية لولا هذه المخراقات الشيئية ؟!

وصدق من قال في الروافض : لو كانوا غليظاً لكانوا رخااً أو بوماً ، ولو كانوا دواباً لكانوا حيراً أو بنلاً . أقول : لو كانوا زرداً لكانوا حنظلاً . على أن الحنظل قد ذكر فيه الطب فوائد علاج لبعض الأمراض ، فلو كانوا شجراً لكانوا قناداً وعوسجاً وغير ذلك من شائك الأشجار . على أن في جذوع هذه الأشجار ما يصلح للسقوف والأبواب ويصلح حطباً للطبخ والطبخ والتدفئة عند البادية ، بخلاف الرافضة الذين هم شر على الإسلام في كل زمان ومكان ، وما روى التاريخ نكبة على الإسلام وأهله إلا كان الرافضة موقد قارها وجنود قنتها ، ولم يمشوا إلا في ظال عدو للإسلام وحايته

كيف روى الحديث بعد نهى النبي ﷺ عن كتابته ر ٤٠٠

لمج هذا الشاك للشكك بكلمة نهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، وقد غفل أو تغافل عن إبطال دليله في النهي وهو حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم وأحمد إذ نقل (ص ٥٢) عن عائشة قولها : ما علم أنس وأبي سعيد الخدري بحديث رسول الله ﷺ ؟ وإنما كانا غلابين صغيرين . وهكذا انتهت كلام الباطل والباطل وتنطفيء الأضواء على أبي رية ويبقى حديث رسول الله ﷺ قائماً صحيحاً هو أصل دين الإسلام بعد كتاب الله تعالى لأنه بيانه وتعليقه كما قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وقوله لأسمات المؤمنين ﴿ وَادْكُرْنَ مَا يُبَيِّنُ لَكُنَّ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾

قوله (ص ٥٤) : بحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم ولا علم عندهم بالخبرة أن أحاديث الرسول التي يقرؤونها في الكتب أو يسمونها بمن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة

للنبي وحكمة التأليف ، وأن أفاضلهم قد وصلت إلى الرواية كما نطق النبي ﷺ بها بلا تحريف ولا تبديل

ونقول لهذا الشاك للشكك في أصل دين الإسلام الثاني - حديث النبي ﷺ - كما قول لعل الرافضة للشككين في القرآن الثانيين بأنه قد ضاع منه نصوص خلافة على بزعمهم ، قول لم جميعاً : إن البشرية جميعاً لم تشهد ديناً حفظت أصوله من القرآن والحديث كما شهدت لدين الإسلام

ولو كنت تؤمن بقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ لا رميت بخيار هذه الأمة وسلفها بتحريف الأصل الثاني لدينها وتبديله

والذين آمنوا بأحاديث النبي ﷺ وصحتها مبنى ومعنى وأن النبي ﷺ قال كما رواها أصحاب الصحاح والسنن والسائد بلا تحريف ولا تبديل وهم الأئمة أهل الخبرة بالعلم ، والعلم بالخبرة ، كمالك والثاني وأحمد وقيلهم الثوري وابن عيينة والحدادان ابن زيد وابن سلمة ، وبعدم خيار تلايد الأئمة وأئمة التلاميذ البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وسوام واضرب رأسك في صخور الجبال حتى يسيل دم رأسك ، فإن تضرع الله وحده وحديث نبيه ﷺ ولن تضلوا بها شيئاً

كناطع صخرة برما ليونها فلم يضرها وأحيا قرنه الوعل وسر في سبل أهل الضلالة أعداء الإسلام والسنن ﴿ كاذب استهوت الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : انتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾

نزولاً بمكة في منازل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل والرواية « بالبطحاء » وأنا اخترت لفظ « البيداء » لأنه للناسب لحال الراتب لشاك للشكك في حديث رسول الله ﷺ ، وليس البيت قرآناً ولا حديثاً حتى يحافظ على لفظه كالحفاظة على القرآن والحديث

قال فرخ الروافض أبو رية (س ٥٤) : وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء بعدهم من حواريهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجوها كما اقتوها ، فلم يلبها تغيير ولا اعتراها تبديل . وما وقر في أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صفا خاصا من بني آدم في جودة الحفظ وكال الضبط وسلامة الذاكرة ، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان البشرية جميعا ، فكل ما يسمونه ينقش على ألواحها فلا تفلت منه كلمة ، ولا يبدع عنه حرف

أجوابه : نعم كان الصحابة ومن روى عنهم من خيار التابعين فن يعدم صفا ، تنازعا من الناس ، شهد لهم التاريخ ومنصفو الأمم ، كما شهد به اختيار الله إياهم لصحبة نبيه وحفظ دينه وإبلاغه لخالقته ، وما نكتل الله به لحفظ دينه وكتابه وبيان رسوله للكتاب ، لتقوم حجة الله على خلقه بهذا الدين المحفوظ إلى يوم القيامة

ودسية تحقير الصحابة ومن روى عنهم دين الله دسية « رافضية » خبيثة استلبا الذين زرعوا شجرة الرافضة الحظلية من أعداء الاسلام الفرس واليهود ، وتولاهم أعداؤه من اللشركين والمشرقيين فطعنوا بها في أصل الاسلام الكتاب المجيد وسنة نبيه الكريم ليتأروا عما حكم به الاسلام على أسلافهم من تحريف كتب الله للزفة اليهم ونسيان حفظ مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يعرفون الحكم من موطنه نسوا حفظا عما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾

وجاء أبو رية يردد بهتانهم يعلم منه أو يجهل من منشأ الدسية والفرس منها ، وفي كل زمان يوجد الحفاظ المبارة الذين يحفظون ما يمتنوا به وما لم به حاجة أو شوق مما يمدحهم غيرهم غريبا ، أو خارقا . ففى هذا الزمان يوجد بكثرة من يحسن التكلم بثلاث لغات أو أربع غير لغة أبيه وأمه ، وفى الأطباء اليوم من يحسن الانكليزية والفرنسية وربما الألمانية والاطالية ، وفى تراجمه الجاهل الدولية كجعية الأمم وما تفرع عنها كجلس

الأمم من يترجم ثلاث ساعات خطبة خطيب يتكلم بلته إلى اللسان الرسمى تلك اللشاة ولا يقدر أبو رية على إنكار ذلك إلا أن يكون مباحثا ، ثم يمد إلى ما نهى به التاريخ من حفظ العرب والمسلمين وقوة ذاكرتهم ، فكيف بالصحابة منهم الذين امتزج الاسلام بأرواحهم ودمائهم وباعوا في نصره وحفظه كل غال ونفيس حتى أرواحهم ، فيجس فرخ الروافض فينكر عليهم حفظهم لأحلى دينهم الكتاب والسنة ويؤزم أن الكتاب المجيد لولا الكتابة والتدوين لما تحفظ ، وكيف تحفظه كتابة لا حفظ فيها ولا شكل ولا حروف . كيف تحفظه لولا حفظ الصدور له . وقد ضربنا سابقا أمثلة من كتابة (صو) كيف تحفظ قراءة قتيبتوا أو قتيبتوا لولا حفظ الصدور لها وكتابة (عص) كيف يحفظ يقص أو يقص لولا الحفظ

لقد قرأ من يمدد على الكتابة بدون تلق وحفظ قول الله تعالى ﴿ جبل السقاء في رحل أخيه ﴾ فقرأها جبل السقينة في رحل أخيه . وقرأ آخر ﴿ ويموت ونسرا ﴾ فقرأها (وبشرا) وقرأ آخر حديث صلاة في إثر صلاة كتاب في عشرين ، فقرأ عجزه : كنار في غلس . وعيوب الاعتناء على الكتابة التي لا حفظ فيها ولا شكل ولا حروف مذكور بدون حفظ وسماع يأتي بالمجانب والضحكات واللبكيات . وسمع الحجاج بن يوسف قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿ ورجنى وسمت كل شئ ﴾ فقرأ وسمت كل شئ . وآخر قرا ﴿ إن الله يرى من اللشركين ورسوله ﴾ فقرأ ورسوله بالشكر عطا على اللشركين ، فأمر الحجاج بنقط المصحف وتشكيله وضبطه ، جزاء الله عن ذلك خيرا

فلولا حفظ الصحابة للقطع النظم وحفظ من روى عنهم لما بقى دين الاسلام - كتابه وحديثه - نبيه - غضا طريا كما أنزل وكأله رسول الله ﷺ . وليس عند أبى رية غير الاستبعاد والتحويل والدعوى الى لا دليل عليها فترد عليه بإجماع خيار الأمة من الصحابة والتابعين على أن هذه الأحاديث اللدوة في صلب الكتب وستنها ومسافدها هي أحاديثه ﷺ كما اعترف بذلك من هسهه عن شيخ الدين وكفى بهم حجة ،

ومن الناس غيرهم؟

فمن العرف أنك من غير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
علق (في حاشية ص ٥٦) على حديث «نصر الله امرأه» مع مقالتي فوعاها ثم أذاها
كما سمع «الحق» ومن السبب أن هذا الحديث نفسه قد جاءت روايته بصيغ كثيرة
تبلغ الخمس عشرة، وكل رواية تختلف عن الأخرى في اللفظ والمعنى، وولا خشية الإطالة
لأوردتها كلها، فيرجع إليها في مظاهرها. ١٠

وتقول لهذا الكاذب: كذبت، وقد قيل قديما: أكذب وأبذل شاهدك. ولو
طولبت بشر أفاط مختلفة في اللفظ والمعنى لهذا الحديث لبنت الكاذب. وقوله «ولا
خشية الإطالة لأوردتها كلها» حجة الدارج للقرى، وأى إطالة يحشاها وقد حشا كتابه
بالمطالعة الزوافض والمجسمة وأعداء الإسلام، وقوله «فيرجع إليها في مظاهرها» فابن هذه
الظان أنها البهات؟ أما كنت تشير إليها، وكان ذلك خيرا من اعتدته من كلام الرافضة
في تجميع الصحابة وجود فضله، غير أن هذا شأن الذين يريدون أن يلقطوا نور الله
بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره

في علم الحديث قسم يسمى (التأنيبات والشواهد) فإذا جاء الحديث من عدة طرق
عن صحابي سموا هذه الطرق بالتأنيبات، وإذا جاء الحديث من عدة من الصحابة سموا
أحاديث الصحابة الذين اتفقوا على رواية الحديث بالشواهد لشهادة بعضها لبعض، وقد
عن مسلم في صحيحه بتخرج التأنيبات والشواهد، وأشار إليها الترمذي في جامعه بقوله بعد
حديث الباب: وفي الباب عن فلان وفلان وفلان من الصحابة

فإذا كان أبو رية يعني عيسى. حديث «نصر الله امرأه» يصح كثيرة تبلغ الخمس
عشرة تختلف كل رواية عن الأخرى وهو ما لم يثبت ولن يستطیع إثباته وأعرض عن
ذكر الاختلافات الخمس عشرة بزمه بدعى خشية الإطالة وأشار بالرجوع إلى مظاهرها التي لم
يبيتها، إذا كان يريد بهذه الصيغ المختلفة طرق التأنيبات والشواهد لهذا الحديث وظنها

حينما مختلفة تبلغ ١٥ سنة إذا كان يظن ولم يعرف حكمة التأنيبات والشواهد سقط
الكلام منه لأن الكلام مع الجاهل الذي لا يعرف أنه جاهل ضياع وعيب، اللهم إلا
إذا أريد حفظ الناس من وساربه وترهاته

والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاه
قال (ص ٥٧) في رد رواية للمنى: لأن الإنسان وإن اجتهد في تطبيق الترجمة
لكن لا يملك عن تغاوت وإن قل، فإذا تولت الفوارق كان التفاوت الأخير تغاوتا
فاحشا لا يبقى بين الكلام الأخير وبين الأول نوع مناسبة. ١١

وكل تحقيق هذا للترور يكون حديث «إنما الأعمال بالنيات» إلخ مثلا قد تولت
عليه كاشاه أنواع التبديل والتصرف حتى لم يبق بينه وبين ما قاله ﷺ نوع مناسبة! وإن
تحقيقا بالأساليب النبوية إلى هذا الحد من الشك والتشكيك هو كالتشكيك في القرآن
بسبب الأحراف السبعة والقراءات المتنوعة التي قال فيها النبي ﷺ «كلها كاف شاف»
هذان النوعان من الشك والتشكيك يخرجان من ما خور فاذنورات واحد هو غيظ أعداء
الإسلام وغلم وشتمهم على الإسلام أن تكون له كل هذه الثروة السليمة من تراث عصر
النبوة، ولا يصح المسلم إلا أن يمدح الله تعالى على السلامة من هذا المرض وتلك الآفة
﴿ومن يمدح الله فهو للهدى، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا﴾، ﴿ومن يرد الله فتنه
فلن تمك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يغير قلوبهم، لم في الدنيا خسر ولم
في الآخرة عذاب عظيم﴾

ساق أبو رية في جواز رواية الحديث بالمنى (ص ٥٩) أدلة: منها ما روى البيهقي
عن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأضر على واثقة بن الأسقع قتلنا له: حديثا بحديث
سمعت من رسول الله ليس فيه وم ولا تزيد ولا نقصان. فقال: هل قرأ أحد منكم من
القرآن شيئا؟ قتلنا نعم، وما نحن له بمجانئين جدا إنا نزيد الروا والألف ونقص [قال]:
فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا نأوته خطا وإنكم ترمعون أنكم تزيدون وتقصون
نخسيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ حتى أن لا يكون سمعنا لها منه إلا مرة

شيطانية أنت لابس الخاتم لعله كان ممجبا مزموها به ، ليتخلص من وعيد خاتم الذهب للرجال

وسع هذا فهذا المحاول حل لبس الخاتم خير من أن رية لأنه تأول الحديث ولم يرفضه كرفض أبي رية لأشائه من الأحاديث ، وأقام للتأريس في وجه العمل بها يشكوكه ورييه وأكاذيبه على روايتها

والعجب ما زعمه أن حديث إبادة رواية الحديث بالمعنى الذي هو حديث ابن أكيبة اللبي زعم أنه يناقض حديث « رحم الله امرأ سمع مقالتي فآذاهما كما سمع » وقد زعم أن هذا الأخير قد جاء بخمس عشرة صيغة يخالف بعضها بعضاً في اللفظ والمعنى ، فأى صيغة الخمس عشرة هي التي تناقض حديث ابن أكيبة ، أم كلها ؟ فإذا أسقطه أبو رية يزعم اختلاف صيغه الخمس عشرة وفي اللفظ والمعنى بقي حديث إبادة رواية الحديث بالمعنى بلا موارض ولا مناقض ، فأين من يقتل تهافت كلامه وهدم بعضه بعضاً ويبسعي من الرد على السنة بمثل هذه التهافتات التي يهدم بعضها بعضاً ، حديث إبادة رواية الحديث بالمعنى يردده محدث زعم أنه جاء بخمس عشر صيغة مختلفة اللفظ والمعنى فأى صيغة من صيغه الخمس عشرة يرد حديث إبادة رواية الحديث بالمعنى أن كان يقتل ، أم هو البناء يهرف بما لا يعرف ؟

وقل الأستاذ أبو رية في كتابه (ص ٥٨) عن القاضي في كتابه (قواعد التصديق) : قال : رخص في سوق الحديث بالمعنى جماعة منهم علي وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء ورواية بن الأعمق وأبو هريرة ، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة حسن البصري ثم الشعبي وعمر بن دينار وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة . هـ

وقل عن الشيخ طاهر الجزائري (ص ٥٥) من كتابه (توجيه النظر) قال : ذهب الأكث إلى جواز ذلك إذا كان الراوي عارفاً بدقائق الألفاظ بسيراً بتقدير التفاوت بينها خيراً بما يحيل معانيها إلخ . هـ

واحدة ، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى

(و (ص ٥٦) بما رواه ابن مندة في معرفة الصحابة والعايراني في اللجم الكبير من حديث عبد الله بن سليمان لابن أكيبة اللبي قال : قلت لرسول الله إني أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما سمعته منك يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً ، فقال إذا لم تحلوا حرماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم للمعنى فلا بأس ، فذكر هذا الحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا

ذكر أبو رية آخر سائبة (ص ٥٦) أن هذا الحديث يناقض ولا ورب حديث « رحم الله امرأ سمع مقالتي » إلخ قال : ولا بد لسلك فئة من أن تؤيد رأيها بحديث . هـ

والجواب أن أبا رية يظهر أنه لا يعرف حقيقة التناقض ، فالتناقض عندهم لا يمتنعان ولا يرتفعان فأى مناقضة بين حديث إبادة رواية الحديث بالمعنى إذا عجز عن سرد القاطلة بشرط أن لا يحل حرماً ولا يحرم حلالاً ، وبين حديث دعاء النبي ﷺ بالرحمة أو التنفزة لمن سمع مقالة النبي ﷺ فوجها فآذاهما كما سمعها ، فالأول أفاد الجواز عند المعجز ، والثاني أفاد التفضيل لمن قدر ، والشرعية الإسلامية تقول بفضل القرين ثم من يليهم من الأبرار وبثواب السابقين ومن يليهم من أهل الجنين ويتفضل المجاهدون بأموالهم وأنفسهم على التامعين عن الجهاد للأعداء

ولكن أبا رية يزعم أنه يريد أن يكون جميع الناس ملائكة مقرين ليس فيهم أهل الأعداء ، وهذا ما لم يردده الله للبشر . ونسأله إذا أنصف : هل حديث عن رسول الله ﷺ يروى بالمعنى خير أم المراحه واتباع آراء الجهمية والروافض والطوائف ووساوس الأوهام وروايل العادات ؟

سألت رجل عن خاتم الذهب للرجال ، فذكرت له الحديث قوله ﷺ لرجل في يده خاتم من ذهب « أيسرك أن تضع جعرة في يدك » نفع الرجل الخاتم ورماه في الأرض وأبى أن يأخذه ولو ليفتن به في وجه حل . فغاب عن السائل مدة ثم رجع يجادل بحجة

وعن الضر بن كميل : كان سفيان يقول : إذا رأيتم الرجل يشدد في أقاظ الحديث في المجلس فاعلم أنه يقول : اعزفوني . وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه ، فقال له يحيى : يا هذا ليس في الدنيا أجل من كتاب الله تعالى ، وقد رخص للقراءة فيه بالسكسة على سبعة أحرف ، فلا تشدد . اهـ

وقد در هؤلاء الأئمة القدين عرفوا بسر الدين ووقع الحرج عنه ، فأخذوه سهلاً سمحاً ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا حاله ، ولم ينقطعوا تنطع من خرج به منقطعه عن سلوك سبيل المؤمنين ، فجروا في شكوكهم وارتياهم وراء أعداء الاسلام من الروافض والمجسبة به للشرقيين أمثال جولدزهر وشبرنجير وحائرة الماراف الاسلامية وبش أولئك رفيقا ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ ، ﴿ ومن يشأ عن ذكر الرحمن فبقش له شيطاناً فهو له قرين ﴾ ، حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُدّ للشرقيين فيبس القرن ﴾ ، ﴿ ولن يتفككم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾

الحكمة في تنوع العبادات

إذا قرأ الانسان كلام حكماء الاسلام وأئمة الدين ازداد بصيرة في دينه بما يجيده في كلامهم من التحقيق والعلم والبيان . من ذلك كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه المحققين كالشيخ ابن قيم الجوزية وسواه من المحققين

فذلك من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رسالة (تنوع العبادات) التي أبان فيها حكمة تنوع كثير من العبادات ، وما في هذا التنوع من الرحمة والتيسير على هذه الأمة للرحومة ، كتنوع القراءات على سبعة أحرف ، فقد جاء في الخبر مر فوعا « اقرأني جبريل على حرف ، فقلت : أسأل الله عفوه ، في أمتي الشيخ الكبير والراة المجوز و ... و ... فزادني حرفاً ، فلم أزل أسأله حتى أقرأني على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، فقرأوا ما تيسر منه »

ثم يحى اليهودى للشرق هدد الاسلام جولدزهر فيشكك في الاسلام وفي

وقل (آخر من ٥٥) من أبي اسحاق الشيرازي في كتابه (البحر) قال : والاختيار في الرواية أن يروى الخبر بانطه لقوله ﷺ « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » إلخ ، فمير أبو اسحاق الشيرازي بالاختيار . ولم يحمل الحديث الذي استدل به على الاختيار منقضا لحديث ابن أكيبة في جواز الرواية بالمعنى كما زعم المتناقض بينهما أبو رية ، فأيعا نصدق أبا رية الذي لم يأخذ هذه العلوم عن أحد من أهلها ، أو أبا اسحاق الشيرازي النقيه الأصولي المجبة وهو من كبار أئمة الشافعية .

وقل أبو رية (أول من ٥٩) عن ابن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة : للمنى واحد والأقناط مختلفة . وكذلك اختلفت أقناط الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فمنهم من يرويه تملأاً ، ومن يأتي به بالمعنى ، ومنهم من يورده مختصراً ، وبعضهم ينأير بين اللفظين ويراه واسماً إذا لم يخالف للمنى ، وكلهم لا يصد الكذب ، وجميمهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ، فذلك وسهمهم ، وكانوا يقولون : إنا الكاذب على من تمده . اهـ

أقول : ومن لم يمه هدى الصحابة وخيار التابعين فلا وسع الله له ، ومن ضيق ما وسع الله فهو شبيه بالخوارج الذين يكفرون بالذهب ويمحون الحسنات بالسيئات خلاف ما قاله الله ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ، وحسبهم ما جاء في وعيدهم « يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، وأنهم كلاب أهل النار » ومع ذلك فإنهم أقل شراً من أبي رية ، يتشددون ليطلبوا أكثر ما ترضيه وتكفي به الخيفية السحة ، وأبو رية يتشدد ليتوصل إلى القطع والبتر ، والاستغناء عن آئمن موارث الاسلام بعد القرآن ، فالف حسبه

وقل أبو رية (ص ٥٩) قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سيقاً وأجود تحميراً وأنصح به لساناً منه إذا حُذنتا به لى ينى عن غيرك . فقال : إذا أصبت للمنى فلا بأس بذلك

القرآن وفي صدق النبي ﷺ ونبرته ورسالته بسبب القراءات، حدا للإسلام الذي سجل عليهم تحريف كتبهم ونسيانهم حقا بما ذكروا به في ومن القرن هادوا يحرفون الكلام من مواضعه، ونسوا حقا بما ذكروا به، ولا تزال تتلغ على خاتمة منهم، فاعف عنهم واصنع، إن الله يحب المحسنين ﴿

ومن تنوع العبادات أنواع الأذان : أذان بلال في المدينة، وأذان أبي مخزومة بمكة وغيرها . والأذان حكمه الإعلام بدخول الوقت، والدعوة إلى صلاة الجماعة «حي على الصلاة، حي الفلاح» هذا جوهره وله، سواء رجع التكبير في أوله أو ثنى، وسواء رجع في الشهادتين فيه أو لم يرجع، فجوهره «حي على الصلاة، حي الفلاح»

ومن تنوع العبادة دعاء افتتاح الصلاة بعد تكبيرة الإحرام، فأبها افتتح للعمل صلاته كفى، لأنها تناء على الله قبل القراءة، فأبى صحتها الواردة أننى على الله أجزاء وأحسن

ومن تنوع العبادة صيغ التشهد في الصلاة التي عليها رسول الله ﷺ لأصحابه : ابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وجابر، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عمر . وقد ساق ألقاها أبو ربة (ص ٦٠ - ٦٣) ليحكك في تنوع صيغها لأنه لم يعقل حكمه، فجعله شكاً في حديث رسول الله ﷺ وفي عبادات الإسلام

وجوهر التشهد في الصلاة هو تذكر شهادتي الإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والديانة قبل الشهادتين تناء على الله وتحميد بشهادة التوحيد والإسلام، ولم يختلف لفظ الشهادة في أنواع صيغ التشهدات الثمانية التي تكلف أبو ربة في إيرادها ليقول (أول ص ٦٣) : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألقاها . وكذب أبو ربة لفظ شهادة الإسلام والتوحيد في جميعها ونجد لا اختلاف فيه، ودجاجتها للمتددة تمهيد لا يضر تنوعه : «التحيات لله والصلوات والطيبات»، «التحيات المباركات والصلوات والطيبات»، «التحيات الزاكيات والطيبات لله»، «بسم

الله، التحيات المباركات لله» الخ وقوله (ص ٦٣) : لو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمسنى قلنا عسى، ولكنها من الأعمال للضرورة التي كان يزديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم، وهم يُحدثون بشرات الأئوف

وجوابه أنه يظهر أنك لا تعرف التواتر، فزواة التشهد ذكروا أنهم ثمانية، والتشهد يقال في الصلاة سراً لا جهراً، وعشرات الأئوف من الصحابة الله وحده هو الذي يعلم بما كان يختاره كل صحابي من هذه الأنواع

وهجراً أن يشكك في الأحاديث قولها وصلها ببيارته هذه، ويشكك في صدق صحابة رسول الله ﷺ وم الأئوف على دين الله تعالى الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصره، وحل دينه وتبليغه للناس

وقوله (٦٣) : وما بلغت النظر أن كل صاحب تشهد يقول : إن رسول الله كان يعلم التشهد كما يعلمه القرآن

وجوابه : هل يكذب الصحابة في ذلك؟ أم يكذب من روى عنهم من أئمة التابعين فن يبدم ؟ كلا وهم أصدق منك ومن ساداتك المهيبة والروافض والخواارج بالإجماع وشهادة الواقع والتاريخ الحق، فكل من قال : علمني رسول الله كذا وكذا فهو صادق، واعتراضك يتوجه إلى ما جاء به رسول الله من اليسر والرحمة التي أتيها

وقوله (ص ٦٣) : وإن تشهد عمر من فوق منبر رسول الله والصحابة جميعاً بسمون، فلم يشكر عليه أحد منهم ما قال كما ذكر مالك في الموطأ

وجوابه : كيف ينكر الصحابة على شيء. ومع الله فيه رحمة بهم ؟ كيف يشيرون رحمة الله التي وسعها عليهم ؟ وجوهر التشهد محفوظ متفق لا اختلاف فيه : شهادة التوحيد والرسالة، فليبدأ قبلها كل واحد بما علمه رسول الله ﷺ موسماً غير مضيق، وليضئ بما وسع الله من دينه أمثال أبي ربة وليتشكك في الدين ماشاء، إن كان يقول كما

قال سلمه من صلاة الروافض : إن الصحابة تواطؤوا مع عمر وأبي بكر على كتمان ما في القرآن من نصوص خلافة علي جئنا منهم وتقية وخوفا من جبروت عمر ، إلى غير ذلك . من ترعاتهم وزندقتهم ، قلبك سليم ، وليجانب سبيل للزمتين ، وليوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المنضوب عليهم ولا الضالين آمين

وقال (ص ٦٣) : وما يلتفت النظر كذلك أن هذه التشديدات على تباين أفعالها وتعدد صيغها وكثرة رواياتها قد خلت كلها من الصلاة على النبي ، فكان الصحابة كانوا - كما قال إبراهيم النخعي - يكتفون بالتشهد والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله .

وجوابه : أن دعواه تباين أفعال التشهد دعوى كاذبة ، فكيف يتفق على التشهد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله ، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، فليس فيها تباين إن كان يعرف أبو ربة ما هو التباين ، وتعدد صيغها إنما هو في ديباجتها ومقدمتها مما وسع الله فيه على هذه الأمة كما يسر عليها تعدد أحرف التراتمات السبع التي نزل بها القرآن رحمة بالشيخ والراة المجرز الخ ، وكما توسعت رحمة يتنوع الأذان ودعاء افتتاح الصلاة فلا تباين إلا عند من ينظر إلى الاسلام بين عياد فلا يرى إلا القالة والسواد والتسكع في غيايب الشك والحيرة والضلال

وأما خلو صيغ التشهد عن الصلاة على النبي ﷺ ، وإجهاد أبي ربة نفسه في ذكر مذاهب العلماء فيها وجوبا أو شرطا أو عدمها ، فذلك شكاة ظاهر عنك عارها

إلا إذا كان يريد أن ينظر إلى الاسلام وأهله واجتهاد أئمة نظر التشهير والبغضاء ، ويريد أن تكون هذه اللثة في جحر ضب لا حرية فيها للقيم والاجتهاد والاستنباط ، وهذا ما لم يرد الله لأمة الاسلام

وقوله (آخر ص ٦٣) : « إنه من قول أبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين » . هو من عدم تمرسه بأعمال الناس ، فأبو جعفر هو محمد الباقر لا ابن محمد ، وابن محمد هو جعفر

الصادق ، وإذا تسكلم الإنسان نيا لا يعرف أني بالتراتب ، و « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » ، لقد عاش الناس بخير في عصر خير القرون قبل أن يطلع عليهم أبو ربة بظلماته الثلاثة

قال (ص ٦٦ - ٦٨) :

أمثلة من رواية الحديث بالمعنى

حديث الاسلام والإيمان

ذكر (ص ٦٦) حديث طلحة بن عبيد الله في النجدي الذي سأل عن الاسلام رواه عن مسلم ، وذكر في آخره : فقال رسول الله : أطلع إن صدق . وفي رواية أخرى : أطلع وأبيه إن صدق . وفي رواية ثالثة : دخل الجنة وأبيه إن صدق

وكانه يبد هذا اختلافا في الحديث : أطلع إن صدق - أطلع وأبيه إن صدق - دخل الجنة وأبيه إن صدق . فالت كان هذا - عند أبي ربة - اختلافا فليس في الدنيا شيء متفق عليه عنده

حديث يحيى . في بيان أركان الاسلام التي شرعت حينئذ بطريقة التي يتابع بعضها بعضا ، فيجىء هذا للتراتب ويمسك بالنظ في آخره أطلع أو دخل الجنة وبعضها زاد وأبيه وسائرهما لم يذكرها ، فأى رواية للمعنى في هذا أطلع أو دخل الجنة ، وأى ركن من أركان الاسلام سقط برواية دخل الجنة بدل أطلع أو أطلع بدل دخل الجنة ، وزيادة أياه في بعض طرقه ؟ !

وكان هذا للتراتب لم يعرف للمتتابعات التي عني بها مسلم في صحيحه فيمدها روايات ، وأقل دارس لمسلم - بينهم وبصورة - محمد لمسلم عنائه يذكر شواهد الحديث ومتابعاته في موضع واحد حتى تعرف شهرة الحديث من غرابته ، وليك الجاهل على نفسه وليستج من جهله إن كان بقي عنده يقية من عقل أو حياء

م - ٦ * ظلمات أبي ربة

وذكر (ص ٦٦-٦٧) حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والاحسان، وليت شئى أى اختلاف في هذا، وأين رواية للمنى فيه ؟ إلا أن يكون حشوا للكتاب بما لا يفيد، أو التشويش على من هم أمثاله من أهل الشك والريب في حديث رسول الله وتخلته من الصحابة والتابعين

وقال (ص ٦٧) وعن ابن أيوب - وليت شئى من هو ابن أيوب ؟ أهو عريف عن أبي أيوب الأنصاري الصحابي، أهو أيوب السخيتاني التابعي شيخ مالك، ومن تكلم فيما لا يعرف كان كاليتنا. تعرف بما لا تعرف، وتحرف ولا تعرف بما تعرف. ثم ذكر حديث الرجل الذي سأل على عمل يدينه من الجنة، وفي آخره « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة ». وقال أبو رية: وفي رواية ابن أبي شيبة « إن تمسك به »

وذكر (ص ٦٧) حديث أبي هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلي على عمل إذا عملته دخلت الجنة الخ

وكان أبا رية - أجموية القرن الرابع عشر - يظن أن حديث من سأل ابن أيوب، وحديث أبي هريرة في الأعرابي الذي سأل عما يدخل الجنة، هو عين حديث جبريل السابق، وقد طاش منه وقبح ظنه إن ظننا كلها حديثا واحدا جاء بها فيما سألته أسئلة من رواية الحديث بالمنى - حديث الإسلام والإيمان - وعذره جهل بصناعة الحديث وطريقة مسلم في سوق الأحاديث التي يشهد بعضها لبعض أيا شهادة - فحديث جبريل في سؤاله عن الإسلام والإيمان والاحسان، هو غير حديث من سأل ابن أيوب في الرجل السائل عما يدخل الجنة، وغير حديث أبي هريرة في ذلك أيضا، وغير حديث طلحة ابن عبيد الله في التجدي نثار الرأس، وقول لأبي رية ما قال الخليل بن أحمد لم يستطع معرفة المروض:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطع

ثم قل كلام النبوي في شرحه لأحاديث الباب (ص ٦٧) وذكر عدم محي ذكر الملح

في حديث طلحة ولا في حديث جبريل من رواية أبي هريرة وعدم ذكر الصوم في سندها وعدم ذكر الزكاة في بعضها وفي بعضها ذكر صلة الرحم وفي بعضها أداء الخس ولم يأم في بعضها ذكر الإيمان، قال النووي: فضاوت هذه الأحاديث في عدد خصال الإيمان زيادة ونقصا وإثباتا وحذفا. ٨

ولا بأس بذلك ما دامت أحاديث متعددة عن صحابة متصدين في مناسبات متعددة فحديث جبريل برواية أبي هريرة وغيره كسر وابه، غير حديث طلحة في سؤال التجدي نثار الرأس، وغير حديث الرجل الذي سأل عما يدخل الجنة، وغير حديث الأعرابي الذي قال دلي على عمل إذا عملته دخلت الجنة

فإذا تعددت الأسئلة والسائلون والمجالس التي وقعت فيها الأسئلة فأى عيب في عدم الأجوبة حسب حاجة السائلين والسامعين ؟ بخلاف ما فيه ابن الصلاح (ص ٦٧) من أن هذا ليس باختلاف صادر من رسول الله بل هو من اختلاف الرواة في الحفظ والنسب ونسب بعضهم التفسير في الحفظ وبعضهم حفظ ما لم يحفظ غيره، وهذا مبنى على عدم بانه حديث واحد قيل في مجلس واحد قصر بعضهم في حفظه وحفظه غيره

وهذا مهم برده رواية الأحاديث وتنوع الأسئلة والسائلين، وأى مكابر يقول إن حديث جبريل هو حديث التجدي نثار الرأس الذي سمعوا دوى صوته ولم يفتروا ما يقول وقال في آخره: أنا والله قومي بنى شعبة. أما حديث جبريل في آخره: حر جبريل أناكم يفسكم أمر دينكم. وغلو حديث طلحة عن بيان الإيمان أو شهود التوحيد لأن التجدي السائل يسأل عن الإسلام المعترف به، فبين له أركانه. وحديث جبريل بين فيه الإسلام والإيمان والاحسان لأنه جاء بين أمر الدين. وحديث الرسر وحديث الأعرابي الذي سأل كل منها عن عمل يدخله الجنة فبين لكل منها ما يحتاجه فأى اختلاف في هذا يتسوس به من في قلبه غيظ على أحاديث رسول الله ﷺ في رية ؟ وعلى فرض أن هذه الأحاديث للمعدة بتعدد رواياتها وأساليبها والتسليم بتدلا

كلها حديث واحد حفظ بعض رواه ما لم يحفظه الآخر ، فأى عيب في هذا ؟ فالف حفظه
فيه يحفظ من حفظ ما لم يحفظه غيره ، لذلك لم ير العلماء والأئمة في هذا ما يجب رد
هذه الأحاديث والشك فيها كما فعل أبو رية ، واتبوا سبيل المؤمنين في الإيمان بها وأخذ
دينهم منها خوفا من وعيد الله سبحانه لمن اتبع غير سبيل المؤمنين في قوله تعالى ﴿ ومن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَ مَعِيرًا ﴾ عياذا بالله من ذلك ، ونسأله أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿ ربنا لا تزغ
قلوبنا بيد إزدعتنا وعب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

أورد حديث الواهبة نفسها للنبي ﷺ (ص ٦٨) وتقدم رجل يقول : يا رسول
الله أنكمتكها ، ولم يكن معه من اللهر غير بعض القرآن ، فقال له ﷺ : أنكمتكها بما
ملكك من القرآن قال : وفي رواية قد زوجتكها بما ملكك من القرآن . قال : وفي رواية ثالثة :
زوجتكها على ما ملكك . وفي رابعة : قد ملكتكها بما ملكك . وفي خامسة : قد أملكتكها
بما ملكك من القرآن . وفي سادسة : أنكمتكها على أن تقرتها وتسلمها . وفي سابعة :
أمكنكها . وفي ثامنة : خذها بما ملكك ، قال : فهذه اختلافات ثمانية في لفظة واحدة

وجوابه : إذا كانت زوجتكها وأمكنكها وملككها وأملككها وماعد من الألفاظ
اختلافات في لفظة واحدة فما يقول في قراءة : والله يقص الحق ، مع قراءة والله يقص
الحق ، وفي قراءة فبينوا من التبيين ، مع قراءة فبينوا من التثبيت . وقراءة : والذكر
والأُنثى ، مع قراءة : وما خلق الذكر والأُنثى ؟ وقراءة والصلاة الوسطى وصلاة العصر
مع القراءة بسونها وصلاة العصر . وقراءة وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال مع قراءة
لنزول ، الأولى بكسر اللام وفتح اللام آخره والثانية بفتح اللام أول الكلمة وضها في
آخرها . وقراءة : وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير ، مع قراءة قتل معه ربيون . وقراءة
فإن الله لا يهدي من يشل بينا . يهدي ففاعل ، مع قراءة لا يهدي من يشل بيناها
لفعلول . وقراءة فأزليها الشيطان من الزلل ، مع قراءة فأزليها من الإزالة . إلى كثير من

القرارات في السجدة والشرطة به الأدبية عشر ، حل في هذه القرارات أنها مختلفة فثبتت
في كتاب الله وقرائنه وأحرفه السبعة الاختلاف الذي نفاه الله عن كتابه بقوله ﴿ ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ ثم يذهب فيصع لما ظلمات أخرى
للتشكيك في كتاب الله تعالى فينسخ بذلك من المسلمين ويجري وراء اليهودي جوله زهير
للتشكيك في القرآن وصدق الرسول ونبوته بسبب القرارات التي نزل عليها القرآن
وحروقه السبعة وقرائنه المتواترة في كتابه « عقائد الاسلام » و « مذاهب المسلمين في
التفسير » الخ

لوحظنا حديث الواهبة نفسها لاختلاف ألفاظه الثمانية كما زعم أبو رية لما قص
الاسلام شيئا سوى حكم الزواج على مهر تلمع شيء من كتاب الله تعالى ، ولا تهتم ببيان
كتب السنة الصحيحة والمتواترة والشهيرة

وأورد أبو رية في (ص ٦٨) حديث الصلاة في بني قريظة ورواية البخاري يلفظ
المصر دروايه مسلم له بلفظ الظاهر وذكر (ص ٦٩) عن ابن حجر اتفاق نسخ البخاري ،
أي على أنها المصر ، واتفاق نسخ مسلم على أنها الظاهر ، قال : مع اتفاق البخاري ومسلم
على روايته عن شيخ واحد يلسن واحد وموافقة أبي بلي وآخرين لمسلم وقال : وكذلك
أخرجه ابن سعد . وأما أصحاب المنازى فقد اتفقوا على أنها المصر . قال أبو رية : ثم قال
الحافظ ابن حجر يد ذلك : إن البخاري يكتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من
من مذهبه . وأيد ما قاله ابن حجر (في حاشية الصفحة ٦٩) بما رواه الخطيب البغدادي
عن البخاري قال : رب حديث سمعته بالبصرة كتيبه بالشام ، ورب حديث سمعته بالشام
كتيبه بمصر . قيل له : يا أبا عبد الله بكاه ؟ قال فسكت . ص ١١ ج ٢

وجوابه : أن ما قاله الخطيب عن البخاري له يريد بذلك قوة حافظه البخاري
وسكوت البخاري عن سؤاله « بكاه ؟ » ولله من باب فلا تزكوا أنفسكم ، فلا عيب
بخطأ البخاري في ذلك الا عند من في قلبه ضغن على أئمة الحديث

ذكر ابن حجر في مقدمة فتح الباري أن البخاري لما دخل بغداد كانت شهرته حافلة قد سبته إليها ، فجمع عليه بغداد عشرة فتيان وحفظوا كل فتي منهم عشرة أحاديث متقوية متن هذا على سند ذلك وهكذا وأمرهم أن يقرأوا الحديث على البخاري لمتاناً لحفظه ، فسرده أولهم عشرته على البخاري فسكت ، فقالوا في أنفسهم : جازت عليه ، أين ما اشتهر به من الحفظ ؟ ثم مرد الثاني ثم الثالث إلى العشرة . فقال البخاري للأول من الفتيان : حديثك الأول مقته هكذا ، وصوابه هكذا . والثاني كذا ، وصحته كذا . والثالث كذا ، وصحته كذا ، حتى سرد المائة الحديث على ترتيب ما قرئت عليه ونسبة ألقاظ حديث كل فتي بترتيب ما سرد إليه

قال الحافظ ابن حجر : ليست الترابية في أن يعرف البخاري صوابها من خطئها ، فهو الإمام الحافظ الذي لا ينكر عليه مرة الصحيح من الضيف ، ولكن الترابية في أن يسرد المائة على ترتيب ما قرئت عليه مع ذكر أحاديث كل فتي على وفق ما قرأها التي وترتيبها

وروى معاصره حاشد بن إسحاق قال : كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى آتي على ذلك أيام ، فقلناه بعد ستة عشر يوماً قال : قد أكثرتم علي ، فأعرضوا علي ما كتبتم . فأخرجناه ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، قرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . أليست هذه موهبه من مواهب الله ، أليس هذا الرجل قد ادخر الله لعمرك التدوين ، كما ادخرها حريرة لأول عصر الرواية ؟ أم يمسدون شريعتنا على ما قبض الله لها من رجال ؟

فإذا جاء أبو ريرة في القرن الرابع عشر - بعد إجماع الأمة على حفظ البخاري وأمانته في رواية الحديث - يشكك في حفظ البخاري وأمانته وصدقه ونصحه لدين الإسلام ، قلنا لأي رية انطلق برأسك جبلا حتى يبدى رأسك ، فلن نهب الجبل ، ولن نتفقه ، ولن يشكك الناس فيما أجعوا عليه من أن كتاب البخاري أمج كتاب بعد كتاب

فه تعالى ، ولن يشيره أن تختلف لفظة منه مع لفظة من صحيح مسلم (المصرأ والشهر) فالشيخ ابن تيمية رحمه الله وهو من هو أمانة وحفظا ودقا عن الإسلام بقله وسبه يقول : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة لدى ، وكفى بذلك حجة على فسق الرتب والشكك فيها والذي يريد من الناس أن يتبعوا غير سبيل المؤمنين من الروايات والنجبة والفرارج وأعداء الإسلام

تقدم لنا ذكر ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع من ضرورة الأحاديث نين القرآن وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام لقوله تعالى ﴿ ولقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وقوله ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منك يتلو عليكم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وآخرين منهم لا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ ودعوة الخليل إبراهيم لقربته لليلة ﴿ وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وقول الله تعالى ﴿ زوجنا بيننا أهل المؤمنين ﴾ واذكرن ما ينطلي في يوتسكن من آيات الله والحكمة إن الله كان نفيا خيرا ﴿ فإما الحكمة الملوقة على الكتاب ، وما هو التليم الذي طله النبي ﷺ لأتبعين ولن يبعث فيهم ؟

وذكر الأحاديث في ذلك والإجماع وهو سبيل المؤمنين وهو الصراط المستقيم في أمرنا الله بؤله إياه أن يهديناه في القاعة التي وجبت في الصلاة ١٧ مرة كل يوم ﴿ نعدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أهدت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين ﴾

والآن نقول لهذا المراتب الشك في سنة رسول الله للشكك فيها : إن قال لك مثل حدثنا عن تاريخ القرآن كيف نزل ، وكيف حل به من نزل عليه وهو رسول الله ﷺ

وصاحبه ؟ هل تخترع تاريخنا لا واقع له ، أم تقدم السنة الحمدية تاريخنا للقرآن والعمل به ، أم تقدم أكاذيب الشيعة والرافضة والمجبهة تاريخنا للقرآن والعمل به ، أم تقلد جلود زهير في مطاعنه على الاسلام وبنيه وأهله ؟

ثم إذا قيل لك : إن دساتير العالم والأمم وقوانينها الأساسية تضع لها القوة التنفيذية لأوامر وتفسيرات للعمل بها وتطبيقها ، فأين لأوامر العمل بالقرآن وتطبيقاته والعمل به ، وكيف عمل به ، وكيف تفهم قول الله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَ لَهُ مَا نَزَلَ لَيْسَ فِي هَذَا بَيَانٌ لِلْقُرْآنِ فِي غَيْرِ السَّنَةِ الْحَمْدِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ؟ إِنْ كَانَ بَقِيَ عِنْدَكَ ذَرَّةٌ مِنْ حَيَاةٍ وَإِنصَافٍ وَعَقْل !

ظهر في الهند قوم سموا أنفسهم القرأتين الذين يرفضون الحديث والسنة وجامدوا بأبواب تضحك التكاليف وتبكي الناس رحمة لهم ، كتصوير الصلاة بقيام وسجود واحد وركوع بصد من قول الله ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ، ووجوب الصيام إلى الشاء لأنها أول الليل بزعمهم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَأَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ ﴾ ولا تعرف كيف يحجون ، وليس في القرآن للبيت بمزدلفة ولا روى الجبرات بنى ولا القرآن والإفراد والسعي والطواف وغيرها مما فصله الحديث وبيته السنة ، وقال ﷺ لأصحابه في حجة الوداع « خذوا عني مناسككم » وقال في الصلاة « صلوا كما رأيتموني أصلي » وهل يستنجون أو يتكبرون أديارهم ومذاكيرهم ملطخة بالناثئ والبول ، فلاستنجاء من بيان الحديث والسنة ، بله القياح وحلال الأظنة من حرامها وأحكام حل الأضام والقرويج والتكاح وعشرة النساء وأحكام القضاء والشهادات والميت وغيرها من تفاصيل أحكام الدين والشريعة ، ماذا يستضيئون عن السنة والحديث إلا بالموس والجلنون وضحك الناس عليهم !

إن كان أبو رية للرتاب في سنة رسول الله ﷺ قد اتحق بهذه الطائفة أوجيل نفسه داعيا لسخاقتهم وهراثهم فإنا نسال الله الذي بيده قلوب عبادہ أن يهدينا وإياه سواد

السيل ، سبيل المؤمنين للنجين للكذاب والسنة وهدى سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة إنه جميع يجب رؤوف رحيم وذكر (ص ٦٩) عن شرح ألفيه العراقي أن البيهقي في السنن والمعرفة والبنوي في شرح السنة وغيرها يروون الحديث بأنفاظهم وأسانيدهم ثم يزونه إلى البخاري ومسلم مع اختلاف الأنفاظ واللسان ، فهم يريدون أصل الحديث لا عزو أنفاظه ، ومثل لذلك بمزواتنوي حديث « الأئمة من قريش » إلى الشيعين مع أن لفظ الصحيح « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم انسان » قال : وبين القنطين للمعين تفاوت عظيم كما ترى . ١٠١

ولم يبين هذا التفاوت العظيم ، سواء كانت هذه دعواه أو دعوى من أثرها عنه وقول : إذا عرفت طريقة البيهقي والبنوي وما من أئمة هذا الحديث فلا عيب في ذلك ، فإذا قرأ قارى . براءة الجمهور قوله تعالى ﴿ فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَنْزَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ وقرأها قارى . آخر برواية حزة ﴿ فَأَزَلُّهُمَا ﴾ الأولى من الزل والدحض ، والثانية من الإزالة والنقل ، وكل من القراءتين قرآن منزل من عند الله تعالى ، فإذا شك مشكك أو مشكك في هذه القراءات ، أو في القراءات نفسه من أجل تنوعها ، قلنا له ما قاله الشاعر :

وناطح صخرة يوما ليومها قلم يضرها وأوى قرنه الرجل
قنطح الصخرة برأسك أيها الرجل حتى يدى رأسك وتما ، ولن تضر الصخرة
ولن تومها

كذلك يقال لهذا للرتاب : لا ضرر على السنة من تنوع اصطلاح أئمتها إذا عرفت هذه الأنواع ، والعراقي والنوي وغيرها لم يتشككا في الحديث والسنة من أجل هذه البراهين التي تتعلق بها للتشكيك في الأصل الثاني من أصول الدين الاسلامي بسبب ما في قلبك من الرض والذل على الحديث

وقوله (ص ٧٠) عن الحافظ ابن كثير في كتابه «البايع الحثيث» الذي نشرته بصحيحه عند طبعه وتحشيتة: «ومنع الرواية بالمنى طائفة آخرون من الحديثين والنقهاء والأمويين وشدهوا في ذلك أكد التشديد، وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع، ولكن لم يفتن ذلك، وذلك لأن الذي جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمنى، وهو ما تجده في جميع الكتب بلا استثناء.»

فهذا تدبر المرتاب قول الحافظ ابن كثير «وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع» بعد ذلك «لأن الذي جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمنى» الخ

فهذا تدبر قوله «وكان ينبغي» بدل كان يجب، وقوله «الذي جرى عليه الأمر» أي من عهد الصحابة والتابعين وحمل خير القرون للشهود لم يلخيهما والذين جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس هو رواية الحديث - أي أحيانا - بالمنى، ولم يتشكك الحافظ وغيره من الأئمة في الحديث لأجل ذلك، ومن شذ عن هذا وشك في الحديث والسنة من أجل رخصة الله قدرا في روايته بالمنى وترخيص رسول الله ﷺ في ذلك، من شك في ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وتركه لوجه الله ﷻ «فوله ما تولى ونصه جهنم وسات مصيرا»، «ومن يمشي عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين». وإنهم لم يصدروا عن سبيل الله ويحبسون أنفسهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد للشقين بيني وبينهم اليوم. إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشركون»، «إنا أنزلنا أنزلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا». فلا تميل عليهم إنا نعد لهم عدا»، «قل من كان في الضلالة فليبدله الرحمن مدا»، «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أساط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالملح يشوي الوجوه بئس الشراب وساتر مرتقا»

قال (ص ٧٠ - ٧٥):

ضرر رواية الحديث بالمنى

طار الرتلب فرسا بما نقل الجزائري عن الطليوسي من مقدمة كتاب (الاضايف في التنبية على أسباب أوجبت الاختلاف بين السليين في آرائهم) وتحمل أسبابا الكثير منها توليد خياله واختراع أو هامه كما سنبينه على شيء من ذلك للاعتبار به فيما سواه

وغفلوا جميعا عما ذكر الله في السبب الحقيقي للاختلاف الضار للذموم في قول الله تعالى «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأُنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» وقوله «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بينهم»

وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في أول كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) في بيان أنواع الخلاف: الضار منه، وللذمور أهله فيه. وأن الأول سببه الحوى والبغى واتباع الشهوات وما يثير من المدلوة والبغضاء بين المختلفين. والثاني ما كان بسبب تفاوت الناس في الفهم والعلم والاطلاع مع عدم الحوى والبغى والمدلون، فارجع إلى هذا الكتاب النفيس تستفد منه علما وإيمانا وهدى إن شاء الله

ذكر الطليوسي وقته عن الجزائري أيرية المرتاب في سنة رسول الله ﷺ في كتابه (ص ٧١) من أسباب (١) اشتراك الألفاظ واحتياها لتأويلات الكثيرة، (٢) الحقيقة والجاز، (٣) الإفراد والتركيب، (٤) للتصوير والمعوم. وقاتهم جميعا أن القرائن وسال للتكلم وحرسه على هداية الناس وبيانه البيان الواقى وبلاغه البلاغ اللين. كل هذه أنوار وأمشوا. تدفع هذه الظلمات التي حاكمت في صدور الرافيين. يقول الله تعالى «وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» وقوله «إن عليك إلا البلاغ اللين» وقوله ﷺ

« ترككم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بدي إلا حاك » فأى بيان وأى بلاغ مبین وأى بياض كالنهار يبق مع هذه الشكوك في الدين والظلمات التي يلقونها بأبوية من اشتراك الألفاظ واحتمالاً لتأويلات الكثيرة والحقيقة والمجاز والإفراد والتركيب والمخصوص والمعموم

على هذا الفهم للشكوس وسوء الظن في بيان الرسول وبلاغه كان عدم بيش خيراً على هذا من بيشه ، وكانت بيشه على زعمهم - أو لازم زعمهم - سبياً في ضلال الناس لاسبيا في هدايتهم ، فبها لآراء تؤدى بالناس إلى مثل هذه الظلمات من سوء الظن بالرسول وبيانه وبلاغه وحرصه على هداية الناس . فقول الله ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هدى فلا يخطئ » ولا هم يحزنون ﴿ فأى هداية للناس يسمونها مع هذه الشكوك وأسباب الاختلاف

ثم ذكر البطلوسى سادس الأسباب للاختلاف الرواية والنقل (ص ٧١) ثم وضعه بقوله : « الله الأول فساد الاسناد ، قال : وهذه الآية هي أشهر العال عند الناس ، حتى إن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الاسناد صح الحديث ، وليس كذلك فإنه قد ينفق أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستررب بتقلمهم ، ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من غير قصد منهم إلى ذلك . والاسناد يعرض الفساد له من أوجه : منها الإرسال وعدم الاتصال ، ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متعها بكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببطله وخلفه أو يكون متعها لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم ، فإن كان مشهوراً بالتصعب ثم روى حديثاً في تفضيل من يتعصب له ولم يرد من غير طريقة ، ثم أن يستررب به . وذلك أن إغراط عصبية الإنسان لمن يتعصب له وشدة محبته مجمله على اتصال الحديث ، وإن لم يقطعه بشك أو غير بعض حروفه . وما يثبت على الاسترابة ينقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وعلى الاتصال باللوك وتبيل للكانة والحظوة عندهم ، فإن كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التفتير والتبديل والاتصال بالحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه اه

سقا هذا الكلام بطوله لتبين تهاونهم وقص أوله لآخره وآخرو لأوله من وجوه :

قوله صحة الإسناد لا يلزم منها صحة الحديث ، وتوضيحه لذلك بأنه قد ينفق أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستررب في تقلمهم ويعرض لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى مثل لها بفساد الاسناد بأوجه : (١) الإرسال وعدم الاتصال (٢) كون بعض رواته صاحب بدعة أو متعها بكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببطله وخلفه أو يتعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعض آخر منهم . فيقال للبطلوسى ومن سار في طريقه : هل هؤلاء يفتنون ما يخرج من دوسهم وتجري به أفعالهم فيقولون بصحة الاسناد الذي من شرط صحة عدالة رواته واتصاله . ثم يقولون يعرض له الإرسال وعدم الاتصال مع صحته . ويقولون أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ، ثم يقولون يبد ذلك عنهم يكون بعضهم صاحب بدعة أو متعها في كذب وقلة ثقة أو مشهوراً بنقله أو يتعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعضهم ، فكيف يكون للثبوت بالعدالة المعروف بصحة الدين والأمانة غير المطعون عليه ، كيف يكون من هذا شأنه صاحب بدعة متعها بالكذب قليل الثقة به متعصب لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم وأخيراً أبله مغفل ، كيف يجتمع الضدان يا أصحاب القول : الشهرة بالعدالة معروفا بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليه ولا مستررب في نقله ، ثم يكون هو بيته صاحب بدعة متعها بالكذب وقلة الثقة بالله والنقل والتعصب لبعض الصحابة ؟ إن استمالة لاجتماع الأضداد مسلم به في بدائة القول والنظر ، المهم إلا أن يقولوا : موصوف بالصفات الأولى من العدالة والأمانة والدين وعدم الریب فيهم عندهم أئم يا أهل السنة وموصوف بضدها عندنا أهل التجهيم والرفض والشك في سنة رسول الله وأحاديثه ^{بالحديث} فينبذ فتفرق الطرق فليسلك من شاء . سبيل المؤمنين وسلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين وليسلك من شاء غير سبيل المؤمنين أعداء الكتاب والسنة من المجهية والرافضة والخوارج ،

وكيف يكون السند صحيحاً في الرسل ومن شرط الصحة عدم الاتصال الذي ينافي الإرسال والاختطام ، أين من يمتل ويضم ؟

ولشارته (في ص ٧٢) إلى كيد القرس واليهود بانظار بعضهم للإسلام من غير رغبة فيه ثم أخذهم بالتبديد والتشتت ، فلما حد الناس طريقتهم ولدوا الأحاديث والفتلات وفرقوا الناس فرقا . هـ .

هذا صحيح وقد حفظ الله الإسلام في أصله الأول بالقرآن ، والثاني السنة والحديث ، من كيد هؤلاء الأعداء للناقضين وطغحت كتب الرجال والجرح والتعديل يفضحهم ويبان كذبهم وتجزئ التقات الدول للؤمنين من زيف هؤلاء الأعداء للناقضين ، ومن له أدنى اطلاع على كتب الجرح والتعديل - كيزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي وسواشبهه للسنة لسان لليزان للمحافظ ابن حجر وتهذيب الكمال للإمام الزبيدي وللحافظ ابن حجر به تواريخ البخاري الثلاثة والضعفاء للعتيلي والضعفاء للتروكيني فتنسأ والضعفاء والجرحيين لابن حبان والكمال لابن عدي وسواها والدلائل لابن اللذين والدلائل الكبير للإمام الدارقطني والدلائل لابن أبي ساتم وغيرها - من اطلاع على بعض هذه الكتب يعرف ما يفسر الله لهذه الأمة من حفظ دينها وتمييز صحيحه من ضليله

ولن كان صاحب الكلام يرض بخيار الأمة من التابيين كالحسن البصري وابن سيرين ومعيد بن جبير وسواهم من خيار التابعين ، وبالبخاري ومسلم والترمذي من أصحاب الدواوين الشهيرة في السنة فلمنة الله عدد الحصا والزمال على من اتهم هؤلاء الأكابر أو ظن فيهم الفتاق وعداوة الإسلام

وما ذكره (في ص ٧٢) من تشدد عمر بن الخطاب في الحديث وتوعده عليه فقد سبق بيان أن ذلك كان من قبيل التثبت في الدين وزيادة الطمأنينة فيه ، ولذلك قبل رواية أصغر الصحابة في حديث استئذان أبي موسى الأشعري ، قبله من أبي سعيد

الحذري ، واحتذر عن عدم يلوذ بإياه بالسقف في الأسواق والاشتغال بالتجارة لكسب الرزق ، وهو عذر مقبول لمن عمل يقول الله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وذكرنا اقتضاه بقول حسان : قد كنت أنشد فيه - في السجد - ورضيه من هو خير منك يعني النبي ﷺ لا استشهد حسان بأبي هريرة ، ولم يشدد عمر عليها ولم يتوعد لها ولا منعها من التحديث بما لم يعرفه ، بل صدق أولئك جميعا واحتذرا عما لم يعرف من الحديث ، شأن أهل الانصاف الباحثين من الحق أينما كان

وقد أغنا الله تعالى عما قلده أبو رية عن شبهه وزمعه في الشك في سنة الرسول وبعض خير الصحابة عن عمر بن الخطاب ، أعني به نعيم الدين الطوفي الحنبل الرافضي الأشعري الذي قال عن نفسه أو قيل فيه :

حنبل أشعري رافضي إنها إحدى الكبرى

وراجع طه في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورد الحافظ ابن رجب عليه في كتابه التتم جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، وراجع كذلك ترجمته في الدرر الكامنة لحافظ ابن حجر وغيرها من كتب التراجم

وقد ملئت من قل تناقضات البليوس وأريك نموذجاً من شكوك أبي رية في الشرية السمعة البيضاء التي ليلها كنهها بشهادة رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون ﴾ ، وكذلك ملئت الرد على سخافات شبيهة للطوفي الرافضي الأشعري للتجبل للجبوس المحبوسة على أهل الزوال والربط الذي لم يخف بنفسه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحط عليه لشمه من كتابة الحديث النبوي ، وهو ما يحده عليه أبو رية ، فأبها أقوم قولا ؟ !

وأختم هذا الفصل بما بدأ به أبو رية (ص ٧٠) قوله : لا كانت أحاديثه ﷺ قد جاء قلبها بالمتى - كما بينا من قبل - وأنهم قد أبحوا رواياتهم أن يزعموا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا في أنفاظها - بل ما سوغوه من قبول للسمون منها - لا كان

قد جرى على ذلك قد نشأ من أثر ذلك كله - ولا جرم - وبخاصة بسبب غل الحديث بالمسئ - شر عظيم . ١٠

وتقول لهذا الزناديق الشكك في سنة رسول الله ﷺ وأحاديث هذه التشكيكات وأنهم قد ألبسوا رواياتهم بزعمك أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا في ألقائها - بل ما موهوم من قبول للحجون منها - نقول : أي تحريف للدين أيسع من هذا التحريف الذي زعمته في أحاديث النبي ﷺ ، وأي فرق بين هذه الأمة التي قال الله فيها ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وبين من قال الله فيهم ﴿ ومن الذين هادوا يعرفون السكلم عن مواضعهم ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا ﴾ فأى خير يبقى في هذه الأمة إذا صحت فيها تحريف أحاديث نبيها ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ !

فهل تصدق الله ورسوله في أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ؟ أو تصدق قول أبي رية أنها حرقت أحاديث نبيها بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ ﴿ قل ألتأم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾

إن الله المتصور على دينه لم يسكت للناس على ما هو أقل ضررا في دينهم من تحريف لأحاديث نبيهم ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير واللعن فيه ، فقيم على ما هو دون ذلك بمراحل كقولهم ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فاب عليكم وعسا عنكم فالآن بأسروهم ﴾ لمن جامع في ليالي رمضان قبل أن يباح ، وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ وقال ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وقال ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجابات اكثهم لا يفتلون ﴾ وقال لبيبة ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ وقال له ﷺ ﴿ يا أيها النبي لم

تحرمت ما أحل الله لك تبغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وقال ﴿ عيسى وتولى أن جاءه الأحمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر تنفذه الذكرى ﴾ الآيات وقال ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالنذرة والمشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردم فتكون من الخاسرين ﴾ وقال ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالنذرة والشئ يريدون وجهه ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ أفنبه على مثل هذه الأمور من نبيه وأمرته ونبيهم ثم يسكت لم على تحريف أحاديث نبي ﷺ بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ورواية النبي للتبشير بتبشير طليقات الرواة حتى يصير الأخير غير الأول ورواية للحجون ، ولا يعلم الله ما في ذلك من الضرر بدينه ، ويطلع في القرن الرابع عشر أبو رية ويضع شكوكه في أحاديث النبي ﷺ فيسببها أضواء على السنة عما يفيد أن عدم أحاديث الرسول كان خيرا من وجودها وأنها سببت اضطرابا للناس في دينهم عليها أبو رية ولم يعلمها الله ولا رسوله ولا خير القرون وسلف الأمة ومن سار على سبيلهم إلى يوم القيامة ﴿ قل ألتأم أعلم أم الله ﴾ ، « لا أحد أعير من الله » ، ﴿ ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ، ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فأى حفظ للذكر ولكتاب الله تعالى إذا تحرف بيانه من الحديث بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير واللعن

قد قيل إن الرء عجزوا تحت لسانه ، وقيل من ألف قد عرض عقله على الناس ، وأقول قد عرض عقله ودينه على الناس ، وقد قال الله في المنافقين لبيبة ﴿ ولو تشاء لأربنا بهم ففرغتهم بسيماهم ولعرقهم في لحن القول ﴾ فلان تعريف نبيهم بسيماهم بمشيئته وأكده معرفتهم بلحن القول من غير تعليق ، فإن لحن القول أدل على ما في القلب عند أولى الألباب مثلا - نقل أبي رية (ص ٥٢) عن الدكتور أحمد أمين عن رسالة الزيدى أو لفرافض قوله في الصحابة إنهم كان يلحن بعضهم بعضا وإنهم لا فضل لهم على غيرهم إلا بمشاهدة النبي ، وإن ذنوبهم ألحش من ذنوب غيرهم ، وإن العامة أخذواهم أربابا كما أخذوا عنه نيا معنى - أدل دليل على بفسه غير هذه الأمة صحابة نبي ﷺ الذين قال الله فيهم ﴿ ٧٠ طيات أبي رية

فيهم ﴿ عند رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في الفجورة ومثلهم في الإنجيل كزراع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فالتوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾

وقول البطلوسى والطوفى ومن ارتضى قولها دليل على شكهم في بيان رسول الله ﷺ لعين الإسلام وبلاغه له البلاغ للبين ، ومن لا زجر قولهم أن عدم البشة كان غيراً منها وأنها فرقت الناس في دينهم الذى هو عصمة أمرهم ، بخلاف ما قال الله تعالى ﴿ وما اختلف فيه ﴾ — فى الكتاب — إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بنيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴿ وقوله ﴿ إن الذين فزعوا دينهم وكانوا شتيماً لست منهم فى شيء إنما أمرهم إلى الله ﴾ فيبين الله تعالى أن اختلاف الناس فى كتاب الله ودينه سيبه البنى والمورى ، وأن الله يهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

وتنيل إلى ربة (فى حاشية ٢ ص ٧٢) لمن كادوا للإسلام من القرس واليهود بإظهار التعبد والتفتت ليولدوا الأحاديث ، وتمثيل بكعب الأخبار ووهب بن منبه وغيرها ، فبشر المؤمنين من أهل القرآن والسنة أن كمها ووهب لم يروها من أحاديث رسول الله ﷺ شيئاً ، ولو دوا منها شيئاً ما قبله علماء الحديث وعلماء الإسلام ، أما غيرها فلم ندر من هو ، ولم ينصح به أبو رية ، فأنه يعلم نيته وما جبن عن إظهاره من خفية نفسه ، حل يريد أمثال ابن سيرين والحسن البصرى وسعيد بن جبير ومن يبدى من خيار الأمة ، قلعة الله عبد الحمى والقراب على من أراد أمثال هؤلاء الأعلام بهذا القبر والفضيلة

وتعليقه (فى حاشية ١ ص ٧١) عن قول الحديث من المصحف دون الشيوخ قوله فيها « قد لا يصح أن يبدى ذلك من عل الحديث ، قد ذهب الفقهاء كافة إلى أنه لا يترقب العمل بالحديث على سماعه . وقال أبو إسحق الأسفرائينى — الأجماع — على جواز النقل من

الكتب المصنفة . وقال الطبرى — كأنه الحب الطبرى للسكى ؟ — من وجد حديثاً فى كتاب صحيح جاز له أن يرويه ويحتج به ، وكذلك قال البر بن عبد السلام ،

وقول هؤلاء العلماء صحيح لا غبار عليه ، واشترط الساج كان إلى أيام التتدين أما بعد تدوين السنة واشتبار هذه الدواوين واستغاضتها فى الأمة فاشترط العمل بها على الساج سد لباب العمل بها وتضييع لعمتها والاضطلاع بها ، ومثل شهرة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وغيرها تنفى من الحاجة إلى سماعها وعن الحاجة إلى سندها نعم إن سماعها على الشيوخ الدارفين بها لضبط أفعالها وفهم منها أمر حسن جداً ، أما أنه شرط فى العمل بها فلا

قال أبو رية (ص ٧٥ - ٧٦) :

ضرر الرواية بالمعنى من الناحية اللغوية والبلاغية

اللحن والخطأ فى الحديث

قال (ص ٧٦) : بد أن أبا حوا لأنفسهم رواية الحديث بالمعنى سوغوا كذلك أن يأتى الحديث ملحوناً ولا يرون بأساً فى إصلاح لحنه وخطئه . هـ

وقول لهذا للرتاب التشكيك فى حديث رسول الله ﷺ : إن الذى ألبح رواية الحديث بالمعنى هو رسول الله ﷺ وقد تقدم فى ذلك وجرى عليه خيار الصحابة والوصى ينزل بإصلاح أخطائهم وسكت عليهم وجرى عليه جمهور التابعين وهم القرن الثانى من القرون الثلاثة الفاضلة ولم الحظ الوافر من قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، فهم ثلثى طبقات هذه الأمة للشهود لها بالخبر

وقول لمن ينصف : هل حديث ينقل البنا بالمعنى خبراً أو عدمه وإطراره ، واتباع المورى والشبهوات والجهالات فى فهم القرآن والدين بأسلوب الجبهة والشيعة والنوارج ،

وقد سبق لنا ذكر شيء من سخط من رفضوا الحديث بدهوى الاكتفاء بالقرآن في صلاة قيام وسجدة واحدة ثم ركوع من قول الله تعالى لزم ﴿ يا مريم اتقي لربك واسجدى وأركعى مع الراكعين ﴾ ووضوه مسح على القدم مكشوفة ولا يسهه استسجاء فتيق الدوران بلوثها ، وكذا عما يصور الهم والاضلال ، وحج لا ندري كيف تؤدى منكبه ، وجع بين المرأة وعنتها أو خالتها وبالمكس ، وهدد من الزوجات لا حصر له ، ووطء في الهبز ، وأكل الحيات والمقارب والسياع والذئاب ، وقطع اليد في السرقة من الكسف في فلس يسرق . وإسك في الصيام إلى ما يد المشاء لأنه أول الليل و... و... من هذه السخافات والزهات ، أو انخسلا من الدين ، وخروج على شرائه

أما الحسن في الحديث - إن وجد من لاجن - قد هيا الله له من يصلح لجنه وخطاه فأى ضرر في ذلك والقرآن يحظى قارىء في قرأته فيقتصب له من يصحح خطاه ولا ضرر على القرآن من ذلك

والخلاصة أن القرآن وبيان النبي ﷺ في حديثه وسنه قد تكفل الله بحفظها حجة على خلقه إلى قرب قيام الساعة ولو كره الباطلون ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

تساهلهم فيما يروى في الفضائل - وضرر ذلك

قال تحت هذا العنوان في (ص ٧٨) : قال ابن مهيدي - يئى عبد الرحمن تليد الامام مالك وشيخ الإمام أحمد رحمه الله جميعا - : إذا روي عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال ، وإذا روي في الفضائل والثواب والفتب تساهلنا وتساهنا في الرجال . أخرجه البيهقي في المدخل وأين لك رؤية للدخل ، فلتك رأيت من هل عن المدخل ، وهل للدخل صار حجة عندك وخلا من رواية المني والتمس والزيادة ؟

ويقول : جزام الله خير الجزاء على هذا التصح للأمة في دينها - حلالها وحرامها - أما تساهلهم في الفضائل والثواب والفتب فمن باب حفظ العلم وعدم التفريط في شيء مما يروى

ومن شاء تساهل تساهلهم ، ومن شاء تحت وردا ما تساهلوا فيه ، وإذا تبين قدر النقل ووضع كل شيء في المرتبة اللائقة به فأى ضرر منه إلا عند من تمت ؟ وقد قسم الحافظ ابن حجر في مقدمة تقريب التهذيب له درجات المرح والتعديل من أملاها : ثقة ، ثقة ، ثقة حافظ - إلى أدناها : كذاب يشع الأحاديث . وفي أثنائها : صدوق بهم ، لا بأس به . والرجل الضعيف في الرواية كالضف في البدن قبل قتل ضفنا أو ترجمهم ولا نطلب منهم فرق ما يحتلون ؟ إن قتل للرضى والشفاء شريعة الرجوش في الثابات ، أما الرحمة بهم فشرية السماء والديانات ﴿ ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ، ﴿ وفوق كل شيء علم ﴾ ، ﴿ لكل درجات بما عملوا ﴾ . ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقد اشترطوا رواية الضعيف شروطا : أن يدخل تحت أصل عام ، وأن لا يشتد ضعفه ، وأن لا يتقد وقت التحديث به أن رسول الله ﷺ

والذى ناله أبو شامة على أبي اللعال الجويني وصاحبه أبي ساد القزالي وغيرهما من شيوخ القفه كثرة لتدالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون اليه نسة لتولم ويتقصون في ألتاظ الحديث وتارة يزيدون فيها . يقول أبو رية (ص ٧٨) قلا عن أبي شامة : وما أكثره في كتب أبي اللعال (الجويني) وصاحبه أبي حنيد (القزالي) . ونحن نوافق أبا شامة على ذلك ، ولا غبار على أهل الحديث وأئمة ولا خير عليهم من ذلك

ومن نظر في التلخيص المخير في تخرج أحاديث إرائى الكبير فحافظ ابن حجر يرى فيه من ذلك العجب العجيب من غرائب بعض الققه وجهنهم بالأحاديث وغفلتهم في عزو كثير من ما كبرهم إلى الصحيحين ، إلى كثير من هذه الجهالات وأما قله (ص ٧٧) إنكار ابن الأتارى لمنع أن في خبر كذ وجه حديث « كاد

الافتقار أن يكون كثرًا من تفسير الرواة فنظر للسأفة في كتب النحو، ونظر الحديث ومن خرج، وهذا على كل حال مما لا يمتن جوهر الحديث، وليت للآل الأخرى حانقت على نصوبها يبعث هذا التندر من الأمانة والصيانة

الوضع في الحديث وأسماءه ٨٠-١٠٢

قل أبو رية في أسباب وضع الحديث وشرده في الدين كلاما نفيسا عن أكابر العلماء كأي بكر بن البرقي للسكر، وابن خلدون حكيم التاريخ، وشيخ الإسلام ابن تيمية حكيم هذه الأمة في المقول والمقول والمدافع عن الإسلام بقله وسيفه، وابن الجوزي واضح كتاب الموضوعات، وما وضع في فضل معاوية والثام وفريسة الأبدال والأوتاد والنجباء، والقطب النوث (ص ٩٤) وكلام الحافظ ابن حجر وتقليده السخاوي والسيوطي وكلام خاتمة المحققين السيد رشيد رضا رحمه الله - وهو كلام نفيس جداً تحمده على قلة ونواقض عليه كل الموافقة، وليس دفاها عن صحيح الحديث دفاها عن ضيقه وسقيمه وشاذه ومتركه

وقوله (ص ٨٨) «كلمة شريفة خازمه لابن الجوزي» نقلها عن شيخ الإسلام ابن تيمية في مناهج السنة (٢: ٢١٩)، وهي في المتن من مناهج الاعتدال ص ٢٥٩

وقال أبو رية (ص ١٠٢-١٠٣) «الوضع الصالحون» ونقل عن مقدمة صحيح مسلم وعن الحافظ ابن حجر والمحكم وغيرهم في جريان للكذب على السنة بعضهم ينير قصد، ومنهم من يضع الحديث حسبة للترغيب والترهيب ولأسباب واهية، وذم العلماء لم على ذلك، وهو كلام حتى لا يغار عليه، وهو ترديد لأقوال أئمة الحديث الذين اختارهم الله لحفظ شريعته وسنة خاتم رسله، وقيله ونقول به. وقال مالك رحمه الله تعالى: أدركت كثيراً ممن لو أئتمن على بيت لال لكان أمينا، ولكن لا يقبل منه الحديث من رسوله الله، يقال: ليس من أهله، أو نحو هذا

وقال أبو رية (ص ١٠٤-١٠٧) «الوضع بالإدراج» ونقل كلام الحافظ ابن حجر والقاسمي الناقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتقليده ابن القيم وتقليده ابن الحسن على ابن عروة الخليل الفشتي، وكلمة كلام صحيح نفيس لا يغار عليه، سوى ما أقصمه أبو رية في أئمة كلامهم (ص ١٠٥) من قوله «ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم الثابتة على بطلانه» وكان هذا مقدمة تبرع بها من عنده لرد حديث أبي هريرة في القباب، وسنقرئ حتى يبيىء الكلام عليه في محله

قال (ص ١٠٨-١١٠): «الاسرائيليات في الحديث» وشكا منها ومن نسرهما لأراء المسلمين في التفسير وكتب التاريخ ونحوها، ونوافق على الشكوى من ذلك وليتها أفردت وحدها لمن يريد

وقوله (ص ١١٠) اعتاداً على أقوال الدكتور أحمد أمين في ضنى الإسلام إن عبد الله بن سلام من الصحابة وابن جريج (عبد الله بن عبد العزيز بن جريج) من التابعين فيمن غشوا الإسلام بما كانوا يروون عن التوراة والإنجيل، فيه ظلم بين لذين الرجلين العظيمين، أحدهما عبد الله بن سلام الصحابي الحبيب وابن الحبيب الذي خالف هواه وعصية قومه وأسلم بين يدي الرسول ﷺ لإسلامهما. ولقصة إسلامه طراقة وعبرة كما رولها أصحاب الصحاح والسانيد، وذلك أنه لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وسمع به عبد الله بن سلام وكان على نخلة يحرف منها، فبكاد يسقط فرحا، فقالت له عمة: مالك؟ هل سمعت أن موسى بث؟ فقال لها: هو أخو موسى يامة (وفي التوراة: سايث لهم - أي لبي إسماعيل - نيا مثلك)، فذهب إلى النبي ﷺ وسأله عن ثلاث مسائل قال إنه لا يعلمها إلا نبي مرسل: بم يشبه الولد إله وم يشبه أمه أو خاله، وم تذكر الأتى خاتى بذكر وم تؤثت فتأتى يأتى، وما أول طام أهل الجنة؟ فأجابته ﷺ بما تراه في الحديث الذي رواه الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه﴾ فقال ﷺ جاءني من (جواب الأسئلة) جبريل آقا. قال جبريل ذاك عدو اليهود، فنزلت الآية ﴿قل من كان عدوا

لجبريل فإنه نزل على قلبك يا ذن الله في الآية

ثم تكلم عبد الله بن سلام بكلمات الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم كاذبون مقترون (ولأنهم إذا علموا بيسلوى يهتفون . فأسلم حتى قيل أن يسلموا بيسلوى . فجاء اليهود ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تقولون في عبد الله بن سلام ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وحيرنا وابن حيرنا . فقال : ما تقولون إن أسلم ؟ قالوا : حاله من ذلك . فنخرج عبد الله بن سلام من وراء الباب الذي كان مخفيا وراءه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا !

فإذا الخبير الخبير ابن الخبير كيف يمد عين غش الاسلام بإسرائيلياته يا أحد أمين لو كنت ترفقه ؟ وأنت يا أبا رية كيف قلت أحد أمين فيما جهله وليس له به علم ؟ (ومن أصل من اتبع هواه ينجس نفسه من الله)

أما ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) فمن أئمة أتباع التابعين ، من عدنى أهل مكة وقبائلهم ، قبله علماء الاسلام محدثا صادقا ، ولا إسرائيليات عرفت عنه ، فلا حيرة بكم يا أحد أمين ويا أبا رية فإن أولكما جاهل بمراتب الرواة ، والثاني صاحب هوى وبهالة ، يقول كل غث وسمين في تخرج رواية الحديث وحسنة العلم النبوي وأئمة الاسلام

وحسبنا منك ما سبق (ص ٤٧) من تخرج الصحابة وقبول كلام الرافضى المحضى في خيار خلق الله وصحابة نبيه ، وبهتة لإمام أنهم يملن بمضمهم بمضا ، وما خص به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من التمس عليه واستشهاده بأكاذيب رواية للثالب كابر السكبي ولوط بن يحيى بن خلف التالف الكذاب الساقط وأشرارها . وشرب أبورية من صديد عبد الحسين الرافضى في بعض صحابة النبي ﷺ خير أمة أخرجت للناس الذين أشادت كتب السلفاء ، التوراة والإنجيل والقرآن بفضلهم واختارهم الله لصحة نبيه وحمل الدين عنه

وإبلاغها إلى مشارق الأرض ومغاربها

وقوله (ص ١١٠) : وأن للصحابة أن يفتنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية ... ومن ناحية أخرى كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكرًا ، وبذلك راحت بينهم سوق هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبعهم بكل ما يلقونه هؤلاء . الفحاة بنبر قد ولا تخميص متعبرين أنه صحيح لا ريب فيه . هـ

وهذا ظلم بين للصحابة الذين اختارهم الله لحل دينه كتابا وسنة ، وقد عرفهم الله بحال هؤلاء الكذابين بقوله تعالى (وإن منهم لفرقة يلون السننهم بالكتاب لتحصيه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يملكون) وأدبهم رسول الله ﷺ بهذا الأدب العالي من الانصاف والعدل بقوله ﷺ : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقهم ولا تكذبهم ، وقولوا آمنا بما أنزل علينا وأنزل اليك وإلغا واحد ونحن له مسلمون ، فأى أدب وانصاف أهل من هذا أو فقه

أنشد هنا يحيى . أبورية فيربهم باليسلاعة والندابة وتصديق الكاذبين وقبول التشاكين ، وعدنا أن الصحابة كانوا يستمعون لحكايات كسب وهب ونحوها كما قرأ الآن الروايات الخيالية والقصص الملوقة مع علنا أنها من وضع خيالات كاتبها ، ولكن تروها تفكها ودفا لآسة البد وعيرة بخيال كاتبيها . فهكذا كان الصحابة يستمعون إلى إسرائيليات أهل الكتاب ليحدثوا الله تعالى على ما أتم به عليهم من الكتاب والسنة . ويبتدعها تبيين الأشياء ، والصدق يظهر حسه الضد . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : تنقض عمرى الاسلام عروة عروة إذا ولد في الاسلام من لم يعرف الجاهلية . فمرة الجاهلية وتاريخ الأمم قتها وسميتها فيه بصيرة وعبرة لقوى الألباب . (قد كان في قصصهم عبرة لأول الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه)

لقد ظلم أبروية نفسه بوصف ابن عباس وابن هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهم تلاخيذ كعب الأحمار ، فليس كل من سمع من أحد تليذا له ، فقد سمع عمر بن الخطاب من كعب فهل كان عمر تليذا لكعب ، وسمع النبي ﷺ من عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين ينزفون إلى المدينة ، وسمع رسول الله ﷺ من تميم الداري فهل يصح أن يقول إن رسول الله ﷺ صار تليذا لمؤلا ؟ باللهيب العجيب وأنت تستمع إلى مقريات جولد زيهير وشيرنجير ودائرة المعارف الاسلامية فأنت تليذ لم جميعا ، فينس التليذ ونس الأساندة

وأما البشارات التي ذكرها كعب بأوصاف النبي ﷺ واتهمه أبروية أنه حرفها واتهم عبد الله بن عمرو بن العاص أنه حل صفة النبي ﷺ عن كعب وأن كعبا سلمه فيها ، فسواء علينا صح ظن أبي رية أو خاب فقد قال الله تعالى ﴿ الذين يقيمون الرسول النبي الأئمة الذي يمدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ وبما في الإنجيل : سأذهب وأتيكم الفارقليط يلمكم كل شيء ، ويروح العالم على خطيئته . وهذه اللفظة « فارقليط » هي الكلمة اليونانية القديمة بريكليس وقد عرّبها جاحدو نبوة محمد بمعنى المخلص أو المرزى . وسأل الدكتور أحمد أمين المشرق الإيطالي تليذ عن معنى بريكليس في اللغة اليونانية القديمة قال : يقول الآباء القسس إن معناها المخلص أو المرزى . فقال الدكتور أحمد أمين : أنا أسأل مستنرفا حائزا للدكتوراه في اليونانية القديمة لا أسأل قسبا . فقال : معناها أحد أو حامد أو نحوها . وقال الله تعالى ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قآمن واستكبرتم ﴾ وقال ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ ، ﴿ ويجزؤون للأذقان يكون ويقولون إن كان وعد ربنا لمنسولا ﴾

وذكر أبروية (ص ١١١ - ١٢٤) تاريخ كعب وروى بن منبه وما قبل فيها وقتل عمر واتهام كعب بمؤامرة قتله وشيئا من أساطير كعب وروى بن منبه في إرم ونحوها - ولا كلام لنا في هذا كله سوى أن مؤامرة قتل عمر وهل كان لكعب يد فيها أولا فكل ذلك إلى حكومة علام النبوة يوم القيامة ، يقضى فيها قضاء لا معقب له . وقد أكرم الله أمير المؤمنين عمر بالشهادة في بدنيته دعا بذلك قبل حجة الأخيرة وفي فراقه من الحج كما رواه مالك ، وكما صدق الله بنو بني حنينا اعترز أحد وكان عليه ﷺ مع أبي بكر وعمر وميثان فقال ﷺ « أتيت أجد ، عليك إلا بني وصديق وشيخان » ولو كان اللوماء قريبا مني لنقلت منه دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فراقه من الحج واضطجاعه على برده يبطحا مكة ودعائه بما دعا به . ولكني أكتب هذا كله في مستثنى الطائف بيديا عن الكتب والمراجع

حديث الاستسقاء

دعوى تسرب الاسرائيليات اليه

عز أبروية (ص ١١٨) إلى التاريخ أن كعبا لم يدع الفرصة فقلت من غير أن يتخذ منها وسيلة ليرى الاسلام بطلنة من طناته ، فقال لمر : إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا - جذب عام الرماة - استسقوا ببعض الأنبياء . قال عمر : هذا هم رسول الله وصنواياه وسيد بني هاشم الباس ، فنى إليه ثم استسقوا الخ وجعل توسل عمر بالعباس هوة من الشرك سقط فيها عمر ، وكذب عدو السنة أبروية

والجواب (١) ما قيل : أكذب وأبعد شاهدك . فأى التاريخ جاء فيها ما ذكره عن كعب ؟

(٢) هذه تهمة في أمير المؤمنين عمر أن يقول في دين الله خديعة كعب ، وتهمة في الصمابة الذين سكتوا على ذلك والمهد بهم أن لا يسكتوا على ما دون ذلك ، وكل لم من

سراجيات لأبي بكر وعثمان ، فأبالم سكانها الآن

(٣) قول عمر : كنا إذا أجدنا نستسقي بنبك ، والآن نستسقي بعم نبيك دليل أنه قبل ذلك بليتهاد وبما سبق لا ينش كعب ، وهل كان كعب قد أسلم حينئذ ويبلغ من الفتنة به أن يشير على عمر فيقتل مشورته ويكث الصحابة على ذلك ؟ يبحث عن ذلك في التاريخ ، وسواء ثبت أن كعبا أسلم حينئذ أو لم يثبت لا يمكن أن تصدق أبوية بأن عمر اتخذ بنش كعب هو والصحابة للتوازن حينئذ ، إلا إذا أثبتنا حصولا وصدقا أبوية في هتبه للصحابة ورسمهم بالبلاحة والسذاجة وروى بعضهم بالكذب

قوله (ص ١١٨) وما لاسراء فيه أن هذا اليهودي - يريد كعبا - قد أراد بقوله هذا أن يخلع عمر عن أول أساس للتوحيد الخالص ليؤلفه إلى هوة التوسل الذي هو الشرك بعبته ، حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالمثل كان لما أضر بالغ لدى المسلمين جميعا في العقيدة الإسلامية على مدى الصور . أقول : وحاشا لمر أن يهوى في هوة الشرك

ثم قال : لكن عمر وهو في أفق من البصيرة بالدين والفتنة فيه قد فطن لما ولم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستسقي بأحد حتى بالنبي ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار

بأى هذين الخيبرين من هذا الألبان تأخذ وأيها تصدق ؟ قوله حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالمثل - يعني التوسل - وقوله يبدء ببطرين : ولكن عمر قد فطن لما ولم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستسقي بأحد حتى بالنبي ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار . فهل هوى عمر في هذه الهوة من الشرك والتوسل كما قال أبو روية (س ١٤) أو لم يقع في الفخ الذي نصبه له هذه الخدعة كما قال يبدء ثلاثة أسطر (س ١٧) والخبران إثبات ونفي في صفحة واحدة بينها ثلاثة أسطر أو سطران ، فهل يدري هذا الرجل ما يجري به قلبه وما يسطره سوادا في يياض يهدم آخره أوله وينفض أوله آخره ؟

وأما دعواه أن عمر لم يزد على الاستغفار ولم يتوسل بأحد فيكذب تاريخه اللهم

المجهول حديث المسيحين عن أنس في الاستغفار ، وما قل عن ابن أبي الدنيا في كتب الطر وفي كتاب مجابى الدعوة ، وعن الثعلبي وعن الجاحظ في معارضة حديث المسيحين ، كمن يحجب ضوء الشمس بكفه أو يكسر صخرها صلداً بفضيب من قش أو زجاج أو يصالوح فيلا ييموغة أو يسابق فرساجولنا بأعرج كسج أو يرى حصنا حصينا يفيض الطير والفلج وقوله (ص ١١٨) « إلى هوة التوسل الذي هو الشرك » إن دل على شيء فأنما يدل على جهل طويل عريض عميق ، بالدين وبالتوسل ، صحيحه وفاسده ومشروعه من بالملة

فالتوسل إتخاذ وسيلة إلى ما تريد ، والوسائل الدينية منها ما هو واجب شرعا كوسيلة الإيمان والعمل الصالح إلى مرضاة الله وتبيل السعادة في الدنيا والآخرة وسبب الرسول وإتيانته ونشر دينه وشرعه ونسبه

ومنها ما هو مباح أو مستحب كطلب الدعاء من المؤمنين الصالحين الأحياء الحاضرين ممك

ومنها ما هو شرك أو سبب إلى الشرك كدعاء الأموات أو النائين والاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم . كأن من الوسائل القدريّة الكونية ما هو وسيلة حقا إلى ما يزيد من حاجاتك الدنيوية كالأدوية التي دلت تجارب الناس على فاعلها في علاج الأمراض ، وكالنس في الأرض وللشي في مناكبها جلب الرزق ، والأسباب المرتبطة بحبيبتها قدرا في كثير من العلوم الطبيعية والكبائية والصنائع والمخترعات التي قامت عليها حضارات الناس وتعتمد في علوم البيئة والكسب والحرب وأمنائهم عما تقدمت به البشرية أشواطاً بعيدة

ولعل أبوية يريد من التوسل الشرك دعاء الأموات والاستغاثة بهم وبالتائين بمن يعتقد فيهم سلطة غيبية وبركة معنوية ، ونحن معه في هذا أنه شرك أو ذرية إلى الشرك . وأبما إن كان يلحق بهذا النوع الشركي دعاء الأحياء الحاضرين بعضهم لبعض وطلب الدعاء

من الصالحين الأحياء الحاضرين فقد غلط غلطا قاسحا لرد ما جاء به الدين صريحا لا خيار عليه

فقد توسل الصعابة رضى الله عنهم بالنبي ﷺ في حياته واستقروا به واستسقى لهم وسعاهم الله بدعائه، وفي ذلك يقول أبو طالب في لاميته :

وأبيض يستسقى الثمام بوجهه نعال اليتامى عصاة للارامل

وفي الحديث : اللهم اجعلها عليهم ستين كسيتين يوسف ، فرت عليهم - على غريش - سنة أحصت عليهم كل شيء حتى أكلوا العليز - الجلد أو الشعر للقتول بدم - وكانت أحدهم ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من شدة الجوع ، ونزل في ذلك ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب ألیم ، وبنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . أن لم الذكرى وقد جادهم رسول كريم . فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾ وجاء أبو سنيان إلى النبي ﷺ - وهو مشرك - وقال : يا محمد إنك بشت بصلة الرمح ، وإن قومك أصابهم ما أصابهم . فدعا رسول الله ﷺ الله لهم ، فكشف الله ما بهم

وفي الحديث الآخر الذي رواه ابن عباس أن امرأة كانت تصرع فجأت إلى النبي ﷺ وسألته أن يدعو لها ، فقال لها ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك ، قالت رضى الله عنها : بل أصبر ، فدفع الله أن لا أنكشف ، فدعا لها ، فكانت رضى الله عنها إذا أصابتها التوبة جلست وشدت عليها ثيابها حتى تنفيق

وحديث الأعمى الذي علمه النبي أن يقول : اللهم أنوجه بك إلى ربى ، فشفه فياً وشق من حماء . والحديث في الترمذى وروى لا يؤمن به أبو رية ويصده من الاسرائيليات أو مما سننته رواية للنبي بزعمه ، وحديث عمر لما أراد أن يستمر وقول النبي ﷺ له « لا تنسنا من دعائك يا عمر »

وقول أم سلمة للنبي ﷺ : خذ يدك أنس فادع الله له ، فدعا له بطول العمر وكثرة

للحال والويلد والنفتران ، قال أنس : فقد تحققت الأوليان طول العمر وكثرة لئال والويلد فان تخيل الناس كان يحمل في السنة مرة واحدة ، وكان تخيل يحمل في السنة مرتين . وأخبرتني بنتي فلاة أنه مات من من ولدى وولدى ولدى وكذا ، وأنا أنظر الثالثة - يعنى النفتران

ودعا النبي ﷺ لابن عباس - إن كان يطلب من ابن عباس أو نافله من النبي ﷺ هـ - : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . وطلب الأعرابي الذي دخل من باب المسجد والنبي ﷺ يغضب فقال : يا رسول الله هلكت الكراع وانقضت السبل ، فدفع الله لأشك فرغ ﷺ يديه إلى السماء . ودعا ، فثأت سحابة شامية من وراء سلع كالقوس فاستدارت وأسروا سينا كاملا أى أسبوعا ، حتى إن الرجل القوي منهم كان يفكر كيف يصل إلى داره وكل من قدم المدينة حديث عهد بالحلما ، ثم جاء هذا الرجل في الجملة التالية ورسول الله ﷺ يحط - فقال : يا رسول الله انقضت السبل و... . أى من كثرة المطر ، فدفع الله أن يكتشفها عنا ، فدعا رسول الله ﷺ وقال « اللهم حواليا ولا علينا » وكان كلما يشير بيده إلى السحاب يتزق حتى أضحت للمدينة كالجوبة الخ

والأحاديث في ذلك كثيرة لا يحصها تأم على سرر مرهه مثل

ودعا للؤمنين بعضهم لبعض يطلب أو ينير طلب من التعاون على البر والتقوى ، وقد قال الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وقال الله لنبيه ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ وقال ﴿ فأذن لن شئت منهم واستغفر لهم الله ﴾

فاللهم لا تسلط أبا رية على ما صبح من أساديث رسول الله ، ولا تمنجه فيجعلها إسرائيليات أو مستخنا من رواية للنبي ، أو من وضع أعداء الاسلام الذين لم يفتن لمدواتهم له سواء من سلف الأمة وخير القرون ، وخذ بناصيتنا إلى الحق ولنلير يامن بيدك قلوب عبادك آمين ﴿ ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الرءوف ﴾ وقلوب العباد بين إصمين من أصابك

ولو قرأ أبو ربة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية مثل (التوسل والوسيلة) و (الاستغاثة) و (زيارة القبور) له و (إغاثة الفئان من مصائد الشيطان) لطيفه الإمام ابن القيم وما نفع منها من كتب شيوخ الدعوة السلفية في نجد ككتاب (التوسيد) للشيخ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه لأحد أحفاده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيرهما لاستفاد كثيراً عن أنواع التوسل مشروعه ومنتوجه ، ولما تورط في نسبة التوسل الشركي لأبي المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وحق حديث اللراج للفق على صحة لم يعلم من وسواس أبي ربة ، قد زعم (ص ١٢٣) أنه لما يته كعب ووجه من الأسرانيات بقوله : ولم يستعلم أحد من الرسل جيها غير موسى أن يفتحه استجابة أداء الصلوات الحسن على البشر ، فهو وحده الذي فعل ذلك وحل عمداً عليه على أن يراجع ربه عشر مرات في حديثه ، وخس مرات في حديث ثان ، ويضع مرات في حديث ثالث وكان الله سبحانه وتعالى لا يفرض الصلوات على المسلمين كان لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وكذلك لا يعلم محمد الذي أضفناه الرسالة الملة إلى الناس كافة والله أعلم حيث يعمل رسالته إن كان من أرسل إليهم يستطيعون احتمال هذه العبادة حتى يصرفه موسى . هكذا ترى الأسرانيات تنفذ إلى ديننا وتسرى في مستقداتها وتعمل عملها ولا تجد أحداً إلا قليلاً - ينسب كأي ربة - أنت يرددها ، بل ترى وأأسفاً من يصدقها ويستفدها من حشوية آخر الزمان الذين ينجرون بالدين لا يهتدون أن ينسب الجبل غلام التبين . هـ . ما أثبتت قضي بقوله ، ليرى الناس فلسفة فيلسوف القرن الرابع عشر في رد الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها أسرانيات تسربت إلينا

وجوابه : (أولاً) رحم الله حديث اللراج وأعاده من وسواس أبي ربة ، ولوردت الأحاديث الصحاح بأشكال هذه الوسواس لما بقي له حديث واحد ، وهو ما يرى إليه أبو ربة ومن قدامهم من أعداء السنة . وطريقة العلماء الراستخين في مشكلات الأحاديث ومتشابه

الآيات أن يتهيدوا في نهبا ، وإلا وكروا عليها إلى الله تعالى فالتين (آتنا به كل من عند ربنا) . وهذا الحديث لا يتكامل فيه وثقه الحد ، وما أبدعه عن محاربي الأسرانية وسالكها ومناوئها ومهادها

(٢) قوله لا يعلم الله طاقة عباده واستطاعتهم بما يحملون من الصلاة وكذلك محمد خاتم رسله ، جعل منه بسنة الله تعالى في شرعه وقدره فأنه العلم الخبير إذا أراد شيئاً ما من الأسباب ما يعجزه عندها . مثلاً عندما أراد شرع التيسم رحمة بعباده سبب ضياع عقد عائشة في منزل ليس فيه ماء حتى شكى الصعابة ذلك إلى أبيها أبي بكر الصديق حتى ذهب بطن في خاضرتها ويقول : حيث الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فما يمتنعها من التحرك إلا رأس رسول الله ﷺ على عنقه ، حتى نزلت آية التيسم قال أسيد بن حضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، وقال لما أبوها : إنك مباركة بأبنة

فهذا الله العلم الخبير بمصالح عباده شرع التيسم بسبب قصة عائشة . ومثلها كثرة الظاهر بسبب ظواهر زوج خولة بنت حكيم . وإباحة الجماع والرفث في ليلة الصيام بسبب من وقع على أهله بعد الشتاء أيام الحظير - وهكذا شفاعته من يشفع بعد إذن الله ورضاه عن يشفع له أخاها لما يريده الله من رحمة من يريد رحمة من الشفوع فيهم

ومثله قدراً عارة الأرض بسبب خطيئة أبي البشر آدم وعبه الأولاد بعد الزواج والعشرة الزوجية . وهكذا تجد شرع الله وقدره يرتبطان بالأسباب والسيئات ليمسنا الله تعالى ارتباط الأسباب بالسيئات وهم انفكاكها إلا لإعجاز أو خارق

والحديث يدل بمنطقه ومعنوه عند من ينقل يبعده عن الثواب الأسرانية ، ولولا ذلك لا جعل الله موسى الذي خلف أتباعه بالقي فضل موسى على الملئ لما جعله في السماء السادسة وجعل إبراهيم قوة في السابعة وخرج محمد إلى مستوى يسع فيها صريف الأنعام فوق موسى إبراهيم لا يعلوها إلا الله تعالى ، ولما جاء فيه أن موسى بعد ما فارق رسول ﷺ بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : هذا - بنى عمداً - غلام يأتي من يمدى يدخل من - هـ - ظلت أ... هـ

انه الجنة أكثر مما يدخل من أمي . فأظهر الحديث موسى يظهر الحسد اليك الآسف ، وإن أولها السلام بالنقطة والحمد الممود . ولما أظهر الحديث بنى إسرائيل يظهر العجز عن أداء ركعتين أول النهار وآخره وهم يزعمون شمس الله الخمار ، فإن الإسرائيلية فيه يأمن له عقل ودين وإنصاف ، وهو يشهد عليهم وعلى نبيهم هذه الشهادات ويفضل للمسلمين ونبيهم عليهم وعلى نبيهم ؟

إن كانت الراجعة الإسرائيلية فيه التي فيها هذا الزكوم هي مشورة موسى على محمد بالراجعة في تخفيف الصلاة فليصح من كتاب الله تعالى وصحيح حديث نبيه ما جاء في فضائل موسى وبنى إسرائيل ، فالقرآن ملو بها ، فضائل موسى في القرآن لا يتحملها هذا المختصر . ومن فضائل بنى إسرائيل قوله تعالى ﴿ وتريد أن تمن على الذين استضعفوا في الأرض ويحملهم أثمة ويحملهم الراءين . وتكسب لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما بينهم ما كانوا يمحذون ﴾ وقوله ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كفة ربك الحسن على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ وقوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلائك في صرية من لقائه وجبلناه هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ وقوله ﴿ وأزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والأخبار والرأيون بما استعظفوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾

والآيات كثيرة في محاسن أنبيائهم والؤمنين ، ومساوي الضالين منهم والكاثرين ، وحسنات أولئك وسيئات الآخرين ، فليس ما فيه شيء من حسناتهم من آية أو حديث يكون إسرائيليا كرميا وهيبا . . . يا أهل الانصاف . . . والله يقول ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تمدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . ويبغى عن الفحشاء والنكاح والبنى بملككم لملككم تذكرون ﴾

وفي الحديث « لا تغفلوا على موسى ، فاني أبصت من قبري فأجدته باطلا عند

قوائم العرش فلا أدرى بث قبل لم تجزى بصمة الطور . فليده أبو رية حديثا إسرائيليا عما تسرب من الإسرائيليةيات إلى ديننا الخ

واذكر أبي رية لحديث تخفيف الصلوات الحسن من حسين إلى حسن بإشارة موسى على النبي ﷺ أن راجع الله في ذلك لأن الله يعلم ما قاله موسى وليس في حاجة أن يعرف سبحانه ما تجتهد قوى عباده وما لا تجتهد الخ ما هذا منه

وقد أجيته آخا بأن الله بشرع أحكامه لأسباب تخفف نشرها ، وضربت له مثل الظهار ، ونسخ وجوب الصوم ليلا ، وغير ذلك بسبب ما أدى لتثريبها

وأزيد الآن أن الله سبحانه يعلم أن هرون أنصح من موسى ، ويصلح أن يكون رسولا ووزيرا وعضدا لأخيه موسى ، ولكنه أجرى شفاعته موسى على لسانه بقوله ﴿ وأخى هرون هو أنصح مني لسانا فأرسله معي ردأيصديقي ، إني أخاف أن يكذبون ﴾ ويقول ﴿ وأبجل لي وزيرا من أهل هرون أثنى اتد به أدرى وأشركه في أمري ﴾

فهل كان الله تعالى وتقديس لا يعلم أن هرون أنصح من موسى وأنه يصلح أن يكون وزيرا وردا له حتى أخبره موسى بذلك ، فلم يرسل هارون مع موسى قبل شفاعته موسى له بذلك ؟

الهم إنا نيرا إليك من رد نصوص الكتاب والسنة بمثل هذه الرواوس والمذنيات والسخافات في رد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالشبهات الناحضة والأنهم القاصرة والاعتراض على الله في خلقه وشرعه وقدره

حديث طعن الشيطان لكل بنى آدم إلا عيسى وأمه

لقد أساء أبو رية إلى نفسه وإلى العلم وظلم نفسه بطلعه (ص ١٤٤ - ١٤٨) في حديث أبي هريرة في الصحيح « كل ابن آدم بطعن الشيطان في جنبه حين يولد ، غير

عيسى بن مريم ، ذهب يظن فطن في الجباب « وفي رواية : سمعت رسول الله يقول « ما من ابن آدم مولود إلا بهيمة الشيطان حين يولد ، فيستل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . وفي رواية ثالثة : « كل بنى آدم قد طعن الشيطان فيه حين يولد غير عيسى بن مريم وأمه ، جعل الله دون العنة حجابا فأصاب الجباب ولم يصبها » وفي رواية عند مسلم « إلا نخسه الشيطان » و « إلا يستل من نخسه الشيطان »

وبعد كلامه على الحديث (ص ١٤٤) : ومن للسيحيات في الحديث ما رواه البخاري عن أبي هريرة ، فذكره ، ونهسك بأبي هريرة (ص ١٥) بقوله : وقف هذا الحديث الذي سمعه الصحابي الجليل من الرسول أن الشيطان يطعن كل ابن آدم أو ينخسه إلا عيسى بن مريم وأمه ، وبذلك لم يلم من طعن الشيطان أحد غيرها من بنى آدم أجمعين ، حتى الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم ، وغايمهم محمد صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين . فانظر وانجب . هـ

نظرا فلم نجب ، فقد قالوا : الزينة لا تقتضى الأفضلية ، فإذا خص عيسى بالولادة من غير أب وإحياء الموتى وتصويرية الطير من الطين والتفخ فيها فصيروا لها بآذن الله ، ولم يجر ذلك لإبراهيم ولا نوح ولا موسى ، لا يقتضى ذلك تكذيب هذه الزايمى وإذا انشق البحر لموسى واقتلعت عصاه ثمانا وبده بيضاء من غير سوء ، وانفجار الحجر عن اتى عشر عينا وغير ذلك من آيات موسى ولم يجر ذلك لنوح وإبراهيم وعيسى ومحمد فهل نكذب ذلك ؟

هل ترد الأحاديث الصحيحة والأخبار التراتبية بمثل هذا الخيال القاسد ، والاستبعاد البارد ؟ ويكذب الصحابي الحافظ الصادق أبو هريرة لموس أبى رية الذى قد فيه جود زهير ؟

إذا جاء في التاريخ ذكر عداء يساقب الخيل يبدؤه مثل سلة بن الأكوع ، أو امرأة حادة البصر ترى من بعد ثلاثة أيام كزرقاء الجملة ، أو يحدث ملهم كعمر ، إلى أمثال

كثيرة عما يختص الله به بعض عباده ، فيجوز مهروس كلى رية يقول : لماذا اختص هؤلاء بذلك دون سواهم ، فقرأ له قول الله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا به ولا بأنهم تأويله » وقوله « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » وقوله « وربك خلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون » ولما قال اللانكسة لله سبحانه حين قال لم « أتى جاحل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون » ، والله لم يجعل أباً رية ولا من هو خير من أبى رية مستشارا له يبدل في خلق الله تعالى بهواه وعقله القاسد ورأيه الكاسد

وطعن صاحب الكشف كما نقل أبو رية آخر (ص ١٤٥) في حديث طعن الشيطان وتوقفه في صحته ليس لهذا الطعن والتوقف فيه قيمة ، فليس صاحب الكشف من علماء الحديث ، وحسبه أن يبين بلاغة القرآن في كشانه ، وليس تحت كل حرف منه جملة الاعتزال ، ومجانبة السنة وطريق السلف

وقد غن الشيخ محمد عبده (آخر ص ١٤٧) في حديث مريم وعيسى وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ أنها أخبار آساد عظيمة من رواية الآحاد لا يؤخذ فيها بزعمه في عالم القلب ، والأيمان بالتيب من قسم العقائد ، شئنة نرفها من آخرهم ، ولوة لائها فيه مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر التى تتفق بها ، ولو عاش الشيخ محمد عبده إلى القرن العشرين لراى مادية القرن التاسع عشر وما قبله وقد صارت هشيا تذروه الرياح ، ولافتح له باب الرومانية وتصدق الرسل والديانات على مصراعيه على يد أكابر العلماء وأسلمين العلم التجريبي أمثال جينز والفلسكى الطبيعى في كتابه (العالم للمستور) وغيره من أكابر العلماء الطبيعيين ككتاب الانسان لا يقوم وحده الذى سعى العلم يدعو إلى الإيمان لرئيس أكاديمية فيرهورك

قد حدثني للرحوم الشيخ عبد القادر التلساني النابغ الشهير بمصر وجدة قال :

رفعت للشيخ محمد عبده على يد شركتنا السيوف بأشأ سؤالا واعتظرت جوابه أسبوعين أو أكثر ، ثم قلت للسيوف بأشأ : أعرض على سماحة المفتي جواب سؤال ، ورفسته إليه ، فطلب مني مصدر الجواب ومستفاه ، فقدمت له كراريس من كتاب (موافقة العقل والعقل) لشيخ الإسلام ابن تيمية و (التبيين) له وكاننا لم يطينا حينئذ ، فأت الشيخ محمد عبده رحمه الله وهو يقرأ هذين الكتابين كراريس بعد كراريس ، وقال : هذا كلام لم نر مثله ، أو نحو هذا

وذكر لنا شيخنا للرحوم السيد رشيد رضا عن شيخه الشيخ محمد عبده أنه لم يجد فلسفة والعمل بها إلا في آخر حياته . وحسبنا من الشيخ محمد عبده مدافعا عن الإسلام حكما فيلسوفا غيورا على الدين بجل لا تفصيلا

أما تقليده في رد صحيح الأحاديث فليس مما قبله منه بعد معرفتنا لما يحسن من دين الإسلام كرده على مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا ، وكرده البديع على فرح أنطون في مجلة الجامعة في الرسالة للإسلام والنصرانية

ولك أي رية في حديث نزول عيسى بن مريم (ساشية ص ١٤٥) لأنه جاء خبر حوته في الإنجيل هو من القيم القلوب ، فإذا جاء حديث أو قرآن بما جاء منسلة في التوراة أو الإنجيل أيسكون ذلك شكاً فيه أو تقوية له ؟ والرسول يصدق بعضهم بعضاً ، فمضى يقول ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ﴾ وقوله ﴿ وأتينا إليك الكتاب بالمحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ﴾ وفي الحديث « نحن مائتة الأنبياء أولاد خلقت ، ديننا واحد والشرائع شتى » ولزددنا من الدين ما لا يجب أبارية وأمثله من الجهاد للمبين بأرائهم النجاة لأصبح الذين هم لاهل عمقا رقما لا تستر عقيدة ولا تدفع من باطل ، ولأصبح ديننا ملقفا يقبل منه أهل الأهواء ما يوافق هوام ويردون منه حالاهيون ، وكفى بدين عمق غرق أمثال هذا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون

ومن العجايب والمجانب جمة أن يبب أبو رية في كتابه على الصحابة في سماعهم

من سلى أهل الكتاب ككعب ووهب وعبد الله بن سلام ونعيم الحارثي وأمثالهم ، وقد أسلفنا وقبل الصحابة ظواهرهم ، ويسى أبو رية أبا هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص ثلاثمة لكعب ليعلمهم بعض كلامه في غير الدين ، ثم يمسى أبو رية (في ص ١٤٨) فيأمرنا بالرجوع إلى كتب أعداء الإسلام من المشركين مثل جوك زهير اليهودي للمشرق ومن على شاكلته فون كزير وأمثالها وشريخ وأصحاب دائرة اللامف الإسلامية ، وقد رجعا إلى كتاب العقائد الإسلامية وكتب مذاهب المسلمين في التفسير اليهودي للمشرق جوك زهير فاذا هو في كتابه الأول العقائد الإسلامية يكذب نبي الإسلام صراحة ويصفه بالصرع والمستيريا وسرقة إصالح صموئيل أو أشيا أو غيره - من أسفار العهد القديم ويقولها قرآنا في سورة البلد وغيرها . ويذهب في كتابه الثاني مذاهب المسلمين في التفسير فيجعل التوراة المنزلة من السماء في الأحرف السبعة من اختراع القراء حسبما سمع لم نهمهم في الخط العربي البدائي غير اللفظ ، أمثولا . موضع التفتة عند أبي رية فيجعلنا عليهم لترب الاسرائيليات والسبحيات في الإسلام . وقد جعل أحدهم جوك زهير التوراة اسرائيليا سرقة محمد من إصالح فلان من العهد القديم ، يجعلنا على هؤلاء الأعداء لله ورسوله وللإسلام والمسلمين في الدين ويسب على بعض الصحابة سماعهم من مسلمة أهل الكتاب في غير الدين ، لانيامه لجؤلاء المسلمين من أهل الكتاب بالفتش والتخديعة للإسلام والتفاق فيه ، وأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأعداء غير التفتين فقبل كلامهم فبا شرعوا به من دين الإسلام .

ولكن لا بأس فقد عرفنا من أين استقى أبو رية شكوكه في الإسلام وفي أصله الثاني حديث رسول الله ، وإذا كان لنا أن نشبه أبارية في تقليده لأعداء الإسلام شبهناه بالقرء الذي ذبح نفسه عندما قلد من أجرى السكين بظواهرها على رقبته فأخذ القرء السكين وأجرها بعدها على رقبته ، أو تشبه بذلك الابن الذي أراد أبوه الطبيب أن يمزته منه على الطب فذهب به معه إلى أحد للرضى وجس الطبيب الأب نبض للرضى وقال : لك أكلت لم حام ؟ قال الرضى نعم ، فقال الابن أباه كيف عرفت أن للرضى أكل لم حام

قال : بانتفاح البيض في صهوقه ووجود ريش الحمام في قمة منزله . فذهب الابن يوما إلى مريض آخر وجس نفضه وقال : لعلك أكلت لحم حمار ، فضحك منه الناس ! ولما رجع إلى أبيه وأخبره الخبر قال له أبوه : كيف عرفت أنه أكل لحم حمار ؟ قال لأن رأيت نفضه سريعا منتفحا ورأيت برذعة حمار معلقة في الدهليز فعرفت أنهم ذبحوا الحمار وأطعموا المريض منه ، فضحك منه أبوه وعلم أن الكحل في العينين ليس كالكحل . وهكذا أراد أبو رية أن ينشبه بالفتاد الباحثين فرجع كالتراب الذي قد مشتهه ولم يحسن مشية القنطار . وهذا كله دليل واضح على صحة الاسلام وصحة أسو له من الكتاب والسنة ﴿ سفيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكفر بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾

وذكر (ص ١٤٨) كثرة الأحاديث وتوابع من ذلك ، ونقول له ما قال الأول :

وهيها الراشون أني أحبا وتلك شيكاة ظاهرك عازما

إذا لم تسلط شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تسلط

أبو هريرة (ص ١٥١ - ١٧٧)

يحسن بنا في هذا المقام أن نقول ما علمنا الله سبحانه أن نقوله ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا فدين آمنو ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في الثوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يسجد الزراع لينظ بهم الكفار ﴾

وفي الأثر من حديث جابر « إذا لمن آخر هذه الأمة أولها فن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد »

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أسروا أن يستغفروا لهم ، فسبهم ! وقيل : لما أراد الله دوام الحسنات لمؤلا الأكار قبيض لهم من يسبهم ليبقى أجرم حصلا بعد موتهم وقال الأول :

وإذا أئتلك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بآني كامل

قدم أبو رية في ترجمة أبي هريرة (ص ١٥١) مقدمة مفادها : لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام - كالقرآن - لا يقوم إلا عليها ولا يؤخذ إلا منها . . . لكان أكثر الصحابة رواية لما أعلام درجة في الدين الخ ، وقال : ولكننا نجد الأمر على ما بدا في كتب الحديث المروقة - قد جرى على خلاف ذلك . وضرب مثلا بانلقاء الراشدين والبشرة للبربرين بالجنة الذين قالوا إنه ﷺ قد مات ومعه عنهم راض ، فاتهم مقلون في الحديث حتى أن بعضهم لم يرو عن الرسول حديثا واحدا !

وعلى هذا فليس للحديث قيمة في الدين على رأيه ولا حاجة إليه ، ولينبذ للتبديد بالقرآن بما شاء له هواء وما تخيله خياله : صلاة بقيام وسجود واحد قبل ركوع ، ووضوء بلا استنجا ، بل تبقى الخارج ملوثة بالتناط والبول ، وإلا فإن في القرآن الاستنجا وابن أنواع الحلال والحرام من الأطعمة والألبسة والقروج وأسكهم القضاء والشهادات والعتق والكتابة والتدبير الخ

ونقول لأبي رية : إن القرآن لم يحفظه من الصحابة إلا قلة قليلة ليس منها انلقاء الراشدين ولا البشرة للبشرة بالجنة ، وسانظوه قليل يدون على الأصابع ، والصحابة يزيدون على مائة ألف ، فهل هذا مما يقتل من قيمة القرآن وأنه لا حاجة في الدين إليه كما زعمت في الحديث ؟

فأى ضرر على الحديث إذا اشتغل خالد بن الوليد بالفتوح الاسلامية ومنازلة الأكران فشنه ذلك عن التمود في حلقة من حلقات الحديث في المسجد النبوي أو غيره

من للساجد ، مع احترامه لحديث وقبوله من يحدث به من الصادقين ، وجهه للحديث النبوي وأسفه على ما فاتته منه

وكذلك أبو بكر رضى الله عنه الذى خرج يوم مباينته بالخلافة ليكتسب لمياله ، حتى رده الصحابة وفرضوا له فى بيت المال ، وقضى خلافته فى حرب للرعديين وردم إلى حظيرة الاسلام

ومثله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى قال : لو شاعت سخنة بالعراق لمددت نفسى مشغولا عنها . وقد اعتذر عن حديث الاستئذان الذى رواه وعمل به أبو موسى أنه شغله عن ذلك الصنف فى الأسواق ، بنى الاشتغال بطلب الرزق بالتجارة

هل يتصور أبو رية أن رئيس جمهورية فرنسا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة أو مستشار ألمانيا الغربية إذا لم يحط أحدهم علما بما يله أحد طلبة كلية الطب أو أحد طلبة كلية العلوم أو أحد طلبة كلية الهندسة به أساتذة هذه الكليات ، إذا تصور ذلك فهل يقول إن علوم الطب والطبيبات والكيمياء والهندسة لا تقوم لما فى الهيئة الاجتماعية ولا جدوى لما فى الحياة للدنية لأنها لا يلهها هؤلاء الرؤساء ؟ يقول الله تعالى فى سورة الزعد ﴿ أنزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فينكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

وفى حديث أن موسى رضى الله عنه مرفوعا « مثل ما يبنى الله به من الحق والمهدى كتل غيث أصاب أرضا فكان منها أطايب أمسكت الماء ، فأبقيت الشب والكلأ ، وكان منها قميان أمسكت للاء ، فشب الناس ورووا ، وكان منها أجادب لا تمسك ماء ، ولا تثبت كلأ ، فهذا مثل ما يبنى الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا »

ونأسف لأبى رية أن كان من التسم الثالث الذى لم يرفع رأسا بما يث الله به نيه من الحق والمهدى ، بل انحدر الى دركة من جد عن سبيل الله واتبع أعداء الاسلام

جوله زهر وفون كبير وأمثالها ، وكل ميسر لا خلق له . ﴿ ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتهموه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ ، ﴿ قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تدك منهم لأنهم جهم منكم أجمعين ﴾ ، ﴿ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وعن تدك منهم أجمعين ﴾

اسم أبى هريرة ونشأته س ١٥٢ - ١٥٣

لم يعرف اسم أبى هريرة ولا نشأته فكان ذلك جرسا فيه عند أبى رية ، لأنه يريد أن يخرج له بطاقة شخصية باسم أبيه كأنه مجرم منهم من أبى رية بأشغاله بحديث رسول الله ﷺ الذى يزعم منه أنف أبى رية ، وفى التل : لم يجدوا للورد عيبا فقالوا له : يا أحرار لنفدين

واشتهر أبو بكر بكنته ، وكثير من الناس لا يعرف هل اسمه عثمان أو غيره ، وأنا من هذا الكثير ، فهل يفسر هذا أب بكر الصديق وقد طلعت كنيته مع الشمس وسارت معها شرقا وغربا

يهزأ أبو رية بأبا هريرة بأنه عاش فقيرا ، وخدم فى قبة عيشه ، ونزل الصفة منزل . فقرأ المهاجرين ، وأنه لازم رسول الله ﷺ أو صحبه كل مل . بطله . فبالعوب . أبى هريرة عند أبى رية ! لماذا لم يخلق غنيا ؟ ولماذا يخدم بقبة عيشه ؟ ولماذا يأكل طعام رسوله ﷺ بدعوته إليه ؟ أليس إن كانت هذه عيوب رواة حديث رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أبو رية فليس فى الدنيا شيء . عنده إلا معيب إلا طيفة الاستغفارطين والترفين وأعداء الرسل والأصالح فى كل زما الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين . الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول لغرورا ﴾ ، ﴿ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرمين ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم ﴾

قال أبو رية (ص ١٥٥) : وسجل التاريخ أنه كان أكولا نعا يتكلم كل يوم فى بيت

التي عليه السلام أو في بيت أحد أصحابه ، حتى كان بعضهم يفر منه .
ونسأل الكذاب للفقير أي تاريخ هذا ؟ أتاريخ عبد الحسين الرافضي ؟ أو تاريخ
جبل زهير اليهودي عدو الله ورسوله والناس جميعا ؟ أم تاريخ ابن الكلبي في مثالب
الصحابية ، أو تاريخ لوط بن خنث الكذاب . وهب أنه تاريخ صحيح ، فهل في كتب
الجرح والتعديل أن الأكل والتهم زُده رواية صاحبه ؟ قرأت مقدمة تقريب التهذيب
في مراتب الجرح والتعديل التي أعلاها : ثقة حافظ ، ثقة إمام ، ثقة ثقة وآخرها : كذاب ،
وضاع ، يضع الحديث الخ ، وليس في واحدة منها التهم وكثرة الأكل ! ولو أن شاعدا
عدلا شهد أمام قاض ويجرحه للشهود عليه بأنه أكل نهم لضحك القاضى والحاضرون
من حاقة الجارج ، وقالوا له ليس نهم وكثرة أكله يجرحه في عدلته
ومثل ذلك استفراؤه الرجل الآية لينقلب به وبطعمه ، قال أبو رية : ومن أجل ذلك
كان جعفر هذا في رأى أبي هريرة أفضل الصحابة جميعا ، قدمه على أبي بكر وعمر
وعلى عثمان وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم جميعا
بالقائم والفقير ، من أجل قول أبي هريرة في جعفر « انه كان خير الناس للساكنين »
يكون هذا تفضيلا له على أبي بكر وعمر وثمان . هكذا يذهب المعوى والمقد
بأهله حتى تنفخ قلوبهم على أهل الخير . وقول أبي هريرة في جعفر بن أبي طالب ذى
الجانحين وحبيب الساكنين : ما احتذى الصالح ولا ركب اللطايا ولا وطئ التراب بد
رسول الله عليه السلام أفضل من جعفر بن أبي طالب ، اعتراف بالعرف والقرار بالجميل ، ومثله
قول رسول الله عليه السلام « خير نساء ركني الأبل صالح نساء . فريش أسلمه على ولد في صفه » ،
وأرعاة على زوج في ذلت يده .
وحسبنا في فضل أبي هريرة أن يلزمه التالي الشيء في كتابة ثمار القلوب كما نقله
راوية مثالب الصحابة أبو رية في كتابه (ص ١٥٦) ، والرافضي عبد الحسين (آخر
ص ١٥٧) ، ولأبي هريرة أن يحتل بقول الأول :
وإذا أنتك مذمتى من ناقص فعلى الشهادة لى بأى كامل

أو يقول الآخر :

إذا رضيت عنى كرام مشيرى فلا زال غضبنا على ثنائها
والعجب من أبي رية الذي يشكك في كتب الحديث ودواوين الاسلام بمثل هذه
التقول عن التالي وعبد الحسين الرافضي ويصدق أمثال هذه الرقودات للفتنة الجائفة
وهب أن أبا هريرة كان يحب المضيرة كما ذكره هذا الكذاب للفقير ويأكلها مع
مماوية ويصل مع على ، فأى جرح في هذا أيها اللبئى خيلار خلق الله تعالى أن يحب
سوى مماوية ويصل مع على ويهرب عن قتال المسلمين فيطهر سبته من دماهم كما فعل
عبد الله بن عمر وأمثلة
ولقد عاب للشركن على رسول الله عليه السلام « وقالوا لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشى في الأسواق » وأجاب الله عنه بقوله « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا
خالدِينَ . ثم صدقهم الوعد فأتيناهم ومن نشاء وأهلكنا للمشرقين »
ألا قليل أبو رية أنا نخب الحلوى وكل طعام طيب ، ونحب من يطعمنا ذلك ونهى
عليه . سواء كان مماوية أو غيره ، ونقول لبئس أبي هريرة ومماوية رضى الله عنهما
وغيرهما من خيار صحابة النبي عليه السلام ما قاله الأول :
وناطح صخرة يوما ليوهنا فلم يضرها وأوى قرنه الوعل
وأما تعلقه على حديث « زر غيا تزد حيا » في آخر (ص ١٥٨) بحسبه على الله
فيا تقول على أبي هريرة . وأنهم بأبي هريرة أن يكون موضع عنابة رسول الله عليه السلام وتأديبه ،
ولا ليت لنا مثل هذا التأديب ولو بالغرب ونسكون قد رأينا رسول الله عليه السلام مؤديا لنا أو
رأينا من رآه من خيار أصحابه
وذكر مزاحه وعذره (ص ١٦١) وعدد بينها حله لحزمة حطب وهو يومئذ خليفة

لمروان على إمارة المدينة ، ويقو : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك
ما أعذب هذا الزلج ، وإن دمت منه هينا أبي رية . نائب الأمير يحمل حزمة
المطرب ولا ينسى أنه أمير . أقدم أكثر من أمثال هؤلاء الأمراء للزاجين ، وإن اغتاض
منهم عبيد الأرسطراطية من أمثال أبي رية وأشباهه من الرافضة كعبد الحسين وأمثلة
وقال أبو رية (ص ١٦١) : وقد كانوا يشكون بروايته ويتندرون عليها . وذكر
قول القرشي لأبي هريرة هل سمعت رسول الله يقول في حلق هذه شيتا ؟ تذكر له قوله ﷺ
أن رجلا من كان قبلكم بينا هو يتخترق حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل
فيها حتى تقوم الساعة . وبدا لأبي رية أن الرجل لم يكن مستغها وإنما كان متكئا إذ لم يقل
له أنك تحفظ أحاديث ، وإنما قال تكفر الحديث عن رسول الله ﷺ . قال أبو رية : وسبق
الحكاية يدل على أنه كان يهزأ به ويستهزئ منه !

وقول لأبي رية : إن هذا منك غن واقتراف على السائل ، حاك عليه بنض أصحاب
رسول الله ﷺ الذي ورثته عن أجدادهم من الرافضة وأمثال جوفه زهير اليهودي عدو
الاسلام ، والحساب يوم القيامة بين يدى الله تعالى ، فهل تأذبت يا أبا رية بقول الله تعالى
(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)
ولكن الهوى وأتباع غير سبيل المؤمنين يأتي بالصعيب العجيب

سجل سينتأبى هريرة عند أبي رية أنه كان أكلوا نجا يحب مضيرة معاوية ويصلى
وراء على ويهرب في الليل عند قتال أهل الصفين ، يعني أنه كان محتاطا لدينه فلم تنزه
حلاوة مضيرة معاوية بالصلاة وراهم بل محتاط لدينه ويصلى وراء على ، واحتاط لدينه فلم
يلوث سيفه بدماء المسلمين للقتالين من أصحاب على أو معاوية ، فأكرم بذلك الاحتياط للدين .
وكان مزاحا يحمل حزمة المطرب وهو نائب أمير المدينة ويقول : أوسوا الطريق للأمير .
فله حرد من مشايع لم تنطقه نيابة الإمارة ولم تبطر النعمة ، ولا نسي التواضع لله تعالى ولم
يتكبر على إخوانه المؤمنين

أما حب الأكل فكنا نحب الأكل ، وأما الله صلوات الله عليهم أجمعين الله
جدا لا يأكلون الطعام . ولت شرى هل سلم أبو رية من تبهة الجوع ؟ والأكل المهم
إنما نحب الطعام الطيب ولقول فينا أبو رية ما شد

ولت شرى ما يقول أبو رية في خروج النبي ﷺ من داره من الجوع ، وخروج أبي
بكر وعمر إلى ذلك ، وذهابهم إلى بيتان أبي التيهان وقطعه الرطب والبسر ووضه أمامهم
قال لتخيروا من رطبه وبسره وذهب يستحب لم لاء ، فنهاه رسول الله ﷺ أن لا يذبح
حامل ولا ذات حر ، وشوى لهم فأكلوا وشربوا وقال لم رسول الله : هذا هو النسيم
الذي كساؤن عنه ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولتأكلن يومئذ عنبهم ﴾ وأقسم على ذلك

كثرة أحاديث أبي هريرة ١٢٧

قبل أن نخوض في الموضوع نعرض لذكر أبو رية (في ص ٣٠) عن وعيد عمر
لكعب إذا لم يترك الحديث ليبلغه بأرض القردة ، وذكر هنا (ص ١٦٣) أن هذا
الوعيد قاله عمر رضي الله عنه لأبي هريرة ، فأبى الخبرين نصدق ما في (ص ٣٠) أو ما في
(ص ١٦٣) ؟ وهل الوعيد بالثبني إلى أرض القردة لكعب أو لأبي هريرة ؟

وقدنا قيل « إذا كنت كذوبا فكأن ذكورا » ولكن أبا رية كذب وغير ذكور
(وقد روى أن هذا في أبي هريرة وعزاه إلى البداية والنهاية وليس بصحيح) ولا تنس
ما نسب لسمر (ص ١١٨) من السقوط في حوة شرك التوسل بالعباس وشبهه عنه بعد
ثلاثة أسطر (ص ١٧) أن عمر لم يقع في التبع الذي نصبه له هذا اليهودي

قل لي برك هل لأبي رية ذاكرة تنى النقي والأثبات لشي . واحد في صفحة واحدة
وبين النقي والأثبات ثلاثة أسطر ، نقي وإثبات لشي ، واحد في شخص واحد في آن
واحد ، أم هو عي البصيرة جزاء من يقع في خيار الخلق وسلف الأمة وسلك غير سبيل
للمؤمنين أن يضلل الله سعيه فلا يدري ما ينبت عما فاه ولا ما ينبت مما أجه ، (ومن لم يحبل
الله له نوراً فاه من نور)

وقتل (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقي بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ حديثاً روى البخاري منها ٤٦٦ حديثاً. فاقسم وأكرم بالإمام أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد حافظ الأندلس وإمامها ونقزها ، وبالبخاري خير المشرقين حفظاً وجلالة قدر ، وبأبي محمد بن حزم إمام أهل الظاهر بالأندلس وصاحب الصفات اللينة النافذة ، فمن الناس غيرهم ؟ أبو رية حثالة القرن الرابع عشر الذي جاء يتشبه بأعداء الاسلام من أشباه جولد زهير ؟

قال أبو رية (ص ١٦٣) : أنزعت كذبة رواية أبي هريرة عمر بن الخطاب فضره بالسرقة وقال له : أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ ، ثم هده وأوحده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ فإنه ينفخ إلى بلاده . هـ

والجواب : أين السند لهذه القرية ؟ قال ابن البسار : ولا الاسناد لقائل من شاء ما شاء.

ثانياً - سلمنا أن لهذا الكلام أصلاً ولو في سراب بتيمة ، وإن كان لقصة عمر مع أبي هريرة ظل من الخيال والوهم فلعمري رضي الله عنه سياسته وأسلوبه في الإصلاح ، واجتهاداته التي يتحرم عليه من أجلها ولا يقلد فيها جديلاً بالاستثناء ، فقد نعى عن السنة والقرآن في الملح ليكثر زوار بيت الله الحرام ، وقد جاء الكتاب والسنة الصحيحة بشرحها ، وإني للجب أن يقيم ولو لم يجد للماء شهراً ، وإني أن تكتب الصحيحة التي طلب رسول الله ﷺ كتابتها في مرض موته وقال : إن رسول الله ﷺ هر من شدة المرض ، وقال ابن عباس : إن للصبي كل الصبي فيما منع رسول الله ﷺ من كتابة ما كان يريد أن يكتب ، ولا تقول بقول ابن عباس إن في ذلك مصيبة ولا شبه مصيبة ، إنما كانت تأكيداً لا سبق منه ﷺ سراً لأمثالها ، ومنها وقف سواد البراق وحرمنا قاتحيه من أسهمهم منه حفظاً لمن يأتي بعد ذلك من ضغاء اللعين ، ومنها

إنكاره على حسان إنشاء الشر في السجد النبوي وسكت لا انشهد حسان بأبي هريرة أنه كان ينشده في السجد وفيه من هو خير من عمر - يعني رسول الله ﷺ - ومنها حديث أبي موسى في الاستئذان واستغفره عمر حتى أيد أبا موسى فيه أبو سعيد الخدري واعتذار عمر بأنه المأه الصنف في الأسواق يعني كسب اللبنة ، ومنها تضارب اجتهاداته في ميراث الجدة مع الإخوة

فلنسر اجتهاده ، وظنه في أبي هريرة وفزعه من كثرة رواياته ، وللسلمين جميعاً أن يصدقوا أبا هريرة ومخالفوا عمر كما خالفوه في كثير من اجتهاداته اثباتاً لا ثبت في السنة الصحيحة ، وحينئذ منه مصاحبا كبيراً وسياسياً عظيماً وعزاً للإسلام بإسلامه وخلافته ونصحاء ولرسوله ولخليفته أبي بكر وإن شرف بريقه بمنصوه من الرافضة . ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وقول لأبي رية : هل تقبل حديث غير أبي هريرة فتبون للمصيبة ، أم ترة الجمع فتعظم مصيبة المسلمين بك وبزعاماتك ؟

قل الأستاذ أبو رية (ص ١٦٣) عن ابن عساکر عن السائب بن يزيد تهديد عمر لأبي هريرة - إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ - أن يلحقه بأرض دوس أو بأرض القردة . والعجب من أبي رية يريد جرح أبي هريرة بما ينقل من تاريخ ابن عساکر ، فهل يعرف أن تاريخ ابن عساکر وتاريخ الخطيب وأمثالهما عش للوضوعات ، فهل تهديم حصونا مشيدة ربما يبيض المصانير والدجاج ، أو هو الجبل والموى مجتمعين في تقاد الأحداث في القرن الرابع عشر أبي رية ومنهم الصادقين من رواة الحديث وحمة الدم النبوي رضي الله عنهم وأرضاهم وقضا بلوهمهم وروايتهم

وقول السيد رشيد رضا رحمه الله (كما نقله أبو رية ص ١٦٣) لو طال نمر عمر حتى مات أبو هريرة لا وصلت الياتك الكثرة الكثيرة ، فنقول لها ما : اختيار الله له الذي أكمله لنا وإرضاه لنا بإطلاعه عمر أبي هريرة بعد موت عمر حتى روى لنا هذه الأحاديث الكثيرة خير من الله وأبين لشرعته وسنته

ونحمد الله تعالى مع السيد رشيد رحمه الله على أن مشكلات أحاديث أبي هريرة رضى الله عنه - إن كان فيها مشكل - لا يتوقف على شيء منها اثبات أصل من أصول الدين ، ووجود مشكلات عند بعض الناس في أحاديث أبي هريرة لا يضيرها ، فقد استشكل بعض الناس شيئا من القرآن وتشابه عليهم ، ولن يضيره شيء من ذلك ، قد قال الله تعالى ﴿ هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾

ودعوه على أبي هريرة (ص ١٦٤) تسويغ كثرة أحاديثه بأنه ما دام لا يحمل حراما ولا يحرم حلالا فإنه لا بأس من أن يروى متאיذا بأحاديث رخصها النبي ﷺ من رواية الطبراني في الكبير مرفوعا « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم للمنى فلا بأس » وحديث « من حدث حديثا هو لله عز وجل رضا فأننا قلته وإن لم أكن قلته » نقله عن ابن عساکر في تاريخه - وفي الأحكام لابن حزم مرفوعا « إذا حدثت عنى بحديث يوافق الحق تغذوا به ، حدثت به أو لم أحدث » و « إذا بلغك عنى حديث يحسن في أن أقوله فأننا قلته ، وإذا بلغك عنى حديث لا يحسن أن أقوله فليس منى ولم أقله » أبا مثال هذه للفتنات وللوقوذا لليات الجائفة الفتنة تخرج أبا هريرة وتشكك في دواوين السنة أيها الضال الجاهل للفتنى ، فآله حسيك ولا حول ولا قوة إلا بالله

رميه لأبي هريرة بالتدليس س ١٦٤ - ١٦٥

وتدليس أبي هريرة عندهم أن كثيرا من أحاديثه سمعه من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فيقول : قال رسول الله ﷺ ثقة بنى حديثه من أكابر الصحابة قبل الفتنة وظهور الكذب ، كما قال ابن سيرين : كانوا لا يسألون عن الإسناد قبل الفتنة ، فواقمت الفتنة قالوا : هاتوا إذ كروا لنا منكم أو من حديثكم . فأبى عيب على أبي هريرة إذا وثق بمثل أبي بكر وعمر وأمثالهما في الحديث عن رسول الله ﷺ فحدث عنها بما حدثناه من غير ذكر لها

هذا أبو ريرة يسب على أبي هريرة ثقته بمن وثق به من الصحابة فحدث عنهم ، وأبو ريرة يذكر عن تاريخ ابن عساکر وعن الطبراني في الكبير وهو لم يرها أبينه وإنما ينقل عن نقل عنها ، ثم يأتي بعد ذلك يسب على أبي هريرة ثقته بكبار الصحابة ويذمه بذلك ، فهل قرأ أبو ريرة آية ﴿ ويل للمفتنين الذين إذا اختلفوا على الناس يستوفون ﴾ الآية

نقل (ص ١٦٥) عن مسلم بن الحجاج عن بشر بن سعيد قوله : لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ومحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم ، فسمع بعض من كان معنا يحمل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ . وفي رواية : يحمل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ وما قاله رسول الله ﷺ عن كعب ، فافقوا الله وحفظوا في الحديث . ١٥

وأبى ذنب على أبي هريرة في أن يحدث بالصواب فيخلط سامعه فيها حدث به ، هل يحمل وزر غيره عليه والله يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، أم ذنبه أنه حدث عن كعب مع ذكره أنه عن كعب ، أم هو الإتيان بالزور والبهتان وتطويل الكتاب بهذه القهات والانهابات الباطلة ؟

سأق أبو ريرة هذه القصة عن مسلم جرسا في أبي هريرة ، ولو كانت جرسا يا أهل الانصاف لما روى مسلم عن أبي هريرة هو وغيره حديثا واحدا ، أما مرويات الأئمة مالك والشافعي وابن عينة وأحمد والبخاري ومسلم طائفة بأحاديث أبي هريرة ثقة به وإيماننا بصدق حديثه فليضرب أبو ريرة رأسه في صندوق الجبال

أول رواية اتهم في الاسلام س ١٣١

نقل أبو ريرة عن ابن قتيبة في كتابه مختلف الحديث أن أبا هريرة لما أتى من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين اتهموه وأنكروا عليه وقالوا : كيف سمعت هذا وحده ، ومن سمعه منك ؟ وكانت عائشة أشد منهم عليه لفظا

الأيام بها ربه . وعن إمام أبي هريرة بالكذب عروحيان وعلى ، وبذلك كان قال الثانية مصطفي صادق الرافعي : أول رواية إمامهم في الإسلام هـ (ص ١٦٦) . أنا لا أتق بنقل أبي ربة عن ابن قتيبة^(١) فإنه موقوف من أبي هريرة بما وروث عن أشباهه من الرافضة بنض رواية الحديث النبوي ، ولتتبع كافي ربة إذا ثبت عليه الكذب - كما سيأتي في تحريته النقل عن ابن كثير - لا يتقبل قوله ، ولو صح أن ابن قتيبة قال إن الصحابة السابقين الأولين أتهموه ، وأن عمر إمامهم أبا هريرة بالكذب ، لو صح أن ابن قتيبة قال ذلك لكذبنا ابن قتيبة ومن قبله كافي ربة والرافعي ، فكذب هؤلاء . أصوب وأهون من تكذيب صحابي جليل كافي هريرة حفظ الله به على الإسلام ما حفظه من أحاديث نبويه

حسدوا النبي إذ لم يتألفوا سمي . فالشكل أعداء له وعصوم وزيد بجاسديه أبارية وأمثاله ، لاجلة الصحابة فقد برأهم الله من اللحد

أما دخوله بين أبي هريرة وبين عائشة (آخر ص ١٦٦ ، وأول ص ١٦٧) ثم ص (١٦٨) وقول أبي ربة عن أبي هريرة : وردة عليها لا أنكرت عليه ردا لا أصب فيه في زعم أبي ربة ولا وقار بأنه شغلها عنه عليه السلام للمرأة والكسفة ، وفي رواية ما كانت تشغلي عنه للكسفة والخصاب ولكن أرى ذلك شغلك . ثم عاد أبو ربة فزعم أن أبا

(١) اطلع أحد الأفاضل على هذه الفقرة فكذب ما يأتي :

عبارة ابن قتيبة (١ : ٢٧) في سياق مقالات النفاثم :

« وذكر (النظام) أبا هريرة فقال : أكذبه عروحيان وعلى وعائفة . . . ثم قال ابن قتيبة ص ٤٨ :

« وأما طمته على أبي هريرة بتكذيب عروحيان وعلى وعائفة له فإن أبا هريرة صحب رسول الله ﷺ فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت به من صحبه من جلة أصحابه . . . أتهموه وانكروا عليه . . . فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله ﷺ أمسكوا عنه .

فراعم التكذيب هو النظام

هريرة عاد تشبه بأنها أعلم منه ، وأن المرأة والكسفة لم يشغلاها ، ذلك أنه لا روى حديث « من أصبح جنبا فلا صوم له » أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : إن رسول الله كان يدركه التبر وهو جنب من غير احتلام فيقتل ويصوم ، وبعت إليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، ثم يسه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخداء وقال : إنها أعلم مني ، وأنا لم أسمعه من النبي وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، فاستشهد ميتا ، وألوم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ﷺ ، كما قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث . هـ

ويقال لأبي ربة : أنت هو قليل الأدب والوقار والاحترام لأصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم عنك ص ٦٢ ، قليل الأدب والوقار هو أبو ربة ، وضفته على الصحابة ومنهم أبو هريرة وحقد عليهم يفيض من قلبه ويبيل على قلبه ، فقد وروث ذلك عن أعداء الإسلام جولد زهير والرافضة والزبدى بل الرافضي ، ويتناقض ولا يحس بتناقضه . وقد سبق لنا بيان شيء من ضفته على أصحاب رسول الله ﷺ في ص ٦٢ ، ولو صدر هذا عن دعاة الديانات الأخرى ومبشرها لكان كثيرا ، فكيف يصدره عن منسوب إلى الإسلام . وقد قل في حاشيته ص ١٦٧ أن التهمة عن اختلاف الحديث للشافعي - ولعل أبارية لم يره - أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنبا فأنظر ذلك اليوم ، فقد قال ذلك أبو هريرة ولم يره . فلي عليه السلام ، واعتذر أنه سمع ذلك من الفضل بن عباس لحسن النقل به وقال بقوله

ثم يأتي بعد ذلك أبو ربة بمنض الصحابة ومنهم أبو هريرة فيزعم زورا وبهتانا على أبي هريرة أنه عزا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وأنه استشهد ميتا هو الفضل بن عباس

فانظر كيف يحمل بنض الصحابة أبارية من على افتراء عليهم . والقصة كما نقلها أبو ربة من اختلاف الحديث للشافعي وهي كذلك في موعا الإمام مالك أن أبا هريرة جنى برأى للفضل بن عباس فأفنى به ثم تبين له من أمم الناس بحال رسول الله في مثل

هذه للساعة من أحكام الجناية والدموم والنسل بعد التجر ، فرجع إليه واعترف به ، وليس في ذلك إلا الاذعان للحق من أهله ، وليس فيه استخذاء أبيه الوقع السفيه . فالمسألة كثيرة الوقوع ، يبقى الصواب رأى عن اجتهدتم تبينه السنة فيقاد لها ورجع عن رأيه واجتهد به ولا ذل هناك ولا استخذاء إلا عند السفيه أعداء . رسول الله ﷺ وأصحابه ، إن أبا هريرة لم يروم الناس أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ كما زعمته عليه في هذه الدعوى ، وأنت منهم في النقل ، قد جربنا غشك فيه عندما قلت عن ابن كثير فيما حدث به أبو هريرة في سدأجوج وأجوج ، وانتهت أبا هريرة بأن ابن كثير اتهم أبا هريرة أنه حدث به عن رسول الله ، وإنما سمعه من كعب ، ورجعنا إلى ابن كثير وإذا هو ينسب الزعم فيه إلى من سمع أبا هريرة لا إلى أبي هريرة كما سيأتي ذلك مفصلاً في موضعه

وكذلك قللك (ص ١٦٨) عن علي رضي الله عنه أنه كان سمى الراى في أبي هريرة وقال عنه إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة ، كذب مفضوح أخذه عن عبد الحسين وأمثاله من الرافضة ينقض أصحاب رسول الله ﷺ وقلنا سابقاً في المتن : أكذب وأبده شاهدك وكيف سأل لى أن يسكت على أكذب الناس على رسول الله ؟ أما كان له حيس أو تمزير أو قتل أو صلب أكذب الناس على رسول الله ﷺ ؟

وقد أثبت الجرح والتعديل والتاريخ الصحيح أن غلاة الشيعة الذين ينشبهون لعل هم الذين أسندوا علم على بمفترياتهم عليه ، وعلاء الحديث لا يقولون عن علي إلا ما رواه ثقات أصحاب ابن مسعود الأسود وطبقته

وقول أبي هريرة «حدثني خليل» يبنى الله ﷺ لا تسكون شيئ إلا في خلق الرافضة وغلاة الشيعة ممن يبنضون أبا هريرة والصحابه وبالتالي يبنضون نبي الاسلام ومن معه وحديث غسل اليدين اذا استيقظ النائم فانه لا بدري أين باتت بده لا يفتره توقفه خاصة فيه إن صح عنها هذا التوقف من غير طريق السكذابين الذين يقدمهم أوريه

ولا عذر لثائفة في مهراسها فيكبتها أن تتعرف منه باناء صغير أو إدارة ولا يخالف نعى رسول الله ﷺ

والدعوى على الزبير (آخر ص ١٦٨) أنه لما سمع أحاديث أبي هريرة قال صدق وكذب ، من نوع أشاعوا من اللقيطات ، وتراجع لذلك البداية والنهاية (ص ١٠٩ ج ٨) فأبورية غير مأمون في النقل ولا برى . من تحريف السكلم عن مواضع كساداته من اليهود أمثال جولد زهر ، وسأنيك مثال لذلك في موضعه حينما قل به ما يظنه شاهدا في جرح أبي هريرة ، ومعى عما هو عليه أن التلطف بمن سمع من أبي هريرة

ونقله عن مختلف الحديث عن أبي حسان الأعرج عن عائشة قولها عن أبي هريرة إنه كذب في حديث إنما الخيرة في الزارة والفاية والدار (اول ص ١٦٩) يراجع مختلف الحديث في ذلك ، فإن صح النقل عنه فيكون مثل حديث من الأحاديث التي توقفت فيها عائشة ، مثل حديث عذاب الميت بالبكا . عليه وحديث أهل قليب بدر « ما أتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » وحديث قطع الصلاة بالمرأة والسكيب والحار وأمثالها ، تضعفها رضى الله عنها فيما روت ونحالفها فيما ردت من أحاديث الثقات رضى الله عنها ونقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وسيجنبون يوم القيامة على الصراط على قطرة الصفا ويعصى ما بينهم من خصومة ويدخلون الجنة إخوانا على سرر متقابلين

ونقول للرتاب في سنة رسول الله ﷺ : إذا محونا أحاديث أبي هريرة من دواوين الاسلام فهل تقبل أنت أحاديث غيره كأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة والخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة - إن قبلت أحاديث هؤلاء هان الخطب في شكك في أحاديث أبي هريرة ولم ينقص من الدين شيء كثير ، وإن كان السكبل عندك سواء فأبعدك الله عن دين الإسلام وعن سبيل المؤمنين ، والخلفك بأعدائه جولد زهر وانضرا به

وحديث « من غسل ميتا فليقتل ، ومن حمله فليتوضأ » إن كان اسكره ابن مسعود

وقال فيه قولاً شديداً كما روى أبو رية (ص ١٦٩) فقد قبله العلماء وترصوا على ابن مسعود الذي عاش يرى تطبيق السكتين بين الركنين عند الركوع ويقف إماماً صفاً واحداً بين مأمومين وصحت السنة بخلاف عمله في التطبيق ووقوفه مقام مأمومين ، وأخذ العلماء بحديث النسل من غسل لليت والوضوء من حله وجوبا أو استحباباً ولم يثبتوا إنكار ابن مسعود له إن صح هذا الإنكار عذراً في مخالفة الحديث ، كذلك حديث الاضطجاع بين ركعتي التجر وصلاة التجر أخذ به العلماء ، منهم من أوجبه كإبن حزم وأبطل صلاة من لم يعمل به ، ومنهم من استحبه لحديث عائشة : أن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة اضطجع حتى يؤذن للؤذن ، ولا ضير على أبي هريرة في روايته لحديث روله فأذله كما سمعه وإن استغربه بعض ، على أن لفظ الأمر بالاضطجاع استكره ابن التيم من رواية عبد الواحد بن زياد البصري فبرئ منهم أبو هريرة ، وأما أبو حنيفة فلو لم يستشهد به أبو رية في التفكير على أحاديث أبي هريرة إكسان خيراً لأبي رية ولأبي حنيفة نفسه ورحم الله من رأى عيباً فستره ، ولسنا سنضطر للذكر شيء عن أبي حنيفة ما دام قد زج به أبو رية فيمن أنكر على أحاديث أبي هريرة (أكثر ص ١٦٩ وأول ص ١٧٠) فلا بد لنا من كلمة عابرة في ذلك ليظهر الحق من الباطل :

(أولاً) قيل حديث أبي هريرة من الأئمة مالك والثروري وابن عينة والحادان ابن زيد وابن سلة وأحمد بن حنبل والثاني والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي فمن يعدم من علماء الحديث ، فمن الناس يعدم ؟ ومن أبو حنيفة بجانب هؤلاء الأئمة بمجوعهم وهو لم يدرك شأوم في هذا ، وحديثنا في أبي حنيفة قول صاحبه ابن المبارك : كان يتنبا في الحديث . وقول مالك فيه : رأى أبي حنيفة الماء المضال . وقول الثوري أو غيره فيمن استشهد بأبي حنيفة : أخطئ على غير مل.

وتاريخ الخطيب البغدادي استوفى كلام الناس في أبي حنيفة قدحاً ومدحاً ، ورجع قول جاريه ، وأشار الحافظ ابن عبد البر في كتابه الانتقاء إلى شيء من ذلك

ومن لطيف ما يروى عن أبي حنيفة في رد حديث «اليمان بالخيل مالم ينفقها» قال : أرايت أن كانا في سفينة ، أرايت أن كانا في سجن ، أرايت أرايت من أشال الترهات التي لا ترو بها الأحاديث . وقال ابن عمر بن روى له حديثاً فقال : أرايت أن كان كذا ؟ اعتذرا لعدم السبل بالحديث ، فقال له ابن عمر : أجل أرايت بأعين . يعني وأعمل بالحديث قدر ما تستطيع

وروى لأبي حنيفة حديث «إذا بلغ الماء قلتين لم يجمل الطيب» قال أبو حنيفة : من أصحابي من يقول قلتين - ولا ندري يريد جمع بول أحد أصحابه في أسبوع أو في شهر حتى يتجمع منه قلتان . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) ، واغفر لأئمة الاسلام ، وحلة العلم النبوي

ونريد ما سبق لنا فنقول لأبي رية : هل ترفض أحاديث أبي هريرة خاصة أو سائر احاديث الصحابة عامة ؟ فان رفضت الجميع فسيهلك سبيل أعداء الاسلام من الرافضة والمشتريين والبشرى للترتقين من التشويش عليه ، وإن رفضت احاديث أبي هريرة وحده هان الأمر وكانت خصوصتك يوم القيامة معه ومع من شوتت عليهم في أحاديث هذا الصحابي الجليل ، وإن غداً لناظره قريب

وقول إبراهيم النخعي عن اصحابه إليهم كانوا يدعون من حديث أبي هريرة (ص ١٧٠) ، وقوله الآخر ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، واصحاب إبراهيم هم أهل الرأي جماعة أبي حنيفة ، وهله عن أبي حنيفة (ص ١٧٠) عدلة الصحابة ما عدا رجلاً واحداً منهم أبا هريرة وأنس بن مالك ، إن صح هذا النقل عن أبي حنيفة كان جبرافيه ولا ينفضه قول أبي رية إنه ولد في المائة الأولى سنة ٨٠ ، ودعواه أنه أدرك الصحابة كل هذا لا ينضم ، فالروافض ولدوا في المائة الأولى ، وعبد الله بن سبأ اليهودي أدرك علياً والصحابة ، وكذب الأخبار وذهب بن منه والذين شهرت بهم أدركوا الصحابة

فا ضمم ذلك عندك . إن ولادة أبي حنيفة في الليلة الأولى ودعوى من ادعى له إدراك بعض الصحابة لم تمنع جرحه أن يقولوا فيه كاد ينقض عرى الاسلام عمدة عمدة ، ولا من قال فيه رأي له الماء العسال ، ولا أنه كان يقيا في الحديث وأنه مفلس غير ملي . ولا أهل للحولة عليه إلى آخر ما ذكره عنهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، وابن عبد البر في كتابه الانتقاء ، فضلا عن تواريخ البخاري الثلاثة وكتب الضعفاء والنسائي وغيره

(لطيفة) : عن أبي حنيفة أنه جلس إلى حلاق يتحلل من نكح ، فقال للحلاق : تتبع الشعر الأبيض يني بالخلافة . فقال له الحلاق : إن ذلك يكثرك ، فقال : إذن تتبع الأسود له يكثر . فذكر ذلك لسفيان الثوري أو غيره فقال : لو كان يترك قياسه لتركه بين يدي الحلاق

ومثل ذلك ما نقله عن أبي شامة عن الأعمش أن ابراهيم كان يصيح بالحديث ، وأنه كان يتوقف في أحاديث أبي صالح عن أبي هريرة (آخر ص ١٧٠ وأول ص ١٧١) . وقول ابراهيم : انهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه - يني أبا هريرة - فإن حديثه الذي تركه أهل الرأي أخذ به الأئمة السكبار الثوري وابن عينة ومالك والشافعي وأحمد والشافعي والبيهقي ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وخيار الأمة ، فمن الناس بدم ؟

وأما الإسكافي في نقله عن شيوخه (ص ١٧١) أن أبا هريرة مدخول عندهم فحسب الإسكافي ما يحسنه ، ما له ولجرح الصحابة ؟ فإن الذين أجروا كانوا من القرن آمنوا يضحكون . وإذا انقلبوا إلى أعليم انقلبوا فكهن . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء بضانون وما أرسلوا عليهم حافظين . قالوا الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟ ولا يزال الناس يقع شرارهم في خيارهم فما يضر ذلك خيار الناس ؟

وما نقله (ص ١٧١) عن الثعلبي السارلاني الأثير أن رواية أبي هريرة شك فيها قوم لكثرتها فهذا من أبلال النقل عن الإسكافي وأمثاله ، وعبد الحسين وأضرابه وجولده زهير اليهودي وأشباهه ، « والضد يظهر حسنه الضد » ولولا ظلة الليل ما عرفنا فضل ضوء النهار ، ولولا نقي الروائح الخبيثة ما عرفنا طيب الروائح الطيبة ، ولولا الطيبات من الملابس والأطعمة والأشربة ما عرفنا نعمة الله علينا فيما حرم من الخبائث في الطلومات واللبوسات والتكاح

وقال (ص ١٧١) : أنكر الصحابة على أبي هريرة كثرة روايته ، وذلك لأن الاكتار لا يؤمن به ، اختلاط الضبط الذي لا يرض لمن قلت روايته . هـ

وغيرها الراشون إلى أحبا وتلك شكاه ظاهر عندك عارها

وقد بين أبو هريرة سبب كثرة روايته بقوله : أما اخواننا من المهاجرين فقد ألهام الصنف في الأسراق - يني الناس الرزق بالتجارة - وقد اعترف بذلك عربن الخطيب في اعتذاره عن فواته حديث الاستئذان الذي ذكره له أبو موسى الأشرى ، وأبدى في ذلك أصغر الصحابة حينئذ سنا أبو سعيد الخدري . قال أبو هريرة : وأما إخواننا من الأنصار فقد شغلهم العمل في نخلهم ، وكنت أؤتم رسول الله ﷺ على مله . يعني (رضي الله عنه) وقد عد أبو ربة ذلك جرحا في أبي هريرة ونعا ونقلنا ، وحاشاه رضي الله عنه من ذلك ، وإنهم أبي هريرة وجه للأكل - إن صحت تهمة أبي ربة عليه - فليزعدنا من قساعة الرافضة وزهدهم إن كان لهم قناعة وزهد ، ومن ألف من أمثال أبي ربة البهات

وسألة المرأة التي ذكرت في مجلس الرشيد وتنازعهم فيها إلى علو الأصوات ، واحتجاج بعضهم فيها بحديث أبي هريرة ورد بعضهم الحديث وقوله : أبو هريرة متهم فيها برويه ، ونما نوحم الرشيد ، ذلك كله ما يشرف أبا هريرة ، فليس الرشيد من رجال الحديث ، ولا هو ممدود من أمة التنوى ، والذي انهم أبا هريرة له أبو نواس مضحك الرشيد ، وأبو يوسف أرفع من أن ينهم أبا هريرة وهو يستشهد بحديثه في الفرائج وغيره ،

والحكاية كلها رواية عن بن بيه : منكر الحديث ، ومنهم أبي هريرة ، وراوى الحكاية أقيمئل هذه الحكايات الباطلة يبرح أصحاب رسول الله ﷺ ويشكك في رايانهم ، وقد أنزل الله توبيخهم في كتابه العزيز من فوق سبع سمواته ﴿ كن خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يصلون فضلاً من الله ورضواناً سياماً في وجوههم من أثر السجود ، ذلك لمن في التوراة ومنهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع لينظ بهم الكفار ﴾ وأصحاب رسول الله ﷺ يفتاظ منهم الكفار ، فقد رفع الله شأنهم في التوراة والإنجيل والقرآن . وصدق الله العظيم ، لقد استأظ الكفار حقاً من الإسلام وحامليه من أصحاب رسول الله ﷺ كما سترى فيما قاله أبو رية عن عدو الإسلام جولد زيهير وأشرابه شيرنجير وأصحاب دائرة المعارف الإسلامية . وغيرهم عن يمترون بسبب الإسلام والنشوبه بأهله من اليسرين والمستشرقين

قال أبو رية (ص ١٧١) وقال جولد زيهير : ونظيرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضنسنا أنه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح الزراح ، الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص (ابن قتيبة طيبة لستفله ص ١٤٢) ويظهر أن طله الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يقرءوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر (انظر أيضا البخارى فضائل الأصحاب رقم ٢١) وقد اضطر أحياناً أن يدنع عن نفسه تقول الناس . كل هذه الطاروف تجعلنا نقت من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شيرنجير بأنه المتطرف في الاختلاف ورعا . ويجب أن نلاحظ أن كثيراً من الأحاديث التي نسبها الروايات اليه أنها قد نخلت عليه (كذا) في عصر متأخر (ص ٤١٨ ج ١ من دائرة المعارف الإسلامية) .

ونحمد الله الذي عافانا من تقليد جولد زيهير اليهودى للمستشرق في ديننا وصحابه

بينما كما قلده أبو رية في ذم أبي هريرة ، ولين أبو هريرة أن أحاديثه أنه الأشياء عند يهودى وصف نبي الإسلام بأنه مستمر مصروع سابق لإصلاح اشيا وبجعله قرآناً في سورة البلد فا بعدها . فاذا كان نصيب نبي الإسلام من بحث جولد زيهير هذا التصيب فهل تستغرب ان تكون روايات أبي هريرة عنده الأشياء . بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح الزراح

إن العاقل لا يوجب من عداوة جولد زيهير اليهودى للإسلام ، ونبي الإسلام ، ورواة احاديث نبي الإسلام : ولكن العجب كل العجب أن يقلده مؤلف مسلم كآبى رية فيصدق قوله في أبي هريرة ، ولنا ان نسال ابا رية هل رأى كتابي جولد زيهير « امتداد الإسلامية » و « مذاهب المسلمين في التفسير » وما حشاهما من حقد وضغينة وقبح وصديد على الإسلام ونبيه وأهله ؟ هل رأى أبو رية الكتاتين وآمن بما فيها ، أو قاده أعمى مثله فترديا جميعا في هاوية الملاك ، ويسل لنا أبو هريرة وروايانه وأحاديثه من مقتنيات أعداء الإسلام جولد زيهير ومن قلده من أهل الضغن والحفيظة على أحاديث رسول الله ﷺ وحاملها . ومن مزايي الحمد أنه يأكل قلب صاحبه ولا يضر المحمود بل قد يفضله . وقتبنا قال شاعرنا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لما لان حسود

أما شيرنجير فليكن عدواً آخر للإسلام مثل جولد زيهير ، فإن يضر ذلك الإسلام شيئاً ﴿ يريدون ليطفئوا نورا لله بأفواههم والله ممن نوره ولو كره الكافرون ﴾ . وشكركم أبي رية في أحاديث أبي هريرة تسمى صديداً وقبحاً في صدره ولا نضر الإسلام ولا للمسلمين شيئاً

وما شوشت به دائرة المعارف في مادة الحديث (ص ٢٣٥ مجلد سابع) وقلة منها أبو رية (ص ١٧٢) في كتابه بقولها : والحكم على قيمة الحديث قد يختلف اختلافاً بيناً فربما كان ثقة عند قوم ولكن غيرهم كانوا يبدونه في متنى الضعف وربما اعتبروه كاذباً

في روايته ، بل إن الثقة يمتنع كبار الصحابة لم تكن من الأمور للسلطة عند الجميع في أول الأمر ، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عيف بين كثير من الناس . هـ

لقد قرئت عين أبي رية بطن دائرة المعارف الإسلامية بكبار الصحابة فضلا عن أبي هريرة ، وبإظهارها تضارب للسلف واختلاف الحديثين في مسائل الجرح والتعديل . قرئت عينك يا أبا رية بطن أعمدة الإسلام في الإسلام ، وفي أهله ، وفي كبار أصحاب النبي ﷺ

أما زعمها أن قيمة الحديث قد تختلف اختلافا كبيرا فيما كان ثقة عند قوم ويمتد غيرهم في معنى الضعف ، فزعم مردود بالاستقراء التام من صنيع علماء الجرح والتعديل رضي الله عنهم وجزاهم من الإسلام خير الجزاء.

قال الحافظ ابن حجر في شرح نغمة الفسرك في مصطلح أهل الأثر : قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في هذا الشأن : ما رأيت اثنين من أهل الحديث انتقاه على توثيق ضيف أو تضعيف ثقة . هـ . هذا كلام خبير بكلام أهل الصناعة ، صناعة الجرح والتعديل ، يشهد إمام حافظ محدث كابن خبير أنه من أهل الاستقراء التام في هذا الشأن ، أعني به مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي

وقد شرح لنا ذلك محدث كبير من علماء الحديث من أهل ديوبند الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله قال : في كل طبقة من علماء الجرح والتعديل إمام مشدد في الجرح ، وإمام معتدل فيه . فإذا اجتمع الإمامان المشدد والمعتدل على توثيق راو خبر ثقة ، وإذا اجتمعا على تضعيفه فهو ضعيف ، وإذا اختلف اجتهدا فيه فهو متوسط الحال ممن يقل إذا لم يمارسه من هو أقوى منه

ومثل لذلك بشعبة ومالك ، ثم بلي بن الدقي وعبد الرحمن بن مهدي ، ثم يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، ثم بالخازن ومسلم ، ثم بالنسائي وأبو داود وأبو الترمذى وهكذا ،

أولها مشدد وثانيها معتدل على التوالي ، فاجتماعها على التوثيق أو التضعيف حجة مقبولة واختلافها محل اجتهد

ثم يحيى . أبو رية فيقول أعمدة الإسلام كأصحاب دائرة المعارف في زعمها أن الأمر عند المسلمين فرضي في قبول من يقولون ورفض من يرفضون ، وأن الثقة يمتنع كبار الصحابة لم تكن من الأمور للسلطة عند الجميع . أي كالأفضة مثلا الذين ينظلم ودمى عيونهم ثقة المسلمين بكبار الصحابة وثقات التابعين وأئمة الهدى والمراتب السعتم

وليسلك أبو رية ماشاء له هوام من تقليد جولد زهر وشيرنجر وأصحاب دائرة المعارف وأنشأهم من الدين دأبهم الطعن في الإسلام وفتنه وحلة دينه وحديثه

أبو هريرة ودعوى أخذه عن كعب الأحبار

قال أبو رية (ص ١٧٢) : ذكر علماء الحديث في باب (رواية الصحابة عن التابعين ورواية الأصاغر) أن أبا هريرة والبراءة - (بن عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو وعبد الله بن عباس) ومما ورواه وأنس وغيرهم قد رواه عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعا وطوى قلبه على يهوديته . هـ

ويقال لأبي رية : (أولا) متى كان علماء الحديث ثقات عندك وكلامهم حجة يحتج به وهم الذين جرحتهم ودعوت إلى سلب الثقة بهم ؟

(ثانيا) هل روى هؤلاء الصحابة عن كعب الأحبار أحاديث نبوية ، أو سمعوا منه ما يحدث به عن كتبهم فرووها كما سمعوها ؟

(ثالثا) أنهم رروا من رجل أظهر الإسلام ، وأمر خداعه وانطوائه على يهوديته أمر باطى موكل إلى الله تعالى لا إليك ، وأنت ترى وتحتج يهودى غير متع في جدواته للإسلام وهو جولد زهر اليهودى وشيرنجر الذي لعله هو الآخر يهودى أيضا ومثل الأول أو شمره وتأخذ عنها تبرج الإسلام والمسلمين وصحابة رسول الله ﷺ ،

فأى التريتين أحق بالدم وأولى بالدم والتناقض : الذين ردوا عن رجل أظهر الإسلام وقد ردوا عنه غير حديث رسول الله ، أو الذى اتبس من أعداء الإسلام والمسلمين ونهى الإسلام غيظهم وسقدهم واقتراهم ؟ فأى التريتين أهدى سبيلا إن كنتم تفتنون : أكتفى أظهر إسلامه وإلمه إلى الله تعالى ، أو يهودى لم يخف حسده على الإسلام وعلى نبي الإسلام ؟

قال أبو رية : ويتبين من الاستقراء أن كعب الأخبار قد سلب قوة دعوته على سذاجة أبي هريرة لكن يستحوذ عليه وينبذ به ويقتله كل ما يريد أن يثبت في الدين الإسلامى من خرافات وأوهام . وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبية ، فقد روى الذهبى في طبقات الحفاظ في ترجمة أبي هريرة أن كعبا قال فيه : ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة . ورواية البيهقى في الدخول في (كذا) طريق بكر بن عبد الله بن أبي رافع أن أبا هريرة في كعبا : فجعل يحذره ويأمله ، فقال كعب : ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة من أبي هريرة (ص ١٧٢ - ١٧٣)

وجوابه : أن أبا هريرة - مع سذاجته بزعمك - لم يبتدع بكعب فلم يحدث عنه شيئا من أحاديث رسول الله ﷺ ، والواقع والاستقراء شاهدان بذلك ، وإن كذبت على ابن كثير كاسيأتى في موضعه

وعبارتك المحروقة عن للدخل للبيهقى - في قولك « في طريق بكر » والعبارة الصحيحة عدم « من طريق بكر » تدل على أنك لا تفرق بين من وفي بما يدل على سقم حديثك ، وأنت غريب عن العلم الذى أخصمت وقتك في تشريهه . وقولك بكر بن عبد الله بن أبي رافع جعل آخر باباء الرواة ، وإنما صوابه بكر بن عبد الله بن أبي رافع ، فصحت عليك عن بآين لأنك دخل على الصفة ، صفة الحديث وأسماء رواته ، فتجمل شيخ الزاوى . جدا له ، ولجهال من أمثال هذا التصحيف كثير وكثير لم يدرس بالعلم ويشارك أهله ويعرف قدر نفسه ويأخذ العلم عن أهله

وأما قولك عن أبي هريرة (ص ١٧٣) : وهو لا يستطيع أن يقرأ حتى تنته العربية إذ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فوفاة وبذاءة وسفاهة ، والعرب كلهم أو جلهم كانوا في عصره أميين وسيد الخلق ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، أفكان هؤلاء لا يقرءون اللغة العربية ، والعربية كانوا يرتضونها من تدى أمهاتهم ، ويتداولونها محورة ومتعاضة ، لا يحتاجون فيها إلى سيرة حروف المعجم والكتابة !

مثل أبو رية (ص ١٧٣) لما أخذ أبو هريرة بزعمه عن كعب بما روى البزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة . فقال الحسن : وما ذنبها ؟ فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول وما ذنبها ؟

قال أبو رية : وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، فقد روى أبو بيل الوصل قال كعب : جاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنها ثوران فيقذفان في جهنم براهما من عيدهما (حياة الحيوان ص ٢٢٢) .

وقال لئيلوف الترن الرابع عشر الذى يتعجب لم لم يؤلف الناس مثل كتابه من ألف سنة ، يقال له : ما ذنب أبي هريرة إذا روى عن النبي ﷺ ما يدل عليه القرآن في قوله عز وجل ﴿ إنكم وما تمبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ أليس الشمس والقمر عما عبد من دون الله ، فيلقيان في جهنم مع من عيدهما إمامة لما يدعيها

وفي حديث الحشر الطويل من رواية أبي سعيد : فيلقى مناد لتفتح كل أمة ما كانت تعبد ، فيفتح من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبين من كان يعبد القمر القمر ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها الخ

وموافقة كعب لما جاء في هذا الحديث كما في رواية أبي بيل عما يقويه لا عما يضمنه ، فلما أن يسكون جاء في التوراة نفلوه وكتب الأنبياء يصدن بعضهم بعضا ، أو يكون أخذهم كعب عن أبي هريرة أو غيره من الصحابة ولا ضير في ذلك

م - ١٠ * غلبت أبي رية

والعيب استللال فيلسوفا بحجة الحيوان ، وعزوه حديث أبي يعل اليه ، ولو وقع برأيه قليلا لعرف أن أساديت أبي يعل والبنار ومسد أحد ومسلم الطبراني الثلاثة قد غلبوا الملقظ نور الدين الميشتي في كتابه جمع الزوائد ، ولكن أتى لأبي رية أن يرين رأسه عن حياة الحيوان إلى كتب الحديث ، وحياة الحيوان وضع لأسماء الحيوانات وحلها من حرامها وبعض خرافات في فوائد فضلائها وشعرها وروثها ، ولم يوضع ليؤخذ منه حديث أبي يعل ونحوه

ودعواه (أكثر من ١٧٣ ح ٢) على أبي هريرة أنه لو كان يعرف المبرانية لقال : وكنت عن يفسرون التوراة ، دعوى منقولة على أبي هريرة كسائر هذه المنقولات عليه ممن لا ورجع عنه ولا وازع زعمه عن الانفراد على صحابة رسول الله ﷺ . وأى عيب على أبي هريرة إذا عرف المبرانية وفسر التوراة وقال حينئذ عن نفسه صادقا بما يعرف أنه أهل له ؟ فأى عيب في هذا يأمن لا يعرف قلبه العيب

وحديث الفيليك الذي رجلاه في الأرض وعلق تحت العرش ، من رواية الحاكم . وزعم أبي رية أن رجلاه رجال الصحيح - مع أن أبا رية ليس من أهل هذا العلم ، حسب أن ينقل من حياة الحيوان وأشباهه - فهذا نقل لنا كلام الذهبي في مستدركه على المستدرك إن كان تابعا فيما يكتب وينقل

وقول له : إن مع هذا الحديث فلا يضره موافقة كعب له كما تقدم أعلاه . ونهاية الأرب للثوري كتاب أدب لا كتاب حديث ، وهو يشمل أنواعا من الأدب حتى يحويه الذي يسمى بالأدب للنسج

وحديث النيل وسبحان وسبحان والفراة من أنهار الجنة (١٧٤) لا يضر أبا هريرة أن يقول هذا القول نفسه كعب ، بل ذلك مما يقويه ، فلما أن يكون مثله في التوراة ، وكتب الأنبياء . يصدق بعضها بعضا ، أو يكون أخذه كعب عن أبي هريرة فحدث به كما يحدث أبو هريرة

وقول ابن كثير عن حديث أبي هريرة في يأجوج ومأجوج : أنه لما أخذ أبو هريرة أو تلقاه عن كعب ، فانه كان كثيرا ما يجالسه ومجذته ، فحدث به أبو هريرة فتوم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، لا يضر ذلك أبا هريرة ما دام لم يرفعه إلى النبي ﷺ ، ووجه بعض الرواة عنه

وابن كثير يصدق أبا هريرة ويثق به ، وجعل الرفوع من توم بعض الرواة عن أبي هريرة ، فليسنا ندعى عصمة جميع الرواة عن أبي هريرة ، فإذا توم أحدهم في حديث لأبي هريرة فرفعه وهما منه فاذن أبي هريرة ؟ ولكن نافذنا الأمين صاحب أشواء على السنة ينقل من كلام ابن كثير ما يظن أنه يدين به أبا هريرة وينهيه ، ولا ينقل تسمية ابن كثير لأبي هريرة وأن الروم فيه عن روى عن أبي هريرة ، وهكذا تكون أمانة النقل يا أبا رية : تنقل ما نقله انهما لأبي هريرة ، ولا تنقل ما هو براءة له ، شأنك في ذلك شأن أهل الأهواء والتبليس . وعلى هذا يجب أن نعيد النظر في قولك كلها سواء كانت منقولة من مختلف الحديث لابن قتيبة أو من غيره كالبدابة والتبابة لابن كثير حتى صحيح البخاري ومسلم . ومن تبين غشه مرة لا يأمن أن يكون ذلك منه مراما ، وقد عرفنا في الآن حقة أهل الأهواء ينقلون ما ينقلون أنه لم ويتركوا ما ينقلون أنه عليهم ، أما أهل الحق ومن يريدون التصح فليقلوا ما لم وما عليهم ، والناس بعد ذلك يحسبون على ما ينقلون وما يوجه النقل الصحيح وما ينهيه وما ينهيه

وأما حديث الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا وإن الله خلق آدم على صورته « (ص ١٧٤) ويجيء في الإصحاح الأول من التوراة (النسج القديم) ونصه هناك : وشاق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ١٥ (آخر ص ١٧٤) فإن ذلك مما يتقوى الحديث ويصححه ، فإن التوراة تصدق القرآن والقرآن يصدق التوراة كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين استمع إلى اليهود في مدراسهم : فكنت أعجب من تصديق القرآن للتوراة وتصديق التوراة للقرآن . وصدق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فكلما

من مشكاة واحدة ، كما قال النجاشي في القرآن حينما قرأه عليه جعفر بن أبي طالب : هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة . وكما قال ورقة بن نوفل حينما سمع أول ما نزل من القرآن : هذا التاموس الذي أنزل الله على موسى .

وفي حديث الحشر الذي رواه أبو سعيد الخدري « فيأتيهم الله في صورة غير التي يعرفون » ثم قال : « فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون » الخ وإذا كان حديث الصورة مما يفتن أبا رية فليفتن بما في مناه من آيات القرآن الكريم « وبيق وجه ربك » ، « تجري بأعيننا » ، « ولتصنع على عيني » ، « ليس كذلك شيء . وهو السبع البصير »

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وابن سببان في صحيحه والمحاكم في مستدركه وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن للقرئ " عبد الله بن يزيد حدثنا حرمة بن عمران التميمي للسري عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة : لا خطيبهم رسول الله ﷺ قرأ « وكان الله سمياً بصيراً » فوضع إسمه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إسمه ذكره ابن كثير في تفسيره والقرآن والحديث مملوءان بصفات الله تعالى التي تتقأ عين الجهمية وتذخرم ، فإن هذان أبورقة - لا إناها - مشبه عددان جهيميا شيئاً ، ولا عبرة عندنا بشكوك أبي رية في أحاديث أبي هريرة أو في أثر عن الفارطقي أو غيره ، وحديث الصورة لا يجده

فهؤلاء أكابر أهل السنة والحديث لم ينتكسوا في حديث خلق آدم على صورة الرحمن بدعوى أنه جاء نظيره في التوراة أو أنه تشبه أو تجسم أو نحو ذلك من ترهات الجهمية والتمتة والأشاعة مخالفين بذلك إمامهم أبي الحسن الأشعري ، وفيه در الأستاذ عباس محمود العقاد فقد أشاد بهذا الحديث واستدل به في مواضع كثيرة من كتابه حقائق الإسلام وأبطال مخالفه - مع كثير من الأحاديث التي استدل بها في الكتاب - على خلاف ما فعل هذا المشكك في أصل من أصوله ، حديث النبي ﷺ وسنة اللجنة لقرآنه .

وتعرض أبو رية لحديث خلق آدم (ص ١٧٤ ح ٢) وأن طول آدم كان ستين ذراعاً فما زال الخلق ينقص حتى إن الحافظ ابن حجر انتقد هذا الحديث من إحدى نواحيه - وحاشا لابن حجر أن ينتقد حديثاً في الصحيح - فقال : ويشكل على هذا من الآن (كذا) الآثار للأسم السالفة كديار عاد ونموذ فان مساكنهم تدل على أن قلائهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة

وجواب ابن حجر أنه لم يذكر لنا القرون التي سبقت عاداً ونموذ حتى تعرف النفس التي اعترى ذرية آدم من عهده إلى عهد عاد ونموذ ، وما دام اعترف إن قلائهم كانت طويلة وإن لم تكن مفرطة في الطول فيلزمه أن يعرف بأن من كان قبلهم كانوا أطول فأمة منهم ، وهكذا ينتهي الأمر إلى طول آدم ، فلا غرابة ولا إشكال ولا عسجد يا أبا رية

وقد بحث في هذا الحديث مع أحد الأطباء فقال : إن موجة سقوط حجر في الماء تكون قوية عند سقوط الحجر ثم تأخذ في الضعف والالتام حتى تنسى ، وهذا تمثيل صحيح يوضح قوة الخلق عند ميله ثم تضعف القوة تدريجاً مع طول الزمن

وهذا أمر يعرفه الزارع القير يجلبون بذوراً قوية من وطنها الأصلي ثم لا تزال البذور تضعف وتتأخر في وطنها الجديد حتى تزول عنها القوة التي كانت لها أولاً ، فيذرة الخلق قبل عصور التاريخ كانت قوية ، والظروف الجوية والميشية كانت ملائمة لشك تلك القوة ، ثم خضعت على طول الزمن

وقال الأستاذ أبي رية (في سائفة ص ١٧٥) عن مالك إنكار هذا الحديث وحديث إدخال الله به في النار وحديث كشف الساق وزعمه أنه من رواية أبي هريرة لا قيمة لهذا النقل ، قد كشفت لنا عن سوءتك فيما تنقل وأنتك صاحب هوى ينقل ما يوافق هواه وليس مما يخالف هواه وقد ذكرنا أننا نخوض فيما نقلت من ابن كثير في سعة بأجوج ومأجوج ، والهدى بذلك قرب

وحدث كشف الباطن عراه ابن كثير في تفسيره لسورة ف إلى المصبيين من رواية أبي سعيد الخدري ، فان كان رواء أبو هريرة أيضا (كما ذكرت في حاشية ص ١٧٥) فتوة على قوة ونور على نور

وليت شعري هل أبو سعيد الخدري أحسن خطا عندك من أبي هريرة ، فليس مهادرا مرأيا أكلوا طواه كعب تحت جناحه لسداجته ولا برف لنة قومه لأبيته ، كما انتهت أبا هريرة بذلك وبكل ما شئت من زور وهتان ، ما رفع شأن أبي هريرة منزلة فوق منزلته بما اقترعته عليه ؟

قال الشاك للرتاب (ص ١٧٥) : دروي مسلم - أي بسنده - عن أبي هريرة : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق للكروم يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبت فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل . وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي - أي بسندهما - إلى أبي هريرة

قال أبو رية : وقد قال البخاري وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار ، لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام

قال أبو رية : ومن المصحب أن أبا هريرة قد مرع في هذا الحديث بسبب من النبي ﷺ وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به . قال أبو رية : وإني لأخشى الذين يزعمون في بلادنا أنهم على شيء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا ، أن يحلوا لنا هذا المشكل ، وأن يخرجوا بملهم الواسع شيخهم - يعني أبا هريرة - من المودة التي سقط فيها

قال أبو رية (أول ص ١٧٦) : إن الحديث صحيح السند على قواعدهم - لا خلافيه

في ذلك - وقد رواه مسلم في صحيحه ولم يصرح بسببه من النبي قط بل زعم أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وهو يحدثه به . وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ، وأنه يخالف للكتاب العزيز ، فثبت هذه الرواية تمد ولا وب كذباً صراماً واقرأ على رسول الله ﷺ ، فاحكم من يأتي بهما ، وهل يدخل تحت حكم حديث رسول الله ﷺ من كذب على فليقبوا مقدمه من النار ، أم هناك يخرج راوي هذا الحديث بذاته ؟ أي والله اني حاجة إلى الانتفاع بملهم في هذا الحديث وحده الذي يكشف ولا ريب عن روايات أبي هريرة التي يجب الاحتياط في تصديقها . اهـ

قلت هذا الكلام الثالث الوقع على ملوه ليري الناس وقاعة رجل ينسب إلى الإسلام ، ويريد أن ينسب إلى العلم ، وبسبب هذه الشناعة على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ ! وهاك جوابه :

(أولا) فتك عن البخاري أنه قال إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار لم تذكر لنا مصدره : أمن صحيحه ، أم من توارثه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير ، أو من كتبه الأخرى : خلق أفعال العباد ، أو الأدب للفردي ، أو دفع اليدين في الصلاة ، أو القراءة خلف الإمام ؟ أعتقد أن تنزو ذلك عن البخاري إلى كتاب من كتبه . ولا ينفك أن تقول قال فلان أو ذكر فلان على طريقة العوام وأنت تشك في رجال الحديث والصحابة وأعلام الأمة الإسلامية فضلا عن غيرهم

أما الجواب عن هذا الحديث ، وعن زعم من زعم أنه يخالف لنص القرآن ، مني أنا أحد طلبة العلم والشتغلين بعلم الحديث مطالعة وتلا وتدريسا ، محمد بن عبد الرزاق آل حمزة ، وهاك الجواب نسوقه لمن يمثل وينصف : -

الكلام على حديث أبي هريرة خلق الله التربة يوم السبت الخ هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، ليس مخالفا لنص الكتاب العزيز ، ولا تنقاه أبو هريرة عن كعب الأحبار كما زعم من زعم ذلك ، بل تلقاه أبو هريرة عن رسول الله

ﷺ ، ورواه لنا قاسمنا منه هذا من علوم النبوة ، وإن زعم أبو رية أنه سقط من سقطات شيخنا أبي هريرة ونحدي الناس جميعاً أن يحلوا له هذا الشكل وأن يخرجوا بهم الواسع شيخهم من المودة التي سقط فيها ، وتقول لهذا الشك للثبوت في تشكيكه للمجب محتالات مطالباته غير التيقن التي ظن أن أبا هريرة سقط سقط لا يمكن لأحد إخراجها منها ، فتقول له والله التيقن : أثبت المحدثون عقلًا وفلاً أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال خللاً علينا فأعلموا أننا لا نتصل صفات كماله أولاً ولا إيماناً كزعم المتكلمين أنه لبث زعمهم آماداً لا أول لها ممطلاً من الخلق والخلق والكل والكلام ، ومطل القدرة والإرادة ، ثم بدأ يريد ويخلق ويفعل ويشكك ، وعلى هذا فاعلم من صفات كماله إلى ما سبق من التسليل كل شيء . والسأفة محقة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية : كشرح حديث عمران بن حصين « جئت أسألك عن بدء هذا الأمر الخ » وما قرره في (كتاب القتل والقتل) و (منهاج السنة النبوية) وغيرها . وعلى هذا التحقيق للملح عقلًا وعقلاً - خلافاً لزاعم المتكلمين في تسليط صفات الله ، تعالى الله عن تسليطهم علواً كبيراً - يكون هذا العالم المشهور قد سبقه عالم قبله ، وهكذا ما لا نهاية له إلى الوراء أولاً ، فلم يزل الله خلافاً فاعلاً قادراً مرعباً . وتلخص ذلك بأن العالم حادث الآحاد قديم النوع - ولذلك شنع من شنع على شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة بقوله :

يرى حوادث لا مبداً لأولها

وردوا عليهم بقصائد عمولة حجباً عقلية وقليلة تراها مطبوعة في أول منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والندرية ، وهي ثلاث قصائد جزلة غضة بالعلم للنفيد إذا ثبت هذا كان هذا العالم الذي نميش فيه قد وضع الله أساسه وتصبيه في يوم بيت من آخر أسبوع من أسابيع العالم قبله ، ويكون حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قد أئادنا شيئاً رائداً على ما في الكتاب العزيز لا مخالفاً له ، فله در أبي هريرة في ملازمته للشرع الأعظم وحفظه عنه ما لم يحفظه غيره ، فلم يضع شيئاً من نفائس علم النبي ﷺ التي حدثه بها . والله در مسلم وأحمد والنسائي إذا قلونا هذا العلم النفيس الذي لو أهملوه فاضاعت علينا الزلوة من لآله علم النبوة ، وجوهرة من جواهر الوحي الإلهي . فالمحدث أئادنا أن نصمم هذا العالم ونهتبه لبياته قد كان في آخر أيام عالم آخر قبله سماه الليث ، فأى غائفة للكتاب الزر في هذا ياعدو السنة المحمدية ؟ ولنا أن هولاء ما قال الخليل لمن لم يستطع معرفة المروض :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولكن أبارية أبي إلا أن يكشف لنا عن بنضه لصحابة رسول الله ﷺ الذي ورثه عن أعداء الإسلام والذين مثل جولدزبير وشيرنجر ودائرة المعارف الإسلامية والروافض والجهمية . والحد فله على السلامة ما ابتلى به كثير من خلقه (ربنا لا ترغ قلبنا بيد إذ هدبتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وجبتنا من قلت فيهم (بل كذبوا عما لم يحيطوا به ولا يأتيهم تأويله)

وأخيراً نقول : إن الذين توقفوا في صحة هذا الحديث جعلوه من نزول درجة التصحيح عند مسلم في عدم اشتراط التي في صحة الحديث عند مسلم دون البخاري ، فوقفهم فيه من جهة السند لا من جهة أبي هريرة . واتهام أبي رية له بالكذب وإدخاله تحت حديث « من كذب على قضيوا مقعده من النار » تهوور وسفاعة وكذب وجعل قطع وقاحة على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرف فضله

ونقول : فله در الإمام مسلم وقيل شيخه الإمام أحمد وسيد النسائي في روايتهم لئله هذا الحديث الذي استشكله بعض الناس ، وصالح به أبو رية ورجال في تكذيب أبي هريرة . وأحفظ كلمة عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله : أن رجال الحديث لأمانتهم يروون ما يمكن أن يكون مشكلاً عند بعض الناس ، فله درهم في حفظ ديننا ولو استغريه

بعض الناس

وهول لفيلسوف القرن الرابع عشر أبى رية : لو كان الذين لا يأمن إلا بما يستبينه عقلك أنت لما كان هناك حاجة إليه ، فله الحد ، فانه يأمن الذين بمجازات العقول لا بحجالاتها ، ولم يحى دين الاسلام - دين القطرة والعقل والفكر والحد لله - بما يخالف عقلا صريحا أو قولا صحيحا

أما هذه « الأيام » التي جاءت في هذا الحديث ، وفي آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فهل هي مقدار دوران المجرة بنجومها ومنها الشمس وتوابعها حول محور المجرة ويتدور ذلك بعلايين السنين ؟ كما في الآية ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ والآية الأخرى ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فاصبر صبرا جميلا ﴾ ؟ الله أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ من تلك الأيام ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

وعدة الذين أعلنوا هذا الحديث أو ضمنوه أو ردوه كان تلبية وابن كثير والبيهقي هو قول البخارى في تاريخه الكبير في ترجمة أيوب بن خالد بن أبى أيوب (ص ١٣٠ رقم ١٣١٧ جزء أول) قال البخارى : روى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبي ﷺ « خلق الله التربة يوم السبت - وقال (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح ما بهجروه

فأنت ترى أن البخارى ساق الحديث في تاريخه بسند رجاله ثقات حفاظ مأمونون إلى النبي ﷺ . ثم ذكر عن (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح

وسواء كان تنقيب « وهو أصح » من كلام البخارى ، أو هو تمام لنقل كلام (بعضهم) ، فالانصاف يقتضى بقبول رواية الثقات الأئمة : إسماعيل بن أمية بسنده الذى ساقه البخارى إلى النبي ﷺ ، ويتوقف في ترجيح رواية للبهيم « بعضهم » . فن الذى برؤ رواية الثقات للروافى رواية للجاهل للبهيم (بعضهم) الذى يحتمل أنه

وهب من منبه أو أخوه علم أو غيرها عن يزيد بن يرفع شأن كعب ويجعل له ذكرا في الأحاديث ، وهذا اللبس هو الذى سلكه مسلم والنسائى ، وقولها الإمام أحمد رحمه الله ، فرووا الحديث والنسائى تمليله برواية بعضهم عن أبى هريرة عن كعب

والتنقيب في تاريخ البخارى - نافلا عن بعضهم ، أو اجتهدا من نفسه - « وهو أصح » يقتضى في أدنى الراتب أن الطريق الآخر طريق إسماعيل بن أمية بسنده إلى أبى هريرة إلى النبي ﷺ هو الصحيح ، وهو الذى اختاره أحمد ومسلم والنسائى : ولا شك أن مسلما والنسائى الطماعين تاريخ البخارى في تدليل هذا الحديث برواية منهم هو (بعضهم) غفلة ورأيا مع الإمام أحمد صحة الحديث للسند بالثقات الأئمة للروافى إلى النبي ﷺ ، ولا يؤثر في صحته رواية منهم مجهول ذكره البخارى بلفظ (بعضهم)

ومن قلة البخارى في تدليل الحديث فليقره أن يوافق الإمام أحمد ومسلم والنسائى في عدم تدليل الحديث بما علله البخارى ، إذ لم يظهر لهم وجه هذا التدليل ، ولشكل وجبة هو مولها . والسبب أن الذين تقلدوا البخارى في تدليل الحديث بقول هذا للبهيم (بعضهم) انه عن كعب . حتى عليهم جميعا أن كتاب كعب الذى يمتز به وهو التوراة يصرح في أول أسفارها (سفر التكوين ، في الإصحاح الثانى للفترة ٢ - ٣) : « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدمه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خاتما » . هـ

فإذا كان هذا نص التوراة الذى يؤمن بها كعب فمن أين جاءه ان الله خلق التربة يوم السبت حتى حدث به أباه هريرة ؟ أعدى الذين يتهمون أباه هريرة بأخذ هذا الحديث عن كعب أن يقولوا لنا من أين جاء به كعب ونص التوراة مخالفه ؟ هل كذبه مكذبا بذلك نص التوراة التى لم يترك الاعتزاز بها ونشرها نشرين للمسلمين منها ؟

الحق الذى زاه متابعة للأئمة أحمد ومسلم والنسائى أن الحديث من كلام النبي ﷺ ، وقد بينا عدم مخالفته للقرآن ، فإن قيل هذا البيان فها ، وإلا فتفت وقول - كما تقول في كل

علم من علوم النبي صمدوره عن نبينا ﷺ : - الله أعلم بمراد نبيه منه ، ولا تكون من يردون ما لم يحيطوا ببلده ولا بأنبيهم تأويله ، ولا تخالف إجماع المسلمين سلفا وخلفا في تصديق أبي هريرة الذي روى عنه - كما قال الإمام ابن القيم في هداية الخيارى من اليهود والنصارى - ثمانمائة (٨٠٠) ما بين صاحب وتابع . فهل كان هؤلاء الثمانمائة ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين يجهلون كذب أبي هريرة حتى يحى . فروخ المجهنية وذبول الرافضة فيهدوا إليها علمهم في تكذيب أبي هريرة ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ ، ﴿ أنا بقوى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾

وبرأ الله أبا هريرة من تهمة الكذب التي يستحقها من اتهم بها من الروافض والمجبهة والذئبة ومن لا خلاق لهم من الخلفاء الذين يقولون ما لا يقولون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، ويسلكون غير سبيل المؤمنين

والذين تابوا البخارى على تليل الحديث يذهبون إلى أن الروم فيه من دون أبي هريرة ، فهم جميعا مع إجماع المسلمين على تصديق أبي هريرة وبراءته من الكذب . ويمسحون ما حدثني به بعضهم عن الشيخ ول الله الدهلوى حكيم الهند وعدها وقيها في عصره أن الإجماع على عدالة الصحابة هو عصمتهم من الكذب على رسول الله ﷺ ، وإن وجد لبعضهم هناك تكذرها حسناتهم وجهادهم ونصرهم للإسلام وصحبتهم للنبي ﷺ . ولشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ومختصره المتقى من منهاج الاعتدال كلام نفيس يحصل أن ما جاء من القديح في بعض الصحابة أكثره كذب وإطال عليهم ، وما صح عنه فلم من السمل الصالح ونصرة رسول الله ﷺ ما يضر ما جاء عنهم من خطأ أو اجتihad أو نحو ذلك مما لا يغلو منه بشر

فمن لم يخف الله تعالى ولا استحي من خيار خلق الله وخرق إجماع المسلمين واتبع غير سبيل المؤمنين وبهت صاحبا جليلا من خيار أصحاب النبي ﷺ كأبي هريرة ، كيف يلقى الله يوم تبنى السرائر يوم التناين ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ولى إنكار أن وبة لحديث أبي هريرة خلق الله القربة يوم السبت قيل :
وكم من عاب قولنا صحيحا وآفته من التهم السقيم

وقيل :

ومن يك ذا ضم مر مريض يجد مرأ به لاء الزلالا

وقيل :

قد تفكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم لاء من سقم

وأنا لا أطعم في أبي ربة أن يرجع عن ضلالي في أبي هريرة وأمثاله من رولة العلم النبوى فهو شبيه بمن قال الله فيهم ﴿ وأنتموا بالله جند أيمانهم ثلث جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله ، وما يشرككم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . وحلب أفقتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يسمهون . ولو أننا نزلنا إليهم للافككة وكليم اللوى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾

وقد قال التورى أو ابن عينة : من فسد من طمانا فقيه شيه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا فقيه شيه من النصارى ، ونسألك اللهم أن تهدينا ﴿ الصراط السقيم ، صراط الذين أنست عليهم غير المنصوب عليهم ، ولا الضالين ﴾

ونسأل عن حكم من أتى بها - تعنى الكذب على رسول الله ، وتعنى به أبا هريرة - ونحن بدورنا نسألك عن كذبك على الله تعالى في آية ﴿ قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض ﴾ (ص ١٦ س ١٧) فذكرتها هكذا ﴿ قد خلت سنن من قبلكم ﴾ محرفة يذكر من قبلكم بعد سنن على خلاف نظم الآية قراءة وكتابة ، فإذا تحكم على نفسك يا منفض أصحاب رسول الله ومنهم أبو هريرة بالكذب . فارت أحلته على اللطيفة فإن هكتت من تصحيحها - وفي المسكة الأولى « اذا لم تسع فاصنع ما شئت » وتقول العامة :
لمى استحوأ ماتوا

وأبو هريرة إمام جليل وحافظ عتري يبخل التاريخ بمثله إلا نادراً ، ولو كان عند أمة أخرى غيرنا لأقموا له المنابر من ذهب وبلاتين ، وإن كان ديننا لا يقر إقامة الأوثان لأحد ، ولناخروا به غيرهم . ولكن ما الحيلة فيمن أعى التصب والموى بصيرته وأشرب قلبه حب أعداء الإسلام جولد زهر وشرب زهر ودائرة للمراف الإسلامية وعبد الحسين الرافضى ، وأمثالم من مبنى الإسلام وأهله الأولين ، من الصحابة والتابعين وتابعهم من حملة العلم النبوى ورواة الآثار الإسلامية من العلماء بكتاب الله وسنة رسوله

وحديث أبي هريرة الذى رواه البخارى أن رسول الله قال « من نادى لى ولما قد أدته بالحرب ، وما تقرب إلى عدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما زال عدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وما ترددت فى شئ أنا فاعله تردى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » (١ ص ١٧٦)

قال البهانة الفيلسوف أبو رية : ومن له حاسة فى ضم الحديث يجد فى هذا الحديث رائحة اسرائيلية (أنكر ص ١٧٦) ، وقول لصاحب حاسة الشم التى تفوق حاسة شم الكلب البوليسى هول : لم يشم أئمة الحديث ما شمعت فيه من الرائحة الاسرائيلية ، فهذا البخارى راوليه لو شم ما شمعت ما أخرجه ، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يسوقه فى كتبه هو وتلميذه حمى الدين ابن التيم ويشترطه ولم تزك أنوعها من رائحة اسرائيلية . ولا يفرضه تفرد البخارى بإخراجه دون مسلم . وسألتك عن قولك « دُون أصحاب النبى » فهل كان أصحاب النبى ﷺ لم يولدوا من غيرهم فيها حديث فلان دون فلان ، وهل نسبت ما قررته أنهم لم يدعوا الحديث ، ولكن فأنك أن تدل بالمثل للجمهور « إذا كنت كذوباً فكأن كذراً » وأنت كذوب غير ذكر

وقولك (ص ١٧٦) وقد طعن الأئمة فى هذا الحديث ، فقال الذهبي وابن رجب

هذا حديث غريب . وليس هذا بعلن أيها العلامة ! قاله الترابى نجاص الصحة ، والترتيب ما رواه رافى فقط ، وقد قيل فى حديث « أنا الأعمال بالنيات » فى أول صحيح البخارى : انه غريب تنرد به يحيى بن سعيد الأنصارى واشتهر به يحيى فقد رواه عنه سبعة ، وقال الحافظ ابن حجر : تنبت الأجزاء والسائد والصالح فسا حصلت للرواة له عن يحيى إلا ما تبين

والحاصل أن الترابى لا تنافى الصحة ، بل قد تجامعها وتسير معها

نعم قال الذهبي فى ترجمة خالد بن مخلد القطوانى رايه شيخ البخارى : لولا هبة الجامع الصحيح لمدته من مناكير خالد . فهذا الذهبي يهاب الجامع الصحيح ولا يبدؤ الحديث من مناكير خالد ، ولم يرتفع إلى درجة أن حرمة ولاشم فيه رائحة اسرائيلية . وقول الخطائى : التردد على الله غير جائز والبداة عليه فى الأمور غير سائغ ، قول صحيح ولا يرد به الحديث ، فليس فيه بداء ، ولقطة ترددت فُتت على أنها تعارض الأسباب ، فإذا جاءت أسباب منية المؤمنين وعارضها كراهته للموت وكراهة الله لساواة المؤمنين فأنشئت عنه للنية إلى حين عبر فى الحديث عن هذا بلفظ ترددت تعبيراً بلينا يدل على رفع منزلة المؤمنين عند الله تعالى

وقد رد كثير من المتكلمين ومن قديم من أهل التفسير وشرخ الحديث كثيرا من الأسايد التى جاء فيها ما ظنوه تشبيها أو منافاة للتنزيه الذى زعموه ، مثل أحاديث الضحك وخلق آدم على صورة الرحمن ونحوها ، بل أولاً صفة لرحمن بأنها الاحسان أو إرادة الاحسان ، حتى تفخروا باب الترملة فى صفات الله تعالى للجهمة والباطنية ، وحتى قال غائل منهم : إن الله تعالى لا يوصف بالوجود حتى لا يشبه الوجودات ، فلا هو موجود ولا منعدم ، وأمثال هذا الموضع الذى جاد من الغلغلة فى التنزيه كما يرمون مسألهوا فى الفلسفة اليونانية الاسطاطاليسية وغيرها

أما المحققون من أهل السنة الجاسمون بين القول والقول كشيوخ الإسلام ابن تيمية

وتلاميذه ابن القيم وابن عبد الحادي والذهبي وأمثالهم فيؤمنون بما جاء من صفات الله تعالى في القرآن والحديث، من غير تأويل وتحريف، ومن غير تشبيه وتثليل، وقرأوا التبتة الواسطة والفتوى الحوية والرسالة النبوية وغيرها من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية إن لم يقسر لك الأملح على بساط مؤلفاته ومطولاتها أو مؤلفات تلميذه شمس الدين بن القيم كالصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة

واستدلال أهل وحدة الوجود أو الشهود بهذا الحديث كما زعم أبو رية (ص ١٧٦) رده عليهم من بضعة عشر وجهاً شمس الدين بن القيم، ولو كان فيه شبهة لمذهبهم لما سكت عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، ولما احتج به في كتبه مثل كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وهو مطبوع عدة طباعات

ولا يقصر هذا الحديث أن يرويه وهب بن منبه كما قاله أبو رية (ص ١٧٦) عن الخليفة بقوله: إني لأجد في كتب الأئمة أن الله يقول ما ترددت عن شيء قط تردى عن قبض روح المؤمن، فإن ذلك مما يقوى الحديث لا مما يشكك فيه، فالأئمة يصدق بعضهم بعضاً. يصدق متأخرهم ما جاء به متقدمهم، وفي الحديث «نحن معاشر الأئمة أبناء علات» وبنينا واحد، وقال الله تعالى ﴿إنا أوصيناك باليك كما أوصينا إلى نوح والييين من بعده﴾

وختم أبو رية علمه في أبي هريرة بذكر ما رواه أحد عن أبي هريرة: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، إقرءوا إن شئتم ﴿وظل عذود﴾ ص ١٧٧. وإسراع كسب في تصديق أبي هريرة بما قرأه من التوراة مما يزيدنا ثقة بأبي هريرة وتكذيباً لك يا أبا رية بما فضحت به نفسك بالكذب بما لم تحط به علماً بأنك تأويله، جريا ورواه هوالك وتصيبك، وارتشاشاً لا يقيض من قلبك في بنس أصحاب رسول الله ﷺ مما ارتضته من أعداء الإسلام جولد زهر وشبرنجير وأصحاب دائرة للعارف الإسلامية

ونأفك إن كان بقي عندك ذرة من إنصاف: هل تصديق أبي هريرة في حديث

يصدقه فيه كسب أو وهب أهدى، أم تصديق جولد زهر فيما قاله في كتابه العقائد الإسلامية وكتابه مذاهب السلفين في التشيع؟ أجب إن كان عندك جواب عليه مسحة من إنصاف وحياء

ذاكرة أبي هريرة

قال أبو رية (ص ١٧٧): كان أبو هريرة يذكر من نفسه أنه كان كثير التبيان لا تكاد ذاكرته تملك شيئاً مما يسمعه، ثم زعم أن النبي ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى شيئاً يصل إلى أذنه. وقد ذكر ذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه، ويثبت في أذهان المسلمين صحة ما يرويه. ١١

ونطالب أبا رية بصحة ما قل عن أبي هريرة بقوله عن نفسه أنه لا تكاد ذاكرته تملك شيئاً مما يسمعه. وذكرنا له سابقاً ما قيل «أكذب وأبهذ شاهدك» وهنام يمد أبو رية شاهدك، وإنا ادعى دعوى بلا شاهد، فأحرى بها أن يضرب بها وجهه

ثم قوله: وزعم أن النبي ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى شيئاً يصل إلى أذنه، وقد ذكر ذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه ويثبت في أذهان المسلمين صحة ما يرويه

وتقول لأبي رية: إن ما سمعنا زعمنا من دعاء النبي ﷺ حتى أصبح لا ينسى شيئاً ما يصل إلى أذنه قد صدقه الناس في ذلك من عهد الصحابة فن بدعهم من التابعين وتابعيهم إلى عهد زمن التدوين، فليس من المقول أن تكذب هذا الجهم التفتير من المسلمين والحديثين وأئمة الفتنة والفتوى الذين قبلوا أبا هريرة محدثاً حافظاً لجل الزمان مثله، ونصدق أبا رية في القرن الرابع عشر في حقه على أبي هريرة وتكذيبه له، فاللايين التي اتفقت على صدق أبي هريرة وحفظه وقبول الآلاف من الأحاديث التي رواها أبو هريرة يد تكذيبهم من الجهمان، والحاقة، والجلف، والباطل، واتباع غير سبيل المؤمنين

وطيل صدق أبي هريرة وأثر دعوة النبي ﷺ له هذه الألف من الأحاديث التي رواها وقيل ما منه للسلون في كل عصر ومعروف في كل زمان ومكان، وليأكل التل والمند قلب أبي رية فان يضر إلا فقه، وأنا وكل ذى عقل ودين وإنصاف حتى من غير المسلمين لا يمكن أن توازن بين أبي رية وبين أقل دلو من رواية الأحاديث كان عساکر والطبيب البندادی فضلا عن قومهم كالأرقطی وابن حزم به أصحاب الكتب الستة فن قومهم من شيوخهم أئمة الحديث والفقه والفتوى من تابع التابعين فالتابعين والصحاب، فإذا قبل هؤلاء أبا هريرة بعدنا صادقا حائظا إماما من أئمة رواية الحديث وحاملا للألف من علم النبوة، فن هو أبو رية بسد ذلك، إن شك في أبي هريرة؟

نزلوا بمكة في منازل هاشم ونزلت بالبليداء أبعد منزل

إني إن فارت بين أبي رية وبين أخفى رجل من الحديث ككت كن يفران حصاة في البحر بالآل.

ذكر أبو رية (أول ص ١٧٨) ما رواه مسلم عن الأخرج قال: سميت أبا هريرة يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكنز الحديث عن رسول الله - والله للوعد - كنت رجلا مسكينا، أخذم رسول الله على مل. بطنى، وكان للهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق - بطنى التجارة - وكانت الأصابع يشغلهم القيام على أموالهم - بطنى النخيل، والزراعة - فقال رسول الله: من يبسط ثوبه فلن ينسئ شيئا سمعته منى، فبسطت ثوبى حتى قفى حديثه، ثم ضمته إلى فأنسيت شيئا سمعته منه. قال مسلم: إن مالكا انتهى حديثه عند انقضاء قول أبي هريرة، ولم يذكر في حديثه الزواية عن النبي من بسط ثوبه الخ

قال أبو رية: ولا ريب في أن رواية مالك هي الصحيحة، لأن الكلام بعد ذلك منكك الأوصال، ولا صلة بينه وبين الذى قبله. اهـ

وأقول: ويل لعل إذا تكلم فيه من لا يحسن الكلام فيه. حديث مختصره مالك، ويأتى به على وجه مطولا إمام كمالك في الحفظ والأمانة، بل ربما كان أجمل منه، يكون اختصار مالك هو الصحيح والمطول الذى جاء به إمام غير مالك لا يقل عن مالك حفظا وأمانة وصدقا غير صحيح في نظر محقق القرن الرابع عشر أبي رية، وابن غالب عنه قولهم: من حفظ حجة على من لم يحفظ؟ إن أحاديث اللوطا نحو ستائة حديث، وأحاديث الصحيحين والسنن آلاف الأحاديث فهل نرى هذه الآلاف التى لم يروها مالك؟ أين القول والإنصاف والدين؟

ثم قلعة أبي رية في تضييف رواية غير مالك أن الكلام بعد ذلك منكك الأوصال ولا صلة بينه وبين الذى قبله! تنكير غريب مغلوب، والكلام أخذ بيضه بيجز بعض، فأبو هريرة يذكر أن سبب تنويعه في الأحاديث على من استنبوا كثرة حديثه أمران: أحدهما فقره للاشتغال بالعلم واقتطاعه له وعدم انشغاله عنه بتجارة أو زراعة، والثانى بركة نبوية واختصاص سماوى خص الله به أبا هريرة، ولكن من أين لنا أن يؤمن أبو رية بالبركات النبوية وبفضل الله الذى يؤتاه من يشاء؟ فأين منكك الأوصال إلا في تنكير من لا يؤمن بفضل الله على عباده كآبى رية؟ وإن الذين استنبوا كثرة رواية أبي هريرة قد آمنوا بما ذكره لم أبو هريرة ما اختصه الله به من التفرغ للعلم طلب العلم بلا هو عنه من تجارة أو زراعة، وما وجه الله له على يدى نبيه من البركة الحمدية ولقاية الربانية، ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿لم يجدون للناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل داود الملك والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾ ولقد ورث أبو رية عن اليهود حديم للمسلمين، فلم يستغ فكروه أن يفضل الله أبا هريرة بالحفظ والصدق والأمانة

يا رحمة الله لأئمة الحديث والفقه والفتوى: مالك والثوري وابن عينة وابن المبارك والمجاهدين ابن زيد وابن سلمة وأبى عبد الله الشافعى وأحمد بن حنبل وأئمة الحديث البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة فى بدم، رحمة الله عليهم في أقوا أعمارهم

في الرحلة في طلب الحديث - ومنه أحاديث أبي هريرة - وحفظها وتدوينها خير أجر مادي سوى ما يرجونه من ثواب الله وجزائه

ولم يسددم الحظ أن يسعوا بتحقيق أبي ربة في القرن الرابع عشر في تكذيب أبي هريرة والتشكيك في أحاديثه ، إذن لاستراحوا وأراحوا من هذا العمل اللغني الباهظ ، ولكن الله حافظ دينه لم يشأ لهم هذا الحظ للنكوس ، والتحقيق للنموس للنجوس

اسمع يا أبا ربة ، إن تكذيب هؤلاء الأئمة في قتهم بأبي هريرة وحفظ حديثه الكثير وتدوينه والانتفاع به ، وتصديقك يا أبا ربة في تكذيب أبي هريرة جنون وحمالة وهتان . ولنا مستمدن لتنازل عن ديننا وعقولنا وإتباع غير سبيل المؤمنين ﴿ ربنا لا تفرغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آمين

قال أبو ربة (ص ١٧٨) : على أن هذه التذاكرة القوية التي لخصت بها أبو هريرة من دون الصمابة جيباً ومن دون ما ذرأ الله من الطليح الإنسانية قد خاتته في مواضع كثيرة ، وإن ثوبه الذي يسلطه قد تفرق فصار ما كان قد ضمه بين أطرافه ، وإليك أمثلة من ذلك

فذكر رواية الشيخين عنه حديث « لا عدوى » وعارضه بحديث أسامة « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها » بحديث عبد الرحمن بن عوف في رجوع عمر بن الخطاب من سرع لما سمع بوقوع الوباء بالشام عندما سمع حديث « لا يوردن » بمرض على مصحح

قال أبو ربة (أول ص ١٧٨) : وقد اضطر أبو هريرة إزاء هذه الأخبار القوية إلى أن يرجع ما حدث وأن يتعرف بنسبائه ، ثم أنكر روايته الأولى - قال : وفي رواية يونس قال الحارث بن ذباب (ابن عم أبي هريرة) : قد كنت اسمك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث « لا يوردن بمرض على مصحح » حديث « لا عدوى » معرفته لذلك . ووقع عند الاسماعيل - قال في الحاشية (وكذلك عند مسلم) - فقال الحارث ابن عم أبي هريرة :

إنك حدثتنا ، فأنكر أبو هريرة وغضب وقال : لم أحديثك ما تقول

ثم ذكر أبو ربة (ص ١٧٨) قصة ذي اليمين في سهو النبي ﷺ في الصلاة ، قال أبو ربة : هذه القصة في رواية البخاري أنها صلاة الظهر أو العصر ، وفي رواية الترمذي ما يشهد أن الشك كان من أبي هريرة وهذا لفظه : صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي للشيء ، ولكنني نسيت أه . وذكرها أبو ربة بلفظ صلاة الشتاء ، كأنه لا ينهم الفرق بين الشيء والشتاء.

أقول : هذا ما أجهد أبو ربة نفسه وقلب الدواوين وقش الكتب ليبل لأغلاط أبي هريرة التي زعم أنها كثيرة ثم يقع الأعلى مثالين : (أحدهما) حديث « لا عدوى » والثاني « إحدى صلاتي الشيء » الظاهر أو العصر .

وقد سبق لأبي ربة (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقي بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧ حديثاً ، والله أعلم بما رواه غير بقي كسند أحد وغيره ، فزاوية لا يزيد عن خمسة آلاف حديث في أحد دواوين الحديث لوجود له غلط أو خييان في حديثين اثنين إلا يعد من عبادة الدنيا حفظاً وبعد مضرب الأمثال فلذين لا نظير لهم في الدنيا ؟ نسبة غلطه أو نسيانه نسبة واحد إلى ثلاثة آلاف ، فأى حفظ في الدنيا مثل هذا أو ما يقاربه ؟ حديثوني بلم إن كنتم صادقين

على أن حديث العدوى يظهر أنه رجوع أبي هريرة عن التحديث به لظنه أنه منسوخ بما رواه من حديث « لا يورد بمرض على مصحح » فتورع عن روايته بظنه أنه منسوخ ، فبقي منا - ما عده أبو ربة من نسيان أبي هريرة - حديث سهو النبي ﷺ في إحدى صلاتي الشيء - الظاهر أو العصر ، بقي غلط أبي هريرة في ستة آلاف حديث في حديث واحد فتكون النسبة ١ : ٦٠٠٠ - فأى نسبة في العالم تتسارب هذا أو تدانيه ؟

إذن لم يتفرق ثوب أبي هريرة ولا رداؤه ، ولكن الذي تفرق من التبط والمقد هو :

قلب أبي رية، فليت ينظفه ويقي أبو هريرة بدرا لا يفسره النباح، وفي الحديث « إذا لم تنصح فاصنع ما شئت » وفي كلام العامة « الى اختشوا ماتوا »

وأما مازحة أبي رية لحديث أبي هريرة مرفوعاً « لأن يتلى جوف أحدكم فيها ودماخ من أن يتلى شعراً » يقول عائشة: لم يحفظ - تنى أبا هريرة - إنما قال « من أن يتلى شعراً حيث به » (آخر ص ١٧٩)، فلا يحرر أسوة بسر بن الخطاب وإبنة عبد الله بن عمرو أبي سعيد للدرى وأنس وغيرهم من ردت أم المؤمنين حديثهم بما ظنته مداراهه، وإذا قبلنا من أم المؤمنين روايتها فما سمعت أو روت فلن قبل منها ردحا للأحاديث بنظنها واجتهادها

ولنا أن قولها: متى كان الصحابة رضى الله عنهم تمتلأ أجوافهم بشعره به النبي ﷺ حتى يحذرم ﷺ من ذلك ويتوعدهم هذا الوعيد الشديد؟

أما جنون أبي رية (في حاشية ص ١٨٠) أن القرآن فيه شعر من الرمل والخفيف والوازي ونحوها، لجوابه أن أبا رية يحتاج إلى علاج في بيارستان أو يشهد على نفسه أنه يكذب القرآن لا أبا هريرة وحده. ولأننا ننزل إلى جنونه فنقول له: متى كان « ويغفل كالجواب وقدور راسيات » قرأتاً وهي مفردات من بعض آية لم تكل آية بتأما؟ ومنه « من تركى فاعنا يتركى نفسه »، « ويغزم وينصرم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين »

وإذا أصر أبو رية على أن في القرآن شعراً فإذا يقول في قول الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين. لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » وقوله في الرد على الشركين « أم يقولون شاعر تفرس به رب اللون. قل تربصوا فاني معكم من اللزبينين » وقوله « والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعلوا الصلوات وذكروا الله كثيراً، وسبلوا الذين ظلموا أى متقلب يقلبون »

أما سماع النبي ﷺ لشعر أمية بن أبى الصلت واستشهاده عن يحفظه ذلك لما فيه من

الإيمان، إذ قال فيه « آمن شعره، وكثر قلبه »، فلا خفاضة على المؤمنين أن يسبح من الشعر ما فيه حكمة وإيمان، لا ما فيه من كذب وبهتان، وهيام في وديان الضلال، والقول الطويل الرخيص الذى يكذبه العمل والواقع. فأين ذهبت يا أبا رية؟ هل أحبك الموى والى، أم أنت من قال الله فيهم « أولئك ينادون من مكان بعيد »؟

وأبو رية الذى يكذب ذهنه في البحث عن نسيان أبي هريرة فلا يجد له إلا حديث مسو النبي ﷺ في إحدى صلاتي المشى الظهر أو العصر، حديث واحد من آلاف سنة يذكر في نسيان أبي هريرة، وينقله أبو رية بلفظ « إحدى صلاتي المشاء » فلا يفرق بين المشى والمشاء، ويقول له ما قيل لن قرأ: نقرأ عليهم السقف من محرم، قتل له: إن لم تعرف أن نقرأ فنبس، فالسقف لا يجر من تحت. وأنت إذا لم تعرف أن الظهر أو العصر إحدى صلاتي المشى لا المشاء، فأسكت واسترحمك

ثم قول له: ماذا يترتب على نسيان أبي هريرة لفصالة التي سها فيها رسول الله ﷺ؟ أكانت الظهر أو العصر؟ ماذا يترتب على هذا النسيان من الخطأ في الأحكام، والذين أخذوا حكم السهو في الصلاة من هذا الحديث لم يفرم أن تكون هذه الصلاة الظهر أو العصر، فالحكم سواء ظهر أكانت أم عصرا

ويجب أبو رية (أول ص ١٨٠ فا بعدها) عن يقولون بأبي هريرة قة، هما، أنهم يمتنون السهو والنسيان عنه، ولا يخرجون من أن ينسبوا إلى النبي ﷺ. ونحن نشاركه هذا العيب إن كان وجد في الدنيا من يقول ذلك من امتناع السهو والنسيان على أبي هريرة، ولكننا لا نقول بتخطئة أبي هريرة بالجهالة والموى، ولا نحمك بنسبانه إلا بشاهد ودليل. أما أن نكيل القول جزافا في الشك في أحاديث أبي هريرة فلا دليل ولا برهان، فهذا هو الظلم والبهتان، والقول على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ بشير علم، وقد أمرنا الله تعالى بالعدل ولو على الأعداء. فقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تبدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى »

أما أن نجري وراء أعداء السنن الإسلامية من الرافضة والمشتريين فنتهم الصادقين ونكذب الثقات بلا دليل ولا بينة فهذا هو الجور والظلم والبهتان الذي نهانا الله عنه ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد ارتكبت بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ ، ﴿ومن يشاقق الله ورسوله ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾

قال أبو رية (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة على ما وصف به نفسه ذكياً فقلنا قوی الذمارة واسم الحافظة سائبا للكل ما يسع لا تفلت منه كلمة ولا يشذ عنه لفظ ، فلم يحفظ القرآن على فراغه وطول عمره في الاسلام وقد حفظه كثير من الرجال وكذلك بعض النساء ومنهن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الصحابية . هـ

وجوابه أن ما يفيده كلامه من أن أبا هريرة لم يحفظ القرآن دعوى لم يتم عليها دليلا فهي ساقطة ويرى بها وجه أبي رية

والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وقد قال الله في المنافقين ﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾

وقال أبو رية (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التي لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها أحد بعده ، وهي عدم السهو والنسيان ، لاشتهر عنه ذلك ولأصبح وحده علما مفردا يرجع إليه المسلمون جميعا وخاصة في عهد أبي بكر وعمر ، ولكان له في الاسلام على مدّة عصوره مقام غير مقامه ، إذ يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، فيأخذون بالثقة ما يجري به لسانه ، ويقولون مطّبين ما يلقيه عليهم من رواياته ، ويستر الأمر إلى من يهدم فتكون كل أحاديثه من دون الصحابة جميعا متواترة في قنطها ومنعها لا ينال منها الشك ولا يترتبها الظن . ولكن الأمر قد جرى على غير ذلك ، فلم يكن له شأن يذكر في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد حدثناك من قبل عن مبلغ ثقة عمر به قد كان ينهه عن رواية الحديث ، ولما لم يرجع ضربه

بالدرة وأخذته إذا هو روى أن ينفه إلى بلاده ، ولو كان أبو هريرة على ما زعم لألح له وحده الرواية وكان عنده وعند غيره أصدق من روى . ولم يفت الأمر عند ذلك بل إنهم قد اتهموه في الرواية كاسترى ذلك فبا بد وانما إن شاء الله تعالى . ا هـ

سودت هذه الأسطر بما فاض به قلب أبي رية من قبح وصيد وضن وحسد على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ كان موضع ثقة عنده صلوات الله عليه وعند أصحابه للخلفاء الراشدين منهم وغيرهم ، تقول عليه هذا القترى قولاً لم يقلها عن نفسه ، وألبسه من نسج خياله الكاذب ثوبا فضفاضاً لا يرضاه أبو هريرة ولا عارفو قدره له ، وهو أنه بلغ درجة لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها إنسان بعده وهي عدم السهو والنسيان ، أين ادعى ذلك أبو هريرة لنفسه ؟

ثم ما هو التلازم بين عدم نسيانه وبين تواتر أحاديثه لفظا ومعنى ، وأن يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، وفيهم من حفظ كما حفظ ، ومن روى مثل ما روى كأبي عائشة وابن عمر وابن عمرو وغيرهم من أكابر الصحابة . وقول الهمّات : لم يكن له شأن يذكر في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن الخلفاء الراشدين كذب صريح ، قد كان النبي ﷺ يحبه ويعتقده إذا غاب ، رأى ﷺ في سوق من أسواق المدينة فأنحس أبو هريرة هنية ، ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال له ﷺ : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال كنت جبا فكبرته أن أجالسك ، فذهبت فاقفست الخ . فلم يكن له شأن عند النبي ﷺ لا سأل عنه غيابه . ولما مر بالمسجد وحسان ينشد الشعر فيه لحظ عمر إلى حسان ، فقال حسان : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك - يعني النبي ﷺ - ثم انفتحت إلى أبي هريرة وقال له : سألتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول ه أجب عنى روح القدس ملك ، اللهم أبدء بروح القدس ، فا أنكر عمر على حسان استنباهه بأبي هريرة ، وسلم لها وانصرف . فأى شأن يكون أعظم من هذا ؟ استشهاد حسان بأبي هريرة وإقرار عمر له على ذلك وسكوته عليها

وأما فريات ضرب حر لابي هريرة بالدرة وتهديده إذا لم يكف عن الرواية بنه إلى بلاده واتهام الصحابة له فن خرق أبي رية واختلافاته تبعا لآداته فرواض فروخ الجوس واليهود ومن أوكار الاقتراء كلوط بن يحيى أبي مخنف وابن السكيت صاحب مثالب الصحابة وشيطان الطاق وابن عقيل الحضرمي وشيخه أبي بكر بن شهاب - هذه القرويات التي أرادوا بها تشويه سمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه كان سائكا مستبدا عدوا لرسول الله ﷺ ولأحاديثه وروايتها، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرفع قدرا وأجل دينا من أن يبادى رسول الله ﷺ وأحاديثه وحملها كأي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وعائشة وأبي سعيد الخدري وأمثالم، ولكنه الموى والجور وعداوة الاسلام وخلقائه وأثمة دينه وحلة علوم نبيه حلت الزوافض ومن شرب من مراحضهم أن يقولوا في الاسلام ما قال مالك في الغر، والموعد الله يوم القيامة كما قال أبو هريرة لمن استغبروا كثرة أحاديثه

وقال أبو رية (ص ١٨٣) بعنوان « حفظ الروادين » : أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : حفظت عن رسول الله ﷺ وعامين ، فأما أحدهما فبنته ، وأما الآخر فلو بنته لتقطع هذا العلم

قال أبو رية : وهذا الحديث مراض بحديث رواه الجماعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه ، قد سئل : هل عندك كتاب ؟ قال : لا ، الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . هـ

فأى معارضة بين الحديثين عند من له عقل وإنصاف ، حديث في القتن يحفظه أبو هريرة ولا يقدر أن يذكره لقاس لأن من قيل فيهم أحياء ويديم قوة ، وحديث يبنى فيه على ما أشاعه جهة الشيعة من أن عند آل البيت كتابا خصمهم به النبي ﷺ ، فيه خلافة على وتقدمه على أبي بكر وعمر

فأى معارضة بين الحديثين بأبوية إن كان بقى عندك ورج وعقل وإنصاف ؟

أما الجدل بالباطل والشاغية فيدانها فيصح بسبك ويسع أمثالك من جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، ولكن الناس لم يقول وورع وإنصاف

وقال (ص ١٨٣) : وكذلك يمارضه ما رواه البخاري عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، قال له شداد : أترك النبي ﷺ من شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين العتقين . هـ

وهذا الحديث في رد ما أشاعته الشيعة عن علم مكتموم عند آل البيت في خلافة على وتقدمه في ذلك على سائر الصحابة ، فسأل شداد بن معقل ابن عباس عن مبلغ هذه الاشاعة من الضعة ، فأجاب ابن عباس ببنيها ، وإلا فابن عباس لا يبنى ما حفظه عن النبي ﷺ من الأحاديث مثانمة أو بواسطة كبار الصحابة ، ولا يبنى ما رواه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو هريرة وعائشة وأنس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهم من الصحابة من أحاديث رسول الله ﷺ ، وإنما يبنى ما أشاعته الشيعة عن علم مكتمون اختصم النبي ﷺ آل بيته به ، قد حفظ عن أحق من حق الشيعة أئله جابر الجعفي قال : حفظت للقرآن في سبعة أيام ، والوحي في أربعين يوما ، والوحي أصب . فقد افترقا وحيا أصب من للقرآن هو مانفاه على وابن عباس

فأين هذان - ما نقل عن علي وابن عباس - من مارضعنا لحديث أبي هريرة في القتن الذي لم يستطع أن يبنه في الناس وإلا قطع حلقومه

قال ابن عمر : لو حدثني أبو هريرة أنكم تهدمون بيت ربكم - يعني الكعبة المشرفة - وأنكم تقتلون ابن نبيكم - يعني الحسين - لقتلتم كذب أبو هريرة . وكان أبو هريرة يقول : اللهم إني أهوؤ بك من إمارة السبيان ومن رأس السنين ، يعني التي تولى فيها يزيد بن معاوية

وقال أبو رية (آخر ص ١٨٣) : ولو كان هناك شيء يؤثر به النبي أحد خواصه لوجب عنه من سائر أصحابه لكان على أولى الناس جميعا بذلك ، ذلك بأنه وبينه وابن عمر

وأول من أسلم وزوج ابنته ولم يلقه في سفر ولا حضر، وشهد به للشهادة كلها - سوى تبارك - ... فقال له النبي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، رواه البخاري والترمذي . ١٠ هـ

يقال لأبي ربة: من قال لك إن الرسول اختص أبا هريرة بشيء حتى تضرب للثل بيل وتذكر من فضائله ما لا تحسره، ولكنه لا يفضل بذلك على أبي بكر وعمر وعثمان أيها الراضع لبان الرافضة

إن أبا هريرة يقول: حفظت من رسول الله ﷺ وعابدين، ولم يقل خصني رسول الله ﷺ بهما، ولا نفي أن يكون غيره حفظ ما حفظ هو، فكيف تجنبت عليه بدعوى التخصيص وضربت الأمثال بيل ثم يأتي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح وبالأزير وعائشة وخديجة وأم سلمة وابن مسعود صاحب النوادر والسرار، كيف سوغ لك عقلك وجذبتك وإضافتك أن تحمل حديث أبي هريرة ما لا يحمله في لغة ولا عرف ولا عقل، إذ قال «حفظت من رسول الله ﷺ وعابدين» فتقول لم خص أبا هريرة بما لم يخص به فلانا وفلانا وفلانا، وأنى خصوصية في حديث حدث به النبي ﷺ من شاء الله من أصحابه وحفظه منهم من حفظه وذكره أبو هريرة، فأى غرابة أو عجب في هذا؟ لقد شرح هذا الحديث شراح الصميين: ابن بطال المالكي، والكركماني والمعيني الحنفيان، وابن حجر والقسطلاني الشافعيان وغيرهم، ومن شراح مسلم ابن الصلاح وعياض والنووي، فما استغرب أحد منهم ما استغربت، ولا أزم أحد منهم ما أزم، ولا استعكروا فيه ما استعكرت، وهم القوم كل القوم يا أم خالد. وإن نعمنا لا نبرء بقول هؤلاء وبغير بقول أبي ربة فهو فهم منكوس وحفظ منجوس

لقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث في رسالة الظاهر والباطن بكلام حبيب ردي فيه على من قال بباطل للشرع يخالف ظاهره، وبين هو والمخالف ابن حجر في خص الباري أن الحديث في لفظين التي وقت بعده كقتل عثمان وخروج الخوارج على علي

وافترق للسجين بين على وسأوبة وقتل الحسين ورأس السجين إمارة الصبيان وهلاك هذه الأمة على يد أغيلة من قرين إلى أمثال ذلك، والمحدث حديث أبي هريرة كحديث حذيفة: قام فينا رسول الله مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسبه من نسبه

وقال أبو ربة (ص ١٨٤): ومن هو أبو هريرة حتى يؤثره النبي بشيء يخصه به ويكنه ويحنيه عن أصفائه وأحبابه وأقرب الناس إليه؟ إنه لم يكن له أي فضل يدنو به إلى النبي، ولا بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى من أي طبقة من طبقات الصحابة، فلا هو من السابقين الأولين، ولا من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم، ولا من النقباء، ولا من الرعفاء، ولا من السكة في الجاهلية وأول الإسلام، ولا من شعراء النبي الذين نافخوا عنه، ولا من اللقيين ولا من القراء الذين حفظوا القرآن، ولا جاء في فضله حديث الرسول، وكل ما عرف عنه أنه كان عريف أهل الصفة لا أكثر ولا أقل . هـ

هذا ما قامه أبو ربة من بنفسي أبي هريرة. وجوابه أن السفاعة تنفي حكايتها عن جوابها، وهذا والحقمة عما ينتزه قلم الكرام عن جوابها. ولكن عملا بقول الله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلهما من عفا وأصلح فأجره على الله﴾ نقول له: أيها المنتري على صدر الإسلام وأهله، أين زعم أبو هريرة أو زعم له زاعم أن النبي ﷺ آثره بشيء خصه به وكنهه وأخفاه عن أصفائه وأحبابه وأقرب الناس إليه؟ أم قاله حفظت من رسول الله ﷺ وعابدين؟ إن كنت أمحييا لا بمثل ألف باء البرية فأسال من يعرفها بذلك أنه ليس في الحديث، ولا هو يدل بأي نوع من أنواع الدلالات: للطائفة والتضن والالتزام، أن الرسول آثره أو خصه بشيء. كنهه وأخفاه عن أصفائه وأحبابه وأقرب الناس إليه. قال ابن تيمية من العرب أو العجم من بينهم ما أزم به أبا هريرة عما لا يلزمه والدعته به زورا فبهتانا نسكت عنك حتى نجد من يوافقك على هذا التهم المنكوس والتفكر المتعوب

وقول لتيلسوف القرن الرابع عشر: ولم يذكر في هذا الحديث أبو بكر أيضا ولا عمر ولا عثمان ولا علي، فهل للولي سالم أفضل من هؤلاء الخلفاء الراشدين؟ وما هو جوابك عن هذا فهو جوابنا عن عدم ذكر أبي هريرة، ويكون على تشكيك هذا سالم مولى أبي حنيفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فبئس التفكير السقيم الذي يؤدي إلى هذا الزعم الباطل

وقال أبو رية (آخر حاشية ص ١٨٤): أثبت التاريخ أنه فر يوم مؤنة، ولا غيره بذلك لم يجر جوابا. ١٠

ونسأل أبا رية أي تاريخ هذا؟ مثالب الصحابة لابن الكلبي، أم رواية عن لوط بن عصف التالف للمالك، أم ماذا تنص بالتاريخ؟ ونريد له ما ذكرناه مرارا من اللث: أكذب وأبعد شاهدك

ثم نقول له: اعترفت هناك أنه كان في غزوة مؤنة، فماذا لم يقر. ألا ينقض هذا زعمك في أهل هذه الصفحة حينما أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم؟ فليجب للصب: يقول أبو رية في وسط ص ١٨٤ عن أبي هريرة إنه لم يكن من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم، وفي آخر هذه الصفحة حينما يقول إنه فر يوم مؤنة أي كان مجاهدا في غزوة مؤنة، فهل يقول أبو رية أنه يهدم ما بينه في صفحة واحدة كالتف هفت غزلمان يهد قوة أكتانا. أو لعله لا يقول ما يسود به الترطاس، أو هو المولى والبنى والنظم، يكنى الواحد منها لى القلب، فكيف بها إذا اجتمعت مع البنض لحمة العلم النبوى، حينئذ خذ يا أخى المسلم من المضحكات للبيكات ما نشاء، واحد الله الذى عافاك من بنض صحابة رسول الله ﷺ خصوصا، وبنض رواية الحديث عموما، فمن يهد الله فهو المهتدى ﴿

وإنكارك لفضله لا يضره كما قال الشاعر:

وإذا أنتك مذمتى من ناقص فعلى الشهادة لى بأتى كامل

فهو من المهاجرين إلى النبي ﷺ، ورضخ له الذى ﷺ في غنائم خير مع مهاجرى الجنة واليمن، وهو من حفاظ الاسلام لا يضره ألا يكون شاعرا. وبتك إياه أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم جهان سبه بنشك لأصحاب النبى ﷺ الذى جاك من أعداء الاسلام الزوافض واليهود، وكذلك بتك إياه أنه لم يحفظ القرآن دعوى بلا دليل نعى رد هليك، وكذلك دعوى أنه لم يحى. فى فضله حديث تهجم من جاهل بالأحاديث، مكذب لأهلها، مغتر على خيارم

واعترفك أنه كلف عريف أهل الصفة فتمت اللقبة، والتفضل ما شهدت به الأعداء. وأهل الصفة هم من خيار المهاجرين حتى ينتقلوا عنها: نزها أكابر الصحابة هيد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من أكابر المهاجرين فكانت دار ضيافة الاسلام فى المدينة المنورة ينزها القادم من دياره من المهاجرين الأولين حتى يبد ما بينه عنها من سكن. وثقة. فإذا كان أبو هريرة رضى الله عنه قد تشرف بكونه عريف أهل الصفة وأهل الصفة خيار المهاجرين فيلها من متفة عظيمة سطرها فلك بغير شعور، مدفوعا إلى ذلك يبنض قلبك لأبى هريرة وأهل الصفة، والحق قد يفتح رغم أنف اللبض

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حوود

ومن أتى بأبا رية حتى تعد فى حساد أبى هريرة؟ بل أتت من شرار مبغضيه الذين

لا يضر أبا هريرة بنضهم له كما لا يضر الترن نباح الكلاب

وقال (فى حاشية ص ١٨٣): روى مسلم أن النبى ﷺ قال «خذوا القرآن عن أربعة

من ابن أم عبد (فيذا به) ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حنيفة» ١٠ قال: فترى أنه لم يصل إلى درجة أحد اللوالى. ١٠. ينى أن أبا هريرة لم يذكر مع هؤلاء الأربعة وذكر فيهم سالم مولى أبى حنيفة، فهو أفضل من أبى هريرة بزعمه

أبو هريرة وبنو أمية

بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بنو عم بني هاشم وبنو عم النبي ﷺ، منهم ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وصهر النبي ﷺ على ابنته رقية وأم كلثوم ولو كان عند النبي ﷺ غيرها بعد وفاتها لزوجها إياها، وهو الذي اختاره المهاجرون والأنصار عندما شاورهم عبد الرحمن بن عوف فاختاروه على علي رضي الله عنهما ومنهم أجمعين

ومنهم معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ والذي ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ ويقال له «خال المؤمنين» لأنه أخو أم المؤمنين أم حبيبة رمة بنت أبي سفيان

وابنه يزيد - على رغم أنه منفي - هو أمير الجيش الذي غزا القسطنطينية وراى النبي ﷺ في مناهه عند أم حرام ملوكا على الأسرة أو كالمالك على الأسرة حتى قالت له أم حرام: ادع الله أن يهلكهم - وركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت وصرعتها دأبها في جزيرة قبرص فانت هناك

ومنهم عمر بن عبد العزيز الذي الحق بالخلفاء الراشدين في حذله وعطه وحله. ومنهم ومنهم ومنهم

وهم أصحاب الفتوح الإسلامية الفطحي في أعمان للشرق وفي آفاق أوروبا فأبى عيب على أبي هريرة أن يعرف بنو أمية فضله ويولوه إمارة المدينة بالنيابة بعد ما ولاه عمر إمارة البحرين، ولا يضره نجاح ميغضية وفرايتهم عليه،

قال أبو هريرة (ص ١٨٥) : علمت بما كشفناه لك من تاريخ أبي هريرة أنه لم يساحب النبي ﷺ إلا على مل. بطنه وأنه قد اتخذ الصفة ملاذاه لتقره يأكل

فيها كما يأكل سائر أهلها، أو يأكل عند النبي أو عند أصحابه . هـ

وقول لئلا تستقرطية المحرمة للزعة : إن أبا هريرة هاجر إلى النبي ﷺ ختاراً، وكان له عبد أعتقه لوجه الله ليدخل في صفوف خيار عباد الله الذين لم يفسدوا النبي ولتتوف. وأهل الصفة الذين تلزم وتلز أبا هريرة منهم ثم خيار المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يصرون الله ورسوله، فهم خير من مشى على وجه الأرض بسبب النبيين والراشدين، وعلى بن أبي طالب الذي كدت تبيده تقرباً للروافض قد عاش فقيراً ومات فقيراً ورباه ﷺ وأكرمه بزواج ابنته الزهراء وساعده في صدائها، فأبى عيب بعد هذا في فقر أبي هريرة الذي اختاره لنفسه ليتفقد لحفظ حديث رسول الله ﷺ ؟

وإن كان يسيب أبا هريرة عندك يا أبا رية أكله عند رسول الله وعند بعض أصحابه فلتب على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وهو خروجهم من دورهم للجمع وذهابهم إلى دار أوبستان أبي الهيثم بن التيهان وتقديمه لهم عذفا برطبه وبسره وذمعه لهم عثافاً أو شاة وأكلوا من الرطب والبسر واللحم للشوى وشربوا من الماء العذب الذي جاء به ابن التيهان من غير بستانه، وقال ﷺ لهم حينئذ : هذا هو النعم الذي قال الله فيه (ثم لتسأن) يومئذ عن النعم). وكان الشريف يأتي إلى رسول الله ﷺ فيسأل أهل بيته عن طعام لضيافته فتخبره زوجاته : ما عندنا إلا لالا، فيقول رسول الله : من يضيف هذا ؟ فيذهب بعضهم إلى داره وليس عنده إلا طعام أولاده، فيقول الرجل لزوجته : نوى الأولاد وأطلى، للمصباح ونرم الضيف أنا نأكل معه ونؤثره بطعامنا وطعام أولادنا، فهو ضيف رسول الله ﷺ، ويصبح الشريف وقد طعم طعامهم وساءواهم وأولادهم، ويقول النبي ﷺ ما معناه : عجب ربك من صميمكم بضيئكم الليلة. وينزل الله في ذلك وأمثاله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

ولقد عاب أبو رية على أبي هريرة ما مدح الله به خيار المؤمنين بقوله ﴿ فنفرا المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ ، ﴿ للنفرا الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعنت ينصرفون سعيهم لا يأتون الناس إلخافا ﴾ وفي الحديث « والله ما انفتر أشقى عليكم » وفي الحديث الآخر : « يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم » إلخ

فإذا كان عيب أبي هريرة عند أبي رية فقره وانقطاعه لطلب العلم فأنتم به وأكرم ، ولعنة الله على المترفين الجرمين الذين قال الله فيهم ﴿ وجعلنا في كل قرية أكابر مجرمينها ليحسروا فيها وما يصحرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾

ويحتج بسقط ما هذى به أبو رية في شأن أبي هريرة (ص ١٨٥) بقوله : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهيناً لا شأن له ولا خطر ، وقد نال على هذه الهامة زمن النبي ﷺ وإلى بكر وعمر ، ثم أخذ يظهر في زمن عثمان بعد أنزواته ، ويبدو للناس بعد جفائه . هـ

أقول : هذا المذنبان ، هذان المحسومين ، الذي نسي صاحبه ما سيذكره أن عمر ولاه إمارة البحرين ، ونسي هذا المحسوم أنه كان عريف أهل الصفة وهم خيار المهاجرين الذين أزل الله مدحهم في كتابه كاستك لك بعض ذلك ، ونسى أنه تقدم له أنه كان يجاهد غازياً في غزوة مؤتة ، ونسى تفقد النبي ﷺ له إذا غاب ، وغاظه إلى أن رفع درجة حرارة الحى من غيظه أن يكون سافط الاسلام ورواية أساديت النبي ﷺ ، ففتكره في حى غيظه ولن نستطيع أن نجيب على هذا نلت المحسومين

يا أسناد أبا رية ، قبيح منك أن تتبع دينك الروافض يرض من الدنيا قليل قليل ، عافين خير من الدنيا وما فيها . وأفتح منه وأفتح وأفتح ، أن تتأزل عن دينك وعن اتباع سبيل المؤمنين بلا حى . ولو اشتروا كتابك بوزنه ذهباً

جاء في حديث مسلم مرفوعاً « بإدرا بالأعمال فتنا كنعط الليل الظلم ، يصبح بالرجل مؤمناً ويمس كافرًا ، ويمس مؤمناً ويصبح كافرًا ، يبيع دينه برض من الدنيا قليل »

وأما ما حكيت عن الطعنى ابن طليح (آخر ص ١٨٥) من كتابه الفخرى من أكالات معاوية الخس ، فإشبهها بروايات ألف ليلة وليلة أو بنوادر المشاشين ، سواء صحت أو كانت من مقتريات ساداتك الروافض ، فالناس قد عرفوا في معاوية الخس والمقتل والسخاء والبدل ، وقد حقق ما رشحه له أنه أن يكون سيد الدنيا كلها لا القرب وحدهم ، ولذلك عرف له الحسن بن علي فضله فبايعه البيعة الشرعية وكف عن منازعته في الملك أو الخلاف تحقيقاً لغير النبي ﷺ في الحسن « إن ابنى هذا سيد . وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وقد كان ذلك رغم أنوف محي الفتن ومثيرها بين المسلمين ، فرضى الله عنه وأرضاه ، ولم تضر المسلمين أكالات معاوية ، ولكن نفهم حله وضعه وعدله وجهاده واجتماع المسلمين عليه ، وحية أساطيله في بحر الروم لغزو الروم

سمعت أحد شيوخنا الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله يقول ما منته : (الخلافة الراشدة امتداد عصر النبوة ، وتكمل لا بداء ﷺ من إرساء قواعد الاسلام . وفي عهد بنى أمية للفت والوزراء من الرب ، وفي عهد بنى العباس الملك عربى والوزراء من العجم ، وفي العهد التركي العثماني الملك والوزراء عجم

فبعد ملوكه ووزرائه عرب هو خير العهود بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة ، لذلك نرى حتى فروخ زنادقة القرس واليهود من الرافضة شديداً وشديداً جداً وخلقوا له . وخرقوا المقتريات والأكاذيب في تسوية سمته وتوسيعها ، وهو البعد الذي تلم زمام أمر الاسلام من الخلافة الراشدة ، ونشره في الخافقين شرقاً إلى حدود الهند والصين ، وغرباً إلى البحر الاطلسي وجنوب فرنسا ، وفيه ازدهرت الآداب والفنون العربية والعلوم الإسلامية ، فهو أزهى عصور الاسلام بعد عصر الراشدين

فيجي. ابن طيحايا النعماني فيشغل عنه بأكلات معاوية لأنه يدعى الله بأن أقل خادم. أو مولى لمعاوية خير من عشرات أمثاله وأمثال أمثاله، ويحيى أبو ربة في القرن الرابع عشر فيقع على قاذورات الروافض وحفقات الشيعة وينقلها في كتاب بسبه أشواء على السنة الحيدية، ولو سماه غلطات التشكيك في سنة رسول الله ﷺ كان أقرب إلى الصدق

وقال أبو ربة (ص ١٨٥) ولما ثبت نار الحرب بين علي رضي الله عنه وبين معاوية - وإن شئت قل: لما انبث الصراع بين الأموية والماسمية بعد أن توارى - فرقا من القوة - في زمن النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر، وانقسم للسلون فرقا، اتجه أبو هريرة إلى الناحية التي يميل إليها عليه وتتفق مع هوى نفسه - وهي ناحية معاوية - إذ كانت تلك من أسباب السلطان والترف والمال والصبم ما لم تكن ناحية علي التي ليس فيها إلا الفقر والجوع والهدم - وليس بغريب على من نشأ نشأة أبي هريرة وعاش عيشته أن يتسكب الطريق التي تؤدي إلى علي، وأن يتخذ سبيلا إلى معاوية ليشرح نهمه من ألوان موائده الشبيهة، ويقضى وطره من رقهه وصلاته وعطايه السنية. ١٥

أقول: هذا كلام جاهل بالتاريخ، ذي هوى وعصية جاهلية، لم يتق الله فيما كتب، ولا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ولا تأدب بما قيل: تسكلم بهم، أو اسكت بحلم

فقله انبث الصراع بين الأموية والماسمية بعد أن توارى فرقا من القوة في زمن النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر، جهل بالتاريخ. فالسلون جميعا أمويهم وهاشميتهم مهاجرون وأنصار كانوا يدا واحدة في جهاد الإسلام ونشر رايته زمن النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر، ولم تكن هناك نمرة طائفية ولا عصبية جاهلية لا أموية ولا هاشمية ولا أروسية ولا غزرجية، عملا بأدب الإسلام ﴿اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا﴾ والحديث «كلكم لأدم وأدم من تراب»

لا فضل لمرى على يحيى ولا لمحيى على عري إلا باقتضى، - ومكة النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر معنى توبيه للسلين جميعا إلى نصرة الإسلام ونشره وخدمته، لم يكن همسية الجاهلية بينهم مكان

هذا نشأ الرقص والتشيع واشترت أفكار أهلها وأندلوا وشائج الدين بين الناس من دعوى تفضيل عليّ عليّ أبي بكر وعمر، ورفض الدلالة عنيتهم بأنه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر، اضطر عليّ أن يقول: من فضلي على أبي بكر وعمر جلده حد القترى. وسأله ابنه محمد بن الحنفية: من أفضل الناس يد رسول الله؟ قال: أبو بكر. قال محمد: ثم من؟ قال: عمر

انتشرت بين الناس شرور زنادقة القروس واليهود باسم شيعة آل البيت، ونشروا معتوياتهم وأكاذيبهم من اختصاص آل البيت بوحى خفيهم به رسول الله ﷺ، حتى نفاه عليّ وابن عباس. وقولهم عليّ أفضل البشر ومن أبي فقد كفر، ومن كتم مولاة قبل مولاه، وغيرها من التفرقات التي فرقوا بها شمل الأمة وآلت إلى قتل ثالث الخلفاء الراشدين وإشغال نار الفتنة بين علي ومعاوية عما لا حاجة لنا إلى الدخول في تفاصيله والتكلم فيه بلسان شيعة علي أو معاوية، ولا غير في التشيع عموما، وشرو ما كان في شيعة علي من تفضيله على أبي بكر وعمر والتفريق بين علي وتفضيله على النبي ﷺ أو القول بأولويته وأنه ارتفع فوق السحاب وأن الخلافة في ذرته آتزم ابن مزعوم للحسن العسكري قالوا إنه اختفى في السرداب من أكثر من ألف سنة وأنه حي إلى الآن، إلى غير ذلك من الضلالات والسخافات والكفرات

وقول أبي ربة عن أبي هريرة إنه اتجه إلى الناحية التي يميل إليها عليه وتتفق مع هوى نفسه وهي ناحية معاوية إذ كانت تلك من أسباب السلطان والترف والمال ما لم تكن ناحية علي التي ليس فيها إلا الفقر والجوع والهدم الخ فرية على هذا الصحابي الجليل حياك عليها يوم القيامة بين يدي الجبار المنتقم الحسك العدل. ونقول (إن سبحانك

هذا بهتان عظيم) ، (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون)

وهل نسبت ماسرك من همز أبي هريرة ولمزه بالفتور والجورح ، ثم جئت الآن نصف بها أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، قبل انقلاب الجوع والفتور للذنان عبت بها أبا هريرة مدحا وقضية في علي ، أو هو المولى يذم هذا بما يدح به ذلك ؟

ثم هل نسبت ما قلت عن عبد الحسين الرافعي سابقا أن أبا هريرة كان يصلي وراء علي ويهزب في الليل وقت القتال قال أهل العراق وأهل الشام ، فأين اتجأه إلى ناحية السلطان والترف ناحية مملوكة ، أم هو المولى يسميك عما قلت تبهدهم ما بنيت وتنتي ما أنبت وتثبت ما نقيت بلاوعي ولا اعتبار لما قيل : إذا كنت كذوبا فكأن ذكورا ، ولقد قيل : كل إناء يرشح بآفيه ، فارتشح من أخلاقك خطت من خرقه ثوبا أردت أن تنسبه أبا هريرة وأبو هريرة برى ، من مغتريات الخارقين ، حسب حب رسول الله ﷺ إياه وحب خيار المؤمنين له من الصحابة والتابعين وتابعيه باحسان إلى يوم القيامة ، فإذا سمعنا شهادة هؤلاء فنأنت يا أبا رية ومن هم ساداتك فروخ زنادقة القرس واليهود من الروافض وأشباههم ؟

إذا رضيت عنى كرام عثرتى فلا زال غضبانا على ثلثها

وقال (أول من ١٨٦) : وإذا كان قد بلغ من قاعة أبي هريرة وجوعه أن يخرج مشيا عليه حتى يضع الناس أرجلهم على عنقه ، فهل تراه يبع دولة بنى أمية ذات السلطان العريض والألمة الناعمة وينقلب إلى الزاهد الفقير الذى كان طماعه التقديد ؟ إن هذا عما تأباه طباع الإنسانية ولا يتفق والتراثر النفسية اللهم إلا من عهم وبك .

وقليل ما هم .

ونقول لأبي رية : إن أبا هريرة من القليل الذى عهم الله ، وإن وجدت فضله فقد عرفه له رسول الله ﷺ وخيار الناس

قد تنكر الدين ضوء الشمس من رمد وينكر القم حلم اللاء من سقم

ورمد عينيك هو المولى ، وينقض رولة الحديث ، لا سبأ أهل الكثرة منهم ، وقد ذهبت أبا هريرة بالجوع والفتور ومدحت عليا بما فأيعها تصدق ؟

أبو هريرة يهاجر من دياره دوس حبا في الإسلام وسبا في الله ورسوله ، وينقطع عن الدنيا تجارتها وزراعتها ليتفرغ لحفظ حديث رسول الله ﷺ ، فيجىء أبو رية في القرن الرابع عشر يسميه ويهزله ويلزقه بالفتور الذى يمدح به محبوب ساداته الراضية على بن أبي طالب ، فإهذا التناقض يامن يعقل وينصف وبأولى الألباب ؟

آمنا وصدقنا بفضائل هذا الصحابي انتداء رسول الله ﷺ وخيار أمته ، وكفرتنا بتفريات أبي رية وحفده ونفضه وغيطه من حجة العلم النبوى

والمعجب أن هذا المغترى ينقل من الحلية وطبقات ابن سعد ما يريد أن يهدم به دواوين الاسلام من اللساند والصالح والسنن ، فأى هاوية يتردى فيها صاحب المولى والبلى والجور ؟

ودعواه (ص ١٨٦) إغذاق بنى أمية على أبي هريرة من أفضالم ، وأنهم غرروه برذمهم وأعطيتهم ، فلم يلبث أن تحول حاله من ضيق إلى سعة ومن شظف العيش إلى دعة ، ومن فقر إلى ثراء ، وبعد أن كان يستر جسده ببنرة باليسة صار يلبس الخنز والكثبان اللشق .

يريد أبو رية أن يتحكم في إرادة الله وحكمه وتديره حتى كأنه يريد مشاركة الله في ملكه فلا يريد من الله أن ينزى فقيرا ولا أن يماقى مريضا ، وأن لا ينقل الله إلا ما يولاه أبو رية ، فينيطه أن ينزى الله فقر أبي هريرة ، وغاب عنه قول الله (الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وقوله (أم يقسون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفقنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) وقوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) ، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم)

وقال أبو رية (لؤلؤ ص ١٨٧) : ولقد كانت أول لفظة من عين الأمويين إلى أبي هريرة لقائه مناصرته لإمام أن ولده بسر بن أرطاة على المدينة بعد أن بته معاوية إلى أهل الحجاز ينقل قتلته بهم ويأموهم وذرائعهم

ويروا بك هل هذه القربة عن القلطي أو البقي أو من جردل الاسكافي ، قد عهدناك تستقي من جردل هؤلاء ، وهنا أعوزك النقل حتى عن الاسكافي أو الزبدي الذي استقيت منه سب الصحابة بواسطة أحد أميين . إن هذه الأكاذيب التي لا خطام لها ولا زلم نسبها في جرح الصحابة أبي هريرة ومداوية وبسر بن أرطاة ، فإن كان بقية الصحابة والأخبار ابن عمر ومحمد بن الحنفية وابن أخيه علي بن الحسين وغيرهم من السكوت على أفاعيل بسر بن أرطاة بأهل الحجاز وأموالهم وذرائعهم ، وهم القوم لم يكنوا على ما هو دون ذلك

ولكنه الموى والنظم والجور يسوق إليهم جزافا إلى خيار خلق الله تعالى ، وللموعد الله بين يديه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا

وإذا كان بسر قد ولي أبا هريرة إمارة المدينة وفيها خيار الناس من طبقة ابن عمر وابن عباس وغيرهم من خيار أصحاب رسول الله ﷺ فهي متقية عظيمة لأبي هريرة تقف شجى في خلق أبي رية وماداته الزوافن من منغى أصحاب رسول الله ﷺ فروخ زنادقة القرس والبيود

قال (ص ١٨٧) : وكذلك كان مروان يفيه عنه على ولاية المدينة ، ثم زادت أيادهم عليه فبنوا له قصرا بالمعيق ، وأفضاه أرضا بالمعيق وبني الحليفة ، ولم يكتفوا بذلك بل زوجوه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وهي التي كان يخدمها أيام عربه وقره يعلم بطنه . هـ

وجوابه أنا لا نعرف قصرا بالمعيق غير قصر سعد بن أبي وقاص ، فبناء قصر لأبي هريرة من بني أمية كذبة أول ابريل (نيسان) من أبي رية

وأما إقطاعه أرضا بالمعيق من بني أمية فله قد أنقل عياده أرض محدث نبيه ﷺ « من أحيا أرضا مواتا فهي له » . ولو كان لإقطاع أبي هريرة من بني أمية أصل لكان بأرض الشام ، أرض الجنسات والبساتين ، لا أرض المعيق ذى الحليفة الصمراء القفر الجديا.

وأما زواجه من بسرة بنت غزوان محدثه أيام عربه وقره وكان يخدمها يعلم بطنه ، فذلك كرامة من الله لبسرة إذ زوجها بصاحب رسول الله ﷺ حافظ الإسلام ، كما أكرم خديجة أم المؤمنين بزواجها بنبيه ﷺ وقد كان عميلا لها في ملأ إلى الشام ، وتحدث أبي هريرة بذلك من باب « وأما بنمة ربك غدت »

وأما قول أبي رية (أكثر ص ١٨٧ وسأشيتها) في قول أبي هريرة عن زوئيه : فكلنتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية - إن صح ذلك عنه - فمن الدناءة والقوم أن يوصف بأنه كلام تسمى عن كل مروءة وكرم وأنهم بكل دناءة ولؤم ، وأن يقال : فنبهه بياهي بامتهان وزوجه والتشقى منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق . هـ

وقول لأبي رية : إن بسرة بنت غزوان ، وقد زعمت أنها أخت الأمير عتبة بن غزوان ، تعرف كرامتها عند زوجها ودعائه لها ، ولو كانت لا تزيد عشرة أبي هريرة فما الذي كان يكرها على عشرة رجل نسه أنت بالدناءة والقوم ، وعدم الصكرم ، وعدم عراقة الأصل

هل كانت بسرة أمة مملوكة له حتى تحصل ما عدته أنت إهانة لها ، ولو كانت أمة دقيقة له ولم يصبها خلقه وعدم كرم أصله لتالت : أين سوق السلطان الذي تباع فيه الانا ؟ أما وهي خرة وأخت أمير ، فما الذي يكرها على عشرة لثم ذئب . أهيا الوقع الدساس القاعة في الغد . وهذا الكلام إن صح عن أبي هريرة كان سيلا سبيل مداعة الرجل لأهله ، وما أسخف عقل من يدخل في مداعة الرجل لأهله ، وما أفل أدبه ،

وما أقل مروءته . لاسيما اذا كانت قسمة على حافظة رسول الله ﷺ لأنه حفظها للسلفين وللإنسانية ، وهو صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ تعلم منه حسن عشرة الناس ولا سيما الأهل والأزواج . لقد سبق رسول الله ﷺ زوجه عائشة مرتين ، سينها في الأولى وسيفته في الثانية لما بدن وكبرت منه ، وقال لها : هذه بتلك ، فن تدخل بهذا بتليفاته السخيفة وعده منافي للرفق والحشمة أو غير ذلك من سخافات أهل السخف ، فذلك لاعتقنا هذا للتدخل ، وأعرضنا عن سذاجته التي هي أفقح من القفر بحر به الكرام كراما

وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) : ولم يكن ما قدم أبو هريرة جهاداً بسيفه أو بجماله ، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذل بها أنصار على ويعلن عليه ويميل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية . هـ

وجوابه أن هذا من نوع ما قبله ، مقترحات رافضية لم تنقلها عن الطعن أو البتق أو الاسكاف أو عبد الحسين ، وسينها سوابب من نوع ما كان يسببه للمشركون لأهلهم ، وأبو هريرة أتى في ثمال منك ومن آلاف من ساداتك فروخ الفرس والجوس الذين جمعوا بين بنض الاسلام وأمله من صحابة النبي ﷺ فن يهدم من خيار الأمة ، إلى الافتراء والخرق والاختلاق عليهم ، وحسبك بتالب الصحابة لابن السكلي

ومثل هذه الفري والأكاذيب مما فرض عنه ونسج منه ، والحساب بين يدي الله يوم القيامة

وقال أبو رية (ص ١٨٨) : وقد كان عما رواه أحاديث في فضل عثمان ومعاوية وغيرهما عن يث بأوامر القري إلى آل أبي العاص وسائر بني أمية . قال : دروي البيني عنه أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور استأذن في الكلام ، ولما أذن له قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافا . فقال له قائل من الناس : فن : لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان . وقد أورده أحمد بسند جيد . اهـ

ونقول لمنض أصحاب رسول الله ﷺ والخرق من رواية قضائهم : ليس هذا الحديث بكثير على فضل عثمان ذي النورين ثالث الخلفاء الراشدين بإجماع المهاجرين والأنصار وزوج بني النبي ﷺ ولو كان عند النبي ﷺ بنت ثالثة تزوجه إياها ، وهو مجهز جيش السرة بأبني جل بأقباها ورحالها ، حتى قال ﷺ : أما عثمان فقد أوجب بد اليوم ، وليس على عثمان بأس بد اليوم

وعثمان هو الذي قدمه المهاجرون والأنصار حتى الخدرات في خدورهن عند مشاورة عبد الرحمن لهم في الوزاة للإمامة بينه وبين معبود الرواض الذين أقعدوا فضله بتلوم فيه إلى درجة الأهوية رابع الخلفاء الراشدين على بن أبي طالب

أيها الفيلسوف في القرن الرابع عشر ، نيب على الحديثين اشتغالهم بالسند ومهتة من ضفته ولا ينظرون إلى اللين ومواقفته للعقل - وهما مهتة عما عتبه عليهم ، فكل ذي لب وعقل يجزم بأن أبا هريرة لم يأت لأحد لتلق الثوار الذين يحاصرون عثمان ، ولتحول عن رجل محصور مغلوب على أمره ، فيتحدث بمحدث قد يكون سبياً في اراقة دمه من الثوار المحاصرين لخليفة الذي لا يملك دفاعاً عن نفسه

فهل كان أبو هريرة قد اطلع على النبي فلم منه أنه ستقوم لبني أمية دولة فقرب إلى محصورها بوضع هذا الحديث ؟ أصفونا يا أولى الألباب

أبو هريرة الذي كان يتنوذ من رأس الستين ومن إمارة الصبيان يكذب لعنان وهو محصور لا يملك الدفاع عن نفسه ولا يستطيع الخروج إلى المسجد وهو إمام للمسلمين ليصل فيه بالناس ، ويمنع من شرب ماء بئر روما التي اشتراها بحاله للمسلمين ، فلا يقدر على الشرب منها ؟ أين عقول أولى الألباب وإضاف للنصفين ليحكموا على خرق هذا للأفون في تكذيب أن هريرة في روايته لحديث في فضل عثمان وهو محصور وسيوف التاترين مصلته على رأسه وردوس محبيه

وقال أبو رية (ص ١٨٨) : ولما نسخ عثمان للمصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال أصبت

ووقت ، أشهد لست رسول الله ﷺ يقول : إن أشد أمي حيا لي يوم القيامة ، قوم
يأتون من يدي يؤمنون بي ولم يروني ، يسلون بما في الورق للفق . حتى رأيت
المصاحف . قال فأعجب ذلك عثمان وأمر لابي هريرة بشرة آلاف

قال أبو رية : وهذا الحديث من غرائب ، وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته
(ص ٢١٦ ج ٧ البداية والنهاية)

ويقال لأبي رية : البداية والنهاية لابن كثير ليس بديوان من دواوين الحديث حتى
تمزق اليه وتنفل عزو ابن كثير للحديث ، وقد جربنا عليك خيانة النقل فنقل ما نطق
أنه فك وترك ما هو عليك

وعمل عثمان في كتابة للصف الامام هو الذي منع تفرق الناس في كتاب الله لما
قال له حفظة بن الجان أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا في كتاب الله كما اختلف فيه من
قبلهم حينما رأى الناس في غزوة أذربيجان وكل واحد يصوب قراءته لأنها عن فلان
ويحتمل . قراة غيره ، فقال حفظة لثمان أدرك أمة محمد الخ ، فكتب عثمان للمصاحف
الأربعة وأمر بإحراق ما سواها ، لحفظ كتاب الله ، وعصم الله به الأمة من الاختلاف في
كتابها ، وحذ الناس عمل عثمان وأثروا عليه غيرا

واحذر يا أبا رية أن تكون من الشيعة الذين يقولون ان هناك حيا غير القرآن فيه
خلافة على وتقدمه على سائر الصحابة ، أو أن الصحابة خوفا من أبي بكر وعمر حذفوا
من القرآن ما يشهد لصلاتهم وكبرهم ، ونشوا على عثمان عمله في جمع الناس على قراءة
النبي ﷺ في العرصة الأخيرة وترك ما كان رخص للناس من قراءات أخرى نزع الشيخ
الكبير والراة الميموز والبيد ونحوهم . أما ان كنت من أولئك الناقين على عثمان عمله
في جمع الناس على مصحف سجل آخر عرضات جبريل على النبي ﷺ فاسلك بعد ذلك
من سبل الضلال ما شئت فان تضرر لا تضر

وحديث أبي هريرة في البداية والنهاية من طريق الواقدي عن [أبي بكر بن عبد الله

ابن محمد] ابن أبي سيرة . والواقدي مشهور بالكذب وابن أبي سيرة يضع الحديث . وان
ابن كثير كان أميناً باتيات مصدر هذا الخبر ، وأنت لم تكن أميناً بتجرع من مصدره أي
سند فلا يعلم قارى كتابك أن هذا الحديث مروى عن كذاب ، وأن هذا الكذاب
برويه عن رجل كان يضع الحديث

قال أبو رية (ص ١٨٨) : ومن غرائب كذلك - يعني أبا هريرة - ما رواه البيهقي
(ص ١١٧ ج ٧ من البداية والنهاية) قال : أصبت بثلاث مصيبات في الاسلام لم أصب
بمثلن ، موت رسول الله ﷺ وكنت صومعي ، وقتل عثمان ، واللزود . قالوا وما للزود يا أبا
هريرة ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : يا أبا هريرة أملك شيء ؟ قلت : نمر
في مزود . قال : جئ به . فأخرج نمر فأثبت به ، فسه ودعا فيه ، ثم قال : ادع عشرة ،
فدعوت عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله . وبقى من نمر
معى في اللزود . قال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فادخل يدك ولا تسكنه .
قال فأكلت منه حياة النبي ﷺ ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها ، وأكلت منه حياة
عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان ، فذا قل عثمان اتشبه ما في يدي واتهب للزود . ألا
أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مئتي وسق . قال أبو رية : وهذا الحديث
رواه أحمد ، ولكن قال فيه إن رسول الله هو الذي أعطاه الثروة هو الذي جعله في
مكمل وعلمه في سقف البيت

قال الوقح أبو رية : وكأنه يريد - وهو يزعم اتهام مزوده لما قل عثمان - أن يضامى
نحو من بنى أمية ، وقد عوضوه عنه بالشيء الكبير . ١٠ هـ

وقد أعرضت عن قل ما نهكم به على أبي هريرة فأنه هو حسيه على ذلك ، وجواب
هذا السقيع الوقح أن يقال له : ما الذي استغربه من هذا الذي قبله ثلاثة من أمة العلم
والدين أولهم أحمد بن حنبل والثاني البيهقي والثالث ابن كثير ؟ هل تظن أن يكذب
الناس هؤلاء الأئمة ويصدقوا سخفك وكفراك بأحاديث النبي ﷺ ؟ هل استغربت

منه أن مروت النبي ﷺ معيبة ، أو أن قتل عثمان كذبة ؟ ولعل أعظم ذلك عندنا ما في الحديث عن البركة النبوية التي لما نظر لا تحصى : فكثرة لاد القتل حتى يتوضأ منه للآت ، ولما من مزادى امرأة مشركة حتى شرب منه الجيش وملوا قريتهم وأوانهم ولزادتنا لم تنفصا ، وعاق جابر وصاع شير أكل منها جيش الفخندق وكانوا بين السائمة إلى الثمانية ، إلى غير ذلك مما هو شجى في حلق من في قلوبهم مرض من رسالات الله . وإذا كان يفيظ أبا رية أمثال هذه الآيات والمعجزات التي أكرم الله بها نبيه ويكره روايتها ويسخر من الحديثين بها فليت بنيفه ، فلن يضر الله شيئا ، ولا يضير رسوله وحق حديثه أمثال ذلك

وأما تمكيد أبي رية في قول أبي هريرة حتى أكل الجيش كله فهذا أبو رية بأبي هريرة بقوله « وأى جيش يامولانا » ويقول « ولعله كان مطلقا بالصفة » وعند قول أبي هريرة : فلما قتل عثمان قال - « هنا السر » وقوله « كأنه يريد وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان أن يتقاضى عنه من بني أمية وقد عوضوه بالنبيء الكثير »

فيقال لهذا الكذب بما لم يحط به علما ، ولا له على كذبه وتكذيبه دليل من جردل الاسكافي : إن أبا هريرة ياجع خيار الأمة أنقى لله من أن يكذب على غير رسوله فضلا عن رسوله ﷺ طمعا في دنيا ، ولعل ذلك خلق الذين يتطارون على خيار الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة العلم وحق الآثار النبوية طمعا فيما يطعم به تجار الرأى والدعاليات من فضلات الرافضة وأعداء الاسلام ، والكذاب يظن الناس كلهم كذبة الطامع فما بأذى الناس يظن الناس كلهم طامعين

ولسنا في حاجة إلى جواب ما ألصق بأبي هريرة في ص ١٨٩ وحواشيها قلا عن الخطيب البغدادي وابن عساكر والعقد الفريد والشمس والشمراء لأن قضية ، فليست هذه من الكتب للشدة عندهم ، ومن يريد أن يلصق بأبي هريرة شبه الكذب من بزة الموضوعات والمصادر غير للسنة إلى التفات قد ضل سواء السبيل

وسأرجع الجزء الثامن من البنية والنهاية لابن كثير ص ١٢٠ حتى أعرف قبة أمانك في القتل ، قد جرب عليك أنك تنقل ما نطق فيه فألده لك ، وتترك ما هو حجة عليك ، وإن الظن في ابن كثير أنه لا يسكت على التسكر حتى يبين بكارته سواء في تفسيره أو تاريخه

وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) : (وضعه أحاديث على علي) قال أبو جعفر الاسكافي (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة) إن معاوية حل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيصة على علي تنفضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم في ذلك جملا ، فاختلقوا له ما أرواه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين هريرة بن الزبير . ١

وأقول : والله العظيم جبار السموات والأرض إن أبا هريرة وعمر بن العاص والمغيرة ابن شعبة ومعاوية من الصحابة وعروبة بن الزبير من التابعين أنقى لله تعالى ألف مرة منك يا إسكافي ، ومنك يا ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ، فكلما كان من حير الرافضة منفي الاسلام وصحابة نبيه الكريم . وانت يا أبا رية فلن تضر الله شيئا ولن تضر أصحاب رسول الله ﷺ الذين أجمع أميال التاريخ ونزلت آيات السماء بأنهم خيرامة أخرجت للناس والعجب من أبي رية كيف رضى لنفسه أن يصب من قه هذين الرافضيين ويشرب من فيج غيظهما من صحابة رسول الله ، ثم يصب ذلك القى . وذلك الصديد في ككتاب بسبه أضواء على السنة المحمدية أما كان الأجدر به أن يسبه غيظا وحسنا وبشفا لسنة المحمدية وأهلها ورواتها ؟

وقال أبو رية (ص ١٩٠) : وروى الأعمش لما قدم أبو هريرة العراق عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صدره مرارا وقال : يا أهل العراق أترعون أنى أكذب على الله ورسوله وأحرق قسى بالثار - إلى أن قال : وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها - بسني المدينة - فلما بلغ معاوية قوله

أجازه وأكرمه وولاه إمارة للدينة . ١٠٠ . وعلق أبو رية على قول أبي هريرة : أنزعمون أني أكذب على الله ورسوله ، علق بيقوله : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى هم الآفاق لأنه قال ذلك وهو بالمرأى وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون من هذا الكذب في كل مكان . ١٠١

وجوابه : ليس بالسبب على بعض أهل العراق أن يكذبوا أبا هريرة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة إلا عليا وبعض شيعة والموا عليا ورفضوه إلى السحب ، وانفروا على آل البيت أن عديم وحيا غير القرآن حتى نفي ذلك على وابن عباس وإجماع المسلمين ، فلا يجب على من هذه حالهم أن يكذبوا أبا هريرة ويلعنوا أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من خواص أصحاب رسول الله ﷺ

وأما ما زعمت أنه لا يبلغ معاوية قول أبي هريرة وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها - أي للدينة - أجاز أبا هريرة وأكرمه وولاه إمارة للدينة ، فليت شري من أي جردل من جردال الاسكافى ، أو من أي جبية من جيب أكاذيب الرافضة أخذت ذلك ، فلفه حبسك أيها اللعنة النبوى

وقولك في أول الحكاية للفترة : روى الأعمش : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة الخ ، جهالة بالتاريخ وطلقات الرواة ، وويل لهم إذا تسكلم فيه من لا يحسنه . إن الأعمش أنصى ما عرف له أنه رأى أنس بن مالك وصلى خلف القمام ، ينص أنه كان صفيها عيزا في آخر حياة أنس الذي عاش إلى ما بعد ثلاثة ، قلده لم يولد إلا قبل ثلاثة بقليل ، فأين له ماصرة قصة وقعت عام الجماعة سنة إحدى وأربعين فيته وبين ذلك مفارز تنقطع فيها أعتاق الأيل

هذه الاسطورة تشهد بجهالة واضعها من حيز الرافضة الذين لا يعرفون إلا سب الصحابة وينضمهم وتكذبهم وتكذبهم ، والافتراء عليهم وعلى التاريخ وإذا كنت تنقل عن الاسكافى وابن أبي الحديد وأمثالهما من حيز الرافضة فن أيق

نقلت هذه الاسطورة ، أمن جردل الاسكافى وابن أبي الحديد ، واستحييت أن تذكرها ؟

كذب أبي هريرة يشتهر في زعمك حتى يسم الآفاق ، ولا يبلغ خيار الأمة من الصحابة والتابعين وتلاميذهم إلى يوم القيامة ، ولا يبرقه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي - الخلفاء الراشدون - ولا يرفه أجلاء التابعين - يد بن السبب وابن سيرين والحسن البصرى وقتهاء للدينة السبعة ومن أخذ عنهم كالأهرى ومالك والثوري وابن عينة والحادين وابن المبارك وأمة الفتى : الشافى وأحمد ، وأمة الحديث : البخارى ومسلم وأصحاب السنن ومن بعدهم ، فتبصروا أنت وتشرب من جردل الاسكافى وابن أبي الحديد ضنية ابن الملقى لنزعم شهرة كذب أبي هريرة حتى هم الآفاق ؟ وهل ينيل اليك سخفك أن الأمة الاسلامية تكذب كل هؤلاء الأمة للماسرين لأبي هريرة ومن بعدهم وتصدق بهتك وافتراءاتك على أبي هريرة وخيار الأمة من التابعين وتلاميذهم بإحسان ؟ لا . يا أبا رية . لسنا مستعدين للتنازل عن عقولنا وديننا لننشى وراك وتقيم غير سبيل المؤمنين ونشاقق الله ورسوله . فنول : أنت من شئت ، واسلك ما شئت من سبيل الضلالة

وذكر أبو رية (ص ١٩١) حديث مسلم عن سعيد بن العاص في طلب معاوية من سعد أن يسب أبا تراب - يعني عليا - وذكر سعد ثلاث فضائل من فضائل علي الخ أما ما ذكر سعد - يعني ابن أبي وقاص - من فضائل علي الحق تؤمن به وتعرف به بنير هذه الثلاثة من فضائله رضى الله عنه ، ومنها أنه رابع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

وأما طلب معاوية من سعد سب على فكان في نظر معاوية جزءا ما بدأ به على من سب لمصومه كما قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ وقوله ﴿ ولئن اتهم من بعد ظله فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ينير الحق ﴾ وما جرى من الصحابة من أمثال هذه المذات فنسلك عنه ولم من م - ١٣ * غلات أى رية

الحسنة ما ينسرها ، ونحمد لمد كنه عن سباب على كما نحمد له اعتزاله للفتنة كما اعتزلنا غيره من خيار الصحابة ابن عمر وأسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه وغيرهم . وكما قل أبو رية عن عبد الحسين الرافضي أن أبا هريرة كان يهرب إلى الجبل وقت القتال أي قال الفتنة ، فخذوا هؤلاء الذين طهروا سيوفهم فلم يلوثوها بدماء المسلمين

وينظر الله الذين دخلوا في الفتنة بما لهم من الحسنات للآخرة للحيات

وقال أبو رية (ص ١٩٣) : سيرته - أي سيرة أبي هريرة - في ولايته . قال : اتصل عمر أبا هريرة على البحرين سنة ٣١ هـ ثم بلغه عنه أشياء نقل بأمانة الرأى فمزله وولى مكانه عثمان بن أبي المصنف . واستدعاء وقال له : هل طلت من حين أني استخلفتك على البحرين وأنت بلا نملين ، ثم بلغني أنك أبست أفراسا بألف دينار وستائة دينار . فقال : كانت لنا أفراس ثنائيت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤنتك ، وهذا فضل فأدّه . فقال له : ليس لك ذلك . فأجاب به عمر : بلى والله وأوسع ظهرك . ثم قام إليه بالبردة ففصره حتى آدماء . ثم قال له : انت بها . قال : أحسبها . قال له عمر : ذلك لو أخذتها من حلال وأدبتها طائما . أجمت من أقصى حجر بالبحرين يحيى الناس لك ؟ لا لله ولا للمسلمين . ما رجعت بك أمية (أم أبي هريرة) إلا رعية الحر . وفي رواية عن أبي هريرة نفسه أن عمر قال : يا عدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ، من أين اجتمعت لك عشرة آلاف . هـ

قال أبو رية (حاشية ص ١٩٣) : ما ولدتك أمك إلا رعية الحر ، وانظر هل تجد عمر مخاطب غير أبي هريرة بمثل هذه اللمحة القاسية التي تتم عن الاحتقار الشديد ، وأي احتقار يبلغ من أن يصفه بأنه لا يصلح إلا رعية الحر . هـ

أقول : هذه الترياق التي ساقها أبو رية في تجريح أبي هريرة وتحقيره رماها سانية بلا خطام ولا زمام تقربا لأستلمه من حبر الرافضة فهو الأولي بها ﴿ إنما يتفرى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ وقول نحن في ذلك ﴿ سبحانه هذا بهتان عظيم ﴾

ولو وجدها أبو رية في جردل من جردال الأسكافي وأمثاله من مجازي الرافضة - لما تأثر عن عزوها إليه ، فهو مختلفها وخالقها ومفتريها إلى أن يخرج من انقراضها إلى مصدر يؤخذ بنقله من ثقات الرواة والمؤرخين ، حيث لا يكون لنا مجال للجواب عنها

ولعل مفتريها الذي لم يستطع أبو رية أن ينصف به من مبنفى عمر وسائر الصحابة فلفق هذه التهمة لتشويه سيرة عمر وتحقير أبي هريرة

وأبو هريرة له أسوة بأبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الذين يكفّرهم هؤلاء القروخ من زنادقة الفرس واليهود زارعي شجرة الرفض وينص الاسلام وأهله

وقد سجلنا عليك اعترافك بأن عمر ولاه إمارة البحرين ، وهو ما يهدم قوتك سابقا إنه كان لا خطر له أباهم أبي بكر وعمر ، فأى خطر أعظم من تولية عمر إمارة البحرين ، وهكذا تنافض أولوا وآخرى

وقال أبو رية (ص ١٩٣) : وفاته - يعني أبا هريرة - وذكر أن موته كان سنة ٥٧ أو ٥٨ هـ بقصره بالعتيق ، وحل إلى المدينة ودفن بالبيع ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان يومئذ على المدينة تسكرها له . ولما كتب الوليد إلى عمر معاوية بنى له أبا هريرة أرسل إليه معاوية : انظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وانقل إليهم مروطا . وهكذا يتراوف ردفهم له حتى بد وفاته . هـ

وقوله صلى عليه الوليد بن عتبة أمير المدينة تسكرها له ، جعل منك بوظائف الإمارة التي منها إمارة الصلاة ، فليست صلته على أبي هريرة تسكرها له وإنما هو واجب الإمارة ، ولئن قام أمير المدينة بذلك فهو أهل لتسكيرهم رغم أنك وأنت مبنفى الصحابة وأعداء الاسلام . وما أكرر سوابك التي تنقرب بها إلى أمتناك الرافض ، ومثلها وسائر سوابك لا قيمة لها كسوابك للمشركين لأنهم ﴿ ما جيل الله من بحيرة ولا سانية ولا وصية ولا سام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾

قال (ص ١٩٣ - ١٩٤) : وقد صرح - بنى أبا هريرة - بالسجاع في حديث « خلق الله القربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذ من كعب الأحبار - وفي حاشية ص ١٩٦ قال أبو رية : ثبت السيد رشيد رحمه الله كما ثبت غيره أنه غير صادق في ادعائه أنه سمع هذا الحديث من النبي ﷺ .

وجوابه أن الحافظ ابن كثير قال في البداية والنهاية (١٧، ١٨ ج ١) : وقد نسلم في هذا الحديث على بن الدين والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ ، قال البخاري في التاريخ : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . قال ابن كثير : فكان هذا الحديث مما تنقله أبو هريرة عن كعب عن صفته ، فوم بعض الرواة جملة مرفوعا إلى النبي ﷺ وأكده رفته بقوله أخذ رسول الله ﷺ بيدي .

فقرى ابن كثير وهو الحديث الحافظ للشيخ الزوخ يقول « فوم بعض الرواة » بنى لا أبو هريرة ، جملة مرفوعا إلى النبي ﷺ . فأيعا أصدق قولا : ابن كثير في قوله « فوم بعض الرواة ، لا أبو هريرة ؟ أم أنت - يا أبا رية - ومن قلدهم في تكذيب أبي هريرة ؟

ثم إن البخاري يقول في تاريخه - على ما نقله ابن كثير - وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . فقرى البخاري يقول وقال بعضهم عن كعب وهو أصح فيشير إلى أن الحديث طريقين : أحدهما عن كعب وأنه أصح - بنى والآخر عن النبي ﷺ وهو صحيح كما تنقده عبارة أصح التي يقابلها الصحيح ، فالبخاري لم يجزم كما زعمتم بأنه عن كعب وإنما قال : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح ، ومن لازمه أنه عن النبي ﷺ صحيح وهو ما اختاره أحد ومسلم والنسائي ، فاخاروا ما هو صحيح ولم يخرجوا ما هو عن كعب لأنهم لا يخرجون أحاديث كعب ما دام من النبي ﷺ صحيحا عندهم فأنخرجوا ما هو صحيح عندهم وتنقده عبارة البخاري في تاريخه

وأما على بن الدين الذي أجاب في فنة القول بخلق القرآن فأحد بن حنبل أقوى

عنه وأثبت ، ولذلك لم يخرج له مسلم ولا النسائي
والبيهقي لا يبلغ في الحديث درجة مسلم والنسائي فضلا عن الامام أحمد
لحديث يختلف فيه العلماء هذا الاختلاف : يصححه البخاري - وإن جمل طريقه إلى كعب أصح - ويخرجه أحد ومسلم والنسائي ليس من جزموا كما زعمتم بأنه أخذ أبو هريرة عن كعب

وقد ذكرت فيما مضى صحة الحديث ووجهه عقلا ونقلا ، وبينت عدم صحة قول من زعم أنه مخالف للكتاب العزيز ، بل هو مبین للكتاب العزيز وعلم من أعلام النبوة ويوجب أبا رية (آخر ص ١٩٦) قول علماء الكلام الذين وصفهم بأنهم أصحاب القول الصريحة : انهم - أي رجال الحديث - ينسبون الشيخ إلى الكذب ، ولا يكتفون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدر يحسن بن معين وعلى بن الدين وأشباهها ، ويحتجون بحديث أبي هريرة في لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكد به عمر وعثمان وعائشة ص ١٠ و ١١ من كتاب تأويل يختلف الحديث .

وليراجع كتاب يختلف الحديث لابن قتيبة ، قد جربت خيانة أبي رية في النقل ، كاسبق له النقل عن تفسير ابن كثير وتاريخه البداية والنهاية

ثم يقول الذين وصفهم بأنهم أصحاب القول الصريحة : هذه جملة فاضحة بطريقة أهل الحديث ، بل بما فطر الله عليه البشر ، فن ثبت كذبه بشهادة إمام من أئمة المرح والتعديل كيجي بن معين وعلى بن الدين والامام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وأنسلم لا يكتب عنه أي شيء أصلا وافق غيره أو خالفه مادام قد تردى في هوة الكذب ، وإن وما وافق عليه غيره إن كان هذا النير من التفات فيه غيبة وكفاية عن الكذاب ، وإن كان هالكاً مثله فلا خير في المالكين مها تنددوا ﴿ وإن ينتمى اليوم إذ ظلمتم أنكم في الذباب مشتركون ﴾

ودعواه أن أصحاب الحديث يكتفون عن أبي هريرة ما خالفه فيه غيره من الصحابة

كذب عليهم وزور، فإن كتبوا عنه نحو ذلك فأنما لينظروا في الجمع بينها أو الترجيح أو بيان النسخ من للسوخ.

وقول هؤلاء الذين أبهمهم أبو رية لأنهم ميّثات موقوفة، قولهم: إن أبا هريرة أكذبه عمر وعثمان وعائشة، قولهم هذا من أكاذيب أول أبريل (نيسان)، بل إن كذبات أول أبريل قد تكون أمون ضررا من هذه الكذبة في حق صباي جليل كأي هريرة. ولما ذا لم يفصح أبو رية عن أسماء هذه الليثات حتى ترى هل يباح أكلها للضطر أو هي قبيح وصديد.

وقال أبو رية (أول ص ١٩٧): وما بيناه من تاريخ أبي هريرة قد سقناه لك على حقيقته، وأظهرنا شخصية أبي هريرة كما خلقها الله، ولم نأت بشيء من عند أنفسنا، بل أثبتنا بأروايات الصحيحة فيها، ورجعنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها، ولا يدنو الرب منها.

أقول: هل دؤن التاريخ في صفحاته أصبح من هذا البهتان؟ وهل سجل صفات أئيج من هذه الصفات؟ ولأذكر لك أسئلة مما زعم البهتان أنها روايات صحيحة، ومصادر ثابتة لا يرقى إليها الشك ولا يدنو منها الرب:

(١) قاله (ص ١٥٦) عن غار القلوب في المصنف والنسب للشمالي من أدباء الشيعة أن أبا هريرة كان مزاحا أكلوا، وكان يمجيه للضيعة جدا، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على ويقول: مضيرة معاوية أدم، والصلاة خلف على أفضل، وكان يقال له شيخ للضيعة.

فهل هذا من الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الرب منها؟ وهل على أن كان حيثلذ مقيا في دمشق فيقوم أبو هريرة عن مضيرة معاوية إلى صلاة على، أم معاوية كان حيثلذ بالكوفة، ومتى كان ذلك؟ يا أهل العقول أنصفونا من البهاتين

(٢) وقل (في سائبة ص ١٥٧) عن عبد الحسين شرف الدين الداعية الشيعي الذي وصفه أبو رية بأنه عالم محقق عن كتابه (أبو هريرة) الذي وصفه أبو رية بأنه قيم قال عبد الحسين: يظهر من هذه الحكاية وغيرها أنه حضر وقمة صنفين وأنه كان يصانع القنئين - قال: وحدث غير واحد أن أبا هريرة كان في بعض الأيام يصلي في جماعة على وياكل في جماعة معاوية فإذا حى الوطيس لحق بالجبل فإذا شغل قال: على أعلم، ومعاوية أدم، والجبل أدم.

أقول: فهل هذه رواية صحيحة ومصدر ثابت لا يرقى إليه الشك ولا يدنو إليه الرب. ولو كان كل من ممسك على وممسك معاوية بمساحة منزل صغير في سارة واحدة لتذرت هذه التفتلات على أبي هريرة في زمن الحرب. ترى هل بقى عند أبي رية وشيخه عبد الحسين شيء من عقل وحيا. وإنصاف؟

(٣) وقل (ص ١٥٨) عن خاص النفاص للشمالي قول أبي هريرة: ما شئت رائحة أطيب من رائحة الخبز، وما رأيت فارسا أحسن من زيد على عمر. فهل هذه رواية صحيحة ومصدر لا شك فيه يا أبا رية؟ «إلى استحوا ماتوا». وفي الحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

(٤) وقال أبو رية (أول ص ١٦١) أجمع مؤرخو أبي هريرة على أنه كان رجلا مزاحا يتوود إلى الناس وبسليم بكثرة الحديث والإغراب في القول ليشتد ميلهم إليه أذكر لنا من أهل هذا الإجماع مؤرخا واحدا من قتلت المؤرخين: البخاري في تواريخه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، تاريخ يحيى بن معين، الأسماء، والكنى للدولابي وأمثالهم - وإلا فأنت كذاب جهل

(٥) قال (ص ١٦١): ولقد كانوا يتكلمون بروايته وينتقدون عليها، لما تفتن فيها وأكثر منها

لم تذكر سندا لذلك إلا استنتاجك الضيف الذي لا وافقك عليه عاقل من سؤال

الترشيح أبو هريرة عما ورد في الحديث في مثل حله ، قلت : يبدو من سؤال هذا الرجل أنه لم يكن مستغنيا وإنما كان متبهما . فهذا لمواك الأعمى وتقليد للشيء ، حديداً من بنى أصحاب رسول الله ﷺ هو ما وأبى هريرة خاصة أن هذا سؤال تهكم لا سؤال استفهام ، والظن أكذب الحديث إذا لم ينشأ من هوى وجهالة : فكيف إذا كان مثل ظنك هذا ظن هوى وبني وعصية رافضية ؟

(٦) وقوله (ص ١٦٣) عن ابن عساکر أن عمر قال لأبي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخيتك بأرض دوس أو بأرض القردة . ومتى كان تاريخ ابن عساکر من مراجع الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى إليها الشك ولا بدنو منها الرب أيها الجاهل ؟

أنت تشكك في دواوين الإسلام التي هي أصح قول البشر كالبخاري ومسلم والسنن واللساند التي أجمع للمسلمون على قبولها ، وتأتي هنا برواية عن ابن عساکر تصفها بالصحة والثبت وعدم الشك والرب ، فهل رأى الناس تناقضاً أو وقع من هذا وأصبح وأجهل وأظلم ؟ (٨٠٧) وروايته (ص ١٦٤) عن الطبراني في الكبير وعن ابن عساکر حديث « إذا لم تحسبوا حراماً » الخ وحديث « إذا حدثتم عنى بحديث هو ف عز وجل رضا » الخ

فهل مجرد رواية الطبراني في الكبير وابن عساکر في تاريخه يجملها روايات صحيحة ومصادر ثابتة لا شك ولا ريب فيها ، بينا دواوين الإسلام المحترمة وكتب الصحاح التي تحرم أصحابها صمة القتل وسائر السنن واللساند هي موضع شك أبي رية ، فيا للعجب كل العجب ؟

(٩) وقوله (ص ١٦٦) عن مصطفي صادق الرافعي قوله : وعن إتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلى ، وقوله أول رواية إتهم في الإسلام - يعني أبا هريرة فن هو صادق الرافعي هذا حتى إتهم أبا هريرة صاحب رسول الله ﷺ ؟ أهذه رواية

صحيحة ومصدر ثابت لا يرقى إليه الشك ولا بدنو إليه الرب ؟

(١٠) وقوله (ص ١٦٨) : وكان على رضى الله عنه سبى الرأى فيه ، وقال عنه إلا إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة .

أين الرواية الصحيحة والمصدر الثابت عن على في ذلك ؟ ولعلها من أكاذيب عبدة على من حير الرافضة

(١١) وقوله (ص ١٦٨) : ولا سمع الزبير أحاديثه قال : صدق وكذب (وعلقت عليها : ص ١٠٩ ج ٨ من البداية والنهاية) وصاحب البداية والنهاية من حفاظ القرن الثامن يزو ما ينقله إلى من رواه ، فلم تذكر عزوه ولا أعطك إلا خائفاً فيما تنقل كما ثبت ذلك عليك مراراً ، تنقل ما نطق أنه يفيدك ، وتترك ما هو عليك ، ولعل أراجع البداية والنهاية في ذلك

(١٢) وقلت (في ص ١٧١) عن ابن أبي الجلبيد (ج ١ ص ٣٦٠) قول أبي جعفر الاسكافي : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ، ضربه عمر وقال أكثر من الحديث وأمر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ . وابن أبي الجلبيد حفيوة ابن الملقن الخائن وبه الأئمة ، فهل روايته عن أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه الروافض رواية صحيحة ومصدر ثابت لا شك ولا ريب فيه ؟

(١٣) وفي (ص ١٧١) : وقال جولد زهر : وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي حسننا أنفسه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاج . هـ

فهل جولد زهر الطاعن بكتابه العقيدة والشرعية في نبي الإسلام بأنه مصروع وسارق لاصحاب أشيا وواضحة في قرآته في سورة البلد ، والطاعن في كتابه مذاهب المسلمين في التفسير في قراءة التراء أنها من فهمهم للخط العربي غير اللفظ ولا الشكل فقرأ كل قارى بما فيه من هذا الخط ، أفكان جولد زهر صحيح الرواية عندك لا يرقى الشك والريب إلى روايته ، وأبو هريرة كذاب كذاب على رسول الله ﷺ وعلى علماء المسلمين من الصحابة

والثانيين وتابعهم الذين وثقوا بروايته وكلهم جهة غشاشون للإسلام وأهله . إن كان أبو رية يصدق جولد زيهير في كتابيه وما نقله فيها من حقد على الإسلام وأهله ويكذب صاحب رسول الله وحافظ سنته ، فانا قد وإنا إليه راجعون في دينك يا أبا رية

(١٤) وقال في (ص ١٧٢) : وقد وصفه شيرنجير بأنه اللطيف في الاختلاق ووعا ومن هو شيرنجير ؟ أليس من صف جولد زيهير وأشرابه ؟ وهل مثله تنسبه حكماً على أبي هريرة ؟ وهل هو عندك صحيح الرواية ثابت المصدر لا يرقى إليه شك ولا ريب ؟

(١٥) وتقولك (في ص ١٧٤) في حديث يأجوج ومأجوج عن ابن كثير أنه لعله تلقاه عن كعب الأحبار ، وشكك في النقل عنه إذ حذف قوله « فوم بعض الرواة عن أبي هريرة فرقه » فهل يكون التش والتخريف في النقل غير هذا ؟ ابن كثير يجعل الروم عن روى عن أبي هريرة ، وأنت تجعل الروم أو الكذب من أبي هريرة ، وقد بينت كلام ابن كثير بنصه وفمه فيما مضى وسبكت عليك خيانة النقل وعدم الأمانة فيه

(١٦) وحديث خلق الله القرة يوم السبت (ص ١٧٥ - ١٧٦) أجبتك عنه سابقاً ، وبينت صحة الحديث وأنه علم من أعلام النبوة ، بما يحتمل القرب في ذلك

(١٧) وقولك (ص ١٧٥) : وقال البخاري وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار - ذكرت لك سابقاً عبارة ابن كثير من البداية والنهاية (ص ١٧ ، ١٨ ج ١) « فوم بعض الرواة لجند مرفوعاً إلى النبي ﷺ » لجند ابن كثير رفته إلى النبي ﷺ من وم بعض الرواة عن أبي هريرة ، وبذلك ثبت عليك خيانة النقل وشكك فيه

(١٨) وقولك (أول ص ١٧٧) : من دهاء كعب واستغلاله لصداجة أبي هريرة وغشله أنه كان يلقنه ما يريد به في الدين الإسلامي من غرافات وترهات ، حتى إذا رواها أبو هريرة عاده فصدق أبا هريرة الخ

من قال ذلك من أصحاب الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى إليها الشك ولا يدنو منها الريب ؟ وزعمت أنك لم تأت في الترجمة بشيء من عندك ، فمن عند من هذه الترجمة يا من بنى كذبه ؟

(١٩) وقولك (ص ١٧٧) : وفي فصل الأسرانيات الذي مر بك من ذلك (ص ١٠٨ وما بعدها) وقد عدت منها حديث للمراج في فرض الصلوات الخمس ، وجعله مما سربت الأسرانيات إلى ديننا . من قال هذا القول غيرك من ذوي الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ؟ أينطبق هذا على دعواك أنك لم تأت في ترجمة أبي هريرة بشيء من عندك ؟

(٢٠) وقولك (في ص ١٧٨) : على أن هذه الفكرة القوية التي اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعاً ، بل من دون ما ذرأ الله من الطياع الإنسانية ، قد خالته في مواضع كثيرة ، وإن توبه الذي بسطه قد تمزق ، فتناثر ما كان قد ضمه بين المرافقه . هـ

هل هو من عند نفسك أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . والعجب أن تزعم ضعف ذاكرة أبي هريرة وتنسى نفسك فلا تذكر ما يكتبك في صفحات قليلة سابقة

(٢١) وقولك (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة على ما وصف به نفسه ذكياً فطناً قوى الذاكرة واسع الحافظة ضابطاً لكل ما يسع لانتلت منه كلمة ولا يتدّ عنه لفظ ، فلم لم يحفظ القرآن على فراغه ومارل عمره في الإسلام الخ ، فدعوى عدم حفظ أبي هريرة للقرآن من عند نفسك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك فيها ولا ريب ، وقد رددتها عليك فيما مضى وأنها من أكاذيبك

(٢٢) وقولك (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التي لم يلقها إنسان قبله ولا يلقها إنسان بعده وهي عدم السهو والنسيان لأشهر عنه ذلك

ولأصبح وحده علما مفردا الخ

من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك فيها ولا ريب ؟
(٢٣) وحديث الوعائين (ص ١٨٢) الذين حفظها أبو هريرة ودعوى موارثته
الحديث على عندما سئل : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله الخ ، ودعوى
موارثته لحديث ابن عباس عندما سئل : أترك النبي من شيء ؟ فقال : ما ترك إلا
ما بين الدفتين - هذا من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . وقد أجبتك
آنفا عن دعوى للمارضة ، وأن هذه المارضة من خيالك الفاسد وهواك المهلك
(٢٤) وما سقت (آخر ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤) من أوهام وخيالات فاسدة في
ردّ حديث الوعائين ، من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة بلا شك
ولا ريب ؟

وقد أجبتك آنفا عن هذه الأوهام والخيالات التي زعمت أنها ترد حديث الوعائين
(٢٥) وقولك (ص ١٨٥) : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهتبا لاشأن
له ولا خطر ، وقد ظل على هذه المهابة زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر - الخ
أمن عندك فسكذبك في أنك لم تأت بشيء في ترجمته من عند نفسك ؟ أم من
الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ؟ فأين هي ، لعلها من كتاب
سيدك العالم الحق عبد الحسين بن شرف الدين النجفي في كتابه القيم زعمك (أبو هريرة) ،
فأنتم وأكرم بهذه الرواية الصحيحة ، وبهذا المرجع الثابت الذي لا يرقى إليه الشك
ولا يدنونه الرب

(٢٦) وقولك (ص ١٨٥) في اتجاه أبي هريرة إلى ناحية معاوية ذات الترف
والسلطان ، واجتباؤه لناحية على ذات الجوع والقتل : لأن ذلك مما يميل إليه طبعه ويتفق مع
هوى نفس الخ من عندك أنت ؟ أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة أيها
الكذاب الذي ينسئ كذبه ؟

(٢٧) وقولك (ص ١٨٦) ولقد عرف بنو أمية ضيعة منهم وقدروا مولاته لهم
فأغدقوا عليه من إفضالهم وغروره برفدهم وأعطيتهم الخ
من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة ؟

(٢٨) وقولك (ص ١٨٧) : ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصرا بالعقيق ، وأقطعوه
أرضا بالعقيق وبنى الخليفة ، ولم يكتفوا بذلك بل زوجته بسرة بنت غزوان أخت
الأمير عتبة بن غزوان

أمن عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة بتد بني أمية له قصرا بالعقيق وإقطاعه أرضا
بها وتزويجهم إيها بسرة بنت غزوان ؟ أين الرواية الصحيحة بأن ذلك من بني أمية - لعلها
من كتاب أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين النجفي أو السكريلاني

(٢٩) وقولك (ص ١٨٨) : وهذا الحديث - يعني حديث إن أشد أمتي حياء
قوم يأتون من يمدني يؤمنون (في) ولم يروى بصلوات بما جاء في الورق الملقى - قولك
في هذا الحديث أنه من غرائبه وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته

من قال هذا القول قبلك من أئمة الحديث ؟ وأين نطق الحديث بأنه ابن ساعته ؟
تنبئ أن أبا هريرة اختلقه خلقا لئمان ، كبرت كلمة خرجت من فيك التفسر
بتهمة صحابي جليل

(٣٠) وقولك (ص ١٨٨) : ومن غرائبه ما رواه البيهقي من حديثه عن الصائب
الثلاث ، وتهكك به بقولك « أي جيش يا مولانا » وقولك عن مزوده « لعله كان مملقا
في الصفة » ، وتعليقك على قوله « ولما قتل عثمان » بقولك : وهذا هو السر - وقولك :
وكأنه يريد وهو يزعم اتهام مزوده لما قتل عثمان أن يتقاضي ثمنه من بني أمية ، وقد
عوضوه بالنسي . الكثير . هـ

أمن عندك هذه التزييفات والتهككات ، وأن بني أمية عوضوه عن مزوده بالنسي .
الكثير ، أم عندك بها روايات صحيحة ومراجع ثابتة لا يرقى إليها الشك ولا

يعتدونها الرب ؟

(٣١) وقال أبو رية (ح ١ ص ١٨٧) : مما يدل على أن أبا هريرة قد نزل على قومه وصره إلى أواخر عهد عمر أن عمر قال له حين استدعاه من البحرين لا أتى أشياء استوجبت عزله وكان قد ولاء عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استملكك على البحرين (سنة ٢١ هـ) وأنت بلا نيلين . هـ

أمن عندك هذا أم من الروايات الصحيحة والراجع الثانية التي لا شك ولا ريب فيها ؟ أم هي من عهد سيدك عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي ؟

(٣٢) وقال (ح ٢ ص ١٨٧) انظر إلى هذا الكلام الذي ترمى عن كل مردودة وكرم والنسب بكل ديانة ولزم ، فتجده يباهي بامتهان زوجه والنسب منها . وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق ؟

هل لي أن أسألك كم يساوي عند العجم الروافض هذا القبح الذي لا يخرج من فم سوقة فضلا عن أن يستله مسلم يحترم صحة رسول الله ﷺ لمن أكرمهم الله بها .

(٣٣) وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) ولم يكن ما قدم أبو هريرة لحاوية جهادا بسيفه أو بجماله ، وإنما كان جهاده أصاديت ينشرها بين المسلمين بخذل بها أنصار على ويطعن عليه ، ويجعل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية هـ وهذه القرية منك تستحق مكافأة بحجة رافضية تتناسب معها . وكنا نحب أن نرى لونا واحدا من هذه الأصاديت التي تخذل أنصار على ويطعن بها عليه ونبرى . الناس منه وتشيد بفضل معاوية من رواية أبي هريرة . هات لنا نموذجها منها ولو من حجة أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين ، أو من مفترقات ابن أبي الحديد شدين ابن القتيبي ، أو عن الاسكافي عن شيوخه الروافض

(٣٤) وقوله (ص ١٨٩) : وما وضع في معاوية ما أخرجه الخطيب عنه : ناول - التي ﷺ معاوية بها فقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة . هـ

حديث ينقله الخطيب البغدادي في تاريخه من الموضوعات التي زورها الموضوعون

عن أبي هريرة في فضل معاوية يكون واضع هو أبو هريرة لا رجال سند الخطيب إلى أبي هريرة . من قال هذا غيرك أيها الواضع لأضواء على السنة المحمدية ؟ فرجال الخطيب بسنده إلى أبي هريرة م الثقات عندك ، وأبو هريرة هو واضع الحديث ! راجع موضوعات ابن الجوزي حتى تعرف واضع الحديث ويسود وجه أبي رية في اتهام أبي هريرة صاحب رسول الله وللقاديب يهديه

(٣٥) قال (ص ١٨٩) : وكذلك ما رواه ابن عساكر وابن عدى والخطيب عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله اثنان على وجه ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية . وفي رواية أخرى : الأئمة ثلاثة جبريل وأنا ومعاوية . هـ

لو أن أبا رية ثم نسفة من راحة الحديث لاستحسب من نفسه أن ينقل موضوعات وردت بأسانيد عدا ابن عساكر وابن عدى والخطيب ، فيجعل أبو رية تلك الأسانيد وما تدل عليه متخطيا الواضعين من روايتها ليأصفا بأبي هريرة ، ولا غرو فسيده وأستاذة في ذلك أجمل الناس بالحديث وطرق أهله عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي وتراجع لذلك كتب الموضوعات

(٣٦) وقال (ص ١٨٩) : ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة وكانت مشهورة بالجلال القاتني فقال : سبحان الله ، ما أحسن ما غذاك أهلك . والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله ﷺ (ص ١٠٩ ج ٦ من العقد الثريد) صار العقد الثريد من دواوين السنة التي يستند عليها أبو رية في رمي أبي هريرة بالوضع والكذب ، فهو من الروايات الصحيحة والراجع الثانية التي لا شك ولا ريب فيها ، بخلاف دواوين السنة الشهيرة من الصحاح والسنن والمسند فهي موضع شك وريبة عند أبي رية ، فيحان من مسخ من اليهود قرعة وختايز وجعل النهار ليلا في عين الأعمشى

(٣٧) وكتاب الشعر والشراء صار عند أبي رية (ص ١٨٩) من الروايات الصحيحة والراجع الثانية التي لا شك فيها ، وينقل منه عن السجاء الرايز : قال لي أبو

هريرة عن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بشأن الشام فيأخذوا صدقتك ... وخل عنهم وحسبها ، وإياك أن تسبهم إلخ . وهذه أيضا من نوع أشباهها

(٣٨) وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) بنون وشبهه أحاديث على علي : قال أبو جعفر الاسكافي (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) : إن معاوية جعل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيلة على علي تقتضي الظن فيه والبرادة منه وجعل لهم في ذلك جملا فاختلقوا له ما أراضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص ولقمة بن شعبة ، ومن التابعين عمرو بن الزبير . هـ

رواية اسكافية هي عند أبي رية مرجح ثابت لا شك ولا ريب فيه . كيف لا وقد نقلها عن الاسكافي الرافضي ابن أبي الحديد المتزنى للمحد^(١) فثبتا لروافض الذين لا شك

(١) الذي يقول مخاطبا على بن أبي طالب رضي الله عنه :

تقبلت أخلاق الربويصة التي عنرت بها من شك أنك مرعوب
وقال يقارن بين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما :
كم بين من شك في خلافته وبين من قبل إنه الله
وقال يصف عليا بأوصاف الأئمة :

يجل عن الأعراض والآين والمنى ويصبر عن تقيجه بالناصر
ويبلغ به الغر في أن يشتم الإسلام أفتح شتم وأسفه بقوله :
الا إنما الإسلام لولا حسامه كسطة عنز أو قلامة ظافر

وفي هذا البيت تكذيب من ابن أبي الحديد لقول النبي ﷺ ، وأنجز وحده وضر عبده وهزم الأحزاب وحده . وابن أبي الحديد كان مع ابن العلقمي في مؤامرة الحياة لقولة الإسلام بالخامسة مع وثنيي النار والمنقول سنة ٦٥٥ ، وهو كان العلقمي والنصير الطوسي أحد المسترلين عن وقوف الذبح العام الزهبي الذي ارتكبه هولاء في أمة محمد ﷺ يومئذ . ومن أعظم النغلة والجلل بالإسلام استنهاد من يستنهد بنقول ابن أبي الحديد المتزنى للمحد ، ودماسته الشفيع في شرحه نهج البلاغة المكذوب نصفه على الإمام علي كرم الله

فهم ولا ريب عند أبي رية ، وأسفاه على أهل الحديث الحدي من الصحابة للماسرين لأبي هريرة إلى من يهدم من التابعين وتابيحهم حتى أمسة التدوين مالك والتوري وابن عيينة والحدادين وابن المبارك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي ومن على شاكلتهم ، كيف خفي على هؤلاء كلهم وضع أبي هريرة وكذبه ، وظهر لسادات أبي رية عبد الحسين بن شرف الدين وابن أبي الحديد والاسكافي الذين فضحوا لما لم يظن له السلون قديما وحديثا

(٣٩) وقال (ص ١٩٠) : وروي الأعمش في قدوم أبي هريرة العراق وقوله إنه يشهد أن عليا أحدث فيها - يعني المدينة - فلما بلغ معاوية قوله أجازوه وأكرموا وولاه إمارة المدينة

أهذه رواية صحيحة ، ومرجح ثابت لا شك ولا ريب فيه ؟ إذا لم تسع فاصح ما شئت

(٤٠) وقال (ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي ﷺ قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وإن الناس كانوا يجمعون عن هذا الكذب في كل مكان هـ

من عندك هذا ؟ أم من الرواية الصحيحة والمرجح الثابت الذي لا شك ولا ريب فيه ؟ وليت شعري كيف لم يعلم المسلمون من الصحابة والتابعين وتابيحهم بإحسان إلى يوم القيامة كذب أبي هريرة الشائع المشتهر الذي عم الآفاق ، وعلمه أبو رية في القرن الرابع هجري ؟

قد سقت لك يا أبا رية أربعين شاهدا من كلامك تكذبك في قولك (أول ص

== وجهه . وكان أجدر بأبي رية أن يتبع الدخيل والمكذوب في نهج البلاغة ، أما السنة الحنكية فقد قام علماءها بالفتية على كل دخیل عليها . ومؤلفاتهم البرية من الزيف والغرض تملأ خزائن الأرض في الشرق والغرب ، عرفها من عرفها وجعلها من جعلها

(١٩٧) : وما ينه من تاريخ أبي هريرة قد سقاه لك على حقيقته ، وأظهرنا شخصية أبي هريرة كما خلقها الله ، ولم نأت فيها بشيء من عندنا بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها ، وزججنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الرب منها . فأريهم بيعة من كلامك ذكرناها بأرقام صفحاتها تكذبك فيها قلته هنا ، ومن قام شاهد واحد على كذبه فهو كذاب ، فكيف من شهد عليه أربعون شاهدا من كلامه ، فأغلق به أن يكون في سجن الكذابين وجسم الفترين

وقال أبو رية (ص ١٩٧) : قلل أنا قد طويينا كثيرا عما أتيه التاريخ ، لأن شيخ الدين عندنا لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحصلون قوة البرهان . هـ

ليت شرى ما هو الكثير الذي طواه أبو رية من مساوي أبي هريرة بعد الذي وصه به من أنه أكل منهم مزاج مهذار لهم الأصل ليس له خلق كريم كذاب على رسول الله ﷺ ، المشتهر كذبه حتى عم الآفاق وبلغ العراق ، فإذا بقي بعد ذلك من الشرور الكثيرة في جبة أبي رية من مساوي أبي هريرة وطواها خورا من الذين لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحصلون قوة البرهان ؟

وليت شرى ما هو هذا التاريخ الصحيح الذي أثبت من مساوي أبي هريرة ما طواه أبو رية عنا وعن الناس ، أهو الكتاب الذي زعمه قبا لسيده عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي ، أو هو ما نقله ابن أبي الحديد للمؤرخ للحد عن هوشر منه أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه ؟

قال أبو رية (ص ١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له كما قلنا أي شأن في زمن النبي ﷺ ولا في عهد العبرين الراشدين ، ولم يستطع أن يفتح فاه بمحدث واحد إلا بعد قتل عمر ، ولم يجرؤ على التفتي إلا بعد الفتنة الأولى وهي قتل عثمان وطول شأن بني أمية ، وناهيك بالبخاري فإنه لم يذكره بين الصحابة الذين جاءت في فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ وجوابه : كن كذوبا وكن ذكورا ، فقد سبق لك (ص ١٩٢) أن عمر ولاء

بإمرة البحرين ، وزعت سابقا أنه فر في غزوة مؤتة ، فإذا كان غازيا في عهد أبي بكر مجاهدا في سبيل الله فر أو ثبت . وأزيدك تكذبا لك أن رسول الله ﷺ كان يفتقه : أين كنت يا أبا هريرة ؟ وأن حسانا شاعر النبي ﷺ استشهد به لما لحظ إليه عمر وهو ينشد الشعر في المسجد فقال حسان : أشدك بالله يا أبا هريرة ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : هاجمهم وروح القدس ملك أو ما أن البخاري لم يذكره مع الصحابة الذين جاءت في فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ فالصحابة الذين قدروا في موسم حجة الوداع عاتة ألف لم يخرج البخاري لشعر معشار فضائل ، وأصحاب بيعة الرضوان الذين بلغوا أربع عشرة مائة وقال الله فيهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فلم ما في قلوبهم وأتزل السكنة عليهم) وأنهم فتحا قريبا لم يخرج البخاري أحاديث في فضلهم

وحسبه فضلا أن يروى له مسند الأندلس بقي بن مخلد ٥٣٧٤ حديثا ، ويروى له البخاري منها ٤٩٦ حديثا في صحيحه الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله بأجماع المسلمين فإذا كان هذا شأن أبي هريرة عند رسول الله وخليفته أبي بكر وعمر ، وشأنه عند خيار الأمة من الصحابة والتابعين وتابعهم بإحسان ، وعند جماعة أهل السنة والجماعة ، فما يضره نباح الرافضة عبد الحسين وأبي جعفر الاسكافي وشيوخهم ثم من سلك سبيلهم كأبي رية

إذا رضيت مني كرام عشيرتي فلا زال غضباننا على لناها
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

قيمة الصحابة عند أبي رية

قال أبو رية (أول ص ١٩٦) : « هذه ترجمة مختصرة لأبي هريرة التزامنا فيها التاحية القريرية ، ولم نسلط الطريقة التحليلية أو الاستاذية التي لا تسلك التراجيم المنحجية إلا بينها ، ولا تم جراءة الرجال والأحداث إلا باتهامها

« ذلك بأننا لم نصل بعد إلى احتمال سلطتها وبخاصة إذا كان الأمر ينصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم أنهم كلهم عدول ، فلا يجوز لأحد أن ينقض بالعلم والبرهان والحجة أحدا منهم لا في روايته ولا في شهادته ولا في سيرته . وما قالوه في ذلك أيضا » إن بساطهم قد طوى ، وكان الدلالة موقوفة عليهم وحدهم ، وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية فلا يترجم ما يترى كل إنسان من سهو أو خطأ أو وهم ، ولا نقول الكذب والبهتان !

« على أننا لو سلمنا لم بأن كل صانع معصوم فيما يقع فيه غيره من بين الإنسان ، وأنه لا ينسى ولا يخطئ ولا يسهو ولا يترقب سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن في الصحابة منافقون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتد بعضهم بدموت التي ^{عليها} ولا غير ذلك مما حلتها كتب التاريخ الصحيحة عنهم - فان أمر أبي هريرة ليأين أمر الصحابة جميعا ، فقد جرحه كبار الصحابة وشكروا في روايته كما يتنا ذلك من قبل » . هـ .

أقول : في هذا الكلام من الجهل والورور والبهتان ما نستعين بالله على بيان بعضه أولا - قوله إنه سلك في ترجمة أبي هريرة الطريقة التطبيقية ولم يسلك الطريقة التحليلية الانتقادية التي لا تسلك التراجم الصحيحة إلا بها ، ولا تم دراسة الرجال والأحداث إلا باتمامها ، فهل ينقل أبو رية ما يقول ؟

(١) ما هو قوله (في ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي ^ﷺ قد اشتهر حتى هم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالمرئى وأن الناس جميعا كانوا يصعدون عن هذا الكذب في كل مكان

(٢) وقوله (ح ٢ ص ١٨٧) عن كلام لأبي هريرة : انظر إلى هذا الكلام الذي ترمى عن كل مسوودة وكرم ، واتهم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يبايى بأمتيانه زوجة والتفتي منها ، وهل ينقل مثل هذا رجل يخرج من أصل هريق ١ ؟

(٣) وقوله (ح ١ ص ١٨٧) : بما يدل على أن أبا هريرة قد ظل على قعره وعمره ^{وعمره}

إلى أواخر عهد عمر ، أن مر قال له عندما استدعاه من البحرين لما أتى أنبياء استوجبت عزله ، وكان قد ولاه عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استملاكك على البحرين وأنت جلا تليين

(٤) وقوله (ص ١٨٩) : « هنا السر » عند قول أبي هريرة في ثالث مصابيه : فلما قتل عثمان الخ

(٥) وقوله (ص ١٨٩) وكأنه يريد - وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان - أن يتقاضى عنه من بى أمية وقد عوضوه عنه بالشيء الكثير . هـ .

هذه أمثلة خسة ، ولو شئت ليلفت بها فوق الأربعين ، تسكديه في أنه التزم في ترجمة أبي هريرة الناحية التقريرية ، ولم يسلك الطريقة التحليلية أو الانتقادية التي لا تسلك التراجم الصحيحة إلا بها الخ

فاما أنك لا تسلك الطريقة التحليلية الانتقادية وإعاقرات عنها في بعض الكتب فذكرت لفظها بتير فهم لمنه تقرأ بقاء كتابك أنك من يعرفون هذه الطريقة ، وإما أنك كذوب غير ذكر فيقول ما يكذب به فيه سابق كلامه

وقولك : وأما عن الصحابة الذين قالوا فيهم - تعنى أهل السنة - إنهم كلهم عدول فلا يجوز أن ينقض بالعلم والبرهان والحجة أحد منهم لا في روايته ولا في شهادته ولا في سيرته ، وأن بساطهم قد طوى كأن الدلالة موقوفة عليهم وحدهم ، وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية ، فلا يترجم ما يترى كل إنسان من سهو أو خطأ أو وهم أو نسيان

في هذا الكلام من الجهل والهورى والبهتان ما سنبينه :

(١) عدالة الصحابة كلهم جاءت بها الكتب النسابية التوراة والأنجيل والقرآن في قوله تعالى ﴿ بعد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شعثا فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

بموجب الزناح ليطيظ بهم الكفار ، وقد الله الذين آمنوا وحملوا الصالحات منهم منفرة وأجرا عظيما ﴿ وقوله ﴾ فقترنا المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يفتنون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يحبورن من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك إنك رءوف رحيم ﴾ وقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وفي الحديث « خير القرون قرني ثم القرن يلونهم ثم القرن يلونهم » . والحديث الآخر : « لا نسبوا أصابي فولاذي نسي يده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »

فهؤلاء الذين شهد لهم القرآن والحديث بالصدق والإيمان والتقوى ونصرة الله ورسوله والأسلام وأنهم خير القرون ، يحى . أبودية في القرن الرابع عشر ليبرسمهم تيمنا لساداته الروافض عبد الحسين بن شرف الدين وأبي جعفر الأسكافي وللحد ابن أبي الحديد والسبأى ابن السكبي والشيعي الحنفى لوط بن نوح أبي مخنف ، وتبيظه شهادة للكتب السبابة لم وإجماع للشيخين على عدالتهم بعد تدليل الله ورسوله لم ويقول روايتهم وشهادتهم . ان هذا هو الضلال للبين

وأما الخلط بين البدالة وعدم السهو أو الخطأ أو التسيان فخلط عجيب يدل على ضعف في العقل كدلالته على الضعف في الدين ، وإن أهل السنة - مع إجماعهم على عدالة الصحابة ، ومنها الصدوق وعلم الكذب - لا يحيلون على الصحابة ما يجوز على سائر الناس من السهو أو الزم أو الخطأ ، سائما الكذب

ها هو ذا ابن عباس يروى أن النبي ﷺ تزوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث المخالفة وهو بحرم ، وتقول ميمونة : ما تزوج بي إلا وهو حلال ، وأما حديث ابن عباس على الزم

ويرى أيضا ابن عباس أن النبي ﷺ حينما دخل الكعبة في فتح مكة كبر في نواحي البيت ولم يصل ، ويرى أسامة بن زيد أنه صلى ركعتين بين السورى في مؤخر البيت سارية عن يمينه واثنين عن يساره ، فأخذ الناس بحديث أسامة وهووا ابن عباس وهذا ابن عمر يروى أن النبي ﷺ اصبر أربع عمر إحداها في رجب ، وقالت عائشة : وم ابن عمر ، لم يصبر النبي ﷺ مرة إلا وكان ابن عمر معه ، وما اعتذر قط في رجب . وأخذ الناس برواية عائشة وهووا ابن عمر

وهذا عمار بن ياسر ظن أن التيسم من الجناة في البدن كله فصرغ في التراب حتى صحح له النبي ﷺ فقال : يكتبك هكذا ، وضرب ضربة لوجهه والكئين

وهذا الذي وضع عقلا أبيض وعقلا أسود تحت رأسه وقت السحور ذهبا منه الى تأويل قوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر ﴾ حتى بين له أن الراد ضوء النهار في ظلة الليل

والذين فهموا من قوله سبحانه ﴿ فاعتزلوا النساء في الحيض ﴾ أنه الاعتزال كلية عن المؤاكلة والمجالة ونحوها ، حتى بين لهم النبي ﷺ بقوله : اعتصموا كل شئ . إلا الجماع

والذين فهموا الصوم من نهي النبي ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام من أجل الدابة التي دفت من البداية حتى بين لهم النبي ﷺ أن ذلك كان من أجل الدابة ، وأباح لهم الادخار فوق ثلاثة أيام بعد ذلك

فالخلط بين ثبوت البدالة للصحابة كلهم بالكتاب والسنة والإجماع وبين نفي السهو والخطأ والزوم ، خلط عجيب ، سببه الجهل والموى ، وويل للجاهل إذا تكلم بهوى فبلا لا يحسنه حتى يعميه جهله وهواه عن الحقيقة

وقوله (ص ١٩٦) : على أننا لو سلمنا لم بأن كل صحابي معصوم فيما يقع فيه غيره من بنى الانسان ، وأنه لا ينسى ولا يغفل ، ولا يجهل ولا يمتريه سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن في الصحابة مناقرون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتكب بعضهم بندوت

التي عليه ، ولا غير ذلك مما حلت كتب التاريخ الصحيحة عنهم ، فإن أمر أبي هريرة
ليبين أمر الصحابة جميعاً ، قد جرحه كبار الصحابة ، وشكوا في روايته ، كما أبنا
ذلك من قبل . هـ

والجواب : من الذي قال لهذا للفتى الكذاب إن الصحابة لا يسنون ولا يسهون
ولا يغلطون ولا يسهون ، ولكن لا ثبت لأحد منهم نبيانا أو سهوا أو خطأ أو مما إلا
بدليل مقبول عند أهل السنة والجماعة الذين هم قواد الآثار وصياغة الروايات ، لا أمثال أهل
الفتن على سلف الأمة وخيار القرون الإسلامية الأولى كمبد الحسين بن شرف الدين
وإبن أبي الحديد وأبي جعفر الاسكافي وشيوخه

أما أن فيهم مناقبين فالنفاق وإن كان في القلب لكن أماراته تظهر في الأعمال ، كما
قال تعالى ﴿ ولو نشاء لأريناكم فقرهم بسيام وضرقتهم في لحن القول ﴾ فلق مرقمتهم
بسيام على للشبهة الإلهية ، وأكد مرقمتهم تأكيدين : بسيا النفاق ولبس القول وهو
ما يدل بفعله على ما في القلب . وفي الحديث « آية للنفاق ثلاث : إذا حدث كذب ،
وإذا وعد أخلف ، وإذا أثنى خان » ورابعة « وإذا عاهد غدر » وأزل الله سورة بتسامها
في أوصافهم نسي سورة للنفاقين ، وفي سورة برامة (التوبة) من أوصافهم : ومنهم ،
ومنهم ، حتى سماها بضمهم « النافضة » لفضحها سراير للنفاقين ، وقال بضمهم : سرنا تراء
فيها ومنهم ومنهم حتى قلنا أنها ستقسم بأسمائهم

فن هؤلاء صفتهم في القرآن والحديث كيف ينحى على جهالة النقد عالم فيأخذون
عنهم الذين ؟ وهم أبعد الناس عن الدين وأهل وعن جريانه على السنتهم

ها هي ذى دواوين السنة من مساند وصالح وسنن ، هات ولحدنا من صاحبها تنهب
بالنفاق : أبو بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو ابن عمر أو عائشة أو أبو هريرة أو عبد الله
ابن عمر أو عبد الله بن عمرو أو أنس بن مالك أو أبو سعيد الخدري ، إن كابرته فضحكك
للكارثة ، وإن باعته فضحكك البهتان

وأما أن منهم من ارتد بعد موت النبي عليه فهم جفأة الأعراب من أهل البادية عن
لم ينزل النبي عليه تهمتهم كالصحابة ، وقد أغنى الله دينه عن تحمل هؤلاء البداة له ،
ومع ذلك فكان أمرهم يتعلق بنظام الزكاة ، وسرعان ما وجسوا بعد ذلك إلى أحضان
الاسلام مجاهدين صالحين

ولم يقل أحد من السليين بنصصة أحد من الصحابة عن ارتكاب الذنوب كغيرها أو
حضرها ، ولكن كل طينة منهم أهل في إنسانيتها من كل طينة في مستواها من سائر الأمم ،
وكان خيارهم إن زل أحد منهم زلة يادر إلى التوبة النصوح ، ومن عامتهم من أقدم على
الاهتراف الذي أودى بحياته بالمجاعة إقامة لحدود الله

ويبدأ أن شك أبو رية في الصحابة - أن فيهم مناقبين وفيهم من ارتد بعد موت
النبي عليه وأن فيهم وفيهم - قال (من ١٩٦) فإن أمر أبي هريرة يبين أمر الصحابة جميعاً
قد جرحه كبار الصحابة وشكوا في روايته كما أبنا ذلك من قبل . هـ

وجوابه : (١) ما هي كتب التاريخ الصحيحة التي حلت عن الصحابة ما اتهم به
وما نيزتهم به ؟ أي كتب الروافض كمبد الحسين بن شرف الدين وللحادثة كان أبي
الحديد والجاذبين كافي جعفر الاسكافي وشيوخه ؟ أو كتب الجماعة كالبخاري في تواريخه
الثلاثة وتاريخ يحيى بن معين والأعمام والكنى للدولابي وأمثالها من كتب التقات أهل
الصدق والأمانة والذين لم لسان صدق في الأمة ؟

(٢) ما الذي أخرج أبا هريرة من عزم قوله عز وجل ﴿ محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحاء بينهم ترام ركاماً سجدوا لفضلا من الله ورضوانا سيام في
وجوههم من أزر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزبرج أخرج شطاه
فأزره فاستوى على سوفة يسحب الزراع ليضبط بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعلوا
الصالحات منهم منفرة وأجر عظيم ؟ وما الذي استثناء من عموم قوله تعالى ﴿ كنتم خير
أمة أخرجت للناس تأسرون بالمعروف وتنبهون عن المنكر وتؤمنون به ﴾ وما الذي
لنفتنائه من حديث ﴿ لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو ألقوا أحدكم ملء الأرض

ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه ؟

هل استغناه ما اقترع من أن كبار الصحابة جرحوه وشكروا في روايته ؟ من الذي قال ذلك قبله من أهل الصدق والأمانة والفتنة حاشاً أبا جعفر الاسكافي وشيوخه من الرافضة أعداء الكتاب والسنة وخصوم حجة الدلم النبوي

أذكر لنا إماماً واحداً من أئمة الاسلام أهل الصدق والأمانة ذكر ما ذكرت من الاقتراء على كبار الصحابة في أبي هريرة ، وحول ذلك على ما أثبت سابقاً حواله على ميثاق سائقات منخقة وموقوفة وسوابب لا خطام ولا زمام لها من ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه ، أو من مراجع ضميعة لا ينجح بها في مثل هذه الأمور

وقولك (ص ١٩٦) عن علماء الكلام بأنهم أصحاب العقول الصريحة ، وإيجابك بضجهم من رجال الحديث الذين ينسبون شيناً إلى الكذب بفتح يحيى بن معين وعلى ابن اللبني ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه الخلدون ، ويعتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكذبه عمر وعلى وعثمان وعائشة . هـ . ص ١٠ ، ص ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث

وجوابه أن علماء الكلام الذين هم عندك أصحاب العقول الصريحة هم ابن أبي الحديد للترنق للحد عن أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه الذين من عليه رفضاً وعداوة للحديث وأهل وأصحاب رسول الله ﷺ

ويراجع كتاب مختلف الحديث ص ١٠ ، ١١ ، فما أظن النقل عنه إلا محرقاً أو منشوشاً

ثم أين غاب عن أئمة الاسلام من التابعين وتابعيهم - الحسن ، وابن سيرين ، والثعلبي - وشرح وقهاء المدينة السبعة ورواية حديثهم محدث المجاز والثام الزهري ، ورواية حديث دار النبوة والمجرة مالك بن أنس ، ورواية الكوفة الثوري ، وحافظ مكة ابن حبان ، وحافظ الشام وإمامها الأوزاعي ، وحافظ مصر وإمامها البيهقي ، ثم من يعدم ابن

المبارك والحجاء والثاني وأحد وأصحاب دواوين الاسلام : البخاري ومسلم وأصحاب السنن ، أين غاب عن هؤلاء جميعاً تكذيب عمر وعلى وعثمان لأبي هريرة إلى أن سقط على هذه التذارة عفا ذلك الذين هم أصحاب العقول الصريحة ، إلا أن يكونوا أمثال الاسكافي وشيوخه ورواية قذاراتهم ابن أبي الحديد ومرحاض أكاذيبهم عبد الحسين ابن شرف الذين آخر ما لفتت الرافضة من أعداء صحابة رسول الله ، أو أبو بكر بن شهاب الذي كان يلبن أبيه من أجل أنها سيماها أبا بكر وجمع من أكاذيبه رسالته التذرة التي سماها (النصائح الككافية في النهي عن تولي معاوية) واتصلها وتبناها تليفه في إرفض ابن عقيل المحضري الرافضي الذي أرى في سنانافورة وجاوة بالانساب لآل البيت الذين يحرمهم المسلمون ولا يبخلون بعالم على من يتسبب اليهم ولو حل من وراء ظهور المسلمين على هدم رسالة الاسلام بالنسب لأهلها الأولين ، وحامل السفة المحدية للتقدمين

وقولك (١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له - كما قلنا - أي شأن في زمن النبي ﷺ ولا في عهد المرين الخ قد أجبتك عن هذا الزور والبهتان فيما تقدم ، فلا حاجة لاعادة ذلك وما قلته (ح ٢ ص ١٩٧) عن ابن سعد في ترجمة ابن عباس أماء من كان من يقى من الصحابة بالمدينة ومحدث عن رسول الله من لندن توفي عثمان إلى أن توفوا - يعني ولم يذكر فيهم أبو هريرة

وجوابه أنهم لم يذكر فيهم على بن أبي طالب ولا ابنه الحسن ولا الحسين ، فهل تقبل عواماتهم من صفه الاخوان لأن الرواية التي ذكرها ابن سعد لم تذكرهم ؟

وفضل عائشة في الرواية والفتوى لا يتكره إلا ساداتك حير الرافضة ، وهذا لا ينفي فضل أبي هريرة سواء أفتى أو لم يفت ، فإن المسلمين على توالي العصور يحملونه وينظموه في كتب الشريعة الاسلامية ويمتدونه حافظاً من أوثق حفاظ الاسلام ، ورواية للحديث النبوي من أعظم الرواة وأصدقهم

ولا يترنك تصديق من صفوا لك من دعاة الإغلال الخلق والدين من أهل دار

للجلال وغيرهم من أنصار البرى والتحلل وأبواق الاستعمار الأمريكى والتبشير اللادى ،
 حوان تشجيعهم لك حجة عليك ، ودليل على وجهتك ، ولكل وجهة هو مولها

ايراده أمثلة عما رواه أبو هريرة

قال أبو ربة (أول ص ١٩٨) : أخرج البخارى وسلم عنه قال : أرسل ملك اللوت
 إلى موسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلنى إلى عبد لا يجب
 اللوت . فرد الله عليه عينه وقال : ارجع قتل له يضر يده على متن نور ، فله بكل ما غطت
 يده بكل شرة سنة . قال : يارب ، ثم ماذا ؟ قال : ثم اللوت . قال : فالآن ، فسأل
 الله يدينه من الأرض للقدسة رمية حجر . قال رسول الله ﷺ : فلو كنت ثم لأريك قبره
 إلى جانب الطريق عند الكتيب الآخر

وفى رواية لمسلم : فظلم موسى عين ملك اللوت فقناها

وفى تاريخ الطبرى عن أبى هريرة إن ملك اللوت كان يأتى الناس عيانا ، حتى أتى
 موسى فظلمه فقنا عنه ، ومن بعد ساذة موسى يأتى الناس خفيا

قال أبو ربة : وإن راحة الاسرائيلية تفزع من هذا الحديث . هـ

وجوابه : أبة راحة اسرائيلية فى هذا الحديث يا صاحب الألف البيوليسى الشاذ ؟
 أم أجل ذكر موسى ؟ فوسى أكثر الأنبياء ذكر فى القرآن ، فليكن كل ما جاء فيه .
 ذكر موسى فى القرآن اسرائيلية ، فيخرج معظم القرآن بحكم شتمك اسرائيلية . أم من كون
 موسى ملك اللوت فقنا عنه التى ردها الله عليه ؟ والذين ردوا الحديث من عهد
 أبى هريرة إلى أئمة التدوين ، والذين شرحوا الصحيحين كالخطاى وعياض والنورى وابن
 حجر والقسطلانى وغيرهم ، لم يشوا فيه راحة اسرائيلية ، ولم ينكروا على موسى أن
 يظلم عنه من ظنه صائلا ، والدفاع عن النفس عما لا يتكره عقل ولا فطرة ، وقد عرفنا
 من خلق موسى وخلقه الشدة والأخذ بالأقوى ، فقد دفع القبطى عن الإسرائيلى فوكزي

قتضى عليه . ولما رأى حياة قومه لهجلى فى غياه أخذ برأس أخيه ولحنه يجره اليه .
 وأخوه يسترحه بقوله (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إني خشيت أن تقول فرقت
 بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى) وألقى الأوج حتى انكسرت ، فلا يستغرب من .
 عرف خلق موسى وشذته أن يصك وجهه من جباه متديا . ولما عرف فى المرة الثانية أنه
 ملك اللوت سلم الأمر لله ، وطلب قربه من الأرض للقدسة التى كانت محرمة عليه وعلى
 قومه أربعين سنة ، ومات موسى أثناء هذه الأربعين . ومن زار بيت القدس يعلم أن .
 قبر موسى منه حتى أميال تقطع فى ست ساعات بالسيارة . فالحديث يؤيده القرآن والواقع
 أبها الألف البيوليسى فى شتم الاسرائيليات . ولو تركنا طريق من ردوا الحديث ومن
 شرحوه ومن قبلوه واتبعنا أفتك البيوليسى لفسطنا سواء السبيل . أنت صاحب موسى فى .
 الاسلام وتريد أن تعرف بالشذوذ الذى تنظنه عترة ليرك الناس ، وخصوصا مبغضو
 الاسلام وأهله ، فيجعلوا لك بينهم مقاماً مرموقاً ، وبئس ما اخترت لنفسك من حب
 النطق بالباطل ، ومن الناس - وأنت منهم - من يجب أن يعرف ولو بغير اللوف ،
 عياذا بالله

وقال (ح ١ ص ١٩٨) عن التمالى فى غار القلوب تحت عنوان (لطة موسى) :
 وقال : ومن أساطير الأولين أن موسى سأل ربه الخ قصة . ومما قاله : إن ملك اللوت
 أمور حتى قيل فيه :

يا ملك اللوت لقيت منكرا لطة موسى تركتك أعورا

قال التمالى : وأنا برىء من عهدة هذه الحسابة . قال أبو ربة : وله الحق .
 فى هذه البرادة . هـ

وجوابه أن قول التمالى : « ومن أساطير الأولين » دليل على جهل قاضع بالشمير
 كتب الحديث البخارى وسلم إذ يقول عن حديث فيها إنه من أساطير الأولين ، ولو
 كان له أدنى معرفة يعلم الحديث وطرق الأخبار لا وقع فى هذه الجهالة . وقوله عن ملك

للوث إنه أعور فوق كونه من نوع نواجر الحشاشين فانه جعل بما جاء في الخبر أن الله رد حل ملك الموت عينه

ولو كان عند أبي رية وسلفه في الجبل بالحديث الثمالي ذرة من إنصاف لكان لما في التأويل مندوحة من رد الحديث الصحيح

فلو قيل إن الحديث يمثل فضل بني آدم على اللانسكة ، تفسيراً لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قَالُوا لَا سَبِيحًا لَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ ﴾

قوة من قوى إلهاء الحياة في الإنسان مشتقة في ملك الموت تصطدم بقوة حب البقاء والدفاع عن النفس الإنسانية تمثلها حيوية موسى فتغزو بقوة البقاء إلى حين وتأويل حديث « ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي للؤمن ، يكره الموت وأكره ساءته ، ولا بد له منه » يتحقق في هذه القصة

فالحديث الصحيح يؤيد بعضه بعضاً عند من أثار الله بصيرتهم ، والذين في قلوبهم سرس يزيدهم مرضاً على مرضهم ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِينَ آتَمَّوْا هُدًى وَشَقَّاءَ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آكَامِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُبَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

ومسألة علم موسى ملك الموت - التي شنع بها المنحرفون عن السنة ، وتدبر بها للإلحاد وللغلاء ، لا غرابة فيها إذا فهمت على أنها رمز لحيوية الانسانية القوية التي منع الله بها كلبه موسى عليه السلام ، وأنها قادرة على دفع بعض أخطار الملاك ، فيمكن أن موسى أصابه مرض مما يموت به غيره كالجلطة الدموية التي يسببها انسداد الشريان الذي ينزى القلب ، ثم تغلبت قوته الحيوية ونجاة من الأزمة القلبية ، وربما تخيل له في مناه أو في يقظته صورة ملك الموت يريد قبض روحه ومثل له نجاته من تلك النوبة القلبية بصفحة لتلك

الصورة للفرقة للرعية للتمثلة بصورة ملك الموت ، ثم لا سمحت قوته الحيوية استسلم لأمر الله الذي لا مفر منه ، ورضى بقضاء الله وقدره . وعليه قد برز من الأحاديث ما قد يكون له معنى حق ، ولكنه يلوأحياناً على فهمنا . والله أعلم

وذكر أبو رية (ص ١٩٨) من حديث أبي هريرة ما أخرجه البخاري: وسلم مرفوعاً « تحايث الجنة والنار - إلى قوله - فأما النار فلا تنبل - حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فقول : قط قط » الخ

وليت شرى ما هو مستتراب أبي رية لهذا ؟ الأجل أن النار أوتيت بالمكسرين والتجبرين ، وهو ما يشهد له الكثير من آيات القرآن وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها خلق عليها القول فدمرناهم تدميراً ﴾ ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ ﴿ وبرزوا لله جميعاً فقال الذين استكبروا إنا كنا لكم نبياً فهل أنتم ممتنون عننا من عذاب من شيء . قالوا لو هدانا الله لهذبناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ وأمثالها في سبأ وغافر

وإن كان استنكاره لهذا الحديث لقوله فيه « فيض الجبار رجله فقول : قط قط » الخ من أجل إثبات صفة الرجل أو التقدم لله تعالى فليست بأشكال ذلك وأشباهه في القرآن والحديث ، ففي القرآن ﴿ ولصنع على عيني ﴾ ، ﴿ نجري بأعيننا ﴾ ، ﴿ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ ، ﴿ إن الله كان سيماً علياً ﴾ ، ﴿ هو السميع البصير ﴾ ، ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ، ﴿ بل يدها مبسوطتان ﴾ ، ﴿ قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، السواك على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع ﴾ ، ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة ، والسواك مطويات بيديه ﴾ والآيات والأحاديث في هذا كثيرة لا تحصى ولا ذنب فيها لأبي هريرة ، ومذهب أهل الحق فيها إثبات بلا تشبيه ولا تمثيل ، والمنحرفون عن الصراط السليم إما مشبهة ، وأما محرفة ومؤولة

وقال (آخر ص ١٩٨) : «روى البخاري عنه » ما بين مكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام فراكب للسر « وزاد مسلم » وظل جلدته مسيرة ثلاثة أيام » .

وليت شري ما وجه استغراب أبي ربة لهذا الحديث ؟ أي الشقة على الكافر ، أم استبعاد مسافة ما بين مكبيه وظل جلدته ؟ لم ينصح عن وجه إنكاره إلا أن يكون من رواية أبي هريرة ، فيمكن هذا لاستنكار أبي ربة له ، أو لأن عقله لا يسلم بما فيه ، ويحتج هول أبي ربة : لو كان الدين لا يأتي إلا بما يوسع عقلك لما كان ثم حاجة إليه ، وأكفى الناس عقل أبي ربة . والذين يأتي بحارات القول لا بحالاتها ، وقد علم الله حاجة الناس إلى الدين مع العقل فتكرم عليهم بها .

وقال أبو ربة (ص ١٩٩) : «روى البخاري وابن ماجه عنه عن النبي ﷺ : إذا وقع القلب في إناه أحكم فليفسه كله ثم يطرحه ، فإن في أحد جناحيه داء ، وفي الآخر شفاء » .

(أولا) حديث الذئب لم ينفرد بروايته أبو هريرة ، بل رواه أيضا أبو سعيد الخدري عند أحمد والنسائي وغيرهما ، ورواه أنس بن مالك عند البزار ، فلم ينفرد به أبو هريرة ولا البخاري .

(ثانيا) لا يزال جمهور الناس إلا القليل منهم يأكل ما يقع عليه الذئب ، ويشربه ، وهم أصبح أجسادا من الذين يتفترزون عما وقع عليه الذئب ، والواقع شاهد حيان بذلك وقد قيل إن الناس بأمریکا بدوا يسودون أولادهم على الحياة الخشنة التي لا ترق فيها ، حتى يخرجوا مناعة أجساد الذين يقاومون الأوبئة بما في أجسادهم من المناعة .

وقد ذكرت بعض الصحف أن شركة إنجليزية ليسب العقاقير بالمند ذكرت أن الذئب توجد فيه مناعة لمقاومة ما يلق به من جرثوم ، وهل التطعيم ضد الجدري أو التيفوئيد وغيرها إلا إيجادا لمناعة الجسد ضد هذه الأمراض بجرثومها المخدرة ؟

قال (أول ص ٢٠٠) : «روى الطبراني في الأوسط عنه عن النبي ﷺ : أتاه

ملك برسالة من الله عز وجل ، ثم رفع رجله فوضعا فوق السماء ، والأخرى في الأرض لم يرفها » .

ولا أدري وجه تسميته عند أبي ربة ، فلهذا من عقله خلق الملك الذي وضع رجله فوق السماء والأخرى في الأرض لم يرفها ، إن كان من أجل ذلك ينكر الحديث فليكن على عقله وقصره ، كيف لو طالع في عالم اللاديات أن في الأبعاد الفلكية نحو ما لا يتأينا شؤنها إلا في ملايين السنين ، وسرعة الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر ، أو مائة وعائون ألف ميل ، فكيف يصور ملايين السنين مشروبة توائها في ٣٠٠,٠٠٠ كم ؟ ورواه غيرنا التي منها مجموعتنا الشمسية مجرات تمد بالملايين وتمتد عنا ملايين السنين الضوئية ، فليكن أبو ربة على عقله وليستر جهله بنظرة ملكوت الله ، فذلك خير له وأجل .

وقال (ص ٢٠٠) : «روى الترمذي عنه قال رسول الله ﷺ : « المجرة من الجنة

وفيها شفاء من السم » .

كذلك لم يذكر لنا فيلسوفنا وجه استنكاره ، الأجل أن في المجرة شفاء من السم ؟ وليته علم أنه من عقل النبي استخرج البندابين الذي هو غير علاج للجروح ، ومن تراب التبر استخرج السلفاناميد ومشتقاتها غير علاج للشفات أيضا .

إن أساطين العلم كنيون وجنز وغيرها يقولون : إن العلم بحر نحن لا نزال على ساحله ، أما الذين عمت بصائرهم فهم الذين ما ظهرت حقيقة علمية إلا ظنوها هي كل شيء ، في عالم تغربلجه بما لم يظهر إلا أن مسا هو أضاف أضاف ما ظهر بما لا يقاس بنسبة ذرة إلى بحار العالم .

قال (ص ٢٠٠) «روى الحاكم وابن ماجه من حديثه بسند صحيح (مرفوعا) : «خروا الآنية وأكثروا الأسقية وأجفوا الأبواب واكتفوا صبيانكم عند الساء . فان لجن انشأوا وضطفت ، وألقنوا للصايح عند الإفاد فان الفويسقة ربما اجتزت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » .

م - ١٥ * غلطت أبي ربة

وليت شمرى ما الذى استغربه فيلسوف المعمر من هذه التصاميم ، أقوله : إن الجن انتشرا وخطفة : إن كان ذلك وجه النكارة عند الفيلسوف فيلجول وجهه إلى الجنيات الروحية في انكسارها وارتنا وأمريكا يجد في مقررات هذه الجنيات ما يفتق عيون للادين الذين جددوا كاليوانات على المحسوسات ، وأنكروا بهام ما وراء اللادة . في هذه الجنيات الروحية التي أثبتت بجوارها الحسية ما وراء اللادة من عالم الأرواح ، سواء كانت أرواح الموتى أو كانت من الجن الباقية بينى آدم كما قال تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ﴾ كانوا في الجاهلية إذا نزلا واديا قالوا : نود بكبير هذا الوادى من سفاه قومه ، فاستطالت عليهم الجن وزادهم رهقا

إن كان أبو رية قد تعلق بأذيال اللادين فأفكر الجن وما جاء عنهم في الكتاب والسنة قد شل وأضاع نصيبه من الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين وبش للظالمين بدلا

وقال (ص ٢٠١) وروى مسلم عنه أن رسول الله قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة . وهذه كتابتها لا أدري ما وجه تكرارها في عقل فيلسوفنا البغرى

وقال أبو رية (ص ٢٠١) : وروايات أبي هريرة من هذا القليل وأدعى منه تنقح الكتب بها ولا نستطيع إيرادها هنا لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات برأسها . هـ

إن التمانج التي أوردتها من منكرات أبي هريرة بزعم رأيها فيها مخف تخكيرك والموى للثقل على عقلك ، وقد قيل : الإنسان غيوة تحت لسانه ، ومن آلف قلبه عرض عقله على الناس ، فرأينا عقلك للمروض من نوع عقل ابن الطبيب الذي يته أبوه إلى مريض يشترى في تشخيص مرضه ، فرأى برذعة معلقة في فناء داره المريض ، وانفقا في عرقه قال لم : دعهم حاركم والمستموم لمريضكم . فضحكوا عليه ، وانصرف بجزي القرفة الخاطلة للضحكة . وأبو رية لا يدخل عقله ولا أعين ولا تسليه أن نلصقا بضع رجله الأولى في السماء والأخرى باقية في الأرض

تحتاج الجنة والنار ، أو انتشار الجن الخاطلة بد للرب إلى الشاء ، أو شجرة في عالم الغيب يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، إلى غير ذلك من غرائب عالم الغيب والدار الآخرة وملسكت الله الأعظم ، وقد ذكر الله في صفة للتئين ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . . . والآخرة هم يوقنون ﴾

رواية كبار الصحابة

أبي بكر - عمر - عثمان - علي - أبي بن كعب - زيد بن ثابت

قال أبو رية (ص ٢٠٢) : هذا هو تاريخ أبي هريرة الذي لم يصاحب النبي إلا حوالي ثلاث سنين ، ثم ترك هذه الألف الكثيره من الأحاديث التي ضاقت بها الكتب ، وقد أطلنا فيه لأن أمر أبي هريرة يبين أمر الصحابة جميعا . هـ

وجوابه أن هذه الثروة الدلوية التي وسنها كتب الحديث والدواوين الإسلامية من أحاديث أبي هريرة هي التي ضاقت بها صدور أعداء الإسلام من الروافض فروخ اليهود والمجوس وأمثال جولدزهر الذي ضاق صدره بالإسلام وبنيه في كتابيه للشرعية والعقيدة - ومذاهب المسلمين في التفسير ، ومن سلك سبيلهم على جهول وهوى وهتان كأي رية

عقد أبو رية (ص ٢٠٢) مقارنة بين أبي بكر وأبي هريرة ، واستغرب قلة رواية أبي بكر وهو الحفظ للنسابة الذي لم يفارق رسول الله ﷺ لا سفرا ولا حضرا ، واستفكر الألف التي رواها أبو هريرة الذي لم يصاحب رسول الله ﷺ إلا ثلاث سنين

ولنا أن نطلب من فيلسوفنا أن يعقد هذه المقارنة بين أبي بكر الذي صحب الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها أكثر من ثلاثين سنة وبين ابنته أم المؤمنين عائشة التي ما صحبت رسول الله ﷺ إلا تسع سنين ، وبذكر لنا السبب في رواية عائشة أوف الأحاديث التي لم يروها غيرها عشر مشارعا

فإن كانت كثرة حديث أبي هريرة مع قلة حديث أبي بكر موضع شك عند الفيلسوف

في أحاديث أبي هريرة، فيخرج من مثله في كثرة أحاديث عائشة مع قلة حديث أبيها
فا جوابه عن كثرة حديثها مع قلة حديث أبيها فهو جوابنا على كثرة حديث أبي
هريرة مع قلة حديث أبي بكر

والجواب الصحيح أن كلا ميسر لما خلق له، فأبو بكر الذي هيأه الله بجلالته صبة
فيه لراثة النظمي والخلافة الكبرى والقيام بأعباء المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ،
ما كان في وقته ولا ظروفه أن يجلس محذوا في حلقة من حلقات المسجد النبوي، خصوصا
وأن مدته بعد وفاة رسول الله ﷺ كانت جد قصيرة سنتين وخمسة شهور

أما عائشة وأبو هريرة وأمثالهما كان عمرو وابن عمر وأبى سعيد فقد هيأت لهم
ظروفهم وقرأتهم عن الاشتغال بأمارة المسلمين وسياساتهم التفرغ لجل العلم النبوي وتبليغه
للناس، وكل ميسر لما خلق له

وكذلك ما عقده من لقائهم بين عمر وأبي هريرة (ص ٢٠٣) وبينه وبين عثمان
وعلى (ص ٢٠٤) وبينه وبين أبي بكر كعب (ص ٢٠٥) وبينه وبين زيد بن
ثابت (ص ٢٠٦)

وقوله (ص ٢٠٣) في قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مشاورة عمر لسائحين الأولين
مثل عثمان وعلي وطليحة - إلى قوله - وغيرهم ممن له علم وقته أو رأى أو نصيحة
للإسلام وأهله

علق أبو رية عليها بقوله: وانظر إلى دقة فهم ابن تيمية وداسع اطلاعه فانه لم يذكر
أبا هريرة في الذين يستشيرهم عمر، لأنه لم يكن له علم ولا قفه ولا رأى ولا نصيحة. هـ

فيما يجب لصاحب الجليل والسي والموى، ألا يدخل أبو هريرة في قول ابن تيمية وغيرهم
ممن له علم وقفه أو رأى أو نصيحة للإسلام؟ من الذي أخرجه من ذلك سوى هؤلاء
وبنيك وصبيبتك الباطلة لأعداء الإسلام من الرافضة وغيرهم. وإذا كان ابن تيمية
هكذا دقيق الفهم واسع الاطلاع فانه يقبل أحاديث أبي هريرة ويحتج بها ويقتد به من خياله

الصحابه، أفلا يكون ابن تيمية حجة عندك في ذلك أيضا؟

وقال أبو رية (ح ١ ص ٢٠٤): ذكر ذلك أبو داود بن علي في كتابه الفصل
١٣٨ ج ٤ هـ

ولا تعرف كتاب الفصل في الليل والأهواء والنحل إلا للامام ابن حزم الظاهري
صاحب المحلى وكتاب الأحكام، واسمه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري
صاحب السيف والقلم والوزارة والعلم

فيا رحمة الله فلعلم من منتحليه أهل الجمالة والموى والضلال

وقال (ح ٣ ص ٢٠٤): وقال ابن حنبل: ما بلتنا عن أحد من الصحابة ما بلتنا
عن علي، وقال هو والنسائي والنيابوري وغيرهم: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد
البياد أكثر مما جاء فيه. الخ

(أولا) نسأل فيلسوف العصر من هو النيابوري الذي ذكره مع ابن حنبل
والنسائي في ذكر فضل علي، لعله رأى عبارة في الكتب فلم يفهمها فتعللها بتبرير فهم

(ثانيا) فضل علي أمر مسلم، ولكنه لا يرفعه فوق منزلته التي أنزل الله عليها ثالث
الخلق الراشدين دون أبي بكر وعمر وعثمان وفوق غيرهم من الصحابة وليس هو كما زعمت
شيعة أفضل الصحابة، ولا ما زعموه: علي خير البشر، ومن أبي فقد كفر. ولا ما زعموه
غلانهم أنه الله وأنه فوق السحاب، ولا غير ذلك من حماقتهم. ولا ما زعموه قدوتك
ومرجعك للحد ابن أبي الحديد في قوله عن علي:

يجل عن الأعراس والأبن واللى ويكبر هـ تشبيهه بالناصر

وإن كان ما سطر من التلويح - وهو يرى من غلا فيه - تريد به المخطوطة عند
الرافضة فرعا تملأه، وللرعد للوقف بين يدي الله يوم الدين

قال أبو رية (ص ٢٠٧) : أحاديث مشككة

أقول : قال الله تعالى ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محجيات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيقيمون ما تشابه منه ابتداء الفتنة وإبتداء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الأبواب . وما لا نزاع قلبنا بعد إذ هدينا وهب لنا من عندك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

آمنا بحكم كتاب الله ومتشابهه ، وكذلك سنة نبيه ﷺ ، ما عقلاه منها وما لم نقله من أمر النبي

قال أبو رية (ص ٢٠٧) : إن الرواية قد حلت عن رسول الله فيها حلت أحاديث كثيرة مشككة وغريبة ، وإننا نورد هنا بعض الأحاديث على طريق المثال لأن استيعابها يحتاج إلى أسفار متعددة

عن ابن عباس : إن الله خلق لوسا مخفوطا من درة بيضاء دفناه من ياقوتة حراء قلعه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماوات والأرض ينظر فيه كل يوم نظرة ، ومحيى وميمز ويذل ويمتد ما يشاء . رواه عبد الرزاق وابن النذر والطبراني والحاكم . هـ

وجوابه (أولا) : إن الحديث موقوف على ابن عباس من كلامه ، وليس صرفوا إلى النبي ﷺ . فيظهر أن فيلسوفا لا يعرف الرفوف من الرفوع ، على رأى اللؤلؤ كله عند العرب صابون . (وثانيا) إذا جرينا على ما يراه بعضهم أن له حكم الزعم لأنه ليس مما يقال بالرأى ولا بحال للرأى فيه واستبدناه عن الاسرائيليات فأى إشكال وغرابة فيه ؟ أمن أجل أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء ودفناه من ياقوتة حراء قلعه نور وكتابه نور عرضه ما بين السموات والأرض إلخ ؟ إن كان من أجل ذلك فليسكر ما في الجنة من أواني الذهب والفضة وحليها ولباس الحرير والستبرق والستنس وأنهار المسلل للصفى واللبن الذي لم يتغير طعمه وللا ، غير الآسن وغير ذلك مما جاء في وصفها في القرآن وما

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

فإذا آمن بما جاء في القرآن من أوصاف الجنة ، فذا يمنه أن يؤمن بنبيها من عالم النيب مما صح في الحديث ، وكله من واد واحد ، ويمل غير الرسى وإن لم يدرك العقل كله ويؤد عن التألف تكيفه

﴿ وسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ولا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾

قال (ص ٢٠٧) دروي الشيخان وبعض السنن والسانيد والتفسير للأئمة عن أبي ذر قال رسول الله لأبي ذر حين غربت الشمس : أندوى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فأنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، وبربك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث شئت ، فتطلع من منبرها ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجري لسفرة لها ﴾ الآية

وجوابه : إن هذا الحديث إن عرفنا وجهه فيها ونست ، والاقلنا : آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب . ويختل في خاطر في الحديث - فان يكن حقا فن الله وإن يكن خطأ ففي ومن الشيطان - إن الراد سجود اللائكة للموكنين بالشمس ، وقد سمى الله لللائكة بالمديرات أسرا ، وورد ذكر ملك السحاب وملك النبات وملك الجبال وملك الريح وملك الرحم وملك الموت والحفظة الكرام الكاتبين لبي آدم وأن الشمس والشمس والنجوم مسخرات بأمره ، فيكون ما جاء في الحديث من سجود الشمس واستئذنها ونحو ذلك لللائكة الذين يدبرون أمر الله في تسخيرها ، وحينئذ لا إشكال في الحديث

وقد سمعت شيخنا الشيخ عبيد الله السدي رحمه الله يقول ما معناه : إن نظر الرسل والأنبياء إلى عالم المثال والنبي ، ونظر هذا الكون إلى ما يظهر لهم من عالم المحسوسات ، فإذا جاء عن الرسل ما لا يفهم على طريقة المحسوسات كانت

تأويله على نظرم لعالم اللال والتيب ، ولا نذهب مذاهب من زعم تفسار
النويات والمقول

لقد جاء في فلسفة الوثنية البابلية والأخورية واليونانية أن فكواكب والشمس والشمس
عقولا وأرواسا بها نسير وتتحرك وتدير بزعمهم أمور الخلق

ولكننا معشر الحفاه نرفض هذه الفلسفة ، ونرى أن تدبير خلق الله بأمر الله على
يدى ملائكته للديرات أمرا

وبعد قد انتقلت شكوك أي رية من أي حريرة إلى روايات ابن عباس وأي در ،
ولا يبرى إلا الله إلى أين تفتى شكوكه ، عسى أن لا تصل إلى الترافت .
عباد الله تعالى

وقال (ص ٢٠٧) وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو صاحب الزاملتين قال : إن في
البحر شياطين مسجونة أوقتها سليمان بن داود ، يوشك أن يخرج فتقرأ على الناس
قرأ آتاه .

وجوابه : (أولا) أن هذا الأثر من مقدمة مسلم لا من صحيحه ، ولكن فيسوفنا
لا يعرف الفرق بين ما يرويه مسلم في صحيحه وما يورده في مقدمة صحيحه ، وهذا من أول ما
يعرفه من شمس رائحة من علم الحديث ، ولذلك نجد في كتب الرجال رمزا لمسلم في صحيحه م
ورمزاه في مقدمة صحيحه م

(ثانيا) هذا الأثر من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب الزاملتين ، فكيف
أصغته بالمشكل من الأحاديث ؟ ألا نك لا تدرك الفرق بين الوقوف والرفع ، أم هو
الموى والشك والريب جعله يحمل على الأحاديث النبوية ما ليس منها ؟

وقال (ص ٢٠٧) : وروى البخاري في (باب الدواء بالمجوة لفسر) عن عامر بن
سميد عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « من اصطبح كل يوم تمرات مجوة لم ينسره سم ولا
سحر ذلك اليوم إلى الليل - وفي رواية سمع تمرات مجوة - وكذا لمسلم عن سميد عن أبي

العاص . وعند النسائي من حديث جابر : المجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم .

لو علم أبو رية أن البنسليين ذلك المقار المضاد لفتح والصديد هو من عفن الخبز - وأن
السفا ومشقتها من زراب القار فضلات الصفن للامرات ، وأن الخليلين عقار البجعة
الصدريّة من بز الخلة وأن بز الخلة الشيطان للمسى بمصر جزر النار يخرج منه عقار نافع

لو علم ذلك أبو رية لاستحيا من الله ومن خيار خلقه بل من عقلاء الناس أن يسد
من مشكلات الأحاديث حديث المجوة وشفاهها من السحر والسم

حدثني طبيب سورى يشغل في الملسكة السوديّة واشتغل بنجد قال : إن صحة
التجديين جيدة جدا بسبب اصطلاحهم في الكور يوما على النر والين اللانسر

قال (آخر ص ٢٠٧) : وأخرج الشيخان عن أبي هريرة (أى مرفوعا) : إذا نودي
لصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قفى التأذين أقبل حتى إذا
نوب بالصلاة أدبر حتى إذا قفى للتؤيب أقبل حتى يحضر بين المراء وقفه - قال : وقال
العلاء : لا يسع فيضطر أن يشهد له بذلك يوم القيامة .

وليت تخمري ما إشكال هذا الحديث عند أبي رية ، لأن الشيطان لا يحب أن يسبح
سكة التوحيد في الأذان والإقامة ، أم لأن أبا رية لا يؤمن بعالم التيب ، ويربده على
حواله وإلته ؟

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أبي سفيان أنه قال قفى : يا رسول الله أظنى
ثلاثا ، تزوج ابنتي أم حبيبة ، وابنتي معاوية أجملة كاتبا ، وأمرنى أن أقتل الكفار كما
قاتلت المسلمين . . .

قال : وأم حبيبة تزوجها رسول الله وهو بالحشة وأصدقها النجاشي ، وأبو سفيان
أسلم عام الفتح ، وبين الهجرة والفتح عدة سنين .

وجوابه كما قال العلماء أن أبا سفيان أراد أن يحدد عقد زواج بنته بالنبي ﷺ إذ

انها تزوجت بولاية أحد بنى عومتها، فظن أبو سفيان أن عقد زواجها بولاية أبيها أوفق وأشرف، وأراد أن يأخذ أختاً لأم حبيبة فغذى بعض الرواة لفظه أخت فحصل الاستنباء، فحدث لا إشكال فيه

وقوله وأم حبيبة زوجها رسول الله ﷺ وهو الحبشة فإن قوله «وهو الحبشة» حيلة بالغة النبوة، فالرسول ﷺ لم يكن يوماً الحبشة. وهذا يأتي رية لمن من يقع منه الكذب في الحديث ولو عن غيره، فهل هو هناك كاذب في الحديث بأن النبي ﷺ تزوج بأُم حبيبة «وهو الحبشة»؟ وهل هو على استعداد لأن يقبوا مقدمه من النار على هذا الكذب ولو غير الصدق؟

وقال (ص ٢٠٨) : وفي مسند أحمد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ
 صدق أمة [أني] الصلت الشاعر للشهور في قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأني فما تظلم لنا في رسلها إلا معذنة والا تبحر

ولا أدري ما إشكال هذا الحديث عند فيلسوفنا، أجمرة الشمس ولون نورها صباحا، أم تضيئها وجعلها التي هو مجاز عن نسخيرها أليته أنضح عما استشكله في هذا الشعر حق، بضلك الناس، على تفكيره.

وسبق له أن يعيب على الحداثين الإدراج في الحديث ، فبيل قوله « الشاعر الشهور »
من إدراج هوف في الحديث ، أم من كلام ابن عباس (ريل المطففين ، الذين إذا اكتأبوا
حل الناس يستنون ، وإذا كلام أو وزنوم منحرون)

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبي ﷺ قال :
 حتى تقوم الساعة ؟ فكت رسول الله ﷺ حنينا ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد
 شمنة قال : ان عر هذا لم يدره الحرم حتى تقوم الساعة . قال أنس : ذاك الغلام
 من أترابي ومثله

قال أبو ربة وقد مات أنس في سنة ٩٣ هـ على المشهور، وهو ترب التلام الذي قال النبي ﷺ إنه لا يدركه الحرم حتى تقوم الساعة، وبذلك يكون قيام الساعة قبل اعتناء الذين الأول المعبري

قال أبو رية فاقول عباد الأسانيد ، لعل بعضهم ينبرى فيقول وما يدريك لعل هذا
الغلام لم يدركه الهرم إلى الآن

وأقول لأخي ربة : والله يا عابد مبنغى الأحاديث من الروافض زنادقة الفرس واليهود
إن هذا الهتان لم يخطر على بال من سميت عباد الأسانيد

وإنما الحديث من نوع حديث ابن عمر رضئ الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت
يلال قال: (أرأيتم ليكم هذه، قال: نرى قال: رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض من
وعليها اليوم أحد . فوهد الناس في ذلك وظنوه قيام الساعة، ولكنه أراد اخترام
الجيل الذى عاش فيه . وقد فسروا قيام الساعة بثلاثة أنواع من لراد بها: (الرها)، قيام
ساعة الترد بالموت، ومن مات فقد قامت قيامته . (تأنيها) قيام ساعة الأمة بذهاب عجزها
واستقلالها باقتلها، أمة أخرى عليها، وعليه فسروا حديث « إذا وسد الأثر ليرب الله
فاظفر الساعة » وأُعيدت أخرى « إذا ضيبت الأمانة » « أن ترى الحفاة العراة العالة
رموس الناس » « أن تدب إليها زهبا أو بعلها » الخ . (الثالث) التيامة العظمى مثل
الإنسان وقت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خاضعة لزمان، إذ درست الأرض رجا، وست
الجمال بها، فكانت بها، منتابا، « إذا نزلت الأرض زلزالا،

فغديت قيام الساعة في حديث التلام زب أنس كحدث ابن عمر في انجرام الجبل الذي عاش فيه رسول الله ﷺ، ولم يخطر في بال أحد من أهل الحديث ما اقتربه عليهم عابداً للرافض أن ترب أنس لهم اليوم، وإنما هو الزور والبهتان حكك عليهما المولى وحى البصيرة. والتلام الذي يعيش الصور ولم يت بعد هو في عقيدة أصحابك الذين يدعون له بأنه نجل الله فرجه، لا في عقيدة أهل السنة

وقال أبو رية (ص ٢٠٨) : نكتفى بما أوردناه ، وهناك أحاديث أكثر شناعة تركناها خوف الإطالة ، وللاطلاع على كثر كتب كثير في أربعة مجلدات في مشكل الحديث فيرجع إليه من أراد . ٨

وجوابه : وكم من عائب قولاً صحيحاً وأقته من التهم السقيم
ومن يك ذا قم سر مريض يجد مرا به الساء الزلالا
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم اللاد من سقم

قال الله تعالى ﴿ قل هو هدى وشفا فليدين آمنوا ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم همى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ . نعم يناديهم بنفهم لحق العلم النبوى وحجهم لأعداء حلة الآثار ، فيصرفهم عن الحق والهدى والصراط المستقيم
ونقل أبو رية (ص ٢١٥) تحت عنوان (كفة جامعة في أحاديث أشراف الساعة - وأمثالها)

كفة في نحو صفتين من السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى من تفسيره ص ٥٠٤ - ٥٠٧ ج ٩ فيما جاء من الأحاديث في أشراف الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وغيرها شكك فيها بأحاديث أشراف الساعة بأن الرواة رووها بالمضى - يبنى ويجوز الخطأ عليهم فيما فهموه من كلام النبي ﷺ ، وأن الصحابة كان فهم مناقضون وفي الرواة وضاعون تظاهروا بالصالح فلم يعرف ما وضموه إلا بعد توبة بعضهم وإقراره بما وضع الخ ما هو دفع في صدر الأحاديث الصحيحة ومجربها وإضفاء الثقة بها والاحتجاج بما جادت به

ونقول كفة موجزة في سبب هذا التشكيك من السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى ، نخرج رحمه الله تعالى على أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده الذي تمر في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ورضاهما لبيان فلسفة جوستاف لوبون وكانت وثقة وسيسر وغيرهم من أساطين الفلسفة للادبة التي تقول بجمرة الأسباب والسيئات وأن العالم يسير بتوالميس لا يمكن أن تتخلف أو أن يفتك مسبب عن سببه عقلا

فلم تنس الفلسفة للادبة في تفكيرها للإيمان بالمعجزات والخواص من انشقاق البحر لموسى والصاعقه وآيات عيسى بن مريم ورفعه لمساء ونزوله وخروج المجدال والحادبة وطروح الشمس من مغربها وانشقاق القمر وغيرها من الآيات

ولما لم تنس فلسفتها - فلسفة القرن الثامن عشر - والتاسع عشر لهذه الخوارق والآيات والمعجزات أخذوا في تأويلها في القرآن والشك في أحاديثها

ولو عاش الإمامان الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله إلى منتصف القرن العشرين وعلا فلسفته التي نبت الجبرية وأنها ذهبت إلى غير رجعة ، وأن العالم مسير بمحكمة فاعل مختار لا بجمرة حتمية كما أعلن ذلك مشرفة باشا في مقال له « تطور العلم » والعالم الطبيعي التلصص الانكليزي جيز في كتابه « الكون الخفي » أو المستور ورئيس الأكاديمية الأمريكية في نيويورك صاحب كتاب « الانسان لا يقوم وحده » التي برز على هكل خليفة دارون في كتابه « الانسان لا يقوم وحده » وقد عرّب كتاب الانسان لا يقوم وحده باسم « العلم يدعو إلى الإيمان »

أقول لو عاش الإمامان إلى هذا التجديد في الفلسفة الغربية لكان لها رأي آخر في آيات الانبياء وخوارقهم ومعجزاتهم ، ولكن لم إيمان وفرح بأحاديث أشراف الساعة والخواص ولا استفاد منها علوماً فسيحة من الوحي الإلهي

ولو كان لأي ربة أن يرف تطور العلم وانهدام مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحلول فلسفة القرن العشرين محلها لكان يستحي من نفسه أن يقلد نظرية خاطئة عمادا الزمان وطبسا ، ويرد بها صحيح الأحاديث ويشكك فيها ، ويصير كالترايب الذي أراد مشية للقطا فتقد مشيته ولم يحسن مشية القطا ، وصار أخرج بين الطيور

أنا تليد السيد رشيد رضا رحمه الله ، وابستفت منه ما أشكر الله عليه ، وأشكر أستاذي على ذلك وأترجم عليه لأجله ، ولكن ذلك لا يعني أن أخالته إلى ما يظهر لي من الحق كما قال أحد الحكماء عن شيخه : إنه يحبه ، والحق أحب إليه من شيخه

لم ينس أبو ربة عذارته لسهة وشكه وتشكيكه فيها ، فقال (في حاشية ص ٢١٩) عند الكلام على جمع القرآن وسببه : مما يلتفت النظر الجيد ، ويستريح للقل الرشيد أن مر لما راعه نهافت الصحابة في حرب اليمامة نهافت للفرار في النار ، وقرع إلى أبي بكر لكي يسارع إلى جمع القرآن وكتابته ، لم يقل منهم إلهم حلة الحديث بل قال إلهم حلة القرآن ، ولم يطلب جمع الحديث وكتابته عندما فرغ إلى أبي بكر ، بل جعل همه في القرآن وحده وكتابته ، ولم يفت الأمل عند ذلك لحسب بل إننا لم نجدهم وهم يجمعون القرآن ويدونونه ... قد اقترح واحد منهم أن يجمعوا الحديث ويكتبونه ، بل انحصرت عنايتهم جميعا في جمع القرآن لحسب ، وفي ذلك أقوى الأدلة وأصدق البراهين على أنهم لم يكونوا يبنون بأسر جمع الحديث ، ولأن يكون لهم فيه كتاب محفوظ ، يبقى على وجه الدهر كالقرآن الكريم . هـ

أقول : وفات فيلوقا عدو السنة أن حلة القرآن عدد محدود يمكن استيفاء ما عندهم ، ولذلك خيف من ظلمهم ضياع ما معهم من القرآن . أما حلة السنة فيزيدون على الإحصاء والدء ، قد حفر منهم في حجة الرداع وحدها ما يزيد على مائة ألف فكيف بمن لم يجمعها ، وإنما كان حاضرو حجة الرداع من الذبينة وما حولها بخلاف ما تر سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا في دين الله أنواجبا وسبق لهم التشرف برؤية الرسول ﷺ وفادة عليه ، فكيف يمكن جمع ما مع هؤلاء يامن له عقل وقهم وانصاف ؟ ثم إن جمهور هذه الأمة العربية في عصر النبوة كانت أمة لا تحسب ولا تكتب ، كما قال تعالى ﴿ هو الذي يث في الأمين رسولا منهم ﴾ وفي الحديث « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وأمة أمية هذا شأنها يستحيل تدوين ما في صدورهم من علم وحكمة ، ويمكن في حفظه ما اعطزت به من قوة الحفظ والذاكرة . بل إن هذا الحفظ وقوة الذاكرة هو أساس حفظ القرآن ، والكتابة والتدوين زيادة غير نافذة ، وإلا فابتنيد كتابة آية ﴿ ان حاكم فنى ما حسروا ﴾ ان لم يكن الحفظ والذاكرة أو آية ﴿ مصلح

الحق وهو حجر المصلين ﴾ فالتى حفظ للاسلام والانسانية هذا القرآن بقراداته وحركاته وأنشاه هو الحفظ والذاكرة والنبوية الفادرة ، وما اللذان حفظ بها حديث رسول الله وسننه وأيام العرب وقائمه وشترها ، حتى زالت الأمية عن الأمة فدونت حديثها وقها وأصول قها وتاريخ حياتها وأخبارها وسائر ما هو من لوازم الأمة للتحضرة أياها الفيلسوف الناقد على غير بصيرة

وقال (ص ٢٣٠) : فصف عبد الله بن موسى الببسى الكوفي سننا هـ . وصوابه « عبيد الله » معنرا لا عبد الله مكبرا ، ولكن من كان علمه من الصحف لا من التلق كان تصحيحه أكثر من صوابه

وقال (ص ٢٣٢) : وصفوا من ذلك كتبا وكسروها ، من الكسر ضد الجبر ، ولعله يريد « قصروها » من القصر نغاهه التعبير ، أو أوقعه في ذلك الإغراب في التعبير

وقال (ص ٢٣٣) : لما تركت أحداث الرسول صلوات الله عليه بغير تدوين في عهدته ولم ينهض الصحابة لكتابتها كما كتبوا القرآن أنست أبواب الرواة عن رسول الله ﷺ لكل ذى هوى زائع أودعة سبعة من غير خوف من ضمير ولا وازع من دين ، فرودا ما شاءوا أن يرووا . هـ

ويقال لناقدنا صاحب الموى : إن الله قد حفظ دينه في كتابه وسنة رسول الله ﷺ محفظ التقات ورواية الصادقين ، وتميز الحق من الباطل في الرواية سواء في القرآن أو الحديث ، ولم يضر عدم تدوين الحديث شيئا في معرفة صحيحه من سقيه ، كما لم يمنع تدوين القرآن من وجود التمرات الشاذة كما هو معروف عند علماء التمرات من شذوذ ما فوق العشرة . هـ

وقد جمع ابن خالويه النحوى رسالة متوسطة الحجم في التمرات الشاذة أحفظ منها قرامنة من قرأ ﴿ الحديث ﴾ لله رب العالمين ﴿ بضم اللام في لله نيا لنسة الدال . وقراءة من قرأ ﴿ الحديث ﴾ بفتح الدال الحديث لكسر لام الله ، وأمثالا كثير ، فها منه تدوين

القرآن أمثال هذه الشواذ؟

إن شواذ القراءات كشاف الأحاديث، لم يمنحها التدوين كما لم يحلبها عدم التدوين، وإنما هي سنة الله في خلقه أن يوجد بجانب النور غسق، وبجانب الأصحاء مرضى، وبجانب الحق باطل.

وقال (ص ٢٣٣) ولو أن للسليين الأولين أومن دخلوا في الإسلام من بعد كانوا طليقة واحدة في الصدق ودرجة متساوية في المدل وكال السيرة، أو لو أن الرواية قد وقتت على من أطلقوا عليهم الصحبة، وربطت الكتابة ما روى في عهد الخلفاء الراشدين لكان عسى أن يكون النقل مقصوراً على ما قاله النبي ﷺ بنير زيادة ولا نقص ولجات الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها، ومن ثم كانت الأمة تتلقاها بالرضا والتسليم كما تلت من قبلها آيات القرآن الحكيم، ويأخذها الخلف عن السلف بألفاظها ومابنها ولا يخالف أحد من السليين فيها، ثم تميز الأمة على نورها وتهتدي بهديها، من غير غذهب ولا تفرق كما هو الأصل في الدين الذي يقول كتابه ﴿واقتصروا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴿

قال: ولكن الناس هم الناس في كل عصر، واليشر لم يطعم لا تنثير، وغرائز لا تتبدل، وأهواء لا تتحول، وما كان الصحابة رضوا الله عنهم بدعا من الناس ولا هم بالمصومين . . .

وجواب هذه اللغائلات التي يأخذ بعضها برقاب بعض، وأملاها الموى والجمل وبنض السن والأحاديث، أن هذا الجبل الذي تحمله طليقة واحدة في الصدق ودرجة متساوية في المدل وكال السيرة لم يخلفه الله تعالى ولا شاء الله لئلا يلى الإنسان في ولو شاء ربك ليل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم، وتحت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿، وإذا قال ربك لللائكة﴾ إلى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويهلك الدماء ونحن نسبح

بمدك ونقدس لك، قال إلى أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على لللائكة ﴿الآيات

وزعمه أن الرواية لو وقتت على من أطلقوا عليهم الصحبة وربطت الكتابة ما روى في عهد الخلفاء الراشدين لكان يرجى أن يكون النقل مقصوراً على ما قاله النبي ﷺ ولجسات الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها، هذا كله مخالفة سببه الجبل والموى. فالأحاديث الصحيحة هي ما كانت عن صحابة رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ بالسند الصحيح، وما جاء عن غيره يسى أثرًا وموقوفاً. وقائده تفسير آية أو حديث أو بيان مذهب صاحب أو إمام من بعدهم، ففيه من الفائدة ما لا يخفى إلا على جاهل

وسبق أن قلنا له إن التدوين للقرآن لم يمنع ورود القراءات الشاذة، وذكرنا له ما قاله في وراء الشرة وما جمه ابن خالويه في كتابه القراءات الشاذة، ونذكر له هنا أن غير الأمة من الصحابة والتابعين لم يلحسان تلقوا أحاديث الرسول ﷺ بالتقوى والتسليم كما تلقوا آيات القرآن الجيد، ولم يشك في أحاديث الرسول الصحيحة إلا من في قلبه مرض واتبع غير سبيل المؤمنين من الروافض والجهنية والطوارج وسائر أهل الأهواء والبدع. وأما زعمه أن السنة لو كانت تدوت في عصره ﷺ أو عصر صحابته رضوا الله عنهم لا كان تم تذهب ولا تفرق في الدين فجعل بأسباب التذهب والتفرق في الدين، هام أولاد القرن لا يدينون بالأحاديث ولا يرفقون بها رأساً من الطوارج والروافض والجهنية وللتزلة تفرقوا في دينهم أيما تفرق، وفي كتب النحل والذئاب الكلامية ككتاب الأشعري (مقاتل الإسلاميين واختلاف المصلين) وكتاب (الفصل) لأبي محمد ابن حزم (وللنحل والنحل) فشمير سناني وأمثالها من مذاهب الذين يزعمون أنهم لا يأخذون إلا بالقرآن ويرفضون الأحاديث والسنن من الطوارج والجهنية والروافض ما لا يحصى إلا الله تعالى، نجد الرجل من أهل الأهواء كالاند وأبي المذبل والنظام وشيطان الطاق وأمثالهم يذهب إلى الرأي من هواه ويخالقه فيه تلايمذه وأتباعه إلى أشنع مما ذهب إليه. قد بين الله سبحانه سبب الخلاف الذي يحق ولا يرتضيه بقوله ﴿كان الناس أمة واحدة

فيما الله النبيين مبشرين ومنذرين وأزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بنيائهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴿ وقال ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بنيائهم ﴾ تبين أن الاختلاف في الدين الذي يبنضه الله وينهى عنه سببه البني بعد مجيء الكتاب والبيات ، وأما الاختلاف الذي سببه تناوت الناس في النهم والهم بدون عداوة ولا بني فهذا من طبيعة البشر وما عذرت فيه الشرائع ويجاوز الله عنه

وقد در شيخ الاسلام ابن تيمية قد بين أنواع الاختلاف - مذمومة وما يذم فيه - في أول كتابه القيم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)

وأما قول فيلسوفنا : إن الصحابة ما كانوا يدعوا من الناس ولا هم بالمصومين ، فقد أوضح الله تعالى الحق في ذلك بقوله ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يثبتون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأ فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ الآية . وقوله ﴿ لهم اجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصالحون . والذين تبرؤوا من النار والإيمان من قبلهم يحجون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ والحديث « خير القرون قرني تم الذين يلونهم » الخ ، والحديث الآخر « لا نسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه » . هذا هو الحق في وصف أصحاب رسول الله ، ومن غاظه ذلك فليقف من قول الله ورسوله حيث شا.

وذكر (أول من ٢٣٤) اختلاف الصحابة بعد موت النبي ﷺ حتى قبل دفنه ﷺ وارتداد بعضهم وحزم أبي بكر وعمر في رد المرتدين إلى الاسلام الخ ، وتلك شكاة ظاهري

حك ما رها . واختلاف الصحابة وأسبابه له موضع آخر ، وهو ليس من أغراض السنة ولا الدفاع عنها ، ومن تسكلم في ذلك فليتكلم بلم وإنصاف أو ليكتحم ووقار . وقال (ص ٢٣٤) : من أجل ذلك كان كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعلى لا يصدقون من يؤدى لهم من الصحابة - حتى من كبارهم - حديثاً إلا إذا جاء بشهد منه أنه قد سمعه من النبي ﷺ أو بحلف أنه تلقاه عنه - قال : ولو كانوا كلهم مبرأين من الخطأ والكذب - كما قالوا عنهم - فقلت رواية كل من روى منهم في عهد الخلفاء الكبار بنير شاهد أو بين ، وبخاصة فانهم كانوا هم الناس الذين تلقوا الدين مباشرة من نبيهم ولا يزال نور النبوة يشرق في قلوبهم . هـ

وجوابه : إن ثبت بعض الخلفاء في رواية بعضهم بتأكيد بشاهد أو بين وقائع جزئية اقتضاها ظرف الحديث والحديث ، وليست وقائع عامة ولا سنة مطردة . فهذا أبو بكر جاءته الجدة تطلب ميراثها وهذا عمر يخبره عمار أن الجنب يكفيه ضربه لوجهه واليدين إذا قتل لاه ، ونسكت عنه عمر . وهذا حديث أنسبة الزكاة برويه عمرو بن حزم ويعلى بن أبي بكر ومن بعده - والأشقة كثيرة كلها تنسف دعوى أبي ربة التي لم يبرهن عليها . وما باله تخفى شأن عندما ذكر كبار الصحابة ؟ ألا به يقبل الحديث جزئياً من دونهم ، أم أنه عنده ليس من كبار الصحابة ولا من الخلفاء الراشدين ، أم إرضاء لصاداته الروافض الذين ينصرونهم ذكره ؟

وينصح أبو ربة في ص ٢٣٤ لدارس تاريخ الاسلام بمعرفة حال العرب قبل الاسلام وما بين بني أمية وبني هاشم في الجاهلية والاسلام ، وما كان بين النبي ﷺ وبين اليهود وما تسكنه قلب أهل الأديان والأهم الأخرى للإسلام من بنش وشأن هـ

وباليت عمل بهذه النصيحة فمرف ما يكيد للشرقون للإسلام أمثال جولد زهر وشيلنجر فلم يمتدح منهم في الحديث وأهل خصوصاً حافظ سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه فيأمر مرة رضى الله عنه وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعائشة رضى الله عنهم

وذكر ما زعمه الشيعة لبني أمية من اللجدة لبني هاشم من ٢٣٤ م إلى ٢١ وأهم سالوا إفرأ بن هاشم بالمطالبة بالخلافة لسكنى تقع الفتنة ، ولا حزم عمر الذي أحبط كيدهم فسكنوا وطروا على ما بين جوارهم حتى يهتبلوا فرصة لتسحب لهم ، إلى أن تبيأت في خلافة عثمان رضى الله عنه . هـ

والذى يعرفه التاريخ أن ولاية أمر المسلمين دارت للشاوره حولها في سقفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار ، وكان الأنصار يظنون أن لهم في الخلافة نصيبا حتى قال قائلهم : ما أمير ومنكم أمير ، وقال لم أبو بكر : ان العرب لا تدن إلا لهذا الخي من قريش ، أنتم الوزراء وعين الأسماء ، وفام عمر وابيع أبا بكر ، ورضى الأنصار واتبع الخلاف ، ولم يكن لبني أمية ولا لبني هاشم ذكر في هذا الخلاف سوى ما اختلته الرافضة تشويه سمعة الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكان لولى رضى الله عنه هوى فيها وظن أنه يقدم على عثمان ، ولكن إجماع المهاجرين والأنصار كان على تقديم عثمان ، فاختار الشيعة - فروع الزنادقة والفرس واليهود - ككأت على لسان على دسها الرضى في مجموعة سماعها نتج البلاغة ، وشرعها بهذه التفتريات للامد الخطيب ابن أبى الحديد زميل ابن الطلقى في خيانة الاسلام ودولته ، وجاء باحث البصر أبو رية يرتشف من هذه الأكاذيب والتفتريات ويترجم أنه يحقق تاريخ الاسلام على نحو لم يعرفه العلماء قبله

إن بنى أمية بنو عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد شمس أخو هاشم ، وليس بينهما فى الجاهلية والاسلام إلا الورد وصلة الرحم - أليس العباس هو الذى أجاز أبا سفيان عندما أسر فى فتح مكة وحماه من عمر عندما أراد ضرب عنقه ؟ أليس الذى صلوات الله عليه هو القاتل يوم فتح مكة ؟ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن « فجعل داره كالمسجد المحرام فى حياية من يدخلها ؟ أليس عثمان بن عفان أمويا وقد تزوجه التى بنته الواحدة بعد الأخرى ولو كانت عنده ثلاثة تزوجه إياها ، وهو الذى جهز جيش المسرة بأبني بدير بأقباها ورواحلها ، واشترى بئر رومة من اليهودى الذى كان يبيع ماءها على المسلمين وجعل دلو

فيها كثر الدلا ؟

فليس بين بنى أمية وبنى هاشم إذا أعرضنا عن فريبات الروافض إلا الحب والوثام ، تجمعهم جامعة جدم المشترك عبد مناف . أليس الحسن بن على هو الذى بايع معاوية بالخلافة ، وأصلح الله به بين المسلمين ؟

ونسكت عن خروج الحسين بنى ريشة العراق له وخذلانهم له بعد ذلك ، وما أصاب الاسلام والمسلمين من جرائها من فرقة ، وما أروضا أعداء الاسلام بسببها من فرقة ومصائب

والعباسيون وهم هاشميون نسكلوا بنى خرج عليهم من بنى على وهم أبناء هم وبخوة ، ولكن لكك عقيم ، لا يرسم الوالد ولده إذا خرج عليه (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ولا تملأون عما كانوا يعملون)

خرج أبو رية بعد طول ترزته فى اختلاف الأمويين والهاشميين ، وعدم تدوين الحديث فى عصر الصحابة ، وما كان من اختلاف بعض الناس فى التراتدات حتى جمع عثمان للصحف الإمام وأمر بترك ما يخالفه ، خرج بعد ذلك (ص ٢٣٦) بنتيجة قال فيها : من أجل ذلك كان الوصول إلى معرفة الأحاديث الصحيحة شاقا والبحث عن معرفة حقيقة الرواة أشق ، وإذا علم ذلك كله بدا - ولا ريب - أن تأخير التدوين كان له ضرر بالغ ، إذ كان سببا فى اتساع آفاق الرواية ، واختلاط الصحيح بالموضوع ، وتمتدز بالتمييز بينهما على سر المهور . هـ

وجوابه أن الصحيح لم يختلط بالموضوع إلا عند أمثاله عن نظروا إلى الحديث وأهل نظر الشك والريب ، وأسأوا الظن بمدا. الاسلام وبجهالة النقل والنقد والتمييز وعرفا. الأمة برجال النقل والتمييز صحيح للنقول من سقيه حتى تميزت لديهم أنواع حديث رسول الله ﷺ وعرفوا مقبولة من مردوده

وإن عدم التدوين الذى يندد به أبو رية ويترجم أنه كان سببا لاختلاط صحيح

الحديث بموضوعه ، فإن تناديه في القرآن بتسجيل تدوينه لم يمنع ورود القراءات الشاذة ، وقد ذكرت له سابقا كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه وما فوق العشرة عند القراء ، وإن تدوين آية (وكان له امر) لم يحفظ ما عرفت فيها من التزامين يفتح الله . وللم على الأفراد وبضمها على الجمع لولا حفظ الصحابة ، لحفظ الصحابة هو الذي حفظ القرآن بقراءته كما حفظ الحديث برواياته ، وضربنا الأمثلة الكثيرة لذلك ، فتدوين آية في ماضي آدم من ربه كتاب في كيف يحفظ ما جاء في الآية من رفع آدم أو نصبه ورفع كالت أو نصبها لولا الحفظ . إن الذي أخذ قراءته من المدون بدون تلقى قرأ ورحق وست كل شيء . في هاتين « م » وقرأ في والله يرى . من المشركين ورسوله في بكسر اللام عطفا على المشركين ، حتى اتفه لذلك من رأى نطق المصحف وتشكيله

فالحنظ لا التدوين هو الذي حفظ القرآن كما حفظ الحديث ، ومثله يقال في النحو واللغة وشواهدا ، والأصول والفقه وأدلتها ، والتاريخ وأخباره مما دُرِّج عندما تهبأت الأمة واستمدت لتدوينه ، قدّر الله ذلك في لهلك من هلك عن بينة ورجميا من حي عن بينة

وكرر أبو رية (ص ٢٣٧) ما سبق له تردده مرارا أن الأحاديث لو كانت كتبت عندما نطق بها النبي ﷺ لتلفاها الناس كما تلفوا كتاب الله بنفي بحث في صحتها ولا تنقيب عن حقيقتها ، ولكن عدم تدوينها في عهد صاحب الرسالة وأصحابه قد أزم اللقاء أن يبحثوا في أسرها لكي يعرفوا الصحيح والموضوع منها . هـ

وسبق أن ذكرنا له أن تدوين القرآن وكتابه في عهده ﷺ لم يمنع مجيء القراءات الشاذة فكتابه في الحذف رب المألين في لم يمنع من قراءتها بضم اللام في هـ فيما نظم الدال في الحد ، ولا من قراءتها بكسر الدال فيما لكسر اللام ، فلم يحفظ الروايات الصحيحة في القرآن والحديث إلا حفظ هذه الأمة من الصحابة والتابعين لديهم كتابا وسنة . فالتدوين لم يمنع شاذ القراءات وهي كضميف الأحاديث ، وفيه في بحث رسوله في الأئيين حكم

مر فيها المارفون وجعلها الجاهلون وتشرش بها الذين في قلوبهم مرض في هو الذي بحث في الأئيين رسولا منهم يفرط عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لي خللا بين في والله أعلم بنم أصلح لخل دينه من أبي رية وأمثلة من أهل الشكوك والريب ، وقد استقام دين الله الذي حله أولئك الأئيين وعمل به أهل اليقين والتقوى ، وأمرشوا عن شكوك الذين في قلوبهم مرض من لم يرضوا عن الله ورسوله وحلة دينه

ألا فليخبرنا هذا المراتب في حديث رسول الله ﷺ لعدم تدوينه في العصر النبوي ماذا كان يفيد التدوين لولا الحفظ في القراءات الصحيحة في قوله في دلي آدم من ربه كالت في وقوله في والله معص الحى وهو حمر العاصلين في وقوله في إبت حاكم فمى سا فندسوا إلى أمثال ذلك مما يحمله الخط الذي لم ينقط والحروف التي لم تشكل حتى قرأ بعضهم في ورحق وست كل شيء . بالدين من السوء وقرأ آخر في وحمل السعة في وحل أمه في قرأها : جبل السقية - واحدة السفن - في رجل أخيه

فلولا الحفظ الذي خص الله به غير أمة أخرجت للناس لما آفاد التدوين في حفظ كتاب ولا سنة ، ولما كان في بحث نبينه ﷺ في الأئيين المتأزين بالحفظ حكمة تنفي العبث

وقال (ص ٢٣٧) ناقلنا عن الجزائري : إذ ليس كل ما يرويه من كان مرموزا بالدلالة والضميمة يؤخذ به ، لما أنه قد يمرض له السوء والروم والسيان هـ

ويقال : إن الروم والسيو والسيان لا يصار إليهما إلا بدليل ، والأصل في أخبار البدول الضابطتين الصحة والقبول ، وعلى هذا جرى عمل خير القرون

إن أهل قيام - وهم في صلاتهم إلى بيت المقدس - أنام آت فقال : أشهد لصليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فاستدأروا وهم في الصلاة إلى الكعبة للشفقة ، ففكروا ما كانوا عليه ييقين نلبر الآتي ، ولم يعترف شك الروم والسيان في غير هذا الآتي ، لأن الأصل في كلام الثقات الصحة والقبول ، ولا يشكك فيه إلا من جانب طريق النقل

والنظرة . وذكرنا سابقاً لهذا للرتاب أنه إذا جاهد خادمه بأن على الباب من يستأذن في الدخول فهل يتوقف في خبره لجواز الوهم والسيان لم يقول بخادمه الذين للمستأذن . انه يرجد في الناس سوفسطائية يتكبرون في كل شيء حتى في أنفسهم ، ولكن ذلك لا يضير ما عليه عمل الناس من قبول أخبار الصادقين والمسلم بها ، وإن شك فيها المرتابون الذين انحرف فطرهم عن الجادة وسادوا عن سواء السبيل

ومن مكرر القول أن قول لأبي ربة : إن تدوين القرآن لم يمنع من شواذ قراءاته ولم تحفظ به رواياته الصحيحة وأحرفه السبعة التي نزل بها القرآن الحفظ الذي خص الله به أمة المسلمين .

وكذلك عدم تدوين الأحاديث والسنة لم يمنع معرفة صحيحها من سقيمها على ما فطر الله عباده من تمييز الحق من الباطل ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ، ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ .

وقال (ص ٢٣٨) : اتفق علماء الحديث على أنه لا يؤخذ بالحديث إلا إذا كان رواه موصوفين بالمدالة والاضبط . ثم قال : والمدالة وحدها غير كافية ، وقد اختلفوا في صحتها اختلافاً شديداً حتى قالوا : إن من الصعب الوقوف على رسم المدالة فضلاً عن حذوها . هـ وهذه شكوك من امتلاكه بصديق الشك والريب ، ولم يعرف ما فطر الله عباده عليه من تمييز الصدق من الكذب وما جرت عليه معاملاتهم في كل زمان ومكان ، إن من اختلطت عليه معرفة نيات الناس من كاذبهم يستقط مع الخطاب ، وأولى له دار المجانين وبيارستان المجاذيب

فالناس يعرفون بما آتاهم الله من العقل والتمييز خيار الناس من شرارهم ، وحسب أبي ربة أن يشهد على نفسه بالخروج عن اتفاق علماء الحديث وأن ينضم إلى أعداء الكتاب والسنة من الروافض والمجهمية والطوائج بل أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين

إن من يتشكك في خبر خادمه الذي يجهره بمستأذن على الباب أولى أن يبد في سلك

الروسيس المجبولين

وقال (ص ٢٣٩) : وليس كل ما يرويه الحافظ للنقن صواباً لاحتمال أن يكون قد زل في بعض المواضع ، وكذلك ليس كل ما يرويه غير الحافظ للنقن خطأ لإصابته في كثير من المواضع ، والمائل اللبيب هو الذي يسعى لمرقة صواب كل فريق ليأخذ به . هـ .

قلت : وهذا فتح باب الفوضى وانتفاع المروى بترك ما يرويه الحافظ للنقن لاحتمال أن يكون قد زل في بعض المواضع وأحد ما يرويه غير الحافظ للنقن لأصابته في كثير من المواضع والحكم في ذلك عند محامتنا هو عقل المائل اللبيب

فدأبه : عقل من ترى ؟ عقل الجهمي أو الرافضي أو الخارجي . أو عقل جوهلنزهير عدو الإسلام أو من ترى ؟ ولو كان الدين مأخوذاً من عقول الناس فأى حاجة إليه ؟ وعقول الناس ينما من الاختلاف ما لا يحصى إلا خالقتها سبحانه

حد مثلهذا النور الذي تنكشف به الأشياء ، سل الباحثين فيه : هل اتفقوا على شيء في حقيقته ؟ أم أمواج أثرية ، وما الأثر ؟ أو هو جزئيات تفصل من مصدره ولها هذه السرعة للدهشة ، ولاندا لم يردوا الزواج ومحوه ؟

وقال (ج ١ ص ٢٣٨) : وصف هذا العلم - يعني علم الحديث - عالم جليل قال : انه علم اصطلاحي يحض يرمي بكيد المحافظة ، ويستنبط بقوة الدائرة ، فلا يستلذه للتفكير التواضع على حقائق المقولات ، ولا الخيال الجزل في أجواء الشريات ، ولا الروح الرزف في رياض الأدب أو الخلق في سماء الالهيات . هـ

لم يفصح لنا علامتنا عن اسم هذا العالم الجليل هو عبد الحسين الرافضي أو أبو جعفر الاسكافي أو للمحدثين إلى الحديث وأمثالهم من مبغضى آداب رسول الله ﷺ . ونحمد الله أن بقيت في أبي ربة بقية من حياة فكتم اسم طاله الجليل مبغض الحديث ومفضل شيايات للشر واللتكلمين على علم النبوة ، فقد استفدنا من إلهام اسمه أن أبا ربة لا تزال فيه مسحة من حياة يستحي عما قد يستحي منه

وذكر (ح ٢ ص ٢٣٩) من شيخ الاسلام ابن تيمية قوله: وأما التلطيظ فلم يعلم منه أكثر الناس، بل في الصمائية من قد يغلط أحيانا، وفيهم بدم. ولهذا كان فيما صنف في الصحيح أحاديث يعلم أنها غلط.

لم يذكر أبو رية مصدر كلام الشيخ ابن تيمية حتى ترجع إليه، فإن أبا رية صاحب هوى غير أمين في نقله وتلخيصه.

والشيخ ابن تيمية وإن جوز التلطيظ على بعض الناس ولكنه لا يجيز على الناس بالتلطيظ جزافا بدون دليل، تصبوا وجريا وراء الملوى، كاجوز أبو رية تلطيظ الثقات وتصديق غير الثقات اتباعا لما سماه عقل الليب، ففتح للناس - وهو ما يريد لهم - باب التحلل من الأوامر والنواهي. يزعم اتباع عقل الليب من تلطيظ الثقات وتصديق الكذابين والمخلفين، وعلى هذا فلا حاجة للدين عند أبي رية ما دام ما زعمه عقل الليب هو الحكم فيما يقبل أو يرفض من الدين.

وشكك أبو رية في إفادة للتواتر ليقين بقوله (ح ١ ص ٢٤٠): فمن هذه الشبهة أنه يجوز أن تخبر جماعة لا يمكن توطؤهم على الكذب بأمر حياة فلان، وتخبر جماعة أخرى مثلهم بتقريب خبرهم. قال: وقد أنكر المسلمون أعظم الأمور للتواتر، فالتصاري واليهود ما أثنان عظيمتان يخبرون بصلب المسيح والإنجيل بصرح بذلك، فإذا أنكروا هذا الخبر - وقد وصل إلى أعلى درجات للتواتر - فأى خبر بعده يمكن الاعتماد عليه والركون إليه؟

والحده إذ كشف لنا أبو رية عن سوءه، وعن شكه في القرآن، فأست شكوكه في الحديث دون شكه في القرآن، وأبان لنا عن ارتوائه بشكوك أعداء القرآن والاسلام فتدلا عن جبهه بمرة التواتر، وتاريخ الصلب، وتاريخ الأنجيل.

فقول: (١) يجوز أن يتواتر عند جماعة حياة فلان بيننا بخرات عن غيرهم بوجه خيل منه بالتواتر الذي عرفوه بأنه إخبار جماعة لا يمكن توطؤهم على الكذب عن مثلهم

حتى ينهى إلى الشاهدة، فالجماعة التي أخبرت بحياة فلان تواترا، والأخرى التي أخبرت بموته كذلك لا يمكن تصور وجودها إلا إذا كانت إحداهما لم تتوفر فيها شروط التواتر، وتجويز تواترها كليهما تجويز للجمع بين الضدين أو التقيضين، كما هو بدى لمن يقل.

(٢) مسألة زعم اليهود والنصارى صلب المسيح بن مريم وأنكار المسلمين لذلك، وزعمه أن ذلك تواتر عند اليهود والنصارى وما أثنان عظيمتان فيكون المسلمون قد أنكروا أعظم تواتر، في هذا من الجهل والملوى والزور والبهتان ما سذكره.

(فأولا) أنكر المسلمون صلب المسيح عيسى بن مريم تصديقا للقرآن كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقد نزل القرآن بذلك وصمه اليهود والنصارى فأنبوا ببنت شفة في تكذيبه، أما النصارى فقد كان مع المسيح ليله هم عليه شرطة الرومان بعض حواريه ففروا عنه ولم يبقوا من القضية شيئا سوى ما أشاعه أعداء المسيح من اليهود. والأنجيل الأربعة - إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا - لم تكتب إلا بعد ١٥٠ سنة، وكانها لا يعرف لهم تاريخ ولا ترجمة حياة سوى أنهم تلايد لبولس اليهودى الذى تنصر ليفسد دين المسيح أو تلايد تلاميذه، والأنجيل الصحيح إنجيل برنابا حوارى للمسيح ينكر الصلب ويسجل على بولس أنه أسند دين المسيح.

وأما اليهود فقد وشوا بالمسيح عند يلاطس عامل الرومان على اليهود بأن المسيح يقول إنه جاء ليبد ملك داود، فصدقهم يلاطس، وما أسرع أمثاله إلى تصديق إشاعات السياسة التي يظنون أنها ترى لتقويض ملكهم وحكمهم، فأرسل شرطته لاحضار هذا الذى يزعم أنه جاء ليبد لاسرائيل ملك داود، فأمرت السلطة الرومانية القاعة بأخذه وصلبه ودفن عليه وعلى الدار التي هو فيها أحد تلاميذه يهوذا الأسخريوطى مقابل ثلاثين درهما، فذا دخلوا القرفة التي قيل إنه فيها دفن الله اليه وأمكروا بالتلطيظ فليأتى الذى دهم عليه فقال لهم: أنا يهوذا الأسخريوطى، فقالوا له: فأين للمسيح إذن؟

وأخذوا هذا التليذ وصابوه ، وصار يصرخ : إيل إيل لماذا شبتنى ومنته بتسيرم :
إلى إلهي لماذا تركتني

وفرحت اليهود بصلب من صلب من غير أن يعرفوا شخصه ، وإنما ذلك كان شفاء
لما في صدورهم من الحقد على من خرج عن ناموسهم حتى لا يفتضحوا وينشل كيدهم

ومثل ذلك تأسر قريش على قتل النبي ﷺ فتجاه الله منهم بالمجيرة ، ولكن قريشا
كانت أعمى من اليهود التورم البت ، فلم يقولوا إنهم قتلوا محمدا ﷺ حتى لا
يفضحهم الواقع

فإن التواتر عند اليهود أيها البهانة وهم لم يكن منهم إلا وشاية بقر قليل إلى السلطة
الحاكمة وشرطة هؤلاء الحكماء لم يكونوا يعرفون المسيح وإنما اكتفوا بشخص ظنوه أنه
المسيح بشهادة كذاب مرئى

وإن التواتر عند النصارى وقد تفرق تلاميذ المسيح عنه وقت هجوم جلاوزة الرومان
وسموا بمسألة صلب مصلوب من شرطة الرومان ومن إشاعة اليهود البت

والسلون كذبوا ذلك كله لا يتواتر أو غير تواتر ، بل بما حكى الله في كتابه
تكذيباً لليهود بقوله ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم بل ربه الله إليه ﴾

فاليهود لحقد على المسيح روجوا إشاعة صلب المصلوب بزعم أنه المسيح عيسى بن
مريم ، وشرطة الرومان نفذوا الحكم في شخص ظنوه أنه هو المطلوب

فإن التواتر الذي كذبه السلون أيها اللزيم بجده زهير وسبرنجير وأمثالها من أهل
القرية والكذب والبهتان

لقد استفدنا من كلامك هذا شكك فيما أشير به القرآن وتصديةك أعداء القرآن في أنه
المسلمين يكذبون تواتر اليهود والنصارى في زعمهم صلب المسيح عيسى ، وليس ثم تواريخ

ولا شبه رواية تصلح لتاريخ ولو كانت خطأ ووهماً ، وللمرغوب تحت لسانه وقفه
تقول في حاشية ص ٢٤٠ عن النزالي : إن العدد الكثير ربما يخبرون عن أمر فتضى
إبالة لك وسياسة إظهاره ، والخبرون من رؤساء جنود لك ، فيتصور أجمعهم تحت
خضط الإبالة على الاتفاق على الكذب . هـ

وتقول لأبي ربة تها النزالي : إنه إذا تطرق هذا الاحتمال سقط شرط التواتر الذي
يشترط استمالة ترواطهم على الكذب ، فإذا جاز هذا التواطؤ لم يكن تواتراً . وهذا يمكن
أن يمثل له بما ادعاه أبو ربة في دعوى تواتر صلب المسيح عند اليهود ، فقد كان رؤساء
اليهود لم شهوة في أن يشيعوا صلب المسيح فأشاعوا عن الصلب أنه للمسيح ، وتأييمهم
الدعاء على ذلك بما ظن أبو ربة أنه تواتر ، وبهت المسلمين بتكذيبهم لهذا التواتر ؟

وأما ما ذكره في حاشية ص ٢٤١ من بعض الأصوليين أن للتواتر لابد فيه من
التزامن ، وحينئذ يتساوى عند أبي ربة للتواتر والآحاد ، فكلام هراء ، ولم يفتح باسم
هذا الأصولي ، قلله من ساداته الروافض أمثال عبد الحسين السركلاوى وأبي جعفر
الاسكافي وابن أبي الحديد بن لا اعتبار بشواذهم وغرائبهم

وأما فكاهاته الأدبية في ح ٤ ص ٢٤١ عن أخبار الآحاد فن التواتر الذي ير به
للزمنون كراما ويفضون ذبولهم من غباره ووجهه

وذكر أبو ربة (أول ص ٢٤٣) أن للتواتر يقيد العلم قطعا ، ونسى ما شكك فيه في
حاشية ص ٢٤٠ من أنه لا يقيد العلم وأورد شها ، منها زعمه أن مسألة صلب المسيح
تواترت عند اليهود والنصارى وكذبها السلون ، وأورد في آخر حاشية هذه الصفحة
قول الله تعالى عن النصارى وهى عن اليهود ﴿ ما لم به من علم إن يقيمون إلا القطن ﴾

وهكذا فليكن التخليط في العلم ، ورميه جزافا بغير علم ، والكذب ينير
بتذكره ولا احتياط

وقال (ص ٢٤٣) : حكم للتواتر والآحاد . ونقل عن الجمهور أن أخبار الآحاد

لا يفيد العلم ولو كانت مخرجة في البخاري ومسلم . قال وإن تلقى الأمة لما بالقبول إنما يفيد العلم بما فيها بناء على أن الأمة تأمورة بالأخذ بكل خبر ينطب على الظن صدقه ، ولا يفيد أن ما فيها ثابت في نفس الأمر قطعا . ومثل بالقاضي الذي يحكم بشهادة من كان عدلا في الظاهر ، قال : وليس بأمور أن تكون شهادته مطابقة للواقع

قال : وهذا ما قاله الجمهور ، وقال كثير من العلماء إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم ولو تلتفت بالقبول . ونقل عن أحد في رواية الأثرم عن حكم الآحاد أنه يعمل به ولا يشهد . أن النبي قاله . قال : وأطلق ابن عبد البر وجماعته أنه قول جمهور أهل العلم والفضل حتى قال بعضهم ولو مع قرينة ، أي لا يفيد العلم ولو مع قرينة ، ونقل عن الرزقي في تنسيه أن رواية الواحد إنما تفيد الظن . ونقل عنه في معالم أصول الدين أن الدلائل العقلية ظنية وأن العقلية قطعية وأن الظن لا يمارض التطلع

وحسب إيراد على ذلك قوله : ترى هل هذه القاعدة التي قررناها قد أمر الله بها . ورسوله ؟ وترى هل هي مخرجة من حكم اتباع الظن الذي جاء في آيات كثيرة من مثل ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا غشا ﴾ ، ﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ ومثل قوله تعالى في قول النصارى - بل هم اليهود - بصلب المسيح ﴿ ما لم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ هـ

وجوابه (١) : إن الإمام أحمد لا يمكن أن يقول عن حديث الآحاد من رواية الثقات : يعمل به ولا يشهد أن عليه السلام ، وهو الذي أنفى حياته في رواية أحاديث الثقات زنديقها ، فلا يمكن أن يقول عن شيء عاش ومات في جمعه والعمل به وإرشاد الأمة إلى اتباعه إنه لا يشهد أن النبي عليه السلام ، فمن أين لك يا أبا ربة هذه الرواية الترفية التي يكذبها أهل الإمام أحمد والمحققون من أصحابه . وللمروء عن أحمد وغيره من علماء الحديث أن ذلك يقال في الضعيف الذي لم يشهد ضعفه بل يقوم بنفسه ، وهو الذي يحسبه الترمذي حسنا

(٢) : قلنا عن الجمهور أن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ، أي جمهور تمنى

جمهور الصحابة والتابعين وتابعهم ؟ أم جمهور المجسبة والمعتزة والمشكلين والرافض والطوائج من لا وزن لهم في العلم والدين ، ولا اعتبار لهم في الإسلام ، بل هم من اتبع غير سبيل المؤمنين ، وجرى وراء فلاسفة اليونان والفرس والبرهمن ، وجانب طريق الأنبياء والرسلين . وحديثك بشكوك الرزقي في الأدلة العقلية التي نسبها الشيخ ابن تيمية في مقدمة كتاب (مواقفة صحيح القول لمرجع المسؤل) وأن اليقينية لا تتعارض ، وإنما يتعارض اليقين مع الظن ، وأن ما جاءت به الرسل هو اليقين ، وأن خيالات المشككين هي الظنون وهي التي تطرح

ونقول لذين زعموا أن خبر الثقات الاثبات لا يفيد إلا الظن :

(١) أهل قباء الذين كانوا مستقبلين لبית المقدس وصل إليه للسلون ثمانية عشر شهرا ، ثم أخبرهم آت أنه صل مع النبي عليه السلام إلى الكعبة ، فتصوروا عن يمين ما كانوا عليه وهم في الصلاة إلى الكعبة للثبوت بمجر واحد من الناس ، أفركوا اليقين للظن بامن عنده عقل وإنصاف ؟

(٢) رسل رسول الله عليه السلام إلى ملوك الدنيا وأمراء الآفاق لم يكونوا إلا آحادا ، أنسكان رسول الله عليه السلام يدعو الناس لترك ما هم عليه من الدين الذي استيقنوا به ، بطق ظنية من آحاد كان يرسلهم ؟

أقوال القوقس لحاطب بن أبي بلصة : إن خبرك ظن ، فاذبح إلى صاحبك يرسل إلى عدا يصح به التواتر حتى أصدق أنهم رسل من هذه ؟

وكذلك التجاشي وهرقل وكسرى ، هل تشكك أحد منهم في خبر رسول الله بأنه خير آحاد لا يفيد إلا الظن ؟

لقد ذكرت لأبي ربة سابقا أن عمل الناس في كل زمان ومكان هو تصديق الصادق والتمييز بينه وبين الكاذب بما أعطاهم الله من الفطر والعقول ، وأن خادم أبي ربة إذا كان قد عرف صدقه وأمانته لا بد أن يصدق فيما يخبره عنه من أسعار السلع والشعريات ويسل

بغيره وهو فرد واحد إذا كان قد عرف صدقه وأمانته

ومن غرائب أبي رية جملة بالقرآن كجمله بالسنّة ، فقد سجل قول الله تعالى في آخر حاشية ص ٢٤٣ ﴿ وما لم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ أنه من قول النصارى في صلب المسيح ، مع أنه رد على اليهود القائلين بأنهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله ، فرد الله عليهم بقوله ﴿ وقولهم - يئس اليهود - إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفسه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيم ﴾

أكثر أبو رية (ص ٢٤٠ - ٢٤٣) من النقل عن النزالي والشاطبي والنوري وابن حبان وغيرهم في أن أحاديث الأحاد لا تنفذ إلا الظن - يعني الذي لا يفتي من الحق شيئا ، ومرة يمزو ذلك إلى الجمهور ، فإن كان يفتي جمهور المتكلمين فلا قيمة لم عند علماء الأمة من الصحابة والتابعين لم يليحان

والصحيح أن ينقل عن النوري الذي أفتى حياته في شرح الأحاديث وجمعها كشرحه لمسلم ، وجمعه لرياض الصالحين ، وغيرهما من نقائس كُتبه ، أنه كان يضع جهوده في ظنون لا تنفي من الحق شيئا

وأغرب منه ابن حبان صاحب الصحيح للمسي بالأصناف والتقسيم وروضة العقلاء ونزعة النبلاء وغيرهما من خيار كُتبه ، وكذلك كتابه التتات ، وكتابه الضمعة ، وغيرهما من التراجم ، غريب أن يرى أن أحاديث الأحاد - وهي التي اشتمل بها طول حياته - أنها ظنون لا تنفي من الحق شيئا

وتستجيب كذلك من قراءات أبي رية للناقضة إذ يقرر مرة أن التواتر يفيد اليقين () ومرة يورد شبهات على إفادته اليقين ، ويمثل بمخالفة المسلمين لتواتر اليهود والنصارى الذميمة زعمه في قولهم عن صلب المسيح عيسى بن مريم !

ومرة يقر أن للتواتر لا يفيد اليقين إلا بالقرائن ، فلا فرق حينئذ بينه وبين خبر الكثرة

وحينئذ تسجل عليه اعترافه - من حيث لا يشمر - أن خبر الأحاد مع القرائن يفيد اليقين ، فيهدم ما بناه وأصب نفسه في نقله أن خبر الأحاد لا يفيد اليقين ، وتعيد له ما كررناه سابقا من ترك أهل قياه ما كانوا عليه من يقين القيلة إلى بيت المقدس إلى ما أخبرهم به غير واحد من صلاته مع النبي ﷺ إلى الكعبة فاستداروا كاهم إلى الكعبة

أفتركوا اليقين الذي كانوا عليه لظن لا يفتي من الحق شيئا ؟ وكذلك رسل رسول الله ﷺ إلى اللوك والأسراء والأقبال ، أكان خبر الواحد من هؤلاء ظنا لا يفتي من الحق شيئا ؟ وكذلك يث مماذ وأبي موسى إلى الذين دعوتهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، أفكان ظنا لا يفتي من الحق شيئا ؟ وكذلك عمال الزكاة ، أفكان يرسلهم رسول الله ﷺ عددا متوازرا لم كانوا آحادا ، ولؤذنون الذين يؤذنون بدخول الوقت أليسوا آحادا فهل لا يفيد أذانهم إلا الظن ؟

الحق أن عمل الناس في كل زمان ومكان تصديق التتات والعمل بغيرهم ، فإذا كانت مع غيرهم قرائن أفاد اليقين

وحينئذ يسقط ما موزه به أبو رية على كلام ابن الصلاح ليخاص بذلك إلى ما يريد وما في نفسه وما يتقرب به إلى ساداته من الجبهة والرافض أن أخبار الصحيحين البخاري ومسلم لا تنفذ إلا الظن ، ومعنى عن تلقى الأمة لها بالقبول ، ناطحا برأسه صخرة إجماع الأمة ، فلم يضرها وأروى قرنه الرعل

وحسبنا من أبي رية اعتناؤه (ص ٢٤٦) كلام المتكلمين - من جبهة ومعتزلة وروافض - في ردهم أحاديث الأحاد التي لا توافق أهواءهم وسبب الانهم التي سموها معنولات ، وزعمهم أن أخبار الأحاد لا تنفذ غير الظن ، ولا يجوز البناء على الظن في المطالب السكلامية ، وهذا مما خالفوا فيه سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين ، وخالفوا إجماع غير القرون من الأمان والعمل بالسكاتب والسنّة الصحيحة والأحاديث النبوية . وقد در شيخ الإسلام ابن تيمية في جميع كُتبه ومنها موافقة صحيح للقول لصريح للقول ٢ - ١٧ * ظلت إلى رية

وأما من كتبه النافعة ، وكتب تليده شمس الدين بن القيم ومن سار على منهاجهم كقورخ الاسلام الحافظ الذهبي والحافظ شمس الدين بن عبد المادى

وأما عتيل أبى رية محدث محاجة الجنة والنار (ص ٢٤٦) فليت شعرى ما وجه استنكاره ؟ أمن أجل إثبات محاجة الجنة والنار ؟ إن كان ذلك منكرا عند أبى رية فليقل لنا ماذا يقول فى قول الله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ وقول الله تعالى ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ﴾

فإذا كان أبى رية لا يؤمن بما أخبر الله عن السماء والأرض وعن نهادة الألسن والأيدى والأرجل والجلود فلا كلام لنا معه ، وإن آمن بذلك فليؤمن كذلك بمحاجة الجنة والنار . أما إن كان استنكاره لآيات قدم أو رجل لله يضمه فى جهنم فيزوى بعضها لبعض وتقول قط قط ، فليستكر ما أثبت الله لنفسه من الوجه والدين والسمع والبصر واليدين والأصابع إلى غير ذلك ، فكفه من واد واحد : إثبات بنير تشبه ولا تكيف ، وتنزيه من غير تعطيل ولا تحريف ، كما هو القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأهل الكتاب والسنة فى كل زمان ومكان

قال أبى رية (ص ٢٤٧) فهذا الحديث ونظائره - وهى كثيرة - يبعد على التكلم أن يقول بصحتها فضلا عن أن يحزم بذلك . . إلى قوله : وقد نشأت بذلك عداوة شديدة بين التكاوين والمحدثين يعرفها من نظر فى كتب التاريخ ، حتى إن للتكاوين سموا جمهور المحدثين بالمشبهة ، والمحدثين سموم بالمطلة . (وقال فى الحاشية) :

وكذلك يسمى للتكاوين المحدثين بالخشوية ويصفونهم بأنهم أجهل الناس بما يحفلون وأغص الناس حطافا يطلبون ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

زوامل للأشعار لا علم عندهم نجيب - إلا كعلم الأباقر

لمدرك ما يدعى البعير اذا غدا بأحاله - أو واح - ما فى الفرائر قد قتموا من العلم برسه ، ورضوا بأن يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ، وزهدوا فى أن يقال عالم بما كتب ، أو عامل بما علم .

لقد أفرغ أبى رية صديده على المحدثين ، والمحدثين أن يشتموا بما قيل :

وإذا أتتك مذنب من ناقص فعن الشهادة لى بأنى كامل

ولم أن يقرروا لأبى رية ومن قدم من أعداء السنن قول الله تعالى ﴿ إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون : وإذا انفلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم . وإذا رأوم قالوا إن هؤلاء لضاؤون : وما أرسلوا عليهم سائطين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل منسوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

وحسب أبى رية أن يكون سادته فى عداوة المحدثين أمثال الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وشيطان الطائى والنظام وواصل بن عطاء وآخرهم الرازى

وحسبه أن يجانب طريق الصحابة وأكابر التابعين : الحسن وابن سيرين والشعبي وقنبر . المدينة السبعة ونابى التابعين الزهري ومالك والنورى وابن عيينة والمجاورين وابن المبارك ومن يمدح أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ومن سار على نهجهم

نزولوا بمكة فى منازل هائم وتزلت بالبيداء أبعد منزل

ولا أدنى حل تحريف ما استشهد به أبى رية من الشعر منه أو بمن قبله ، فالحنوظ « زوامل للأشعار » لا « للأشعار » ، و « بجيدها » لا « تحيده » ولكن أبى رية يسجل لنا كل يوم ما يجده فى عداد من قال لله فيهم (سم يحكم عن فهم لا يقولون) فلا أمانة فيها يحكى عن غيره ، ولا عقل فى تمييز ما ينقله

وقل أبى رية (ص ٢٥٠) بواسطة الأم قشاشى عن أبى يوسف قوله : فليكن من

الحديث بما ترفعه السادة وإياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبي كريمة عن جعفر عن رسول الله ﷺ أنه دعا اليهود فأنهم غدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فسطد للبر غلب الناس فقال : إن الحديث سينشؤ على ، فأناكم عن يوافق القرآن فهو مني ، وما أناكم عن يخالف القرآن فليس مني . وكان عمر فبا بلتنا لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بشاهدين ، وكان على رضى الله عنه لا يقبل الحديث عن رسول الله . والرواية تزود كثرة ويخرج منها ما لا يعرف ولا يعرف أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فأياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث وما يعرفه الفقهاء الخ

والجواب : (١) من هو ابن أبي كريمة ؟ مجهول أو ساقط

وجعفر إن كان هو ابن زين العابدين الملقب بالصادق فهو من صفار التابعين لم يدرك عهد النبي ﷺ ، فالحديث مرسل لا تقوم به حجة

ومن التريب الصحيح أن يريد أبو ربة هدم الأحاديث الصحيحة التي تلتفتها الأمة بانقبول وانشد الإجماع على العمل بها بهذا الأثر للرسل الشاذ الذي لا يعرف رلوه

(٢) حذر أبو يوسف في هذا الكلام من الحديث الشاذ الذي لا يعرفه الجماعة

وهذا الحديث في هذا الأثر حديث شاذ لا يعرفه الجماعة ولا يوافق الكتاب ولا يوافق السنة

(٣) يحكم هذا الحديث على نفسه بالبطلان ، فقد عرضناه على كتاب الله فأبطله كتاب الله تعالى الذي يقول فيه ﴿ وما أناكم الرسول بغيره وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول ﴿ هو الذي يث في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحسكة ﴾ ويقول لزوجات نبيه أمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحسكة ﴾

فإذا تكون الحسكة التي تتلى في بيوت النبي ﷺ مع آيات الله سوى سنة النبي ﷺ وأحاديثه ؟ فكتاب الله تعالى قد أثبت حكمة علماء النبي ﷺ لأئمة مع كتب الله تعالى

وهي سنة وأحاديثه بما يشهد لهذا الحديث للفقري بالبطلان

وقول أبي ربة (ف ح ٣ ص ٢٥٠) : السنة هي السنة النبوية ، وما كانت تعرف عندهم إلا بذلك

يقال له : السنة النبوية حتى رواها الصماعة لمن يعدم صارت قولية . مثلاً روى عثمان ابن عفان وعبد الله بن عامر بن عبد ربه حديث الوضوء وكيفية وضوئه ﷺ فصار حديثاً قولياً بعد روايتهما له

وما نقله أبو ربة (ض ٢٤٩) عن امرأة الأصول وشرحها مرثاة الرسول أن أبا هريرة وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لم يكونا فقيهين فقله أدب مع صحابة النبي ﷺ الذين هم خير القرون ، والذين هم رأس خير أمة أخرجت للناس ، والذين لو أفتق من يعدم مثل أحد ذعباً ما بلغ مد أحدهم من شعير أو نصيفه

ويقال لمؤلاء الذين ورنوا عداوة صحابة النبي ﷺ عن إخوانهم الروافض الذين رضوا الرفض ويتنص غير القرون من مؤسسى هذه النحلة زنادقة القرس واليهود يقال لم ﴿ قل موتوا بدينهم ﴾ فدين الاسلام الذي أظهره الله على الدين كله قام باحترام وحسب أصحاب النبي ﷺ بمد احترام وحسب النبي ﷺ لمؤلاء الصماعة الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصره وتمزيقه وتحمل دين الاسلام كتاباً وسنة عنه ﷺ لإبلاغه لسائر الناس ، يقال لمبعضهم : ماذا بقى لكم من دين الاسلام إذا انسلختن عن مؤلاء واجتنبتم ما حلفوه من أمانات الله ؟ ويقال لم أيضاً : اذا كان صحابة رسول الله وحمله كتابه وسنة نبيه ليسوا قهفاء ولا حكياء ، فن الفقهاء والحكماء غيرهم ؟

وأعاد أبو ربة (في ص ٢٥١) ذكر حديث : إنها ستكون بدلى رواية يروون عن الحديث ، فأعرضوا حديثهم على القرآن ، فما وافق القرآن غلبوا به ، وما لم يوافق القرآن فلا تحدثوا به . وذكر أن الحارثي رواه وأن رجال الأثر طعنوا فيه . وهذا هو الحديث الذي ذكره أبو يوسف عن ابن أبي كريمة عن جعفر ، وقدمنا الكلام عليه بما فيه كفاية

ثم ذكر أبو رية (آخر ص ٢٥٩) حديث : ألا وإن أوتيت الكتاب ومثله سه . قال : وهذا من أعجب العجيب ، قال : لأنه إذا كان النبي ﷺ قد أوتي مثل القرآن ليسكون تماماً على القرآن لبيان دينه وشريعته فلم يكن صلوات الله عليه بتدوينه وكتابه كما عني بتدوين القرآن ، ولم يته عن كتابه « لا تكتبوا عن (صوابه عني) غير القرآن » وهل يصح أن يدع الرسول نصف ما أوحاه الله إليه يعدو بين الأذهان بغير قيد ، بمسكه هذا وينساه ذلك ؟ وهل يكون الرسول - بعده هذا - قد بلغ الرسالة على وجهها وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها ؟ هـ

وجوابه من وجوه :

(١) العجب من عجب هذا ، فهل هؤلاء كهؤلاء الحق الذين يقولون لا دين إلا ما في القرآن ، فهل يرى أبو رية الوضوء بدون استنجاء ، فأين أحكام الاستنجاء في القرآن ؟ وهل يرى أبو رية نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وليس الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في محرمات النكاح التي خفت آيتها بقوله ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلك ﴾ ، فهل يفرق الإجماع ويميز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ؟

جاء القرآن في الأسرى بالقتل والغداء ، وجاءت السنة بالقتل والاسترقاق ، فهل ينكر ذلك أبو رية ويميز عن إجماع المسلمين ؟

وجاء القرآن بقطع يد السارق ، وجاءت السنة بتصاب القطع وكيفية ، فهل يرد أبو رية بيان السنة فيقطع اليد من الكتف ويقطعها في سرقة فلس ؟

جاءت السنة بجمع الزاني المحصن ورجم رسول الله والخلفاء بعده ، فهل ينكر أبو رية شريعة الرجم لأنها ثبتت بالسنة ولم تثبت في القرآن ؟

جاء القرآن بإباحة الطيبات من اللباس والطعام ، وحرمت السنة الأكل في صحاف الذهب والفضة والشرب فيها وخاتم الذهب للرجال والحرير للرجال ، فهل ينكر أبو رية ذلك ويميز على إجماع المسلمين ؟

جاءت السنة بحرم ذئب من السباع وذئب الخلب من الطير ، فهل يبيع أبو رية السكاب والذئب والنور والأسود والرخم والحداة والترايب لأنها لم تحرم في القرآن ؟

ماذا نند لأبي رية بما جاءت به السنة زيادة على القرآن ؟ هل في القرآن أنصبة الزكاة ، وأنواع ما يزكى ؟ هل فيه كيفية الصلاة وعدد ركعاتها سراً وحضراً ؟ هل فيه كيفية الحج إلى بيت الله الحرام والبيت في مزدلفة ورمي الجار والبيت في منى الخ ؟

أما تنكيكه بأن النبي ﷺ لم يأمر بتدوين السنة كما أمر بتدوين القرآن ، فيقال له : إن القرآن نفسه قد أمر بحفظ الكتاب والسنة وما وقف الحد على ذلك ، كما ذكرنا ذلك سابقاً . ونعني النبي ﷺ عن كتابة ما عدا القرآن كان في أول الأمر حتى لا يختلط غير القرآن به ، ثم أباح بعد ذلك كتابة الحديث لمن شاء . وبعث الرسول ﷺ في الأمة الأمية التي كان يحفظها كافياً عن التدوين الذي ما تهيأت له الأمة إلا بعد ذلك ، وكان في حفظها للكتاب والحديث ما يكفي عن التدوين يحفظ كان حروفاً بلا فقه ولا شكل ، فولا الحفظ ماذا كان يفيد هذا التدوين ؟ وأما رمي الصحابة بأنهم ما كانوا أهل لحفظ دينهم ، وعلى تعبير أبي رية بمسكه هذا ما ينسأه ذلك ، فجعلوا فاضح بحال الصحابة واتهام لم يدم البلاء بدنيهم ، وهم الذين حفظوا كل شيء يخصهم حتى أيام جاهليتهم ، فكيف بدنيهم الذي خرجوا به من الظلمات إلى النور حتى قال الله فيهم ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أليس كانوا مع نبيهم لهم دينهم ولحكمته التي علمها لهم رسول الله ﷺ مع كتاب الله تعالى ؟

لقد ذكرنا أمثلة كثيرة مما جاء في السنة والحديث زيادة على القرآن تبياناً له وتفصيلاً ، وقد عمل بها المسلمون إجماعاً أو عمل بها جمهورهم ، فلأن نأل إجابة : هل يفرق بها ويترك شكوكه في حديث « أوتيت القرآن ومثله معه ، فيوافق المسلمين ؟ أو

يكرها فيخرج من عداد المسلمين ويكون للكلام معه وجه آخر ولون غير هذا اللون ؟
وإنما يختاره نفسه من هذين الوجهين ليعتقرون

وهذه المسائل ذكرنا بعضها آنفاً والعمد بها قريب في كيفية الصلاة والزكاة والحج
والحلال من الطعام واللباس والأواني الخ

ولا ينبغي أن تكون هذه مسأله عمليه ، فالمثل متى روى صار قولاً

ونهس في أذن أبي رية : ليهك فرح دار الحلال ومجالاته الخلية بما كتبت ، فإن
كان الروافض قد كانوا على شئ أبي هريرة غداً من أهل الخلافة والتحليل للدخ والثناء ،
فقد أصطبت الزنادقة وأعداء الاسلام ما يستندون عليه في التحلل من الدين والآداب
والأخلاق النافذة

قال أبو رية (ص ٢٥٢) : وإن كان هذا الحديث عندما قال أبو بكر للناس : بيننا
وبيكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه ؟

قلت : كان هذا الحديث عند أبي بكر عندما جاءته الجدة تطلب ميراثها من ابن ابنها
فقال لها أبو بكر : لا أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وأرجو حتى أسأل الناس هل جعل
لك رسول الله شيئاً . فقال ، فقام محمد بن مسلمة وهو من صفاء الصحابة فقال : أعطها
رسول الله ﷺ السدس ، فأنفذه لها أبو بكر ، فلم يقل لها أبو بكر : ليس لك شيء البتة ،
لأن كتاب الله ليس لك ذكر فيه بالرة

كان عند أبي بكر هذا الحديث حينما سأله رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿ من
يسل سواي مجز به ﴾ فأجابته ﷺ : أليس تمرض يا أبا بكر ، أليس . . أليس الخ
كان هذا الحديث عندما قال لمائشة ابنته وهو مريض مرض موته : كنت
تخلطك جذاد عشرين وسقاً ، ولو كنت قبضته كان لك ، ولكنه الآن ميراث وارث ،
فصل في هذا الحديث « لا وصية لوارث » وحرم ابنته مما كانت تحملها إياه - براجع
للوطأ في ذلك

كان هذا الحديث عندما قال لقاطبة وعلى وعباس لما طلبوا منه ميراثهم من رسول
الله ﷺ فقال لهم : قال رسول الله ﷺ « نحن مائش الأتينا ، لا نورث ، ما تركناه صدقة »

فهل أبو رية مع الروافض في عداوة أبي بكر لأجل هذا الحديث ، أو مع أهل السنة
والجماعة في الرضا عن أبي بكر لعده بحديث رسول الله ﷺ ونفي هذه ؟

لقد أحاطنا بأبوية في قول أبي بكر « بيننا وبينكم كتاب الله » إلى مرسل لابن أبي
مليكة ، فهل ينقل أبوية للرسول ؟ وهل يرذ بهذا الرسل ما تواضع عن أبي بكر من هذه
بهذه السنن ؟

قال أبو رية (ص ٢٥٢) وعندما قال عمر حينما كتب الله ، ولم لم يشفق من ضياع
هذا المثل وهو يزعمهم نصف ما أوحى الله به إلى النبي ، فيذكره عندما فزع إلى أبي بكر
في أن يجمع القرآن ويكتبه ؟

فيقال لهذا الجاهل : كان هذا الحديث عند عمر عندما سأل عن جزية الجيوش ، فزوى
له عبد الرحمن بن عوف حديث « حنوا بهم سنة أهل الكتاب » فعمل به وأخذها منهم
وكان عنده عندما اختلف الناس معه بسرخ في دخول الشام أو الرجوع من سرخ
بسبب وباء الشام ، فزوى له عبد الرحمن بن عوف حديث « اذا سمعتم به بأرض فلا
تدخلوها ، وإذا كان بأرض وأتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه » فصل بالحديث ورجع
من سرخ إلى المدينة

وعمل به عندما حرم القاتل خطأ من ميراث من قتله كما في الوطأ

وعمل به عندما زوى له أبو موسى حديث الاستئذان بالسلام ثلاثاً وصدقه أبو سعيد
الخدري وقال عمر : الخافى الصقق بالأسواق

وعمل به حينما ملن وقيل له : استخلف يا أمير المؤمنين ، فقال : إن استخلف فقد
استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني

التي ﷺ - فلمواته أنه لا يتخلل حيناً ذكر النبي ﷺ . كان عنده عندما جاءته
الجلدة الثانية فقال لما لا أجد لك في كتاب الله شيئاً وكان القضاء الأول بيني الذي عمل به
أبو بكر لتفريك فان اجتمعا فهو يتكلم الخ

وأما قوله حيناً كتاب الله فقد كانت واقعة معينة ظن فيها خطأ أن النبي ﷺ حيناً
طلب كتاباً يكتبه لهم لا يضلوا بعده ، ظن خطأ أن النبي ﷺ غلبته الخي ، ورضى
الله عنه وغفر له فما كان النبي ﷺ يكتب سوى نصيحة بما سبق له أمثاله ، ولا يقول
كما قال ابن عباس الصبية بكل الصبية ما حال بين رسول الله وبين الكتاب ، فقد ظن
ابن عباس أن الكتاب يغيب بنى هاشم في الخلافة التي كانت أعناقهم تشرئب لها

وأما فزعه لأبي بكر أن يكتب القرآن عندما استحر القتل بالقرآن . مخافة ضياع
القرآن فلأن حملة القرآن كانوا مدودين قد يأتي القتل عليهم جميعاً ، بخلاف حملة السنة
والمحدث الذين انتشروا في عصره في مشارق الأرض ومغاربها فلم يمت رسول الله ﷺ
إلا وكانت صحابته تمت بثبات الألف ، وحديثك أنهم قد قُتِلُوا من حضروا حجة الوداع
بما ينيف على مائة ألف ، فما بالك بنيرهم ، فكان عمر أفل الناس ، ويعرف أنه لو حاول
هو أو غيره كتابة ما عند الناس من الحديث والسنة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً

ولكن أبابرة كالبشتا . يعرف بما لا يعرف - لو أراد الله تدوين سنة نبيه في عصره
لما بيته في أميين ، ولكن الله علم - وعطه وقدره حق - أن هؤلاء الأميين هم الذين
سيتمون بحفظ دينهم كتاباً وسنة خير حفظ تضرب به الأمثال ويصجز الزمان أن يأتي
بمثلهم أو قريب منهم ، وكتابة القرآن - لولا حفظ الصحابة - ما كانت لتنع شواذ
القرادات ، وكيف بحرف لا خط لها ولا شكل لولا الحفظ

قال أبو رية (ص ٢٥٢) : وأين ذهبت عناية الصحابة رضي الله عنهم بهذا اللـ
يدونوه كما دونوا القرآن في زمن عثمان ، ألا إنهم بإمامهم هذا إنما يكونون قد تركوا
نصف الوحي يثير تدوين ويسبحون بذلك جميعاً من الأميين . ١٠

وجوابه ما تقدم مراراً أن الذي حفظ القرآن - كما حفظ السنة - هو حفظ الصحابة
ومن أخذ عنهم ، وإلا فإذا تفيد كتابة (ابن حاكم فاسي سافسندوا) أو كتابه (والله
صلى الخ وهو حجر العاصم) أو كتابه (علي آدم من ربه كتاب) أو كتابه
(ورحى وسب كل سي .) أو كتابه (والله ربي . من السركس ورسوله) الخ لولا الحفظ
والثاني ، وصحة السند لقراءة كصحة السند للحديث

وأما كتابة عثمان لمصاحفه فكان رد المختلفين في القراءة حتى كُفِّر بعضهم بعضاً
كل يقول قرائتي هي الصحيحة لأنهما عن فلان وقراءة الآخر ليست بصحيحة ، فقصد
رضي الله عنه إلى جميعهم على حرف واحد من الحروف السبعة وترك ما عداها

طوّل أبو رية كتابه بما لا طائل تحته بما تعرض له في ص ٢٥٢ فما بعدها من
الاختلاف بين الأئمة في بعض الأحاديث ، كمخالفة مالك لحديث غسل الإناء من ولوغ
الكلب فيه بعارضته محل صيده ، وخلافه لحديث صيام ستة أيام من شوال شوقاً من
اعتقاد العامة وجوبها وإلحاقها برمضان في الوجوب ، وإنكار الأوزاعي على أبي حنيفة
وجاعته عدم رفهم إليهم في الصلاة بما قاله عن أبي حنيفة في تقوية ما حدثه به شيخه حماد
- بنى ابن سليمان - من تفضيله على الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر وقول أبي حنيفة
كان حماد أفتى من سالم ، إلى آخر هذا اللذان الذي يفتح باب التصب بالباطل أو المعرى
ورد الأحاديث الصحيحة بالأعذار الباطلة

ولو قرأ أبو رية رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية للساعة (رفع اللام عن الأئمة الأعلام)
وأن من وجد له مخالفة لبعض الأحاديث قائماً ذلك لسبب من أسباب عشرة ذكرها : من
مارضته لظاهر القرآن ، أو لقياس جلي عنده ، أو لحديث يراه أقوى مما خالفه الخ . لو
قرأ أبو رية هذه الرسالة لاستراح وأراح قاريء كتابه من فتح باب سوء الظن بالأئمة أو
بصحيح الأحاديث التي قيل إن الأئمة خالفوها

ولو عرف ما قل من الثاني رضى الله عنه أنه روى حديثاً ، فقيل له : أتأخذ بهذا
يا أبا عبد الله ؟ فاصرف لونه وقال : أتراني خارجاً من كنيسة ؟ أترى في وسطى زئارا ؟ ينسى

علامة أهل الكتاب ، أروى عن رسول الله ﷺ حديثاً ولا آخذ به ١٩

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإجماع على أن من استبان أن رسول الله ﷺ لم يأخذ بها يستلزم ، فإن تاب والا قتل

وأما أبو رية (ص ٢٥٤) فما بعدها (في نقل كلام النجاة الذين لم يستدلوا بالأحاديث في قواعدهم النحوية ، وخلاف الإمام جلال الدين بن مالك صاحب الكافية والثانية والتسهيل في النحو وغيرها من عمات الكتب

وإمامة ابن مالك في النحو لا ينكرها إلا جاهل ، ومخالفه في الاستدلال من بنى من تكررات الأسماء التي لا تتصرف

وعدم استدلال قدماء النحويين كثيراً بالأحاديث لقلة بضاعتهم منها لا بغير الأحاديث ولا بغيرها ، والاعتذار عن ذلك برواية للمعتمد باطل ، فالذين ردوا الأحاديث من الصحابة فمن بعدهم أعرف بالمرية من هؤلاء الذين لم يرفضوا بالأحاديث رأساً . وجمال الدين بن مالك أعرف بشواهد كلام العرب عن خالفه في الاحتجاج بالأحاديث ، وأنصح قلم الذي تخصص فيه وصار به إماماً - أغنى علم النحو - من هؤلاء الخالفين

وأبو رية لمرض في قلبه برهن عليه بالصرح واللدوس من مواد كتابه أزال عنه الإيمان بسنة رسول الله ﷺ والحكمة للقرونة في القرآن بكتاب الله تعالى التي عليها رسول الله ﷺ لأنه مع كتاب الله تعالى . هذا المرض الذي ورثه عن الروافض واليهودية والمشيقة أعداء الإسلام أصابه بلهفة وجشع يجرى في عروقه ويحرق به قلبه لكل كلمة يظنها طعناً في حديث رسول الله ﷺ والذين حفظوه وبلغوه

وما قاله عن الشيخ محمد عبده (ص ٢٥٩) في رد حديث السحر الذي ذكر أبو رية في خلفه هذه الصفحة أنه رواه أحمد والشيخان البخاري ومسلم والنسائي ، نقل أبي رية انكار الشيخ عبده لهذا الحديث ، ليس مما يشرقه ولا يشرّف الشيخ محمد عبده ، لوجوه في

(١) قوله (ص ٢٦٠) فإنه إذا غلط النبي ﷺ في غفلة كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً ولم يبلغه ، أو أن شيئاً ينزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والأمس ظاهر لا يحتاج إلى بيان الخ

قول لأبي رية وابن قفلة إن حديث السحر لم يسم به هذه الشائعات التي إصغوها به ، فليس فيه أن النبي ﷺ غلط في غفلة ولا أنه ظن أنه بلغ شيئاً لم يبلغه أو أنه ظن أنه نزل عليه شيء لم ينزل عليه الخ ما صوره في التشيع على حديث السحر

وإنما فيه أنه كان يحيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، فهذا من الموارض البشرية التي لم ينزه الله عنه ، ألم يقل رسول الله ﷺ « إنما أنا بشر ، فإذا نسيت فذكروني » قال ذلك في سهوه في الصلاة . وأما فرق في تحيل فعل أو عدمه ونسيانه عدد ركعات الصلاة حتى قال لهم « إنما أنا بشر ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني »

أصل المسألة هل هناك سحر أو لا ؟ فإن قلتم به خلافاً لما في القرن التاسع عشر كان جازاً على الرسول ككثير الأعراض البشرية ، وقد قال الله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ﴾ فإذا قلتم بالسحر كما أثبت القرآن كان جازاً على الرسول ككثير الأعراض البشرية

أما التعلق بقول المشركين ﴿ إن تنهدون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ في إنكار حديث السحر فما بعد الشرق عن الغرب

المشركون قالوا عنه أنه ساحر أو مسحور أو ساحر أو صاحب أضغاث أحلام أو مفتر أو جاب ، ما لم يسموا به في اللغة الأخيرة إلى آخر ما بهتوه به ، وحديث سحره عرض بشري كعرضه بالحى التي هي يوم جراتهم ترفع حرارة البدن وتخل بصحة وعافيته ، ويجرحه وكسر رباعيته في غزوة أحد ، وكسقوطه عن فرس حتى جرحته ساقه وصلى جالساً ، وكنزته عن صلاة الصبح ، ونسيانه عدد ما صلى من ركعات الخ . قضية تكذيب المشركين في رميه بالسحر ساحراً أو مسحوراً من واد ، وحديث سحره وغيره من الأعراض البشرية

من واد آخر

والذى يظهر لى أن قصة السحر التى وقعت فى المدينة لا ترمّحها آية مكية نزلت فى الرد على المشركين الظالمين الذين زعموا أن ما جاء به النبى ﷺ من توحيد الله تعالى وإنكار شركهم وضلالهم ، ورموا رسول الله ﷺ الذى دعاهم إلى الله تعالى وإلى الصراط المستقيم بأنه ساحر أو مسحور ، فقد قالوا عنه ما حكاه الله عنهم ﴿ وإن يروا يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ، ثم أدير واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ ، ﴿ وإذا يقول الظالمون إن تنهبون إلا رجلاً مسحوراً ﴾

فالظاهر أنهم أطلقوا المسحور وأرادوا به أنه أتاهاهم بسحر كما فى آية الأنبياء ، وللدثر والقتير وكما قال فرعون لموسى ﴿ وإنى لأظنك يادوسى مسحوراً ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ إن هذا لساحر عليم ﴾ ، ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك بنا عهد عندك ﴾

فقد جاء فى القرآن وصف للمشركين والكفار للرسول ﷺ ولموسى عليه السلام بالسحر والساحر ، فها نبى. واحد أطلق اسم المفعول وأريد به اسم الفاعل حتى يصدق القرآن بعضه بعضاً . وعلى كل حال فوصف للمشركين للرسول بالمسحور أو الساحر فى رد ما جاء به من الحق وللذى لا يتناقض مع حادثة عرضية بما يجوز على الأنبياء من الأحوال البشرية كالمرض والحى والقياس

وتهويلهم بأن ذلك يؤثر على الثقة بالوسى لا وجه له ؛ فراوي الحديث أم للزمين تقول إنه كان يحيل إليه أنه فعل النبى. ولم يكن فعله ، وهذه حالة نفسية تمتعى الإنسان فى الأحوال المادية كالحلم والحزن . أما الوسى فقد تسكفل الله بحفظه كما قال ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ سفر تلك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ ، ﴿ إن علينا جمعه وقرأته ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ . فالأحوال النفسية من هم وحزن ومرض وسحران تسلط على الوسى وإن تشكك فيه ، والصحابة ومنهم أم للزمين راوية حديث السحر كانوا حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عما يشكك عليهم ، ولم

ينقل عن واحد منهم استغراب نبى. من عبادات الرسول كصلاتهم بهم يوميا خمس مرات ، منها الصلاة السرية والجهرية ، فظهر أن مسألة سحره لم تكن إلا حالة نفسية كالحلم والحزن وضيق الصدر ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ ﴿ فذلك بانع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ فإذا كان حصل له ﷺ من سحره تحيل أنه يفعل النبى. ولم يفعله فلا يبدو ذلك أن يكون من هواجس النفس البشرية وخطرات نفسية لا تؤثر فى ضبط العقل وإتزانه . وعلى هذا فنحن نصدق الآئمة الثلاث الأنيات فيما رووه من سننه وحديثه ، ولا نكون عن يؤمن ببعض الحق ويكفر ببعضه

ولقد ذكرنا فيما مضى أن الأستاذ الامام - مع احترامنا لغيرته الاسلامية ونضاله عن الاسلام - قد رضع فلسفة القرن التاسع عشر والثامن عشر التى كانت شائعة فى أوروبا فى عصره ، وكان أساطيلها أمثال كانت وجوستاف لوبون وسيندر وجوته وغيرهم ، فصارضت عنده مع ما جاء على ألسنة الرسل من ذكر السحر والجن والشياطين وخوارق المعجزات ، فأراد أن يجمع بين تلك الفلسفة المادية التى تجعل الكون آلة تديرها سنن لا تتخرم ولا تتخلف ، وبين ما أثبتته الأدیان من معجزات الأنبياء والرسل ، فذهب يؤولها حتى تنسجم مع مارضع من فلسفة اللادينين . لقد قال جوستاف لوبون فى كتابه (العقائد) : لو صدقنا بالخوارق لرجعنا إلى عصر الخرافات . فهذا كيف يرجى منه أن يصدق بآيات موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ؟

ولو عاش الأستاذ الإمام إلى أواسط القرن العشرين ورأى تداعى الفلسفة المادية وانهدام أركانها ، وعرف ما قرره جنز فى كتابه (الكون الناضج) وما كتبه رئيس أكاديمية العلوم ببيوبورك فى كتابه (الانسان لا يقوم بنفسه) الذى رد فيه على مكسل تلميذ دارون فى كتابه للمسى (الانسان يقوم بنفسه) وقد ترجم الأول (الانسان لا يقوم بنفسه) تحت اسم (الداء بدعو للإيمان) - أقول - لو عاش الأستاذ الامام إلى هذا العصر الذى تزغت فيه الروحانية ، وطلمت شمس العوالم النيبية ، لكان له فى هذه الأحاديث والآيات التى يستشكها كلام آخر

ولا عيب على عالم إذا تأثر بفلسفة عصره ، إنما الذي يذنب أشد العيب باحث القرن العشرين أبو رية إذ لم يعرف تطور العلم وانهدام الفلسفة للمادية ، فأخذ يقلد من ليس تقليده سائما ، ويرد الأحاديث الصحاح بالجهل والعمى والمصيبة .

ومثل ما قلنا في الشيخ عبيد منتذر به عما قاله شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله في شكه في حديث السحر تبعا للشيخ محمد عبيد . وفيه در امام أهل المدينة مالك بن أنس رضي الله عنه إذ يقول : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ

ولم يضمن الله سبحانه العصة لأحد غير رسله وأنبيائه فيما يلبثوا من رسالات الله ، وكل بنى آدم خطاء وغير الخطاين التوابون

وقال (في ص ٢٦٣) قول الحازمي : إثبات التواتر في الحديث عسر جدا الخ ، وهو قول مردود بقول شيخ الاسلام ابن تيمية : ان جمهور أحاديث الصحيحين متواترة للمعنى ، وقول غيره أظنه الحافظ ابن حجر : ان من تأمل حال الرواة كالك والتورى وأمثالها وأن الواحد منهم لأن يجر من السماء إلى الأرض أهون عليه من أن يكذب على رسول الله ، فإذا انضم إليه مثله حتى ترتفع شبهة السوء أو الخطأ خرجنا من ذلك بترائن قوية يكون بها خير الأحاد مقبدا للعلم عند من عرف أحوال روااته

قال أبو رية (ص ٢٦١) : وقد رد الأستاذ الإمام أحاديث كثيرة في أمور اعتقادية وغير اعتقادية كحديث الترائيق وحديث زينب بنت جحش وغيرها مما لا نستطيع إيراد أقواله فيها هنا . هـ

ونقول لأبي رية : ليس رد الأستاذ الإمام لأحاديث في الاعتقاد وغيره محجة بقوله فيه فيما يخالف خير القرون من الصحابة وخيار التابعين وتابعيهم ، وهم القرون للشهود لهم بالخبر ، وهم سلف هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس

وحديث الترائيق ليس بحديث ، وإنما ذكره ابن اسحاق في سيرته من مرسلات

بعض التابعين فتادة وغيره ، فليس من الأحاديث الصحيحة

وكذلك حديث زينب بنت جحش ليس من الأحاديث للسلطة الصحيحة ، وإنما هو رأى لبعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ ونحني في نفسك ما الله مبديه ﴾ أنه حب رسول الله ليعتد عنه زينب بنت جحش ، وكانت زوجة زيد بن حارثة الذي قبله رسول الله قبل أن تنزل الآية ﴿ وما جعل ادعياءكم أبناءكم ﴾ وقوله ﴿ ادعواهم لأبائهم هو أنقض عند الله ، فان لم تفلوا أبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أنقضتم به ولكن ما تعدت قلوبكم ﴾

فأراد الله أن يبطال عادة الجاهلية في تحريمهم زوجة للثبي كزوجة الابن ، وقدر الله كراهة زينب لزوجها زيد ، وأمر النبي ﷺ زيد أن يصير عليا وعسكرا ، وهو يعلم أن الله سينزله برزب ولكنه كان يحشى الناس وقالتهم في ذلك ، فتابه الله في ذلك بقوله ﴿ ونحني الناس والله أحق أن نخشاه ﴾ وقبلها ﴿ ونحني في نفسك ما الله مبديه ﴾ أى من أمر زواجه برزب

واجتهد بعض المفسرين فاعطأ في اجتباؤه أن الذي أخناه رسول الله ﷺ كان حب زينب ، وأحسن الأستاذ الانام في التنبيه على هذا الخطأ ، ونشره صاحب المنار مع تفسير الفاتحة ، وقد أحسنا كل الاحسان في ذلك

وليس في السألة حديث سند لا صحيح ولا ضعيف حتى يقول أبو رية إن الأستاذ الإمام رد أحاديث اعتقادية وغير اعتقادية ، فإن هي هذه الأحاديث التي ردّها الأستاذ الإمام ؟ إنما هي آراء لبعض المفسرين فألها خطأ

ونقل أبو رية (ص ٢٦١) عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله قوله : إن بعض أحاديث الأحاد تكون حجة على من ثبت عنده وإطمان قلبه اليها ، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها . هـ

وهذا الكلام يستفّر في بعض الأحاديث التي ليست في الصحيحين كالسنن والمانند ،

أما أحاديث الصحيحين التي أجمت الأمة على قبولها فلا ينطبق عليها هذا الكلام، لخالفته لإجماع الأمة من جهة، ولأن أحاديث الصحيحين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية جمهورها متواتر البني فلا عذر لأحد في مخالفتها، ولذلك حاول السيد رشيد تأويل بعض الأحاديث وهي ما كانت تشكل عليه في الجمع بينها وبين تنكيهه المصري الذي أخذه عن شيبه الأستاذ الإمام عن فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من الفلسفة المادية التي لا تجتمع مع ما جاءت به الديانات.

وإذا كان الحافظ الذهبي قال فيما لشيبه ابن تيمية: إن ما جاءت به الرسل لا يجتمع مع فلسفة الصابئة من اليونان والفرس والهند، فأولى من ذلك أن يقال في فلسفة الماديين التي تكفر بكل ما لا تدركه حواسهم: إنها لا تجتمع مع ما جاءت به الرسل والأنبياء الذين من أهم ما جاءوا به الإيمان بالتيب.

أين هذا من قول الإمام أبي عبد الله الشافعي رضي الله عنه حينما روى حديثاً، فقيل له: أتأخذ به يا أبا عبد الله؟ فامتنع لونه وقال: تراني خارجاً من كنيسة؟ تراني في وسطى زمار؟ أروى عن رسول الله ﷺ شيئاً ولا آخذ به؟! أو ما هذا معناه

ومن قول شيخ الإسلام ابن تيمية أجمعوا على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وقول السيد رشيد رحمه الله (ص ٢٦١): ولذلك لم يكن الصحابة يكتبون جميع ما سمعوا من الأحاديث ويدعون إليها مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به وبالسنة العلية المبينة له، إلا قليلاً من بيان السنة كصحيفة على رضي الله عنه للشمسة على بعض الأحكام كالفدية وفسكالك الأسير وتحريم المدينة كتحريم مكة الخ

جوابه أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكتبوا جميع ما سمعوا من الأحاديث اكتفاء بحفظها، لأن أكرم أميون يقوم الحفظ عند مقام الكتابة سواء في القرآن أو الحديث ولولا حفظهم للقرآن لما قامت الكتابة فيه مقام الحفظ، إذ ما فائدة كتابة بلا حفظ ولا

شكل بدون حفظ. وقد أصرم الله بحفظ سنة نبيه كما أصرم بحفظ كتابه بقوله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقوله ﴿ فليست الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقوله ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقوله لأسماء المؤمنين ﴿ وإذا كن ما ينزل في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فإهي الحكمة المخطوطة على الكتاب سوى سنة نبيه ﷺ؟

والسنة العلية المبينة للكتاب تصير قولية بعد روايتها عن الصحابة، فلا فرق بينها وبين غيرها من أحاديث النبي ﷺ، فسلكها مع حفظه أصحاب رسول الله ﷺ مع الكتاب وبلغوه لمن وراهم لا فرق بين شيء من ذلك ولا تفاوت.

وأحاديث رسول الله في بيان الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والزبا والأطعمة وغيرها مثل أحاديثه في الفتن والملاحم وأشرط الساعة، كلها مما يجب الإيمان به بلا فرق ولا توقف، ومثل صحيفة على في الميقات وغيرها صحيفة عمرو بن حزم وحديث أنس في أنسية الزكاة في الأبل والبقر والغنم ونحوها كلها من واد واحد ومن مشكاة النبوة ويجب العمل بها على من بلغته كالأركان ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾، ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾

وأما قصة مالك مع أبي جعفر المنصور فإن دلت على شيء فأننا تدل على علم مالك وإنصافه، فقد ذكر مالك المنصور أن الصحابة تفرقوا في البلاد وأخذ أهل كل بلد ما سمعوه من بعض الصحابة الذين زلوا عندهم، وليس في الموطأ إلا بعض أحاديث بعض الصحابة كابن عمر ونحوه، فأين حديث علي وابن مسعود وغيرها من سائر الصحابة الذين بانوا مثل الألوف في زمنه ﷺ؟

إن الموطأ يشتمل من الأحاديث نحو ستائة حديث، وباقي شيء من عمل أهل المدينة للذي بلغ مالكا، والكثير منه آراء مالكا الاجتهادية

فلو لمعمل الناس على ما في الموطأ وحده والزوا به وبترك ما عدها ما ذا كان

يفرغهم من الخير الكثير والحكمة النبوية التي انتشرت في الآفاق ؟

ولو لم يلهم الله مالكا بما أشار به على النصور أو الرشيد ، لما كان في استطاعة أحد — سواء للنصور أو الرشيد — أن ينسوا الناس ما حفظوا من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه التي انتشرت في الآفاق انتشار الشمس

لقد أراد عبان رضي الله عنه بكتابة المصحف أن يرفع من الناس ما انتشر بينهم من القراءات الكثيرة من شاذة وغير شاذة ، ومع هذا لم يرتفع من الناس ما حفظوا من صحيح القراءات وشاذها

قال أبو رية (ص ٢٥٤) : ولا يزال أبو حنيفة إلى يوم القيامة بين الأئمة هو الإمام الأعظم وأتباعه يملأون مشارق الأرض ومزاربها ولا يستطيع أحد أن يشك في إسلامهم أو يظعن في عبادتهم هـ

كلام كله جهل وهوس وهوى ، فمن من الأئمة اعترف لأبي حنيفة أنه هو الإمام الأعظم ؟ أمالك الذي قال ان رأى أبي حنيفة هو الماء المضال ، أم النوري الذي قال فيه إنه كاد يهدم الإسلام ، أم ابن المبارك الذي قال فيه إنه كان نبيا في الحديث ، أم الإمام أحمد الذي قال : إن هؤلاء — يعني أصحاب الرأي — ليس عندهم إلا الجرأة . ولما ذكر له أبو حنيفة قال : أحتلى على غير ملي . يعني فقره في الحديث . أما الثاني فهو الذي كان يقول لحيد بن الحسن عن أبي حنيفة : صاحبك لا يزيد على هذا

إن من يقرأ كتاب ابن عبد البر (الانتفا) أو ترجمة أبي حنيفة في تاريخ بغداد يستحي من الله ومن خياله خلق الله أن يقول عن أبي حنيفة انه الإمام الأعظم ، وكفى بما قاله الأئمة فيه جرحا وتعذرا من التبول بالرائي ، وقد سقت شيئا من ذلك في ردى على الكوتري الذي حاول أن يظعن على من جرح أبا حنيفة من أئمة الاسلام مالك والثوري وابن عيينة والحاددين ابن زيد وابن سلة وابن المبارك وأحمد والثاقبي والبخاري وغيرهم وأما أن أتباع أبي حنيفة يملأون مشارق الأرض ومزاربها فهم أهل بخاري وميرقند

والتركتان الذين تسومهم الشيوعية الدهرية سوم اللثية والأنعام ، ولا يقدر واحد منهم الآن أن يتفق بشهادة التوحيد علنا أو يؤذن للصلاة جهرا ، وقد اقترض الاسلام من بينهم وحل محله مذهب الدهريين ، فأين اسلامهم الذي لا يشك فيه أحد ؟

ولا نذكر الترك الثنائيين وما فعله معهم طائفتهم أنارك من الإلحاد والتفريخ والاباحية تنشأ عليها ثلثتهم منذ أكثر من ثلاثين سنة ، كل ذلك من ثمرات خرافاتهم وتحكمهم بأراء صدقهم عن الكتاب والسنة وأخر جيتهم من نور الاسلام إلى ظلمات الجهل والضلال وتقليد من لا يفيد تقليده شيئا من دين ولا دنيا

وقل أبو رية (أول ص ٢٧٦) عن الدكتور أحمد أمين قوله : ان بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقافت . يعني البخاري

ولأن نأل الدكتور أحمد أمين ومقلده أبارية : من هم من رواة البخاري غير الثقافت ؟ وصحيح البخاري هو الذي قال علماء الأمة عنه إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

إن الدكتور أحمد أمين الذي سبق له أن نقل عن ابن عقيل المحضري سب الصحابة وأنهم يلين بعضهم بعضا ، وأن عمر لم يسل أحد من لسانه ويده ، وأنه خير من فلانا وفلانا من الصحابة ، لا يستغرب منه أن يقول : البخاري روى عن رجال غير ثقافت ، كل هذا حتى يتحلى الناس من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه ويقيموا في دين الله أهواءهم وما عليه عليهم شمولتهم . ومن الذي تصدقه ؟ أحد أمين ومقلده أبو رية ، أم شيخ الاسلام ابن تيمية الذي قال : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة للنفى ، وإجماع من يبتدع إجماعه من أهل العلم أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

قال أحمد أمين (ص ٢٧٦) وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو الثنائيين . وهذا جهل بالحفاظ وعن تكلم فيهم من رجال البخاري ، فان الذين تكلم فيهم من رجال البخاري أنهم ليسوا على شرطه من أهل طبقات الصحيح ، وليس كما زعم أحمد أمين

أنهم غير نقات . وقد ذكرهم عالم معمر وحافظ السنة ابن حجر في مقدمة فتح الباري وأجاب عما قيل فيهم

قال أحد أبين : والواقع أن هذه مشكلة للشاكي ، فالوقوف على أسرار الرجال محال ، ومن زل زلة واضحة سهل الحكم عليه ، ولكن ماذا يصنع بمستور الحال ؟

وجوابه أن علماء المرح والتعديل ميزوا الثقات ، من الضعفاء ، من مستورى الحال كما هو مبين في كتبهم . ولنا مكلفين يروا الناس كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إن الوحى قد انقطع ، فمن أبدى لنا الخير قبلناه . أو ما هذا مناه

وقال الحافظ ابن حجر عن الإمام الذهبي مؤرخ الإسلام : ما اجتمع اثنان على توثيق ضيف أو تضعيف ثقة . قال ابن حجر عن الذهبي وهو من أهل الاستغناء التام في الرجال : فهذان إيمان من أئمة الحديث وحفاظه يجزمان أن من وثقه الأئمة فهو ثقة ، ومن ضعفوه فهو ضعيف

فليس في الأمر إشكال إلا عند من جعل هذا الأمر ، أو ساد عن طريق أهل الحق وأتبع غير سبيل المؤمنين من الجهمية والرافض وغيرهم من أهل الأهواء

قال أحد أمين (ص ٢٧٦) : ثم إن أحكام الناس على الرجال تختلف كل الاختلاف ، فبعض يوثق رجلا وآخر يكذبه ، والبواعث النفسية على ذلك لا حصر لها . قال : ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون في قواعد التبريح والتعديل ، فبعضهم يرفض حديث البليغ مطلقا كالخارجي والمعتزلي ، وبعضهم يقبل روايته في الأحاديث التي لا تتصل ببدعته ، وبعضهم يقول : إن كان داعيا لها لا تقبل روايته وإن كان غير داع قبلت ، وبعض المحدثين يشكك فلا يروى حديث من اتصلوا بالولاء ودخلوا في أمر الدنيا معا كان صدقهم وضبطهم ، وبعضهم لا يرى في ذلك بأسا متى كان عدلا صادقا ، وبعضهم يتزمت فيأخذ على الحديث مزعة مزجها

وقد اخترع هذه الصور من خيالة أو خيال أعداء الحديث والسنة من الرافض وبين

أواخرهم ابن عقيل الحضرمي ، إلى أن قال : إلى غير ذلك من أبواب يطول شرحها . من أجل ذلك اختلفوا اختلافا كثيرا في الحكم على الأشخاص ، وتبع ذلك اختلافهم في صحة روايته والأخذ منه

ثم ضرب للتل بكرة مولى ابن عباس واختلاف الناس فيه توثيقا وتخييرا .

وقول لأبي رية - وترك أحد أبين بحاسبه الله تعالى على شكوكه في دين الله تعالى - نقول لأبي رية : إن دين الله تعالى الذي جعله حجة على خلقه كما قال تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ يقول : إن دين الله حجة على خلقه ، وهو أجل من أن تدركه شكوك أحد أبين . وإن الذين حولوا دين الله تعالى من خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله لا واصلهم الله سبحانه ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

فهذه الأمة الوسط الدول ، الذين يشهدون على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا وهم خير أمة أخرجت للناس ، كيف تصدق فيهم اتهام أحد أمين بأن منهم من يرتق رجلا وآخر يكذبه بسبب بواطنهم النفسية التي لا حصر لها عند هذا البهات لمخترع الله تعالى ؟ بل الذي يؤمن به وندب الله عليه . ونفس عليه أن الواحد منهم خير من الأرض من أمثال أبي رية وأحد أمين . وشكوكه في اختلافهم في رواية البليغ تجعل لا طائل تحته ، فإب البديعة في التقدير والتجهم والمروج باب واحد من أبواب عداوة الحقن الكثيرة فأين فيمن روى كيفية الصلاة والطهارة والزكاة والحج والمعاملات ، أين فيهم البديعة الذين شكك أحد أمين وتبته بأوردة في الاختلاف في قبول روايتهم إذا استثنينا كتاب السنة ومقابلها من التقدير والتجهم والمروج يبقى لنا دين الله سالما من رواية أهل البديعة والخلاف في الاحتجاج بهم

وأما عكرمة مولى ابن عباس فذنبه عند من شكك فيه إكثاره من الآراء في التفسير

وغيره عالم بسما به ، وكانوا أهل تهيب للكلام في التفسير ، فانفجرت شقة الخلاف بينهم وبينه : تزمت منهم هوية الكلام في تفسير كلام الله تعالى ، وكثرة منه لما هايوا . فكان منهم من أشرف في الكلام فيه وأطلقوا كلمة التكذيب التي منهاها عديم لخطأ ، كما جاء في الحديث : كذب أبو السنايل بن بكك في قوله لمن مات زوجا ووضعت حايا بعد موته ثمانية عشر يوما ونجيت الخطاب ، فقال لما أبو السنايل : ما أنت بنا كح حتى يلغ الكتاب أجله ، يعني أربعة أشهر وعشرا ، فقال لما الذي عليه السلام : كذب أبو السنايل ، يعني أخطأ ، حلت فانكحى من شئت

قالين كذبوا عكرمة مرادم خطأ

ولو جربنا على ظاهر قولهم واطرحنا ما انفرد به عكرمة من الأحاديث لما قصت السنة شيئا يذكر

ولما كانت كثرة رواياته فيما ينقله عن مولاه ابن عباس في تفسير كتاب الله تعالى ، وهذه آراء لمن شاء أن يقبلها ولن شاء أن يرفضها ، فليست من الأحاديث للرفوعة للسنة التي أصاب أبا ربة سار جري في هروقه من الشك والتشكيك فيها

وقد جاء في أمثاله من أهل الأهواء : تنجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب بضاحيه حتى لم يبق عرق إلا دغله

بالله عليكم قولوا لي : من تصدق ؟ الله الذي قال إنه جبل هذه الأمة وسطا عدولا ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ، وأخير أنها غير أمة أخرجت الناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وأن مثلهم في التوراة والإنجيل كزراع أخرج شعاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع لينطق بهم الكفار ، أم تصدق أحد أمين وتابعه أبا ربة بأن الجرح والتعديل فوضى بحسب الأهواء والخراجات النفسية ، يوثق هذا من يجرحه ذاك ، ويضطررون في قبول روايات للبيهدين وردها ؟

يقول رسول الله عليه السلام « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين بعد قرنه أو ثلاثة ، ويقول « أتم تعرفون سبعمائة أمة أتم خيرها وأكرمها على الله » ويقول مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي الذي هو من أهل الاستقراء التام بشهادة الحافظ ابن حجر ، يقول : ما اجتمع اثنان - يعني من علماء الجرح والتعديل - على تضعيف ثقة أو توثيق ضيف . وينسرها لنا أحد شيوخ ديوبند بأنه في كل طبقة من رجال الجرح والتعديل يوجد مشدد ومستدل كيجي بن سعيد القطان للشدد مع عبد الرحمن بن مهدي للمتدل ، وكذلك والثوري أو ابن عينة ، وكيجي بن معين مع أحمد بن حنبل ، وكالبخاري مع مسلم ، وكلنسائي مع أبي داود أو الترمذي وهكذا . فاذا اجتمع للشدد والمتدل على توثيق راو فهو ثقة أو على تضعيف آخر فهو ضعيف ، وإذا اختلفا في راو فجرحه للشدد وقبله للمتدل كان وسط الحال ، يقبل في الشراهد والتايجات ونحوها

فاذا كان علماء الأمة في القرون الناضجة هكذا حالم بشهادة الله ورسوله وأهل الاستقراء التام ، ويجيء أحد أمين لينسبه بأعداء الاسلام الذين يسون مستشرقين فيهمم بالفوضى والخراجات النفسية والبواحت النفسية التي لا حصر لها عنده ، ويذكر اختلافهم في رواية أهل البدع - وما أقبلها - فاذا بقي لنا محفوظا من دين الاسلام وسنة رسوله للبيئة فككتاب وأصول الدين وفروعه ؟

إن أعداء الاسلام - من مبشرين ومستشرقين - لم يكيدوا للاسلام بأكثر مما كاده به أحد أمين ومقلده أبو ربة

وقول لأبي ربة - أما أحد أمين فقد قال الله له ما فيه الكتابة على ما بهت به رجال الدين وحلة العلم القبي - قول لأبي ربة : إن كنت تجد دينا أهدى من دين الاسلام كتابه وسنة رسوله عليه السلام فأعلن اعتناك له ودع الخلداع والتلق لأعداء الاسلام

وأما التويل بمكرمة مولى ابن عباس فذلك شكاة ظاهر عنك عارها ، فقد ذكرنا فيما سبق أن سبب قد نقديه الكثرة الكاثرة من آرائه في تفسير كتاب الله أنراها

عن مولاه ابن عباس - وكان أعرف الناس به وأتم الناس له - فرأه من لم يعرف هذه الآراء ولم يكن يرواها بالخطأ الذي ذكره بعضهم بلفظ الكذب

وحسبنا - في الثقة به - ثقة مولاه حبر الأمة ابن عباس به

ذكروا أن ابن عباس توقف في أهل الترية التي كانت حاضرة البحر واعتدوا في البيت أكانت جماعة أم ثلاثة، فذكر له مولاه مكرمة أنهم كانوا ثلاثة: معتدين وناصحين وساكين من قوله ﴿وقالت أمة منهم لم يظنون قوما الله مهلكهم أو مذبذبهم ظلما شديدا قالوا مذكرة إلى ربكم ولهم يتقون﴾ فقلت الآية على أن هناك واعظين ومعتدين ولأئمة لواعظين يائسين من المعتدين، فقبله ابن عباس وكساه حله وفرح بينهم ودقة استنباطه

حسبنا من الثقة به أنه حفظ من علوم مولاه حبر الأمة ما لم يحفظه أبناء ابن عباس وأقاربه، ومثله مع ابن عباس مثل نافع مع ابن عمر

وقل أبو رية (ص ٢٨٢) عن الحارثي في كتابه شروط الأئمة قوله: ذلك بأن أئمة النفل على اختلاف مذاهبهم وتباين أحوالهم في تعامل اصطلاحاتهم يختلفون في أكثرها، فرب رآه هو موثق به عند عبد الرحمن بن مهدي وبجروح هند يحيى بن اسماعيل (وصوابه بن سعيد) القطنان والمكس، وها إمامان عليهما مدار النقد في النفل، ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث. هـ

وتفسير الحارثي هذا هو على نحو ما قدمت لك عن الذهبي، وتفسيره لأحد شيوخ ديويد، فلن يختلفا في توثيق مالك والنوري وابن عينة وحادي بن زيد وابن المبارك وأمثالها، ولن يختلفا في جرح محمد بن سعيد للصلوب وأمثاله من المالكين

وإنما يختلفان في متوسط الحال كحمد بن إسحق صاحب للتازي والدير وكناد بن سلمة مثلا فيتشدد فيه يحيى القطنان بينما يقبله ابن مهدي - وعلى هذا فلا اختلاف بينها في الحقيقة، وليس من التوضي التي ذكرها أعداء الإسلام وتبهمهم في ذلك من أراد أن يتشبه

بهم كأحد أمين وقوله أبو رية.

ومن التريب أن يمد أبو رية جهلا منه بإمام جليل كيجي بن سعيد القطنان شيخ الاسلام أحد ومن مشاهير تلاميذ الامام مالك والنوري وابن عينة، يمد اليه جهلا وعن قلة تخرس بأسماء الرجال فيسببه يحيى بن اسماعيل (ص ٢٨٢ ص ١٧) وهذا جهل فاضح، نتيجة أخذ العلم من الصحف بدون جلوس في خفقات العلم والأخذ عن أهل العلم، وهذا يؤدي الى التهميم برفاحة على ما لا يعرف

ولو تعداه أدنى طلبة العلم أن يمد في أئمة الجرح إماما اسمه يحيى بن اسماعيل يقرن ببعد الرحمن بن مهدي وعليهما مدار النقد ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث لجبر أبو رية وبلغ واقطع، وعرف جهله وهجومه على ما لا يعرف

وقل عن القاضي (في ص ٢٨٣) تنجيه من نجاف أرباب الصالح الرواية من أهل الرأي كأبي يوسف ومحمد بن الحسن، فقد لينها أهل الحديث كما ترى في ميزان الاعتدال وأثارها تشبه بسمة عليها وتجرها بل وتقدمها على كثير من الحفاظ. هـ

وجوابه ما قال مالك: إن هذا العلم دين، فانظروا من تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقولون قال رسول الله عن هذه الأساطين فأخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو اتصن على بيت مال لكان أدينا. هـ يقال لابي رية إنه سمة أبي يوسف ومحمد وتجرها كان في غير رواية الحديث، وإنما كان في الآراء وتوليد للسائل، وهذا غير الحديث وروايته

وقل أبو رية (ص ٢٨٣) عن الزين العراقي في قول أهل الحديث: هذا حديث صحيح أن مرادهم فيما ظهر لنا عملا بظاهر الاستدلال. قال العراقي: وهذا هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم، لجواز الخطأ والتسليم على الثقة، فلا فائدة في إن خبر الواحد يوجب العلم، وكذا قولهم هذا حديث ضيف فرادهم لم تظهر لنا فيه شروط الصحة، لا أنه كذب في نفس الأمر لجواز صدق الكذاب وإصابة من هو كثير الخطأ. هـ

وهذا الذي قرره العراقي هو مذهب أهل السكلام من الجهمية والمعتزلة والروافض .
وأما مذهب أهل الحق من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فهو إفادة خير الواحد لهم مع
القرآن ، وإلا فغداً ترك أهل قبه كانوا عليها ثمانية عشر شهراً غير من أخيرهم أنه
صلى مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتولوا وهم في الصلاة إلى الكعبة . والرسول الذين
أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اللوك والأقال ما كانوا إلا آماداً ، فكيف قامت بهم الحجة
على هؤلاء المرسل إليهم للدينين إلى دين الإسلام ، وبث رسول الله ﷺ أبا موسى
الأشعري ومماذا إلى الذين كيف تقوم بعباد أهل الدين الحجة إذا كان خير الواحد لا يتبدل
العلم ولوم القرآن ؟

أما تجوز الخطأ والتسليم على التفة وتجوز صدق الكذاب فمن الخيالات والأوهام
التي لا يقول عليها في فطر الناس وعقولهم ومساكناتهم في دنياهم فضلاً عن الدين

وقال أبو ريرة (ص ٢٨٤) : مثل غريب مما اتفق البخاري ومسلم على روايته ،
فذكر حديث ابن عمر يوم الأحزاب أن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة . قال ابن
سببر : كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري ، ووقع عند مسلم الظاهر مع اتفاق البخاري
ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد من مبدئه إلى منتهاه . قال : ويظهر من
تنابر القنطين أن عبد الله بن محمد شيخ الشيعين إما حدث فيه بلقظين أو أن البخاري كتبه
من حفظه ولم يراع القنظ كما عرف من مذهبه في تجوز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ
على القنظ . هـ

أقول : وهذا حديث واحد من أكثر من ألفين يكتبه البخاري من حفظه فيذكره
بلقظ المصريناً ذكره مسلم بلقظ الظاهر ، وسواء كان اختلاف القنطين بسبب رواية
شيعتهما للحديث بالقنطين ، أو بسبب كتابة البخاري له من حفظه ، فحديث من مائة ألف
حديث يختار البخاري صحيحه منها فيلظ بلقظة واحدة في حديث من مائة ألف ، أي
حفظ في الدنيا يساوي هذا الحفظ أو يداينه ويقاربه لولا شهوة أبي ريرة في التشكيك في

الأحاديث ، ولكن ما يذكره عابريننا في التصك بالأحاديث

كفي المرء نبلاً أن تمد مسابيه

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

والحمد لله الذي يحفظ دينه إذ ينسى هذا أو ينسى . فيحفظه على وجه الصحيح غيره
حتى تبقى حجة الله على خلقه قائمة لا يتشكك فيها إلا من في قلوبهم مرض ، والذين قالوا
في القرآن ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ فقال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً
وما يضل به إلا الفاسقين ، الذين يتفتنون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾

وذكر في ص ٢٨٥ قول ابن حبان في رد قول من اشترط في صحة الحديث أن يرويه
عدلان ثم قال : ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد ، ومن اشترط ذلك - أي رواية عدلين -
فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد . ثم صوب أبو ريرة
ما ذكره ابن حبان

ولكن ذلك لا ينفذ أبداً رية في شكة في الأحاديث والسنن ، فابن حبان وغيره من
الساكنين علم الحديث وأئمة ورواته يرون أن أساديث الآحاد هذه تقوم بها حجة الله على
خلقهم ، والكثير منها بل الأكثر ينفذ العلم مع القرآن وتعدد الطرق والشواهد والتأنيبات ،
ومحكمون على من يرفضها أو يتشكك في قيام الحجة بها بأنه مشاكك لله ورسوله ومتبع غير
سبيل المؤمنين فيوليه الله ما تولى من الضلالة والزيغ . ع إذا بالله من النوايا بعد الإرشاد ،
ومن الضلالة بعد الهدى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وفي آخر ص ٢٩٥ قال أبو ريرة : وقد مر بك أنهم أمروا أحاديث كثيرة عاروا
البخاري ومسلم ، وكذلك نجد في شرح ابن حجر للبخاري والنووي لمسلم استشكلات
كثيرة وألف عليها مستخرجات متعددة ، فإذا كان البخاري ومسلم - وهما الصحيحان
كما يسمونهما - يحملان كل هذه العلال والاعتقادات وقيل فيها كل هذا الكلام - مع

ماوراء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليها ، وخطأ النقل بالنسبة وغير ذلك في روايتها - فترى ماذا يكون الأمر في غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ولا نقول للساند لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتداد عليها لأن ما فيها كثناء السيل

اللهم أدركنا بطلانك وهيء لهذا الدين التورم من يحفظ أصوله ويصون قواعده فلا يشاعها ما ليس منها ، ولا ينسور عليها ذو دحلة سيرة لما . هـ

وجوابه (١) أن إمارته لم يرجه سماره في التشكك في حديث النبي ﷺ الذي هو الأصل الثاني لدين الاسلام الذي به بيان كتاب الله وتفاصيل عبادات الاسلام ومعاملاته

(٢) قوله مر بك أنهم أعلوا أحاديث كثيرة مما روله البخارى ومسلم ، بهتان بين ، فلم ير بتاسوى كلام من يقدم في رد حديث السحر والذباب وعجالة الجنة والنار ونحوها بما يد على أصابع الرجل الواحدة بجانب ألف الأحاديث في بيان شرائع الاسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات

(٣) قوله نجد في شرح ابن حجر في البخارى والنوى لم يستشكك في كثيره ، هو من أمثال جهوده وجهته ، فشرح البخارى لابن حجر المسمى بفتح الباء في ثلثة عشر مجلداً ضخماً يزيد على مائة ألف صفحة إذا طابنا من هذا المراتب أن يد لنا منها مائة إشكال فيكون لكل ألف صفحة إشكال واحد ، لو طابنا بذلك لمعجز وبلغ وأبلغ به

(٤) وقوله فإذا كان البخارى ومسلم - وهما الصحاح كما يسوئها - يحملان كل هذه الملل والانتقادات وقيل فيها كل هذا الكلام دع ما وراء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليها وخطأ النقل بالنسبة وغير ذلك في روايتها . هـ

هذا كلام من لم يردعه روح ولا انصاف ، فذان الذين انان الجلمان لجمهور شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات يقول فيها هذا البهات للفقير أما يحملان عللاً واقفاً بالدعوى بلا دليل ، والاقتراء على كتب الحديث التي تبين كذب الله تعالى وتشرح شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات . فإذا أخذنا بهتان هذا البهات

ورفضنا كتب الحديث لمفتريات هذا الملقى فكيف نبد الله في صلاتنا وزكنا وحجنا وصيامنا ، دع معاملات الاسلام من البيع والشكاح والأطمة والقضاء والشهادات . فإيا اتباع بيان النبي ﷺ لكتاب الله وشرائع الاسلام ، وإيا الأهواء والبدع والقوانين الوضعية فرنسية أو بريطانية أو غيرها

فلينتر للمسلم أحد الطريقين : طريق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبل المؤمنين ، أو طريق الشيطان والآراء والقوانين الوضعية

وقد مهد أبو رية لطريق الشيطان واتباع سبل الطاغوت بتشكيكه في أحاديث النبي ﷺ وفي أصح ودواوينها صحيح البخارى ومسلم بل غيرها

وقوله (ص ٢٩١) : فترى ماذا يكون الأمر في غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ، ولا نقول للساند لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتداد عليها ، لأن ما فيها غثاء كثناء السيل . هـ

وجوابه : إن فيها هذا البخارى ومسلم - فضلاً عنها - الهدى والنور وأحكام الاسلام وشرائعه في كل موطن آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم حى أولئك ينادون من مكان بعيد في صدق الله العظيم . فهذا أبو رية وأمثاله يحذهم عن الاسلام ما تنذروا به من شبهات الرافض والمجبهة والمعتقة وغيرهم ممن ركبوا رءوسهم وجروا وراء آراء اليونان والفرس والمند ، ولم يرفصوا بما جاء عن الله ورسوله وطريق خير القرون وأما

وتكرر ما ذكرنا سابقاً لأبي رية وأمثاله من رفضون السنة والأحاديث : كيف يعملون بسجود أو بسجودين ، ويسجدون قبل الركوع أو بعده ، وكيفية يصلون الصبح والمغرب والعصر والقرب والشاء في الحضر والسفر ، وهل يصلون باستنجاه أو بلا استنجاه ، وكيف تملد دولة الاسلام بالزكاة وأنواعها وأنصبتها ، وكيف يحجون ويصومون ، وكيف يصلون بالمعاملات الاسلامية ، وكيف وكيف ؟

ليس هناك إلا الصراط المستقيم ، صراط القرآن والسنة وطريق خير القرون . أو سيل الشيطان والطاغوت والأهواء والبِدَع وآراء اليونان والفرس والمهند وقوانين فرنسا وسويسرا وغيرها

وانا لدعو الله تعالى يدعنا . أي ربه (ص ٢٩١) أن يدركنا الله بلطفه ويهيئ لهذا الدين القويم من يحفظ أصوله وقواعده فلا ينشأها ما ليس منها ، ولا يتصور عليها ذو دسقة سيئة بها ، ونحمد الله تعالى الثبور على دينه الذي جعله حجة على خلقه ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقد وعد الله بالظهور دينه على الدين كله ، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقد وفى سبحانه بوعده ، ومن أصدق من الله قيلا ؟

وقال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فالجهد على كمال دينه وإتمام نعمته ورضاه لنا بدين الإسلام ديناً ، وقال ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾

ودين الإسلام هو الكتاب والسنة من أحاديث النبي ﷺ وأعماله وتعليقه وإقراره وعمل خير القرون للشهود لما يظهير عند ذوي القلوب السليمة والفطر السقيمة ، بخلاف أهل الشكوك والريب ، ودعوى التفرقة بين الأحاديث النبوية والسنة العملية دعوى يرد على أن السنة العملية متى رويها من رآها تصير حديثاً قولياً ، فالتابعون لم يروا عمل النبي ﷺ وانما عرفوه برواية الصحابة لهم ما رأوه من عمله ﷺ

وقوله آتينا إن في شروح الصحيحين استكالات وانتقادات ، أجنبنا على ذلك سابقا . وأن ذلك يعد على الأصابع

وقوله له الآن : ان الله تعالى أخبر عن القرآن بقوله ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب ﴾ منه آيات محكمات من لم الكتاب ، وآخر منشاها ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله - والراشخون في العلم

يقولون آتينا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴿

فإذا كان في كتاب الله للشبهة ، فأى غرابة أن يوجد في الأحاديث ما يشتبهه بعض الناس ، وكلاهما من مشكاة واحدة من الله لهداية خلقه ﴿ فاما بآيتكم منى هدى فن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم النيامة أسمى ، قال رب لم حشرتنى أسمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتى فنسيها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك تجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾

قوله (ص ٢٩١) : ولا تقول للمسانيد لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتاد عليها ، لأن ما فيها ككتاب السيل . وقوله عن المسانيد : إن العلماء قد تكلموا فيها وقضوا بأنه لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التحويل عليها . كلام متهور لم يصحه ورع ولا تقوى ولا انصاف ، فانه سيأتي نقل كلام العلماء في هذه المسانيد ونفاذهم عليها ومكانتها من تراث الاسلام . فكيف يكون ما فيها غثا ككتاب السيل ، وهام أولاء الحفاظ الأئمة كالشيخ ابن تيمية وابن حزم والذهبي وابن القيم وابن حجر يقولون من هذه المسانيد ومعتصمون بها هو حجة منها ، فليست عندهم لا ثقة بها ، ولا هي غثا ككتاب السيل ، ولا هي لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التحويل عليها

فن ترى قبح هؤلاء الأئمة الاعلام الذين الله تعالى ، أم هذا للتخبط الجازف الذي لم يعرف قرين عبد الرحمن بن مهدي وشيخ الاسام أحمد وأشهر تلاميذ مالك فيسبه يحيى بن اسماعيل تقليدا للنسخة المحرفة التي وقعت في يده من شروط الأئمة للحازمي وهذا الامام الجليل هو يحيى بن سعيد القطان

فجازف غريب عن علم السنة مثل أبي ربة بآيتنا في القرن الرابع عشر ليشتككنا في تاني أصول الاسلام ، في سنة رسول الله وأحاديثه ، والله يعلم غرضه من ذلك والذي حله عليه . قول ترك ما جاءنا به رسول الاسلام لشكوك هذا الجاهل الأفاك للفقري ١ ؟

وختم أجورية (في آخر ص ٢٩٨) مائة عن مسند أحمد من أول (ص ٢٩٣) إلى آخر م - ١٩ * غلات أبي ربة

ص ٢٩٨ بقوله : هذا ما رأينا قطه مما قاله الأئمة الكبار في مسند أحد ، وهو كاف في التعريف به ويان قبيته في نفسه لا فيما هو مشهور عنه ، وأنه من المصادر التي لا يبول عليها أو يمتنع بها شأنه شأن سائر المصادر . هـ

والذي تقدم قطه عن كبار الأئمة في شأن المسند - ككلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الجوزي والبراق وابن كثير وغيرهم - أن في المسند أحداث ضيفة لا يشتد بها الضعف إلى حد البطلان ، ولم يقل أحد منهم ولا من غيرهم أن كل أحداث المسند ضيفة لا يمتنع بها .

ولم يزل الأئمة ابن تيمية وجده الجدل ابن تيمية في كتابه منتقى الأخبار وابن كثير في تفسيره وتاريخه وابن حجر في مسانيد المشرة وبلوغ المرام وفتح الباري والذهبي وابن حزم وغيرهم من كبار علماء وأئمة الدين يمتنعون بما هو حجة من مسند الإمام أحمد وبينون ما هو ضيف فيه إذا احتج به أحد لا يعرف ضعفه ، فدعوى أي ربة في المسند أنه من المصادر التي لا يبول عليها أو يمتنع بها دعوى كاذبة صدرت من جاهل لا يخاف الله تعالى

وعلى أبو ربة (ص ٣٠٠) طه، سهر الذي رحمته الله في إحدى صلاتي المشى - الظاهر أو العسر - وقول أي هريرة ولكن نسيت أنا ، بقوله في ح ٢ : وكيف ينسى وقد زعم أن النبي ﷺ أمره أن يسط نوبه ثم أفرغ فيه ما أفرغ حتى لا ينسى شيئاً سمعه أبداً . هـ

وهذا أبو ربة يبعد عن أساليب العرب كأنه أعجمي ولم يسمع حكاية مالك وقاتني ، فقد جاء زجل إلى مالك وقال له : إنني حلفت بالطلاق أن هذا القصرى لا يترك الصياح أو التفريد أبداً ، فقال مالك : طلقت امرأتك ، فانه لا بد أن ينأى أو يأكل فيترك التفريد . فقال القاتني وكان في حلقة القدس بين يدي مالك : لا تطلق امرأتك ، فإن هذه العجالة تراد بها الكثرة ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال عن رجل « لا يضع عصاه عن عاتقه » مع أنه يعلى ويأكل وينأى ، وإنما يريد الكثرة من أحواله ، أو ما هذا معناه فإذا قال أبو هريرة : لم أنس شيئاً ، ونسي كلمة في حياته في أكثر من خمسين ألف

حديث فلا يكون كاذباً في ذلك أبداً الأعمى الذي لا يعرف أساليب العرب التي تطلق على الكثرة الحكم الكلي كما قال رحمته الله « لا يضع عصاه عن عاتقه » يريد في أكثر أحيائه وفي (ص ٣٠١) قولهم إن صفة المسند لا تقتضي صحة المتن الواقع ونفس الأمر حتماً ، وعدم صحة المسند لا تقتضي وضعه في الواقع ونفس الأمر حتماً . هـ

هذا فتح لباب القوضى ورد الأحداث بالأهواء والتعصب ، ولو سلم هذا لأكابره العلماء وأهل البصيرة في الدين فإن يسل لأدعياء العلم أمثال أبي ربة الذي لا يعرف اسم يحيى ابن سيد القفطان الأمام الجليل فيسيه في موضعين من كتابه يحيى بن اسماعيل تبعاً لتعريف طلبة ثروطة الأئمة المعاصري ، مثل هذا الجاهل يدهيات علم الحديث وأسماء الرجال كيف يسل له زمام رد الأحداث وقبولها

وأما حديث أبي هريرة عند مسلم في خلق السموات والأرض في سبعة أيام فقد تسكتنا عليه سابقاً وأنه ليس بخافاً لقرآن بل زائداً عليه ، وأن السبت الذي خلقت فيه القبة سبت أسبوع سابق على أسبوع خلق هذا العالم كما سبق ذلك مشروحاً . وحديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش ، فالظاهر - والله أعلم بمخاد نبيه - سجود للانسكة للركبتين بها ، والأخبار والرسول تنوجه إلى عالم للسكرات بخلاف أهل العلم والتجربة الذين يتوجهون إلى عالم للالك ، ولكل وجهة هو موليها

وإذا قلنا الذين يستكبرون حديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش : أين العرش ؟ هل يقولون بهيئة بطليموس الباطلة أن الأرض مركز العالم ثم فوقها تلك القصر ثم تلك عطارده ثم الزهرة ثم الشمس ثم المشتري ثم زحل ثم النجوم الثوابت ثم السكس ثم العرش فذلك تستكبرون ذهاب الشمس للسجود تحت العرش ، ولكن الذين يخالفونكم في نظرية هيئة بطليموس هذه لا يستكبرون سجود الشمس ولا النجوم والشجر وغيرها ، ويؤمنون بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَأَ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ، وَكَذَلِكَ يُخَوِّفُ عَلَيْهِ الذُّلَّاتُ ،

ومن بين الله فإله من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴿ وقوله ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ على ما أراد الله

وقال (ص ٣٠٢) إن أمثال هذه للثقلات في الروايات لا يمتد إلى تحقيق الحق فيها إلا الذي يعطى لمتله حرية الاستقلال فيما قاله أصناف العلماء ، فضلاً الرواية هم أعلم من علماء الأصول الاعتقادية والفقهية ينتقد رجال الحديث ، وهؤلاء أعلم من الحديثين بنقد المتن وما يوافق للمقول وأصول العقائد منها وما لا يوافقها

وهنا نسال أبارية : أي عقائد ؟ عقائد الجهمية والمعتزية ، أم عقائد الرافضة ، أم عقائد الخوارج ؟ ولكل من هؤلاء أصول وعقائد ، فإذا اتفق أصولهم وعقائدهم قبله وما خلفها رده ، فإن كان من التفران استحووا من رده فتأولوه بترك التأييل ، وإن كان من الحديث لم يستحيوا من رده بدعى أنه آحاد وظن لا يثبت اليقين . ومن طالع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - خصوصاً كتاب العقل والنقل - يعلم مصارهم وتبائنهم وتخاذلهم

حجج كالزجاج تهافتن فكلين كاسر مكسور

وقال (ص ٣٠٢) : وقد اتفق الفريقان على أنه ليس كل ما صح سند من الأحاديث الرفوعة يصح منه ، بلواز أن يكون في بعض الرواة من أخطأ في الرواية عمداً أو سهواً ، وما كل ما لم يصح سند يكون منه باطلاً ، بل قالوا إن للوضع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً في الواقع ، وإن الصحيح السند قد يكون موضوعاً في القبح . وإنا علينا أن تأخذ بالظاهر مع مراعاة القواعد ، فاصح سند قبلنا روايته ، وحده قواعد الاعتقاد ودلائل نل في منه إن كان مشككلاً ، وما كان غير صحيح السند لا يجوز لنا أن نسميه حديثاً نبوياً وإن كان مناه صحيحاً . ١٠

وأقول غفر الله لشيخنا السيد رشيد رضا ، فقد فتح الباب للذي في العلم كأي رية لا يفرح يحيى بن سيد القطان فيسببه في موضعين من كتابه نبياً لتعريف طلبة شروط الأئمة المعاصرين يحيى بن إسماعيل ، ويقرنه بعبد الرحمن بن مهدي ، ويصفه مع ابن مهدي

بأن عليهما مدار علم الحديث ، يفتح السيد رشيد رضا رحمه الله لهذا الذي في علم السنة الجراءة على رد الأحاديث بالجلول والموى والباطل

ثم دعوى شيخنا أن التزيين الحديث والأصوليين انتفروا على أنه ليس كل ما صح سند يكون صحيحاً ، من الذي قال ذلك من الحديثين ؟ مالك ، أم الثوري ، أم ابن عينة ، أم الشافعي ، أم أحمد ، أم البخاري ، أم مسلم ، أم أبو داود ، أم الترمذي ؟ إن قال ذلك أحد منهم كان علمهم في جمع الأحاديث التي لا يتقون بها عينا ولموا ولبا وضياعا للوقت . ومن من القنبا . والأصوليين يريد ؟ أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعهم ، أم أهل البدعة من الرافضة والجهمية والمعتزة والخوارج ؟

وتجوز خطأ بعض الرواة الثلاث عمداً أو سهواً بدون دليل كخيالات المشائين وأوهام البرهين ، مفسد لنظر الناس ومساوماتهم في دينهم وديارهم ، ولا يشاء أحد أن يتخلص من شهادة شاهد عليه فيقول إنه أخطأ عمداً أو خطأ - على هذا - إلا قال ذلك ، إذا فتحنا هذا الباب

ولماذا لم يقل أهل قبا للآتي الذي قال لم - وم يصلون إلى بيت المقدس - إنه على مع النبي ﷺ إلى الكعبة : إنه أخطأ عمداً أو خطأ ؟ ولماذا لم يقل للوك لرسول الله ﷺ إنهم أخطأوا عمداً أو خطأ فيما بلغوا عن رسول الله ﷺ ؟ فلماذا جوزنا ذلك على الحديثين الذين هم خيار خلق الله ، وأغلاط من غلط منهم معروضة منه عليها - ليس هذا التجريز فادحاً في قول الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وأي حفظ للذكر إذا لم يحفظ بيانه وفرائمه وأحكامه وأعماله وقوانينه والأمة التي عملت به ؟

أراد أحد الشيوخ أن يقدم شيئاً من آداب الإسلام ومحاسن لاروس الشيوعية بد انقلابهم ، فقالوا له : هذا جميل ، فأرونا أمة تعمل بهذا على وجه الأرض الآن لتسكون أول من يمتنق هذا الدين ، فلم يقدر أن يرشدهم إلى أمة تتسلك بهذا الدين الآن على وجه الأرض

أما إذا قيل لنا : من الذى عمل بهذا القرآن ؟ ذكرنا لم رسول الله ﷺ وصاحبه بشهادة سنة وأحاديث وسيرة أصحابه ، فذلك تاريخ المل بالقرآن ، ومن شك فى أساطير الرسول ﷺ وسيرة أصحابه فقد جمل القرآن غير تاريخي ، واسطورة من الأساطير كما قال عنه للشركون ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ اكتسبها فهو على عليه بكرة وأصيل . قل أنزل الله الذى يعلم السرى في السموات والأرض إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴿

إن من يقرأ كتاب أبى رية الذى سماه أشعراء على السنة الجديدة والذى يتعجب من عدم تأليف مثله من نحو ألف سنة ! يراه قد جمعه كحامل ليل من مطالعات لم يحسن فهمها من نحو توجيه النظر لشيخ طاهر الجزائري ومن شروط الأئمة الخسة للحازم ، حتى إن الأغلاط الطبيعية فى هذه الكتب تحكم عليه فيقع منها فى أغلاط بدئية لا يقع فيها طالب علم مبتدى . فضلاً عن باحث ينسج كتاباً لفقد كتب السنة والحديث !

خذ خطأ واحداً لا يقع فيه طالب فى السنة الثانية عندنا من طلبة دار الحديث بمكة : الإمام يحيى بن سعيد القطان شيخ الإمام أحمد ومن كبار تلاميذ مالك يترق الطلبة عندنا بينه وبين شيخ الإمام مالك بأن تلميذ مالك جده فروخ ولقبه القطان وشيخ مالك جده عبد ربه ولقبه الأصمري ، فيجىء باحث القرن الرابع عشر - جهلاً منه وتقليداً لتحريف مطبعة شروط الأئمة الخسة - فيسميه فى موضعين من كتابه يحيى بن إسماعيل القطان ص ٢٨٢ من ١٧ و ص ٣٠٨ من ٢ ، ولو كان فى موضع واحد لقلنا سبق قلم ، ولو لم يذكر يحيى بن سعيد القطان فى الصفحة التى قبله ص ٣٠٧ من ١٥ موها أنه غير يحيى بن إسماعيل القطان كما أوحى إليه بذلك جهله وأخذاه عنه من الصفح ، وقد عاقل : من؟ كان علمه من الصفح كان جهله أكثر من علمه

ولمنا فى آخر هذا الرد نرفق إلى ذكر متناقضات أبى رية التى لم يفتن لها وحشاً أبداً كتابه ونرفح بها لعلنا منه أنها تنصره فى غرضه من شكوكه فى السنة والحديث وذكر أبى رية (ص ٣٠٦ و ص ٣٠٧) ننفا من الجرح والتعديل خلا عن كتاب

الكامل لابن عدى الذى لم يره بينه وإنما اعتد على ما ذكره عنه الشيخ طاهر الجزائري فى توجيه النظر خلفه عنه أبورية مطالعة بدون فهم ، كقوليه فى ص ٣٠٧ « ومن تلامذة يحيى بن معين أحمد بن حنبل » فهذه السكلة لا يقولها طالب علم شىء راحة من علم الحديث ، فأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قربان وصنوان من شيوخ البخارى ومسلم ومن تلاميذ يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مبدى ، فليس أحمد تلميذاً ليحيى بن معين وإنما هما صنوان وقربان

(لطيفة) دخل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مسجد للنصور ببغداد وقصاص يقول حدثنى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بكذا وكذا ، فذكر طامة من طوام التماس ، فقال أحمد لابن معين : أنت حدثته بهذا ؟ قال : لا . قال : قم إليه فانصحه . قام إليه أحدهما فقال له : أنا أحمد بن حنبل وهذا يحيى بن معين ، متى حدثناك بهذا ؟ فقال ببساطة : ما زلت أسمع بمناقشة حتى رأيتكما ، هل لا يوجد فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟ لقد رويت عن ألف أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما . فوضع أحمد كفه على فمه وقام يضحك . والترض من هذه المسكاة ترائف أحمد ويحيى لا تلمذة أحمد ليحيى . وأما نسية أبى رية ليحيى بن إسماعيل القطان فى ص ٢٨٢ و ص ٣٠٨ تبعا لتحريف المطبعة لنسخة شروط الأئمة الخسة للحازم فأمر يوسف له ويضحك منه ، وقد تقدم لنا التنبيه عليه وأن علم أبى رية من مطالعات للصفح لا يفهمها ، ورحم الله امرأه عرف قدر نفسه

وأما ما ذكره أبى رية آخر ص ٣٠٧ و ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ من اختلافهم فى الجرح والتعديل تبعا لما فهمه من كتاب توجيه النظر لغير جزارى فإقرابه ما قدمنا من كلام الإمام الذهبي مؤرخ الإسلام - وهو من أهل الاستقراء - التام فى هذا الشأن بشهادة الحافظ ابن حجر - قال الذهبي : ما اجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف ، ولا على تضعيف ثقة . هـ

... ونفسرها لنا أحد شيوخنا من علماء ديوندا أنه يوجد في كل طبقة من طبقات الجرح والتعديل متعدل ومشدد مثل الثوري ومالك ، ومثل عبد الرحمن بن ميسرة ويحيى التتالان ، ومثل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، ومثل مسلم والبخاري ، ومثل الترمذي والنسائي .. وهكذا.

فإذا اجتمع للمتدل والشدد على توثيق راو فوئقة ، أو على تضعيفه فهو ضعيف ، وإذا اختلفا قبله للمتدل وجرحه المشدد كان وسطا يقبل في الشواهد والتأنيبات

فن لم يعرف فاعلمتهم وأصولهم اشبه عليه اختلافهم وظنه تناقضا ، ومن عرف مرادهم سهل عليه الجمع بين اختلافهم والاتفاق بما روى عنهم

وأني لأبى ربة الذي يحمل أحد بن حنبل تلميذا ليحيى بن معين ويسمى يحيى بن سعيد التتالان يحيى بن إسماعيل التتالان تيمنا للأغلاط الطبيعية أن يعرف اصطلاح القوم وهو أنما ينظر إليهم بمنظار الجبل والموى الأسود الذي يحلث الألوان الناصعة وينظر أنوار النهار فيحلبها في نظر صاحبه ظلمات فوق ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يحمل الله له نورا فما له من نور

وقل أبو ربة ص ٣٠٩ عن صاحب العالم الشامخ اختلاف آراء الناس واجتهاداتهم في التمديل والتجريح ، فترى الرجل الواحد يختلف فيه الأقوال حتى يوصف بأنه أمير المؤمنين وبأنه أكذب الناس أو قريب من هاتين العبارتين . هـ

... وهذا ادعاء برده ما عرف من انصاف رجال الجرح والتعديل وتقواهم فله تعالى ، ولم يذكر للمقبل مثلا واحدا يشهد لما ادعاء عليهم ، وأناهي دعوى بلا بينة ترد على قائلها كما يرد الاستبراء والتفتيح لأقوالهم وشهادة المعارفين بأقوالهم كالإمام التتة شمس الدين الذهبي ، وحسبك بكتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال

ونقل ص ٣٠٩ عن السيد رشيد رحمه الله قوله : إن توثيق كل من وثقه للتقدمون

وإن ظهر خلاف ذلك بالدليل يفتح باب الطعن في أنفسنا بهذا الدليل والأخذ في مقدماته بالتقليد ، وخافضة هداية القرآن المجيد

وقوله « إن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بمداتهم فهو عدل وإن ظهر لمن يمدح فيه من أسباب الجرح ما لم يظهر لهم . إن المستقلين في الرأي لا يقولون هذا »

ويقال لها : ما هي الأسباب التي ظهرت لكم ولم تظهر للأولين ؟ أرحى أو كهانة أو سوء ظن بفهم الأولين ، أو أصادب قبلها ولم تقبلها عنوكم كحديث السحر وسجود الشمس تحت العرش ، وقد قدمنا من الكلام ما يدوِّغ قبولها مع حديث خلق الله التربة يوم السبت

وليس من الانصاف ولا من الحكمة أن كل ما لا يقبله عقل الانسان من وصى النبوة يرد ، فالوحى يأتي بمعارات المتول ، أى بما يحيرها ، لا بمحالاتها أى المستحيل فيها

فالسحر مثلا من الأعراض البشرية التي تجوز على الأنبياء ، وليس فيه مس جن ولا مخالطة عقل كما صوروه لتشويهه . وسجود الشمس تحت العرش يستنكره صاحب الهيئة الباطنوسية التي تحمل تلك الشمس تحت ذلك الأعظم الذي يزعمه العرش - نجمة أفلاك ، أما الذي يؤمن بالعرش على ما أخبر الله ، ولا يعرف نسبة الشمس منه ، فهو يعلم بسجود الشمس كسجود القمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها بكيفية يعلمها الله سبحانه

لقد اخترع المتأخرون لتوصيل الضموم والحرارة ما سموه الأثير مادة غلا السكون وتنفذ في كل شيء ، وينسبون الضموم والكهرباء وللتناطيس والحرارة بأوامرهما ، ويسلم كثير من الناس لهم هذا الخيال وهذا القرض ، فإذا جاء في الوحى عن علام القيوب سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها فله رب العالمين استنكروه فأولوا الآيات وودوا الحديث ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾

ثم أليس في هذا فتح باب الجاهل مثل أبي ربة لا يعرف إن كان أحد بن حنبل زبيلًا يحيى بن معين أو تلميذًا له ، ولا يعرف إن كان يحيى بن إسماعيل القنطاري هو يحيى ابن سعيد القنطاري ، يفتح الباب لمثل هذا التريب عن علم السنة ليتجه على الأحاديث الصحيحة بحمله وهوله ، وتعلقه لأعداء الدين من الملاحدة والمارقين والمجسمة والروافض والتحلين . اللهم إني أنا مؤمن بالتيب كما ورد في كتابك وسنة نبيك وحديثه ، ما عرفنا منه وما لم نعرف ، ونعرف أن في كتابك منشاها ، وفي الحديث مشكلات الحكمة البائدة فيها . ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ونسود بالله عن يكذب بما يحط بهله ولم بأنه تأويله

ولسنا مع هذا ننادى القتل وتجارب الأمم ، ولكننا نقف بها عندما من الله بها على عباد من خدمة الماش ، وترغب أمور دنيا الناس ، من غير أن تعلق على دينهم أو تمارضه أو تقدم عليه

وفيما قلناه في ص ٣١٤ أسرف صاحب العلم الشايع في الخط على الحديثين ، ورمم بالانحراف عن الجادة ، وعذر علماء الكلام بما لا يذم الحديثين فيه ، ولا غرابة فأصل عقيدته عقيدة المعتزلة وأصل فروعه الأحناف وأهل الرأي ، وعداوة للمعتزلة وأهل الرأي لأهل الحديث معروفة من قديم الزمان من حين اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ونشأ فيهم أمثال النظام والشافع وأبي الحسين البصري ونيزوا أهل السنة والحديث بأنهم حشوية ومشبهة وأهل ظواهر ولا معقول عندهم ولا يقول لهم ، وانصلوا بجدمة للفكر فغنوا لم بدعمهم وحلوا الناس عليها بسلطان الدولة وعذبوا أمثال الإمام أحمد في محن صبر فيها من صبر ، وأجاب فيها من أجاب ، والموعود الله

وسبب ذلك ترك الكتاب والسنة ، واتباع الأهواء والآراء ، اتباعا للفلسفة اليونانية والفرس والمهند ، وخروجنا عن هدى الكتاب والسنة وسيرة خير القرون للشهادة لهم بالخير

وأما الإمام أحمد في اعترافه للقبيل بحفظه لسنة وتقدمه وتجريده نفسه لله (ص ٣١٥) فقد حط عليه - تبعًا للمعتزلة - في تشده في مسألة خلق القرآن ، وتركه رواية من أجلب فيها كليل بن الدين وإسماعيل بن علي (ص ٣١٦ ، ٣١٥) . ومسألة خلق القرآن ليس الذنب فيها ذنب الإمام أحمد ، فاعنا الذين اخترعوها خصوم السنة كابن أبي دؤاد ، وقد سول للخليفة المنصم حل الناس عليها وامتناعهم فيها ، وعلم الإمام أحمد برادهم منها وأنهم لا يقولون إن القرآن كلام الله أنفاظه ومعانيه وحروفه ، وإنما تكلم به جبريل أو خلقه الله في الهواء فليس هو كلام الله وإنما خلقه في نفس جبريل أو محمد أو الهواء أو نحو ذلك فهو مخلوق . فأمر محققو أهل السنة ومنهم الإمام أحمد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق أنفاظه ومعانيه وحروفه تسكلم الله بها ، وليس لجبريل ولا لحد غير البلاغ . فليس على الإمام أحمد لوم ولا ذنب - إذا علم مراد من اختراع هذه البدعة أن القرآن مخلوق بأنه كلام جبريل أو محمد وليس كلام الله وإنما خلقه الله في نفس أحدهما - أن يصير على رفض هذه البدعة ومن قال بها كائنًا من كان ، على بن الدين أو ابن علي أو أكبر منهما ، ما دامت تؤدي إلى نفي كلام الله تعالى كما يزعم هؤلاء المجسمة بدعوى أنه يؤدي إلى الحدوث أو التشبيه أو التجسيم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

وأما قول القليل إن أحمد لم يرو عن يحيى بن معين لأنه قال بخلق القرآن فلم يردك لنهر للقبلي ، وابن معين زبيل لأحمد ليس عنده أزيد مما عند أحمد حتى يحتاج أحد لرواية عنه ، وهذا كقول أبي ربة إن أحمد تلميذ يحيى بن معين ، كلاهما من واد واحد ولدى المجالة تطبقات الرواة . والانكار على أحمد في روايته عن عمار بن صلح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير كالانكار على مالك في روايته عن عبد الكريم بن أبي المخارق ، وكالانكار على الشافعي في روايته عن إبراهيم بن أبي يحيى

فلم يؤلا الأئمة عذرهم واجتهادهم في ذلك ، فان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وليسوا ممن يصد للنش وعدم النصح ، سانشام من ذلك

وإدخال عائشة أم المؤمنين وبعض الصحابة والتابعين (ص ٣١٦) في نقي رؤية الله تعالى - بمعنى في الآخرة - مناقلة واضحة ، فمأثمة ومن واقعا تقول بنى رؤية محمد ربه ليلة للمراج كما هو صريح حديثها : من حدثكم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ . فاقصص لما الأسود سائلا : أليس الله يقول ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قالت : أنا أول أحد سأل رسول الله ﷺ عنها ، فذكرت أن رسول الله رأى جبريل على حقيقته مرتين هذه منها أو ما هذا معناه . فالمرسوع كان في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة للمراج ، عائشة تنفيه وابن عباس ينفيه ، فقل هذا الخلاف - كما غلط للقبلى - إلى رؤية الله في الدار الآخرة التي يثبتها أهل السنة جميعا من الصحابة والتابعين وتلاميذهم وينفيها أهل البدعة من الجهمية والمعتزلة مناقلة فاضحة

وأما ورع المحاسبي عن أخذ ميراثه من أبيه كما ذكرها القبلى (آخر ص ٣١٦) فن الورع الذي يسل لصاحبه ، كن يتورع عن صلات الأسماء ، وما يشتهيه فيه من مساومات الناس

وقوله (ص ٣١٧) عن يحيى بن معين أنه قال عن عمرو بن عبيد إنه دهرى إن صح النقل - ولا أظنه يصح - يكون من اللبائث التي يعمل عليها النضب والجمية ، وليس هذا بأكثر مما وقع عن هو خير من يحيى بن معين في خصومهم في وقت النضب أو النصوصات السياسية

وتوثيق يحيى بن معين لقبية بن سعيد بن الناص بن أمية (ص ٣١٧) ، وكذا قال النسائي وأبو داود والدارقطني وروى له البخاري ومسلم ، قال القبلى : وهو جليس الحجاج ابن يوسف . فليت شمرى متى كانت عجالة الأسماء ، جرحا ترد به الأحاديث ، وهؤلاء الأئمة يحيى بن معين والبخاري ومسلم وأبو داود والدارقطني أعلم من القبلى للمعنى بن قبيل روايته أو ترد ، ولم يمد الدهي ولا ابن عدى ولا القبلى ولا ابن حبان في جرح الرواة عجالة الأسماء ، وقد كان الزهرى - وهو شيخ محدثي الحجاز والثام

ومعمر - بن شرطة هشام بن عبد الملك ، ورد القمي على من تكلم فيه لأجل ذلك وفي ص ٣١٧ إنكاره لرواية البخاري عن مروان وإتهام مروان بما اتهم به ، ودفع ابن حجر بأنه إن ثبت صحبه لم يضره ذلك ، ثم ضيفة ودفع أضعف

ورواية البخاري له في حديث شروط صلح الحديبية مقروفا بالسور بن محمرة خاتبة للفتوى لا اعتراض على البخاري فيها متى علم صدق وقرنه بتابع قوى ، وللدار في الرواية على الصدق والأمانة في أداء ما سمع

والصومات التي جابت في فضل الصحابة كقولها تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ، تراهم ركبا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزورج أخرج شطاه فأكززه فاستفظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع لينطق بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم منفرة وأجر عظيم ﴿ وأما ما كتبه في القرآن والحديث تشبههم ثولا كليا لا يخرج عنها منهم أحد إلا من جاء نص صحيح بأخراجه وأنى هو

وإذا استثنينا من شوشوا به مثل مروان بن الحكم وبسر بن أرطاة والوليد بن عتبة ونحوهم بقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب من أشال أصحاب بيمة الرضوان وأهل غزوة بدر وأحد والخندق وغير وغزاة ٢٧ غزوة و ٧٣ برية وأهل حجة الوداع الذين قيل فيهم إنهم يزيدون على مائة ألف

وإذا قيل في الصحابة مناقرون ، قيل : الآيات فضحت المناقرون في البقرة وآل عمران والنساء والتوبة والنور والحديد والمناقرون بما لم يبق للشك مجال فيهم حتى عرفت صفاتهم ودخالتهم وبعائتهم ومجالسهم ومن ينشون اليه وشياطينهم من دوسهم ومن اليهود ، فلم يمد فيهم شك

وقول أبي رية ح ٢ ص ٣١٧ في حديث « لا نسبوا أصابي » أنه في مناسبة خاصة ، قول جاهل بالعلم لم يشم منه رائحته ، ولم يمر عليه قولم : العبدة بسوم القنظ لا بخصوص السب . وأكثر النصوص الشرعية من قرآنية وأحاديث وردت على أسباب معينة ، فذلك قرر علما . الأصول أن العبدة بسوم القنظ لا بخصوص السب ، فأين أبو رية من هذا !

وليس الصحابة بمنزلة واحدة عند أهل السنة كما ادعى ذلك عليهم اللقب ص ٣٨٨ ولم يقرأون قول الله تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وفاتنا ، وكلا وعد الله الحسنى ﴾ وقوله تعالى ﴿ والسابئون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وليس الصحابة بمعصومين من الخطأ ولا من الذنوب ، ولكن لم من صفة الرسول والمجاهد معه وتحمل الأذى في نشر الإسلام ما ينسر ما كان من بعضهم إن صح ذلك ، بخلاف منكريات الرافض والشيعة والمهنية وأعداء الإسلام ونشكبيك في أن الصحابي من رأى الرسول أو رآه الرسول بأن لفظ صح لا يدل عليه فقد استدلوا عليه بحديث « ينزو قوم فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيفتح لهم » الخ

وأما من ثبت عليه ارتكاب كبيرة كشرب خمر ولم يثبت عنه توبة منه فليس له من المداغة ما لساير الصحابة وأكابر المهاجرين والأنصار ، وبإستثناء يسر بن أرطاة والوليد ابن عتبة يبقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب

وقول القليل آخر ص ٣١٨ : وما لا يحصى مما سكت عنه رعاية لحن النبي ﷺ ما لم يلجىء إليه ملجئ . دنى يجب ذكره هـ ، روى للسلام على هواه وإطلاق لمدح الإحصاء في هات مدودة لا تتجاوز نصف أصابع يد واحدة . وإذا طلب من القليل أن يفتح عما أبهم فما سكت عنه رعاية لحن النبي ﷺ لأدركه إلى والمصر - إلا يرد عليه هذه التهمة التكرار . قوله تعالى ﴿ لا تأخذم في الله لومة لائم ﴾ وقوله ﴿ كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ هذه الأمة التي قال أحدها خليفة رسول الله : اتق الله ، فيقوله لائم ، فيقول الخليفة : دعه ، لا خير فيكم إذا لم تقفوها ، ولا خير فيها إذا لم نسمها . ويقول الآخر لسر : لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بالسيف . ولم يسموا منه حيناً رأوا عليه قبضين حتى لم يأن أحدهما لولده حيناً الله . فهؤلاء كيف يسكنون هل ما لا يحصى رعاية لجانب النبي ﷺ وقد قال له أحدهم في غنائم حنين : عدل ، فقال : ويلكم من يعدل إذا لم أعدل الخ . ولكنها الدسيمة الرافضية التي ورثوها عن أعداء الإسلام اليهود والقرس . ومروان والوليد اللذان دمن بهما في أول ص ٣١٩ إذا حدثنا روايتهما من الدين فإن ينقص الدين شيئاً ، وأنا لا أعرف الوليد رواية أصلاً ، فليد في البسر ، ودين الإسلام هو دين الإسلام الذي أكله الله وأضم به علينا

وأعرف مروان رواية مقرونة بالسور بن خزيمة في كتاب الشروط من صحيح البخارى في صالح الحديثية ، وحديث عروة عنه عن بسرة فيمن من ذكره فليتوضأ ، وإذا لم يكن له غيرها فالمدة في حديث صالح الحديثية على للسور بن خزيمة ولا بخره متابعة مروان له ، وحديث قنص الرضوى عن الذكر ماضى بحديث « إن هو إلا بضعة منك » واختلفت فيما اجتهدات الأئمة

وفي ص ٣١٩ بحيلنا للقليل على كتب الجرح والتعديل لنجد بزعمه ما لا يحصى من الحفاظ العباد الذين تجنبهم البخارى ، يننى في صحيحه

وتقول له : إن كتب الجرح والتعديل محصاة ممدودة ، وإذا رجعنا إليها كما طلب منا للقليل فلن نجد فيها من الحفاظ العباد الذين ليس حديثهم في صحيح البخارى إلا زراً يسيراً اكتفى البخارى بإخراج حديث أقربهم أو من هم خير منهم ، ولم يلتزم بإخراج حديث كل الحفاظ العباد ، وإنما جعل صحيحه نموذجاً لأهل الصحيح ، كما قال زيله سلم : ليس كل الصحيح أخرجه في كتابي الخ وكان الأئمة يأتون بالقليل في كتاب على كتابه العلم الشائع في التنفير من اتباع الآباء

وقال في ترجمة مالك بن يحيى الرمادي : في رواية الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم . قال القلي : فانظر هذا العجب ، يروي عن حاله ما ذكره ويتركه .

وفي ص ٣٢١ أنكر للقبلى فى كتابه الأرواح النوافخ على أهل السنة قولهم بالصحة
م - ٢٠ * ظلمات أبى ربة

لم رأى رسول الله ﷺ أورد أن بكه « صعب » لا تعدل على ذلك . وفاته ما ذكرنا من حديث « ينزو قوم قتال : هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيفتح لهم » الخ . وعوم قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه الخ » والحديث « خير القرون قرى » الخ . ولو تنزلنا مع جدل للتعليل فلم قبل إلا بصحة من صحب النبي ﷺ وأسقطنا من ليس له إلا الرؤية لبق لنا من صحابة النبي ﷺ الكثير الطيب الذين عابهم مدار تليغ الذين كتابا وسنة ، ونجد في كتب الصحابة كالأصابة ونحوها من يقال فيه « له رؤية » لا رواية ، وأمثال هؤلاء في حكم كبار التابعين

وسرين أوطاة ومروان بن الحكم والوليد بن عتبة باستقامتهم من الصحابة لا تغسر شيئا . والتمك باجتهاد معاوية في سب على يقابله مثله من سب على لمعاوية ، ففتح بابا عليه غياره ، والله يفتقر لم جيبا . وأما أخذه البيعة لولده فانكار اجتهاده في ذلك نزع شيعية ، ومعاوية قرشى وابنه كذلك ، كمل وآله ، وشهادة محمد بن الحنفية ليزيد بالصلاح والاستقامة فضحت دجايلت الزبيريين التي استنلتها الشيعة بأكاذيبها ومبالغاتهما ، وفي بيئ أمية من مخير عن يسون أنفسهم شيعة آل البيت الذين دخل فيهم الرفض والزندقة ومنهم انشعبت التصيرية والاسماعيلية والدرزية والبهائية الخ

وذكر أبو رية بحاشية ص ٣٢٢ أن من الصحابة من لمز النبي ﷺ في الصدقات ، ومنهم آذاه بأنه أذن ، ومنهم من اتخذ مسجدا ضرابا وكفرا الخ ، ومنهم من كان في قلبه مرض : ومنهم الموقنون ، ومنهم للشدون في غزوة تبوك وزل فيهم « سيحلون بالله لكم إذا اهلتم اليهم ليعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم ليعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » : وفي هذه النزوة ثم أربعة عشر مناققا أن ينسكروا برسول الله ﷺ في ظلمات الليل عند حقبة هناك ، وغالطوا أسر النبي ﷺ في السنين من ماء نهم عنه قلمهم ، وفي القرآن سورة تسمي سورة المنافقين . ١٠

ومحمد الله تعالى أن لم يفرغ أبارة جميع ما في صدره من الضغن على صحابة رسول الله ﷺ

ﷺ فيقول أنهم كلهم منافقون وكلهم لمز النبي ﷺ في الصدقات وكلهم قال عنه إنه أذن وكلهم تأمروا على اغتياله في غزوة تبوك

نحمد الله أن قال أبو رية منهم ومنهم ، فسورة التوبة التي سماها بعضهم القناصة صارت تقول : ومنهم ومنهم في المنافقين ، قال حتى غلبوا أنها متسيم بأسمائهم . نطالب أبارة أن يطالع أو يطالع على ما كتب في تراجم الصحابة كأسد النجابة لابن الأثير والاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر ، ويذكر لنا واحدا من المنافقين له رواية في كتب الحديث أو السائد أو السنن فضلا عن الصحاح أو حاتم حوله شبهة التناق من قريب أو بعيد ، فالصحابة هم الصحابة ، وللمناقون هم المناقون ، وهؤلاء غير هؤلاء ، وليجيبنا رواية الشيعة والروافض من أمثال أبي جعفر الاسكافي وابن أبي الحديد وعبد الحسين الكاظمي وأضرابهم ، فقولنا . عندم أن خيار الصحابة الذين قام الاسلام على أكتافهم منافقون

وجاء في حديث حبان بن مالك - في الصحيح - لا دعا رسول الله ﷺ ليعتاره في بيته مكانا يتخذونه معصلا ضمت بصره وكان إمام قومه ، فذهب اليه رسول الله ﷺ لما تولى الأهار هو وأبو بكر وعمر ، وصلى رسول الله ﷺ في للكان الذي أشار إليه . قال : ثم حبسناه على حررة ، فلما سمع أهل الحى برسول الله ﷺ تسلموا إلى دار حبان

فقال قائل : ما بال مالك بن النخشم أو النخشم لم يجي . ؟ فقال آخر : ذلك مناقق يحب للمناقين ، قال رسول الله ﷺ : لا تعدل ذلك ، اليس يشهد أن لا إله إلا الله يبتنى بذلك وجهه ؟ قال : بلى ، ولكننا نرى وجهه اليوم . الخ الحديث

في هذا الحديث أنهم كانوا يحصون للمناقين ، ومن وجهه اليوم

قال ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث : ان مالكا هذا كان ممن أرسله رسول الله ﷺ لحدم مسجد الضرار ، فلعل بحالته للمناقين كانت لملحة دينية ، أو كان فيه شيء من التفاد فتاب الله عليه منه

فترى من هذا أن رسول الله ﷺ كان لا يثق بالمناقين في أعماله من إمارة أو تنفيذ

غرض ، فكيف يهزم أبو رية الصحابة وهذا شأنهم في الاحتياط لدينهم والشك فيمن يجالس المنافقين بأن منهم ومنهم ومنهم؟

وقد قال الله تعالى في شأن المنافقين لنبيه ﷺ (ولو نشاء لأرناكم قلوبهم بسلام ، ولترفتهم في لحن القول) فخلق مرفقهم بسلام بالمشيئة ، وأكد مرفقهم بلمن القول وغواه وما يدل عليه بأشاراته وما يسيه الناس : ما بين السطور

وعز أبو رية بحماية رسول الله ﷺ أن منهم من ارتد بعد موته ، وتقول له : إن الردة كانت من أهراب في البداية شعا بالزكاة ، وإن خيارهم ودوا هؤلاء الأهراب إلى حظيرة الدين بقوة الاسلام ، وم الذين ذكروا حصون كسرى في العراق وفارس وحصون الروم في الشام ومصر ولغزب ، وم الذين حلقوا شاعل الدين إلى مشارق الأرض ومنازلها ، وم الكثير الطيب الذين لم ير التاريخ ولن يرى بيئته أمثالهم

وأما لزوم بالحروب التي جرت بينهم فالفئة التي هاجت على عثمان كثرتهم من غوغاء البصرة ومصر الذين خدعوا بأبن سبأ والبشيرة . . .

والتي كانت بين على وأصحاب الجبل نسكت هنا ، وهي لم تهلك الحرت ولا التسل كما زعم أبو رية ، بل إنها كانت على خير ما يكون عليه الصالحون الأخيار ، حتى أنشأ القتال قتلة عثمان فيما دبره ابن سبأ ، كما قرر ذلك أعلام السنة ومحققو التاريخ . وأما التي بين على ومداوية فقد ذهب جميعا إلى الحكم العدل والله ينفر لم جميعا

وشك أبو رية ص ٣٢٤ - ٣٣٧ بما للعقل واليد وشيد رضا في عدالة جميع الصحابة ، وارتضوا أن الآيات والأحاديث في فضلهم هي للأغلبية منهم

ومع تنزلنا إلى مخالفتهم مذهب أهل السنة والجماعة ، ورأيهم في أن العدالة إنما هي لأغلبية الصحابة كما زعموا ، يبقى من عدول الصحابة للكثير الطيب ، فأغلبية يقرب عددها من مائة ألف فيهم السكافية في حفظ الدين وتبليغه كما ضمن الله لكتابه وشرعه وحبته على خلقه

وإذا واقفان على استثناء بسر بن أرطاة والزيد بن عتبة والذين نزلت فيهم آيات التوبة وغيرها من المنافقين وم معروفون بأعمالهم وأقوالهم وانعراهم من جادة الاسلام ، فهل يطالبون منا الشك في تعديل ابن عباس وابن عمر وأنس وعائشة وأبي سعيد الخدري به الخلفاء الراشدين والشرة للبشرين بالجنة وأكابر المهاجرين والأنصار ؟ لقد كان عليهم بدل أن ياتوا هذا الكلام للشوش اللانح على عوايته أن يمسدوا إلى صحابي اعتد حديثه صاحب ديوان من دواوين الاسلام - من الصحاح والسنن والسانيد - ويقولوا لنا : هذا الصحابي يحتاج إلى توثيق وتعديل ، حتى نبحت معهم في ذلك الصحابي

أما إلقاء الكلام غير المحدد ولا الدين : هل الصحابة عدول كلهم أو جلهم ، وهل الآيات الواردة في فضلهم والأحاديث تشملهم تشمل أفرادا وحصاء ، أم هي للأغلبية منهم ؟ فاعلمت خالية من الجدوى ، ومعلمها كتب الجدل البيزنطي واليوناني وكتب الخيالي والسيالكوتي وأمثالها

وفي حاشية ص ٣٢٢ حُرف أبو رية آية (سيحلفون لسك إذا اغلبهم البيه) الخ فحذف منها فان تعرضوا عنهم (س ١٧) كما سبق له في كتابه

وفي ص ٣٢٨ عزا كتاب زغل العلم للذهبي ، والمحق أن الذهبي يرى منه ، وإنما نسب اليه كذبا وافترافا بدليل أنه : (١) لم يذكره أحد من ترجم الذهبي في مؤلفاته ، (٢) لم ينقل عنه أحد بعد الذهبي شيئا مع عزوه للذهبي ، (٣) حطه فيه على شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية بما يخالف ما ذكره عنه في سائر كتبه كالمجسم المختص وتذكرة الحفاظ والتاريخ الكبير وغيرها . ولو كان لهذا الكتاب أصل في زمن الذهبي - فضلا عن الذهبي - لما أغفل النقل عنه مثل الحفاظ ابن حجر في الدرر الكامنة وفوات الوفيات لابن شاكر الكهفي مع هناك ابن السبكي وابن الزمكاني وغيرهما من النحرفين على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فلم نر من نقل عنه عن يوافق ابن تيمية أو يخالفه - ويقال إنه للسيوطي ونسبه من نسبة للذهبي ترويحاً له

وقوله آخر ص ٣٢٩ ، ولا كؤدنة القلة صوابه « القلة » بالنون جمع قائل
 وقوله ح ٢ ص ٣٣٠ « ومن ضربهم عمر على ذلك أبا هريرة » لحن نحوي أو على لغة
 « وأبا أباها » . أما فريضة ضرب عمر لأبي هريرة على التحديث ، تلك الفريضة الرافضة ، فقد
 أجنبناه عليها سابقا ، وقصارى الرافضة منها الخط على عمر أكثر من جرح أبي هريرة
 وما قبله ص ٣٢٨ - ٣٣٠ من ابن عبد البر والذهبي والشيخ عبده والنورى وغيرهم
 من الشكوى عن يطالبون الحديث لنير العمل به فكلمة حتى أريد بها باطل ، فلم يرد
 هؤلاء الأئمة إبطال الحديث ولا ذم عليه وطالبه ولا الشك والتشكيك فيه ، وإما يريسون
 السكال لأهل وخلص النية في طلبة وإيضا ، وجه الله في تحصيله ، بخلاف ما أردت أنت
 أيا الشاك للمشكك في حديث رسول الله ﷺ للتصديق لكل ما تحببه طمنا فيه وتشكيكا
 بالحق أو بالباطل . ولقد قال إمام منهم : طلبنا العلم لنير الله ، فأني أن يكون إلا لله تعالى
 وغم أبو رية كتابه (ص ٣٣١ فا بعدها) بنقل فصول من مقدمة حكم المؤرخين
 ابن خلدون ، وهي موضوعة لنقد الأخبار التاريخية لا الأحاديث النبوية ، فإ لأصول المادة
 وقواعد السياسة وطبيعة العمران وأحوال الاجتماع الانساني وقياس النائب على الشاهد
 والمناظر بالذهاب ، ما لهذا كله والوجه الساوى والحديث النبوى ؟
 هل عهد العمران عصا تنقلب حية ثم تعود عصا ؟ أو نارا تصير بردا وسلاما على من
 يلقى فيها ؟ أو مولودا يتيرأب ويتسكلم في الهدى وكهلا ويبرىء الأكمة والأرض ويحيى
 الموتى بأذن الله ؟ أو صامعا من شعير وعناقا تسكنى أكل ثماتاة جياح ؟ أو مزادتين يروى
 منها جيش يروا لهم ولا تنقص للزادتان شيئا ؟ أو قبا من لبن يشرب منه أهل الصفة
 كلهم حتى يشبعوا ؟ أو بنية من تمر وأقط تجمع وتنقسم على الجيش فتسبونهم كلهم حتى
 يرجعوا إلى المدينة ؟ أو بقرة تتكلم فيؤذن بهذا رسول الله وأبو بكر وعمر ؟ أو ذبا يقول
 للراعى الذى استرد منه حله : من لما يوم لا راعى غيرى ؟ أو يوم يحدث الرجل سوطه فخله
 بما فعله أهله في داره ؟ أو يوم يحسر القرات عن جبل من ذهب ويقتل الناس عنده ؟

أو يوم تطلع الشمس من مغربها ؟ أو يوم ينزل عيسى بن مريم حكا مقسطا فيكسر
 الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية ولا يقبل من الناس إلا الاسلام ؟ أو الدابة التى
 تكلم الناس أن الناس كانوا بآيات الله لا يؤمنون ؟ أو المراج إلى السموات السبع في ليلة
 واحدة والإسراء إلى بيت المقدس في تلك الليلة من مكة والرجوع إليها ؟
 ماذا تصل طبيعة العمران في هذا كله وأصفاهه وأصفاء أصدائه ؟ وما يفيد فيه قياس
 النائب على الشاهد والمناظر على القاهب ؟
 الحق أن قل شروط ابن خلدون لنقد أخبار التاريخ إلى نقد الأحاديث النبوية ظلم
 وانقراء على ابن خلدون الذى لم يضع شروطه إلا لنقد أخبار التاريخ ، وهو يعلم أن علم
 الحديث له رجال برعوا فيه ووضعوا علما لنقده سموه مصطلح الحديث ، وقد اعترف
 أبو رية في أول كتابه أنه نضج حتى احترق ، فإ باله يحتاج إلى شروط ابن خلدون التاريخية
 لنقد الحديث ؟ ما هذا الخبط والخلط والضلال البين ؟
 وقوله ص ٣٣٤ عن أبي حنيفة : وإنما قل منهم من قل من الرواية - يعنى إلى ١٧
 حديثا - لأجل اللعان التى تعترض فيها ، والسبل التى تعرض فى طرقها ، لا سيما والجرح
 مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث
 وطرق الأسانيد ، ويكثر ذلك ، فتقل روايته لنفسه فى الطرق . والإمام أبو حنيفة إنما قلت
 روايته لما شدد فى شروط الرواية والتحتمل وضعت رواية الحديث البيهقى إذا عارضها العمل
 النفسى قل حديثه . . . لأنه ترك رواية الحديث متعمدا ، غشاه من ذلك . وأما غيره
 فتوسوا فى الشروط وكثر حديثهم والسكل على اجتهاد
 ويضح ذلك اعتذر عن مالك فى قلة أحاديثه التى ذكر أنها نحو ٣٠٠ حديث
 والذى يقرأ هذا الكلام يخرج منه بأمرين لا ثالث لهما : أولهما أن شيخ المؤرخين
 ابن خلدون جاهل بما قيل فى أبي حنيفة أنه يقيم فى الحديث ، وأنه غريب عما كان
 - يعنى الكتاب والبينة - ومن أهلهم بما سيكون ، يستون القروى وتوليد البائلي ،

وأنه لم يجلس في حلقة محدث ولا أخذ العلم عن عالم ، وأن ابن خلدون لو قرأ ما قيل فيه في تاريخ البخارى الكبير والأوسط والصغير وكتاب الضعفاء للمثبلى والضعفاء للشمسى وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ الأئمة الثلاثة لابن عبد البر لكان له في أبي حنيفة كلام أكثر غير هذا الكلام

(الثانى) أن يكون ابن خلدون قد داهن أصحاب أبي حنيفة ، وله من أمثال ذلك هات وهنات ذكرها مؤرخوه في مقابلته لليونور لك وغيره ، والله أعلم بقصدته

ولما مالك قد أدان بنفسه للنصور عن قلة روايته عندما أراد حل الناس على موطنه بأن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلدان ، وفي كل بلد ما ليس عند الآخر

وعلى ذكر دعوى ابن خلدون شروط أبي حنيفة وتشده فيها فاعرف الناس له شروطاً ولا رواية ، وإنما اقتبل بعض متصبيه روايات له

ومالك لم يخرج من المدينة ، فليس عنده إلا حديثها ، وفاته حديث أهل مكة والبصرة والكوفة والثام ومرواين وغيرها ، فذلك راجع للنصور في حل موطنه على سائر الناس

وبمناسبة سخطاً ابن خلدون هذا ، الظاهر صدق من قال أن من توجه إلى علم ونفع فيه يقع منه غير ذلك فبما سواه ، وهكذا تجد ابن خلدون ينلظ النلط الذى يعرفه طالب مبتدئ علم الحديث

ونقل ص ٣٤٧ عن فقاضى أن الرجوب يستند على أمر قطعى كالكتاب أو الحديث للتواتر ، يعنى فاته وفاته وهو ينص للأخفاف أن وجوب الوضوء من التقية في الصلاة ليس حديثاً صحيحاً فضلاً عن التواتر ، وأن إعادة الصلاة من خروج الدم قدر الدرهم البغلى لا أصل له في حديث صحيح ولا ضعيف ، وأن حديث من كان له إمام فقرأه الإمام له قراءة ضعيف لا صحيح ولا متواتر . ومن طالع يخرج إحداهن للذهب الحنفى للزيتى عرف أن مبنى الكثير من أحكام هذا للذهب على الضاف وللنا كبر وبنا

لا أصل له ، وإنما عمدتهم في للذهب الآراء والأقضية

وذكر أبو رية ص ٣٤٨ حديث عبد الله بن أبي أوفى عند الشينين « أوصى بكتاب الله » ، وقول الحافظ ابن حجر في شرحه : أى اليك به والسبل بمتضاده ، ولله أشار إلى قوله صلوات الله عليه « تركت فيكم ما بين يديكم به لم (ن) تفتلوا : كتاب الله » واقصر على الوصية بكتاب الله لكونه أعظم وأهم ولأن ما فيه بيان كل شيء أى بطريق النص أو بطريق الاستنباط ، وإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به . ١٥

وذكر أبو رية أن الحديث الذى أشار إليه ابن حجر رواه مسلم في سياق حجة الوداع يوم عرفة « تركت فيكم ما إن تفتلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله » وفى الموطأ « وسنتى » ولكن إمارته لم يذكر رواية الموطأ لأنها غصة في حلقه !

والوصية بكتاب الله تشمل الوصية بالسنّة لأن القرآن أمر بها في قوله « هو الذى يثب في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » وقال لأمهات المؤمنين « وأذكركن ما يلقى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » فما هي « الحكمة » التى عطلت على الكتاب في تعليم النبي ﷺ لأمهات المؤمنين بذكر ما يلقى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ؟ فإله الحكمة ؟ وقوله تعالى لنبيه ﷺ « وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فما هو بيان النبي ﷺ لكتاب الله تعالى للزّل إليه من ربه سوى سنته وأحاديثه التولية والعلوية ؟ وعمل صحابه الذى أقرهم عليه ؟

قال أبو رية (أول ص ٣٤٩) : وعن أبي الدرداء مرفوعاً « ما حل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسئ شيئاً ، وما كان ذلك لينا » رواه البزار وابن أبي حاتم والطبرانى . ١٥

يقال له : هل رأيت كتب البزار وابن أبي حاتم والطبرانى ؟ وأنت مدلس تنقل

عن قل منهم موما أنك قلت منهم ؟ (٢) هل هذه الكتب صحيحة عندك ؟ وما فيها حجة عندك ؟ بخلاف الصباح والسنة فتحتج بكتب البزار والطبراني فيضيل أحاديث صحيحة البخاري ومسلم والسنة ؟ أو هو الخبط والفضلال وعدم الثبات على مبدأ يعرف ؟ (٣) هل تقول بما يدل عليه هذا الحديث من أحكام البول والتناطح والاستنجاء وأكل لحوم الوحوش والكواسر من الطير والخنافس والضفادع والجمع بين المرأة وحملها والمرأة وخاتنها وأكل الحشيشة والأفيون وسائر الخدرات وشرب يول الآوى وأكل الذرة ، إن كان بلغ بك تحقيقك العلم إلى التزام ما أؤمنتك سقط الخطاب منك

ومثل ذلك يقال في مرسل ابن أبي مليكة عن أبي بكر الصديق ، ان كنت تعرف ما هو اللروف ، وعيد عليك لوازم حديث أبي الدرداء مرة أخرى . وزيد على ذلك حديث الجدة التي جاءت تسأل ميراثها ، فلو كان هذا المرسل المزيل لليث صحيحا عن أبي بكر لعرد هذه الجدة بنت - أو بلفظ - وقال لها : لا ميراث لك في كتاب الله ، وأيا لا أحكي إلا بما في كتاب الله فقد ، اذهبي . ولكنه خلافا لذلك سأل عن سنة رسول الله ، فقال له محمد بن مسلمة : ألهما رسول الله ﷺ السند . فأعذه لها . فأن عمل أبي بكر من هذا الأمر الثابت « فنألكم قولوا له يتنا ويحكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه » فلم يقل أبو بكر هكذا الجدة ؟

وأما حديث عمر (ص ٣٤٩) في قوله « هر رسول الله » حينما قال ﷺ « اتقوا بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » وما قل عليه من الشرايع ابن حجر والنووي ، فكان غيرا له أن لا يذكر الحديث فقد قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابة الكتاب ، وإن كنا لانوافق ابن عباس في أن في ذلك رزية ولكنه من اجتهادات عمر التي قد يخالف فيها النص والله ينفر له وله من الجسرات ما ينفر ذلك . وقد ذكرنا سابقا شيئا من اجتهاداته التي تخالف النص وخالفه الناس فيها ، كمنه من معة الحج وكمنه الجنب أن يقيم وأمائلها كثير

وأما فهم أبي رية من هذا الحديث أن هر كان لا يعمل بالحديث ويكتفى بالقرآن فهم خاطيء غلطى وأهم مأثوم ، فسر ما رجع من سرغ بعد ظهور الويا . بالشام إلا بعد أن روى له عبد الرحمن بن عوف « إذا ظهر الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا ، وإذا ظهر بأرض فلا تدخلوها » . فرجع عمر من سرغ بن كان معه من المهاجرين والأنصار . ولا أخذ الجزية من مجوس بحر إلا بما روى له عبد الرحمن بن عوف « ستوا بهم سنة أهل الكتاب » . ولا أشرك الجدة الثانية في السند مع الأولى إلا بالحديث الذي رواه محمد بن مسلمة لأبي بكر . ولا ترك الاستخلاف إلا اقتداء بالنبي ﷺ وصدق أبا سعيد الخدري حينما حضر مع أبي موسى يشهد أن الاستخلاف بالسلام ثلاثا فإن أذن له وإلا رجع ، وصدق حسان بن ثابت حينما قال له : كدت أشد فيه - أي في السجد النبوي - وفيه من هو خير منك ، يعني النبي ﷺ . واستشهد حسان بأبي هريرة عدو أبي رية فتشهد أبو هريرة وقوله عمر . ونعى عن تكاح النمة عملا بالأحاديث النافسة لها . إلى غير ذلك مما حوته بطون الفقهاء

وقد كتب ولي الله العلوي رسالة سماها « مذهب عمر » أنكر فيها على من يزعم أن هر كان لا يقبل الحديث إلا من صحابين ، وقال : هذا كان منه أحيانا عند الاحتياط وإرادة التوثيق

وقوله (ص ٣٥٠) : وسن الرسول للتواترة - وهي السنة العملية - وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوما عندهم بالضرورة ، كل ذلك تقضى لا يسع أحدا جرده أو رفضه بأويل ولا اجتهاد ، وككون الصلاة للمروعة خسا وكون التجر ركعتين والغرب ثلاثا والبواقي أربعة أربعا ، وكون كل ركعة تشتمل على قيام وقراءة قرآن فيه وركوع وسجودين إلخ ما هو معروف بالعمل من عهد الرسول إلى اليوم . هذه هي سنة الرسول العملية ، أما إطلافا على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث . هـ

ونأله : عمل أي طائفة من المسلمين يعتد وبجمله السنة العملية ؟ عمل الشيعة الذين

يؤمنون - دائماً سقرا وحضرنا - الظاهر مع المصير والمغرب مع الشاء ، أو عمل أهل السنة الذين لا يجهلون إلا في سفر أو عذر شديد من نحو مطر أو مرض ؟

وعمل الشيعة في منعة النساء ، أو عمل أهل السنة في منعتها لأنها منسوخة ؟ وعمل الأحناف الذين لا يرون الرق من الركوع ولا الجلوس بين السجدين ، أو عمل غيرهم ممن يرون وجوب ذلك ؟ وعمل المالكية الذين يجهلون أكل السباع من الوحوش والكواسر من الطير ، أو عمل غيرهم ممن يحرّمونها - حتى المثال الذي ذكره من الفراءة في قيام الصلاة منهم من يوجبها ومنهم من يمنع منه للأمر ، فأيهما السنة العملية عنده ؟

وقولك « الذي أجمع عليه مسلمو الصدر الأول » هل هذا من غير طريق الحديث والرواية ؟ فإذا أهدرت الأحاديث وشككت فيها لم يبق لنا طريق غيرها نعرف به ما كان عليه الصدر الأول إجماعاً أو خلافاً .

قال أبو رية (ص ٣٥١) : أحاديث الأحاد التي لم يعمل بها جمهور السلف هي محل اجتهد في أساسها وتدونها ودلائها ، لأن ما صح سندها منها يكون خاصاً بصاحبه

قال : ومن صح عنده شيء منها رواية ودلالة عمل به ، ولا تجمل نشرها عاماً فلزمه الأمة تقليداً لمن أخذ به

وقال : الحديث الصحيح لا يعرف برواته قط ، وإنما يعرف بالقهم والحفظ . وكل من حديث ليس في إسناده إلا ثقة وهو معلول واه

وقال : الأحاديث الصحيحة مفيدة لقلية الثقات الذي عليه مدار الصحة . . . ما كل ما صح سندها يكون منته صحيحاً ، وما كل ما لم يصح سندها يكون منته غير صحيح

وهذا هو فتح باب الإخلال والتحلل من الأوامر والنواهي ، فإذا نهيت أحداً عن عدم الاحتراز عن بوله وذكرت له أحاديث التهي عن ذلك وأن عامة عذاب القبر من عدم التستر من البول أباليك : إن هذه أحاديث آحاد ، وإن أباً رية أعطانا قوانين صارمة في أحاديث الآحاد : أنها غلظة ، وإن ما صح سندها لا يلزم أن يصح منته . . . وإن

الأحاديث الصحيحة إنما تفيد غلبة الثقات ، ولا يعمل بها إلا من غلب على ظنه صحتها ، وأنا لم ينل على ظني صحتها فلا يلزمي أن أعمل بها كما حققه محقق القرن الرابع عشر في أضواء ظلماته

وكذلك يقول لك من رويت له أحاديث التهي عن الإسبال والتبختير والخليل .

وكذلك يقول لك من يتعاطى ربا الفضل واليسير من ربا النسبة

وكذلك يقول من رويت له شيئاً من النهيات ، فإنه يردها عليك بطواغيت أبي رية الشيطانية ومن قبله في رد السنن الصحيحة واعتبارها آحاداً غلظة

وخير ما نرويه في رد طواغيت أبي رية الأخلاقية ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال : أجمعوا على أن من استنبات له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل

وما جاء عن الشافعي أنه قيل له عندما روى حديثاً : أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فاستمع لونه وقال : أتراني خارجاً من كنيسة ؟ أتراني في وسطى زمار ؟ أروى عن رسول الله ﷺ حديثاً ولا أقول به ؟ !

قال أبو رية (ص ٣٥١) : لا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما في البخاري ومسلم إجماعهم على القطع بأنه كلام النبي ﷺ ، ولا حل أن ما فيها مجزوم بصحة نسبته إلى النبي . ثم شكك في الحاشية في هذا الإجماع بأن الشيعة وغيرهم وهم فرق كثيرة لا يستبان بهم لا يلزمون أنفسهم بالعمل بما فيها . ١٥

ونسأل عن دليل عدم لزوم هذا . فإن الناس لا يعرفون وجوب العمل إلا بما جاء عن النبي ﷺ ، وابن تيمية لما حكى الإجماع وعلى استنابة من لم يأخذ بسنة رسول الله ﷺ بعد استنابته لم يحكم الإجماع إلا على أنها كلام رسول الله ﷺ ، والشافعي لما امتنع لونه عندما قيل له : أتأخذ بهذا ؟ لحديث رواه ، فقال : تراني خارجاً من كنيسة ؟ تراني في وسطى زمار ؟ إلا اعتقاده أن ما رواه هو كلام النبي ﷺ . فمن أين عدم لزوم

الذى اضمحله فيلسوف القرن الرابع عشر ابورية ١٢

وأما خلاف الشيعة لوجوب العمل بما في الصحيحين فكذلكهم في أن مصدر التشريع في الاسلام وعمل العصاة في التبليغ هو الذى يترك وحده أم مع اثنى عشر رجلا آخر بعده ؟ وكذلكهم في إيمان الصحابة وعدالتهم ، وكذلكهم في خلافة أبى بكر وعمر ، وكذلكهم في خيار خير القرون في كل زمان ومكان ، وكذلكهم في أن عقلا لم يثبت ولادته وجوده هو مصدر تشريع ، وهو سى باقى من أحد عشر قرنا ، ويرجى منه ما لا يرجى إلا من الله - خلاف يخرجه من جماعة الاسلام ، ويدخلهم في عداد أعدائه ومنافيه

وقال ابورية (ص ٣٥٢) : ولم يظهر البخارى ولا غيره من كتب الحديث إلا

بعد انقضاء خير القرون . ١١

ويقال له : أها الجاهل بتاريخ الاسلام وأمله ، إن أحداث خير القرون هي التي رواها البخارى وغيره من كتب الحديث ، وليس للبخارى وغيره فيها غير التبرؤب والتزيب ، فالبخارى وغيره لم يحتجوا شيئا لا يعرفه خير القرون ، وإنما تلقوا من شيوخهم ما رواه خير القرون عن أولم صحابة النبي ﷺ ، فليس في البخارى وغيره شيء لا يعرفه خير القرون

وقال (ص ٣٥٢) : اتفق علماء الأصول وعلماء الكلام على هذه القاعدة : إن طرد الاحتمال ، في الرفع من وقائع الاحوال ، يكسوها ثوب الإجمال ، فيسقط به الاستدلال

والقاعدة : طرد الاحتمال ، لمجل من الاستدلال ، يكسوها ثوب الاحتمال ، فيسقط به الاستدلال

وكم لأبي ربة من مخريقات في قوله لتوافق هواد

وقال ابورية (ص ٣٥٢) : يذمر من لم يصدق رواية بعض الأحداث لشبهة عنده

في اللث والسند ، فكذب مغشونها ، أو خالفها قلك ، وإن صح ويرد عليه بالتي هي أحسن . ١٠

ويقال لبحانا : إن علماء النحو أو الأصول - فضلا عن الطب أو الكيمياء أو الطبيعة أو غيرها من الأصول - لا ينفرون للجاهل أن يتهم على علومهم بالجهل والنباه والموى . فذا الذى أخرج علم الحديث من هذا القانون وجعله في كتابك لعبة اللاهين ومهزلة المازلين ، يهجم عليه حتى من لا يعرف أن أحد بن حنبل قرن يحيى بن معين أو تلميذه ، ويؤمن أن يحيى بن اسماعيل القسطنطين هو يحيى بن سعيد القسطنطين ، مقتديا بتعريف المصدر الذى نقل عنه ، ثم يؤث من العلم ما يصبح به غلط للطبيعة في بديهيات هذا العلم وأوليائه ، ثم يفتح هذا الباب لأشائه من كل مشهور لا يعرف قدر نفسه ، ولا قدر العلم ، ولا يستش من الله ولا من خلقه ، فيبيع له أن يرد من الأحاديث ما يشاء بحجة أنه اشبه فيها ، فأى تمزيق للعلم ولالدين فوق هذا ، وأى انحلال من الشريعة غير هذا ؟

وقال (ص ٣٥٢) : الأمة ما تنبدوا إلا بمخبر يئلب على الظن صدقه ، وإنما أمروا بالاستناد إلى ما ظنوا صحته ، والحكم يقع بالظن القالب ، ولا يلزم من ظنهم صحته في نفس الأمر ، وكذلك لا يلزم من الإجماع على حكم مطابقة الحكم الله في نفس الأمر . ١١

هوس كرده ، وكررتا الرد عليه ، وسبق له أن حكم على هذا الظن أنه لا يبنى من الحق شيئا ، وطبق عليه الآية (إن يتيقنوا إلا الظن ، وإن الظن لا يبنى من الحق شيئا) فذا باله هنا رضى عن العمل بهذا الظن الذى سبق له أن قال إنه لا يبنى من الحق شيئا ؟ ما هذه التناقضات !

ومن أين له نفي لزوم صحة الشيء في نفس الأمر ، إذا غلبت الأمة - المعصومة من الخطأ - صحته ؟ ومن أين له عدم لزوم الإجماع لمطابقة الحكم في نفس الأمر ؟ هل يجوز اجتماع هذه الأمة للمعصومة من الخطأ على الخطأ ؟ وقد ذم الله من يتبع غير سبيل المؤمنين فذبح ذلك متبع سبيل المؤمنين ، فهو الصراط المستقيم الذى لا يتطرق اليه الخطأ ، فتجوز

خطأ إجماع المسلمين شك في مدح الله من اتباع سبيل المؤمنين ، وقدح في أمرنا الله أن ندموه صلبا ومسا في صلاتنا أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين

وقال آخر (ص ٣٥٢) : إن السلف لم يرجعوا على أحد - ولو كان منقطعا لتحصيل العلم - أنت يبحث عن جميع ما روى من هذه الأحاديث ويصل بها ، كيف والصحابة لم يكتبوا الحديث ، ولم يصدوا بلجه وثقلته للناس ، بل منهم من نهي عن روايته . هـ

ويقال ٤ : إن القرآن الذي هو دين الله قال الله فيه ﴿ لا نذكركم به ومن بلغ ﴾ ، وما أوجب أحد حفظ القرآن ولا التفتيش عما لم يبلغه منه ، وأركان الإسلام والإيمان هي الواجبة على كل مسلم ، وما بلغه من تفصيلها وجب عليه قبوله ، سواء من القرآن أو الحديث . وكون الحديث لم يكتب ذلك شكاة ظاهر عندك عارها ، فالخلف له ولقرآن هو الكفيل بحفظها ، وليس كل الصحابة الملق على ما كتب من القرآن ، وإنما كان سليلهم سمعهم من حافظيه . ونهى من نهي عن رواية الحديث إن صح ذلك عن بعضهم كان لظروف خاصة زالت بزوال أسبابها

وذكر (أول ص ٣٥٣) اختلاف عهد الزمن بن مهدي ومجى بن سعيد القطان في الجرح والتعديل ، وهنا سمع مجى بن سعيد ولم يقل بن إسماعيل كاسبق له مرتين ، وسبق لكلام الذهبي في هذا أنه لم يحصن إثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضيف أو تضييف ثقة ، والذهبي هو الذهبي علما واستقراء كما شهد له بذلك خاتمة الحفاظ ابن حجر

وحينئذ فإذا اختلفت أنظار ابن مهدي وابن اللدني في رجل كان محل نظر كابن اسحاق وأمثاله ، وحاشاكم أن يختلفوا في مثل مالك والثوري وابن عينة والحادين وأمثالهم

وقول الرازي (ص ٣٥٣) : إن الدلائل القليلة ظنية كذب على الله وعلى رسوله وتكفى خيار المؤمنين . فإذا كان كذاب الله تعالى لا يفيد عند الرازي إلا الظن فكأن عدمه شيئا

من وجوده ، وحينئذ لم يكن هدى للفقين ، ولم يكن نورا وشفاء لما في الصدور ، ولم يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور

إن الظنون هي أوهام المفكرين من جمجمة وتسنلة وأشارة وروافض ، هي التي أفسدت على الأمة دينها ورفقتهم شيئا وأحزابا وجعلت بأسهم بينهم ومكنت أعداء الإسلام منهم : القنار والمسيونيين وغزة أوربا . ولا عزة للمسلمين إلا بمراجعة دينهم وسرق ترهات الرازي وأمثاله . الرجوع إلى الكتاب والسنة على ما فيه منها خير القرون للشهود لهم بالخير

وقوله (ص ٣٥٣) نقلا عن السيد رشيد رضا : إني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول عالم صحابي يخالف ظاهر القرآن وإن تقوا رجاله ، فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن هـ

وسوابه : أنا مكذبون بالظواهر وأمر البواطن موكول إلى علام الغيوب . وإذا كان رسول الله ﷺ يقول لم أوسر بسكين أشق بها عن قلوب الناس ، فن نحن حتى قول في بعض الرواة إنه سيء الباطن ، وخاتمة ظاهر القرآن أمر يختلف باختلاف الأنهم . هذه أم المؤمنين - وهي من هي - تظن مراضة حديث « من نوقش الحساب حلك » مع آية ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ حتى بين لها النبي ﷺ أن المراد بالآية المرض ، ولكن من نوقش الحساب فقد حلك

وهذه حفصة تنهم من آية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ دخول جهنم ، حتى بين لها ﷺ أن ذلك للزور على الصراط . وهذا أبو بكر الصديق نقض مضجعه آية ﴿ من يسلم سوا يجر به ﴾ حتى بين له ﷺ أن من الجزاء الأمراض والمهوم والأكدار وغيرها : فسادة مخالفة الحديث لظاهر القرآن تختلف باختلاف أفهام الناس

قوله (ص ٣٥٣) : ونحن نجزم أننا نسبنا وضيمنا من حديث نبينا حقا عتليا لعدم كتابة علماء الصحابة كل ما سمعوه . هـ

وجوابه أن علماء الصحابة وغير علمائهم كان عندهم من الحفظ ما ينفي عن الكتابة ، هذه هي الحكمة في بث فيه في أمة أمية ينفي حفظها عن كتابتها

ولو كان الصحابة ضيقوا شيئاً من دينهم لما كان ثمة فرق بينهم وبين من قال الله فيهم ﴿ قتلوا خطأ ما ذكرنا به ﴾ وسيند تناسوا غير أمة أخرجت للناس بشرار خلق الله . وأى فرق بين ما هو بيان القرآن الذي استناده وبين ما حكم بضياعه بغير حجة ولا برهان وبعد ظالما في بغير ضياع بالبينم يتقون ولا يتقون في وجهه العراقي : من قولهم آحاد ، وخلق ، وخالف للمقول ، والظاهر القرآن ، وأمثال هذه التمثلات

وقال أبو رية (ص ٢٥٣) : كانت عائشة ترد كل ما كان مخالفاً للقرآن ، وتعمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع أو سوء الفهم .

وتقول لأبي رية : هل ما ردت عائشة يكون مردوداً حقاً ؟ أم ترد عائشة حديث « من نورش الحساب عليك » لظنها أنه يعارض قوله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ حتى أمهها النبي ﷺ أن ذلك - يعني معنى الآية - للعرض ، وأن من نورش الحساب عليك

هل صفت لائحة المصصة من الخطأ وهي من الصحابة الذين لا يقول أنت بعدلتهم فضلاً عن زعم المصصة لهم من الخطأ والتسليم ، فهل كان قتال عائشة لملي يئيد أن علياً كان يستحق القتال ؟ وهل كان كسرهما نصحة صفية غيرة منها صواباً أو خطأ ؟ وهل كان تكريمه رسول الله ﷺ في المسل الذي كان بشره عند زينب حتى حرمة على نفسه وأنزل الله في ذلك صدر سورة التحريم - وفيها ﴿ إن تنوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما ﴾ وإن تظاهرا عليه فإن الله مولا وجبريل وصالح المؤمنين ولللائكة بعد ذلك ظهير ، عسى وبه إن طلقن أن يبده أزواجاً غيراً يمكن في الآية

فهب أن رد عائشة لبعض الأحاديث اجتihad غلط منها من هذه الاجتهادات التي يفتوها الله لما في حسناتها الكثيرة التي تنبر ذلك ونحوه . فإياك تملق بأخطاء العلماء لتأييدها في ضلالك الذي فارقت به سبيل المؤمنين ؟ !

ونحن ملاحظتنا لأضوائك يا أبا رية بما وصف به شيخ الاسلام ابن تيمية محصل الراي ابن خطيب الري ، فأضواؤك جديرة بهذا البيت :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلا دين
والحدثة الذي ينمته تم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تصويب

طبع هذا الكتاب بيدا عن مراجعة مؤلفه ، فر ت فيه هذه الأخطاء :

صفحة	سطر	خطأ	مصحوب
٦	٦	٦ زرعاً	زرعاً
١١	٩	أبر	أب
١٤	١٢	قآزره	قآزره فاستغلظ
١٦	١٧	المتكلمون القائلون	المتكلمون القائلون
١٧	١٢	إلا أن يأتيهم الخ	إلا أن تأتيهم اللاتكة أو يأتي ربك
١٨	١٧	بالجديد	بالجديد
٢٩	١٠	ألا هـ / ألا هـ	واقه / واقه
٣٦	٨	ليفتروا	وما هو من عند الله ليفتروا
٣٦	١٣	الأمثال	أمثال
٤٠	١٨	ثم إلى	إلى
٤٢	١٢	أب ذر	أبو ذر
٤٦	٢٠	منها	منع
٥٣	٥	كنت فيه	كنت أئذ فيه
٦٢	٥	أو ناقلا	أو ناقلا
٦٢	١٥	الكافية	النصائح الكافية
٧١	٧	حروف	حروف مد
٧١	١٥	وسعت كل شيء	وسعت كل شيء
٧٦	١٩	حسبه	حسبه
٧٨	٣	منهم	منهم إلا قليلا منهم
٨٧	٧	ولقد	ولقد
١١٩	١٦	المقتنين	المقتنين
١٢٠	٧	وهذا كآله	وهذا كله
١٣٦	١٠	منهم	منها
١٦٣	١٠	بمير	بمير

صفحة	سطر	خطأ	مصحوب
١٦٨	٥ - ٤	ونفله الخ	ونفله بهم وسادت مصيرا
١٧٨	٨	(وجعلنا	(وكذلك جعلنا
١٨٠	٢٢	واقتروا الله	واقتروا الله
١٩٢	١٦	وصل	صل
٢٠٥	١	منيفة	منيفة
٢١٤	١٠	نصيفة	نصيفة
٢١٧	٢٠	قآزره	قآزره فاستغلظ
٢٢١	١٠	مبعضو	مبعضو
٢٢٢	٢٢	القبيلة بصغة	القبيلة بصغة
٢٢٣	١١	فقال الذين	فقال الضعفاء الذين
٢٢٥	٧	ميتهم	ميتهم
٢٢٧	١٥	نقيسة	نقيسة
٢٤٢	١٣	قآزره	قآزره فاستغلظ
٢٤٩	١	الروسين	الروسين
٢٥٨	٥	الباء	الباء وهي دخان
٢٦١	٥	عبد ربه	زيد
٢٦٢	١٤	بالقتل	بالقتل
٢٦٧	١٤	سليان	أي سليمان
٢٧٠	١٢	بالسحر	بالمسحور
٢٨١	٢	تعرّفون	تعرّفون
٢٨٢	١٤	عن	عند
٢٩١	٣	الواقع	في الواقع
٣١١	١٠	شروط	قل شروط
٣١٢	١٨	بني فاته	...

فهرس

لام مطالب الرد على أبي رية

- ٣ تحقيره للحديث النبوي بدعوى عدم اشتغال الأدباء به
٦ لزوم الحديث لبيان القرآن والدين
١١ الكلام على حديث « من كذب على متعمدا »
١٣ رواية الحديث بالمعنى
١٥ جمع القرآن وتدوينه دون الحديث
١٥ رد المتكلمين والأصوليين لأحاديث الآحاد ، والرد عليهم
١٩ قيام الحجة بالصحيح ولو كان آحادا
٢١ احتقاره لأصحاب الكتب الستة وإنكسار عليهم
٢٤ انتهى عن كتابة الحديث ، وكذبه في ذلك على الرسول وأصحابه
٢٥ شبهاته في ذلك ، وحكمة ما جاء من النهي في أول الأمر ونسخ النهي بعد ذلك
٣١ ما جاء من عمر في ذلك
٣٤ ما جاء من علي وابن مسعود
٣٦ رد دعواه أن أحاديث النبي أقوى من غيرها
٣٩ الصحابة ورواية الأحاديث وبيانهم عليهم
٤٣ كذبه على عمر في ذلك ، وعلى ابن مسعود ، وغيرها
٤٩ وجه تشديد الصحابة في قبول الأخبار وبيانهم في ذلك عليهم وعلى عمر
٥٤ الكذب على النبي ﷺ في حياته وبعد موته
٥٦ رواية الصحابة بعضهم عن بعض وعن التابعين
٦٠ التشويش على الصحابة بزعم نقد بعضهم بعضا
٦٢ نقله لبيان ابن عتيق الحضري الراضي ، وطعته على عمر والصحابة عموما

ص

- ٦٧ افتراء الراضي على التاريخ في ثلب الصحابة وذمهم ، وجراسته على ذم الصحابة
٦٨ زعمه تحريف أحاديث النبي ﷺ وأنه ﷺ نهى عن الرواية عنه
٧٠ بته الصحابة بالخلط والتحريف الحديث ، وأنهم لا يحفظ لهم ولا ضبط
٧٢ غلطه في عد طرق الحديث اختلافا واضطرابا ، وتحليله بحديث « فضر الله أمرا » مع
مقاتي ، الخ
٧٤ زعمه مناقضة حديث « إذا لم تحلوا حراما » الخ لحديث « فضر الله أمرا » الخ وجوابه
٧٦ كلام العلماء في إباحة رواية الحديث بالمعنى
٧٧ الحكمة في تنوع المبادات
٧٨ حكمة تنوع الأذان ، ودعاء الافتتاح ، وألفاظ التشهد
٨١ أشد من رواية المعنى : حديث الإسلام والإيمان الخ
٨٣ خلطه بين ابن أيوب وأي يوب وأيوب السخيتاني بحيث لا يعرف المراد منهم
٨٣ إذا تعدد الرواة والسائلون فلا ضرر من تنوع رواياتهم
٨٤ تشكيكه في حديث الواحة نفسها بتعدد ألفاظه ، وضمه فيه تنوع القراءات المشهورة
٨٥ تشكيكه في حفظ الإمام البخاري وجوابه
٨٧ السنة بيان للقرآن ، وتاريخ للعمل به ، وقصاد طريقة القرآنيين المخرجين السنة
٨٩ اختلاف بعض الرواة في ألفاظ بعض الأحاديث والجواب عن ذلك
٩١ رد زعمه ضرر رواية الحديث بالمعنى ، وتعلقه بكلام البطليوسي في ذلك ، وخطبها معا
٩٤ حفظ الله الإسلام من كيد كائنه ومن المنافقين ودساتهم
٩٥ تعلقه بشكوك الطوفي الراضي في سنة رسول الله ﷺ
٩٩ رد دعواه اللحن والخطأ في الحديث بسبب رواية المعنى
١٠٠ التساهل في رواية الفضائل
١٠٢ أسباب وضع الحديث ، وحفظ الإسلام من شرها
١٠٣ بيانهم فيما لاحد أمين في اتهامها لإسلام عبد الله بن سلام الصحابي الجليل ولابن
جريح من خيار التابعين

ص

- ١٠٥ جثاته في دى الصحابة بالنبأوة حتى اتخدعوا في دعه ككب الأحبار ووجب بن منبه
١٠٦ تكذيبه لكب الأحبار وعيد الله بن عمرو الصحابي في روايتهما صفة النبي ﷺ من
التوراة ، وجوابه
١٠٧ حديث الاستسقاء ، ورد دعوى تسرب الاسرائيليات اليه
١١٢ حديث المراج وكيفية فرض الصلوات الخمس ، ورد دعواه تسرب الاسرائيلية اليه
١١٥ حديث طعن الشيطان في جنب كل مولود إلا عيسى بن مريم ، ورد شكوك أبي دية فيه
١١٨ حديث نزول عيسى بن مريم من السماء آخر الزمان وشكوك أبي دية فيه وردها
١٢٠ أبو هريرة وطعن أبي دية فيه بكل قصة وبذاءة
١٢٢ عدم حفظ بعض الصحابة للحديث ليس ردا له
١٢٣ أبو هريرة الاختلاف في اسمه ونسأته وبيان أبي دية عليه
١٢٦ جرحه بالزنا وكثرة الأكل
١٢٧ شكا في كثرة أحاديثه
١٣٠ رد دعيه له بالتدليس
١٣١ أنه أول رابر أهم في الاسلام
١٣٦ أخذ العلماء لأحاديث أبي هريرة وان توقف بعضهم في بعضها
١٤٠ اعتياده لعلمن جلد زهر اليهودي في أبي هريرة
١٤٢ رد تهمة دائرة المعارف الاسلامية دعواها اختلاف علماء المرح والتعديل
١٤٣ رد اتهام أبي هريرة بسبب روايته عن كعب الأحبار
١٤٤ دعواه أن كعبا استغل أبا هريرة
١٤٦ نعتته في رد بعض أحاديث أبي هريرة بالجهالة والموى كحديث خلق الله آدم على صورته
وحديث طول آدم
١٥٠ تكذيبه لأبي هريرة في روايته خلق الله التربة يوم السبت وجوابه على ذلك
١٥١ توقف من توقف في هذا الحديث بسبب أحد رجال سنده لا يسبب أبي هريرة
١٥٥ اختلاف علماء الحديث في هذا الحديث قبولاً ورداً مع اتفاقهم على صدق أبي هريرة ،
والحديث غير مخالف للقرآن

ص

- ١٥٨ ذكره في شبه الاسرائيلية في حديث ، من عادى لي وليا ، الخ
١٦٠ تكذيبه لأبي هريرة في حديث ه ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ،
١٦١ تكملة بذاكرة أبي هريرة وحفظه
١٦٤ حديث لا عدوى
١٦٦ حديث اثنان الجوف بالتمر
١٦٧ نبيان أبي هريرة
١٧٠ حديث حفظه وعاء بن
١٧٣ سفاضة أبي دية على أبي هريرة
١٧٦ أبو هريرة وبنو أمية
١٧٧ عيه على فقر أبي هريرة
١٧٩ الطقطني وأكلات معاوية
١٨٠ صراع بن أمية مع المشركين
١٨٢ الجوع تقيضة في أبي هريرة وفنسية في علي
١٨٤ اكرام الامويين لأبي هريرة
١٨٦ دعيه أبا هريرة بالكذب على علي لأجل معاوية ، وفضل عثمان
١٨٨ فضل عثمان في كتابة الصحف
١٨٩ مزود أبي هريرة
١٩١ بيته في وضع أبي هريرة أحاديث على علي وقدمه العراق
١٩٣ اجماع خيار الأمة على صدق أبي هريرة
١٩٤ سيرة أبي هريرة
١٩٦ عود على حديث التربة
١٩٨ اقترأه على أبي هريرة
٢٠٠ كذبه على عمر بن عبد الله لأبي هريرة لروايته الحديث
٢٠١ نقله لكلام اليهودي جولد زهر في كذب أبي هريرة

ص

- ٢٠٢ أربعون شاعدا من كلام أبي ربة على كذب نفسه
٢٠٦ قرينه عليه أنه قدم لمأويه أكاذيب من الحديث
٢٠٨ حال ابن أبي الحديد وقرينه لنهج البلاغة
٢١٠ كذبه على التاريخ في بيت أبي هريرة
٢١١ قيمة الصحابة عند أبي ربة
٢١٢ عوده لبيت أبي هريرة
٢١٣ عوده لجرح صحابة رسول الله ﷺ ورميهم بالكذب
٢١٤ عصمتهم من الكذب ، لا من السهو والغلط والنسيان
٢١٦ رميهم بالتفاني والرذلة والنسوق والمعصيان
٢١٧ إخراجهم لأبي هريرة من عموم فضل الصحابة
٢١٩ عوده لتكذيب أبي هريرة
٢٢٠ أمثلة من رواية أبي هريرة
٢٢٠ حديث لطم موسى لملك الموت
٢٢٢ حديث بحاجة الجنة والنار
٢٢٤ حديث الذباب وعدم تقرد أبي هريرة به
٢٢٥ رده لحديث الملك الذي وقع وجهه ففرق السهام ، والحديث العجوة ، وحديث
تخسير الإناء.
٢٢٧ قلة رواية كبار الصحابة أبي بكر وعمر وعلى الخ مع كثرة رواية أبي هريرة
٢٣٠ (أحاديث مشككة) حديث خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء - حديث سجود
الشمس تحت العرش
٢٣٢ كلام عبد الله بن عمر في الشياطين المسجونة في البحر - حديث العجوة - حديث
إدبار الشيطان عند الأذان
٢٣٣ حديث أبي سفيان في عروته على النبي ﷺ زواجه بأُم حبيبة . حديث تصديق النبي
ﷺ لعمر أمية بن أبي الصلت

ص

- ٢٣٤ حديث إن عمر هذا لم يدرك الحرم حتى تقوم الساعة ، وجوابها ، أحاديث قرب
قيام الساعة
٢٣٧ أسباب تشكك السيد وشيخه الشيخ عبيد في بعض الأحاديث
٢٣٨ حكمة عدم تدوين الحديث في العصر النبوي اعتمادا على الحفظ
٢٤٠ تحيله في الصحابة عدم الحفظ والضياع والافتقار
٢٤١ تدوين القرآن لم يمنع ورود الأفراد الشافعة
٢٤٣ ثبت الصحابة في رواية الحديث ليس ردا للحديث
٢٤٤ زعمه عداوة بني هاشم لبني أمية وأنها سبب للكذب في الحديث
٢٤٦ الحفظ لا التدوين هو الذي حفظ القرآن والسنة
٢٤٨ شك في ضبط العدالة وعدم كفايتها لحفظ الحديث
٢٤٩ ذمه لعلم الحديث ، وأنه ليس فيه ما يذلل القول
٢٥٠ شك في التواتر ، وشك في عدم صلب المسح
٢٥٢ دعواه تواتر عدم صلب المسح عند اليهود والنصارى ، وأن المسلمين يكتفون بتواترها
٢٥٤ زعمه أن العمل بالحديث الصحيح اتباع للظن الذي ذمه الله في القرآن ، والرد عليه
في ذلك
٢٥٧ اعتياده لرد الجهمية للأحاديث ، وعدم تصديقهم لها وذهمهم لأصحاب الحديث
٢٦٠ كلام أبي يوسف في النهي عن الشاذ وعرض الحديث على الكتاب
٢٦١ نقله عن مرة الوصول أن أبا هريرة وأبا ليس فقيهين
٢٦٢ رد تصحيحه من حديث ، أوثقت القرآن ومثله معه ، وأن عدم تدوين ما زاد على
الكتاب لا يندرج فيه
٢٦٤ عمل أبي بكر وعمر بما بلغهما من الحديث زيادة على القرآن
٢٦٨ عدم استدلال النجاة بالحديث ليس بحجة
٢٦٩ حديث سحر رسول الله ﷺ صحيح وليس فيه ما شنعوا به ولا هو مخالف للقرآن
٢٧١ شك الشيخ عبيد في حديث السحر لا برده ، وعذر الشيخ عبيد في هذا الشك
رد الشيخ عبيد لقصة الغرائق وقصه زيد وزيث ليس ردا للأحاديث الصحيحة

ص

- ٢٧٤ دين الله لا يتفق مع المادية والصائبة والفارسية والمندية وأمثالها من فلسفات
٢٧٥ قصة مالك مع المتصور ليست رداً لأحاديث الرسول
٢٧٦ ليس أبو حنيفة بحاجة في رد الأحاديث
٢٧٧ ليس في رواية البخاري منهم ولا كذاب ، ومن تكلم فيه منهم ليس بمتنبيف
٢٧٨ خلط أحد أمين في كلام أهل الجرح والتعديل وكلامهم في عكرمة
٢٨٢ وجه كلام الحازي في الجرح والتعديل
٢٨٣ لا يجب من عدم رواية البخاري ومسلم عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن
وإن تعجب من ذلك القاسمي
٢٨٤ اختلاف الشيخين في حديث ، لا يصلح أحكم العصر - أو الظير - إلا في بني فريظة ،
ليس ما ترد به الأحاديث
٢٨٥ ابن حبان إمام من أئمة الحديث ، ولا يتوقف في قبول الصحيح منه
٢٨٦ كذب أبي رية في شرب الاسرائيليات إلى الصحيحين
٢٨٧ شك في الصحيحين فضلًا عن غيرها ، وخلال من لم يعمل بالسنة القولية والعملية
٢٨٩ مشكلات الحديث لا ترد سائرهما ، كما أن متناها القرآن لا يردعهما ، المسانيد ليست
غشاء كما زعم
٢٩٢ الشك في الأحاديث ينتج باب الانحلال والمروق من الدين - عمل الصحابة وغير
القرون بالصحيح ولو آحادا
٢٩٤ السنة تاريخ العمل بالقرآن في خير القرون
٢٩٥ دعه أن أحد بن حنبل تليذ يحيى بن معين جهلا وهوسا
٢٩٧ ليس من الحكمة والانصاف رد ما لا يفهمه الإنسان من القرآن والسنة
٢٩٨ تحيط المقتل في علمه الفاضل وهواه
٣٠١ أمثلة من تعامل المقتل على علماء الحديث ، ورد مجرمه عليهم وكذبهم عليهم وتنفير
مبروان وبسر بن أرطاة
٣٠٩ رسالة زغل العلم ليست للذمجي وإن كذبت عليه ، وإنما هي قيسوطي - الشك في
عدالة الصحابة كهم

ص

- ٣١٠ شروط ابن خلدون لنقل التاريخ لا تصلح لرواية الحديث
٣١١ أبو حنيفة ليس حجة على الحديث
٣١٢ اشتراط القاسمي التواتر للاحتجاج بالحكم
٣١٣ حديث ، تركت فيكم ما أن فعلوا إن اعتصمتم به ، الخ
٣١٣ حديث ، ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، الخ
٣١٤ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣١٥ السنة العملية
٣١٦ رد قوله : ما كل ماصع سنه يكون صحيحا
٣١٧ رد قوله : إجماع الأمة على الصحيحين ليس دليلا على أنها عن النبي
٣١٨ رد قوله : ولم يظهر البخاري وغيره إلا بعد خیر القرون
٣١٩ ود اعتباره لمن رد حديثا صحيحا
٣١٩ تنكيكة في صحة حديث الآحاد وفي دلالة الإجماع
٣٢٠ أوجب الله العمل بما نلتنا من الكتاب والسنة
٣٢٠ شبهة في اختلاف علماء الجرح والتعديل
٣٢٠ رد قول الرازي : إن الأدلة العقلية ظنية
٣٢١ رد اتهام الثقة بسوء الظن بإمامه ، مخالفة الحديث للقرآن أمر نسي تختلف فيه الآراء
٣٢٢ دعوى نسيان الصحابة لشيء من دينهم باطلة ، والباقي لنا عنهم فيه الكفاية ، ورد
عائفة لبعض الأحاديث مردود
الحاشية ٢٢٣

رفيع
عبد الرحمن النعمري
أسكنه الله الفردوس
تمت الطبع :

مَوَازِيَا الظَّاهِرِيَّ
إلى زوايد ابن حبان

بإجازة نور الدين عياشي بن أبي بكر البهيني

يقوم بتحقيقه ونشره
فضيلة الأستاذ العلامة
الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة
مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة
واللندوس بالحرم المكي الشريف

ظلال أبي بصير
أمام أضواء السنة المحمدية

تأليف
محمد عبد الرزاق حمزة
مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة
واللندوس بالحرم المكي الشريف

التأخر
١٣٧٩

المطبعة السلفية

مُحِبِّ الدِّينِ الْخَطِيبِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفيع
عبد الرحمن (السيدي)
أسكنه الله الفردوس

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .
وبعد فهذا كتاب في الرد على كتاب « هدى هي الأغلال » كتبه
أخي في الله الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم المكي الشريف ،
تأييدا وتنميما للرسالة المقتنة الممتعة التي كتبها علامة القصيم الشيخ
عبد الرحمن السعدي في نقد نفس الكتاب ، والتي سماها (تنزيه الدين
وجماته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله)

وكتاب الأغلال ألفه شاب مجدى مغمور وطبعه ونشره في مصر فلم
يكن له من الأثر إلا ما يكون للحصاة يلقى بها في البيم : مقالات قليلة
كتبت هنا وهناك أكثرها كان في تحقير الكتاب وتسفيه صاحبه ،
وأقلها كان في جانبه من بعض من يذهب مذهبه في الدين ونشوته .
وقد أفتتني جميعها بتفاهة الكتاب وسخفه ، فصدتني عن قراءته
فضلا عن الإهتمام بنقده رغم رجاء أحد تلامذتي وزملائي بإبى أن أنقده
لأنه كما قال كتاب سوء محارب الاسلام بكل وسيلة ومن كل سبيل .
لكن الموقف تغير حين طلب إلى أخي وصديقي الشيخ محمد

عبد الرزاق حمزة أن أعلق على كتابه وأن أقدم له إن أمكن، وحين أرسل إلى مع كتابه رسالة الشيخ السعدى هدية من نبيل جدة ووجهها الشيخ محمد نصيف.

قرأت رسالة الشيخ السعدى ثم قرأت كتاب الشيخ حمزة فإذا بي أمام أمور فظيعة منسوبة إلى صاحب الأغلال، ونصوص شنيعة منقولة عن كتابه لم يذهب في الخيال يوما إلى أن مثلها يمكن أن يصدر عن مسلم كان له يوما في الاسلام قدم، بل كان له في سبيل الاسلام عند أهل بلده جهاد. ولم أجد بدا حين قرأت الكتابين من أن أقرأ كتاب الأغلال من أوله إلى آخره لأعرف حقيقته عن غير واسطة إن كنت كاتباً مقدمة رد عليه. قرأته فإذا الأمر أقطع حتى مما يبدو من خلال الكتابين.

وجدت كتاباً يبيض بالضغن ويغيب بالقدح في الاسلام وأهله فقد نقض صاحبه ما وصلت إليه يده من كتب المتقدمين حتى إذا وقف على بعض أقوال لا يقول بها أحد بعته به اليوم — ولا يخلو من مثلها تاريخ أمة حتى في هذا العهد الحديث — اتخذ تلك الأقوال ذريعة إلى الطعن في المسلمين أجمعين في عشرة القرون الأخيرة من تاريخ الاسلام، مؤكداً تقاريء والناس أن المسلمين جميعاً عاشوا طوال تلك الحقبة لا يرون الاخذ بالأسباب معتقدين أن التوكل على الله معناه النوم وترك التدبير استكلاً. بل أن الله سيرزقهم من غير سعى ولا عمل ويحميهم من غير إعداد عدة لا جهاد، واكتفاء في ذلك كله بالدعاء والانقطاع لعبادة الله من نحو يوم أو صلاة، فتأخروا في زعمه عن ركب الانسانية ألف عام ناموها

- - -

وسارها غيرهم من مختلفي الشعوب والاديان. ولو اقتصر الأمر على مثل هذا الزعم لكان على شناعته: فكل عارف بتاريخ الاسلام يعلم أن المسلمين لم يكونوا كلهم أو جلهم يعتقدون ذلك يوماً من الأيام، ولعل فترات عزم في الألف عام الأخيرة كانت أكثر من فترات ذلهم، بعكس الغربيين الذين يسبح صاحب الأغلال بمحمد وحمد مدنيهم ويقدس لها ولهم. وعلى فرض أن المسلمين كانوا كما وصف طوال تلك القرون العشرة فليسوا هم كذلك الآن فكاهم يريد الاخذ بالأسباب: وكاهم يدعو إلى الاخذ بأسباب الهوى والعزة، وإن اختلفوا في الاسباب ذاتها اختلفت أية أمة ناهضة أو شعث في كل عصر وعلى الأخص في هذا العصر. ففهم إذن الهوى واللز والطعن والدم والاستهزاء والسخرية وقد اتفق سببها المزعوم إن كان قد وجد يوماً من الأيام؟ أليس من الحق والقباهة، أو من الغرور ونفس شهوة المال والشهرة من أسوأ طريق، أن يفترض صاحب الأغلال وجود مالم يوجد أو استمرار ما قد انقطع وانقضى ليجاهده وينازله كما كان كُن كويشوت في كتاب سرفنتيس يجاهد وينازل طواحين الهواء يظنهم سرقة وعماليق تقطع على الناس الطريق؟ ثم أليس من الغرور والحق ما أن يعتقد صاحب الأغلال أن الاربعمائة مليون المسلم على حد تعبيره خاضعة اليوم لسلطان تلك الخرافات التي يزعم، ثم يطمع أن يرحزها هو عن ذلك بنفسه وبذاته التي نبها في كتابه، والتي يستصده عنه كل من يقترب منه كما تصد الرائحة الطيبة عن مكان الجيفة؟ فلو أن إنساناً أحسن الدعوة من وجهها

وجه إلى المسلمين يدعوهم ليقودهم بزمام دينهم - والاسلام كله مقاد إلى ماغير والمز والفلاح - لكان عجبا مع ذلك أن يطمع بمفرده في تحريك العالم الاسلامي وقد قعد عن العمل بالاسلام ، غالت مدة القعود أو قصرت ، فكيف بهذا المبرور الضال الذي لا يرى سبيلا إلى نهوض المسلمين إلا أن يكفروا بماضيهم كله ، وينزلوا عن ميراثهم كله ، ويحتفروا كل ما ألف في ألف سنة في أي علم أو فن لأنه صورة من كتاب واحد ألف في علمه أو فنه قبل أن تبدأ الألف أو بعد أن بدأت الألف ، وأن يُتزلوا أي رواية أو رأى يجمع عليه أو عليها مؤلفو تلك الكتب الكثيرة منزلة رواية الفرد الواحد ورأى الشخص الواحد ، هكذا يدعى وإلى ذلك يدعو هذا المبرور المقترون في إعادة وتكرار ومبالغة وتوكيد واقراً له إن شئت لترى إلى أي مدى يذهب البرور بصاحبه ، ولتحكم أعن عقل يصدر في كلامه أم عن تخليط . قال من ص ٣٠٦ من كتابه : (والخطوط من عندنا)

« إننا نعد في علم التاريخ مئات الكتب وألوفها ، وكذا في الحديث والفقه والتفسير وفي كل علم ، ولكننا عند التحقيق لا نجد إلا كتابا واحدا فأنسان ألف منذ ألف سنة مثلا مؤلفيا في علم من هذه العلوم وأودع فيه ما أودع من أباطيل وأكاذيب وغيرها ، فإذا جاء بعده ألف مؤلف في هذا العلم فأنهم جميعا سيأخذون علومهم وحقاقتهم عنه وعن كتابه بلا نظر أو تفكير وهذا هو الشأن في جميع المؤلفات التي أنقص بها المكتبات والفهارس العامة اليوم والتي يفوت إحصاؤها .

« وعلى هذا فن الخطأ الذي يقع فيه الجميع أن نجد رواية أو رأيا في مئات الكتب لمئات المؤلفين فنزعم أن تلك الرواية أو ذلك الرأي قد قال به ورواه هذا العدد العديد . والصحيح أن نقول إنها أو إنه «رواية أو رأى» لإنسان واحد في مؤلف واحد نقله هؤلاء الجاهلون المقلدون بلا بحث وبلا عقل ؛ فلا نتخذ ونخضع بالكثرة ونقول : كيف لا تكون تلك الحكاية أو الرواية صحيحة وقد رواها وصدقها عشرات العلماء أو مئاتهم ؛ وكيف تكون كذبا ثم يخفى حالها على كل هؤلاء ؟ إن من السهل على الإنسان ألا يثق برواية إنسان واحد وبرأيه ، ولكن من المسير عليه أن يشك في رواية العشرات ورأيهم ولا سيما إن كانوا ممن يحل ويحترم »

دعوى بلقبها هذا الأحق كأنه قرأ تلك الألوف المؤلفات في جميع العلوم في عشرة قرون جاء بملن نتيجة بحوته ويزن له شيطانه أن سيسمع له الناس والحق والبرور الظاهران من هذه الفقرة التي نقلناها لك من كتاب الأغلال ، هما الطابع الذي طبع به على الكتاب كله ، لا يكاد يخلو من أماراتها صفحة من صفحاته . فأنت إذا تناولت الكتاب وجدت ذلك الطابع على غلافه الخارجي إذ قرأ :

« سيقول مؤرخو الفكر انه بهذا الكتاب قد بدأت الامم العربية تبصر طريق العقل .. »

كان الامم العربية عامية عن العقل وطريقه وستبدأ تبصرهما ولكن على يد صاحب الأغلال !

« فإذا أنت قلبت الغلاف وجدت نفس الطابع مرة أخرى إذ تقرأ

على الخلاف الداخلي :

ثورة في فهم العقل والحياة . دراسة عميقة لمعامل
النفسية والاعتقادية والتاريخية والخلقية التي قضت
بإحلال المسلمين مربيهم وعلمهم وذهابهم في طوفان
الغرب الطافي .. ثم كيف يمكن أن ينحسر عنهم هذا
الطوفان ...

أرأيت إلى هذا الأحمق للغرور ؟ إنه يشور لا على المسلمين وحدهم ، ولكن
على الإنسانية جميعاً فيما يبدو ، ينور عليهم وعليها في فهم العقل ! ثم في فهم
الدين ! ثم في فهم الحياة !

وكأنه أراد ألا بدعك في شك من مدى غروره وجوره في ثورته
ودعوته فكنت لك في أول صفحة تلقاها داخل الخلاف : —

« إن ما في هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية التي تفقدتها
أمة قهري لأنها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية ، وتأخذ بها أمة أخرى
فتنهض لأنها قابلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة ... ولن يوجد مسلم
واحد بين الأربعمائة للمليون المسلم يستغنى عن هذه الأفكار إذا أريدت له
حياة صحيحة طبيعية »

يعني أنه هو وحده من بين المسلمين أو من بين البشر يأتي بثورة
في فهم العقل والدين والحياة ثم لا يكون ما يأتي به — في كل الكتاب
لا بعضه — إلا حقائق أزلية أبدية صادقة منذ القدم قبل أن يوجد
الإنسان ؛ صادقة إلى الأبد بعد أن يفنى الإنسان ؛ فليت شمر العقل إن كان

ما في كتابه كذلك فكيف يكون ثورة في فهم العقل أو الدين أو الحياة ؟
أفلم تهجد الإنسانية بنفسها أو يرسل رهباناً إلى مقومات الحياة والدين
الأزلية الأبدية قبل عبد الله بن علي القصيمي أو قبل كتاب هذلي هي
الأغلال ؟

وإذا كان كتابه ثورة فكيف يكون كله حقائق ، وحقائق أزلية
أبدية ؟ لو كان بعضه حقاً جديداً يضاف إلى ما بيد الناس دهمهم
وعلمهم من الحق فبما يتعلق بالعقل والدين والحياة لكان عجبا من القصيمي
وقضا للقصيمي لا للناس ، لأن كل حق جديد يكشف عنه يجب أن يتفق
مع ما بيد الناس من حق معروف من قديم كي يثبت أنه حق ، إذ المحك
الذي يعرف به الحق من الباطل في العلم وعند البحث هو أن يتفق الجديد
مع كل المعروف من الحق حتى يمكن أن يفتح له الباب ليدخل في حظيرة
الحق . إن الحق لا يتناقض ولا يمكن أن يتناقض ، إنما الذي يتناقض مع
نفسه ومع غيره هو الباطل .

والناس في العلم وفي غير العلم يستعملون ما يمد من الحق محالاً لكل
جديد يأتيهم بزعم أنه حق : إن اتفق مع المعروف من الحق قبلوه وضموه
إلى ما يمد من الحق ، وازدادت به ثروتهم من الحقائق قليلاً أو غير قليل ،
حسب مقدار المكشوف الجديد ، وكان تقديرهم للكشف عن الجزئية
الجديدة من الحق في هذه الحالة تقديراً صادقا ، صغرت الجزئية أو عظمت .
أما إذا كان الشيء الجديد متناقضاً لشيء من الحق المعروف فإن هذا يكون
دليلاً لا يرد وشاهداً لا يكذب على أن الجديد زائف باطل ليس من قبيل

- ي -

الحق في شيء، فكيف إذا نافت القضية أو التضايا الجديدة كثيراً من الحق المعروف للناس علمائهم وجهلائهم على السواء؟ إنها عندئذ تكون لا تستحق النظر وإن نادى عليها صاحبها من الصريح إلى اللسأ.

فصاحب الاغلال حين وصف كتابه بأنه ثورة في فهم القتل والدين والحياة، وأنه في الوقت نفسه حقائق أزلية أبدية قد دل على نفسه أنه دعى في أهل الحق، لا يدري ما الحق ولا ما علامات الحق، إنه قد دمع كتابه بالبطلان حين طبعه بطابع الثورة على المعروف للناس أجمعين في أمر العقل والدين والحياة. فان كانت في الناس من يصدق مع جمعه بين التقيضين فهو مثله لا يدري ما الحق ولا ما التفكير

ثورته على الحياة والدين

ثورته في فهم الحياة هي في الواقع ثورته على الاسلام وأهله، فهو لا يفهم الاسلام كما يفهمه المسلمون ويفهمونه، ولا يحب أهله، يرى المسلمين ضعفاء فيحتقرهم لضعفهم وققرهم، لأن القوة والمال والجاه عنده هي الجديرة بالاحترام، وبالسعي فيها والعمل لها، أما المروءة وأما فضائل الأخلاق فهو إن سواها بالقوة المادية والثراء فقد تساهل معها في الحساب

ثم هو يرى أن ضعف المسلمين ليس من تركهم الدين؛ ولكن من اتباعهم إياه، فهو لذلك يحارب الدين ويسمى. بقوانينه التي وضعا للناس كلها وجد إلى الاستهزاء سبيلاً، أي كلها آمن عواقب الاستهزاء، فان لم يأمن وظن أن رأيه الذي يمتدح ويود لو اتبعه الناس يرضه لسخطهم ولم يههم إياه بما لم لا يد رايوه به من الزندقة والاحاد أو ماهو أكبر منها لف ودار، وقرر رأيه بجميع الصور، ثم تبرا في الهامش أو في الصلب

- ك -

أن يكون قصص كفرة أو إلهاداً ولكنه قصد تقرير الحقيقة، أو أنه فعل ما فعل وأورد ما أورد للاعتبار!

ولا نجد شيئاً إسلامياً سلم من سلاطة هذا الرجل وبذاعته، لا الدهماء ولا العلماء، لا الفقهاء، ولا الأغنياء، لا الملوك ولا السوقة؛ لا الأمم ولا الأفراد، لا العرب ولا العجم. لا معاهد العلم ولا جهود المسلمين في سبيله في الماضي والحاضر. لا شيء من ذلك للإسلام يلقى من صاحب الاغلال الا الغل والضغن، كأن ذلك كله حال في الماضي وبحول في الحاضر بين صاحب الاغلال وبين ما يبتغيه من جاه وقوة وثراء

ولو كان هذا الرجل يفيض قلبه بشيء من الحب للإسلام وأهله لكان سبيله في تنبيههم غير سبيل تجاهل المحاسن وتلمس المساوئ. والمعائب، الموجود منها والمزهرم، وأنخاذها وسيلة للتحقير والتسفيه والزرابة والتشهير، ولدعاهم إلى مادعاهم ربههم اليه من العمل بدينه كما في كتاب الله وسنة رسوله، بدلاً من أن يحاول ذلك كله عن وجهه وصرهه عنه تارة بسوء التأويل الذي لا يمكن أن يكون كله راجعاً إلى الجهل، وتارة بالسكتان الذي لا يمكن أن يكون كله راجعاً إلى النسيان، وتارة بالتشكيك في الأصول وتارة بالانكار حتى لما هو معروف من الدين بالضرورة كفضل الدعاء وأر طاعة الله في حياة الإنسان هنا في الدنيا، وفضل التوكل على الله حتى مع الأخذ بما شرع من أسباب، ثم ماهو أدهى وأمر من إنكاره تصرف الله المطلق في ملكه بفعل فيه ما يشاء

وليس بهمنا هنا إثبات شيء من هذا على هذا الرجل المفتون فستري

ما يصحني وفوق ما يكتني لهذا فبما أوردته الشيخ حمزة في رده البليغ من نصوص؛ إنما الذي يهنا الآن هو الوقوف على سبب تطور نفسية هذا الرجل ذلك التطور الذي تله من آخر مرآة كثر البنود في العيون إلى آخر مواقف البنود في اليسار - من التطرف في الدين إلى التطرف في التشكر للدين.

وتطرف الرجل في الدين في الماضي يحدتنا به الرجل نفسه في فترة عجيبة من كتابه لعلها من أغرب الاعترافات. إنها تدل على حاضر الرجل وماضيه معاً فافرها: « إن ذكرى تفيض بالمرارة والحسرة تماودني كلما مر بمخاطري عصر مشثوم قضيته مسجوراً هذه الآراء، كنت أفر من الحياة ومما يعلى من قيمة الحياة، فقد كنت لأجد ما يحملني على أن أرفع قدسي لو علمت أني إذا رفعتها تكشف ما تحتها من أعز ما عليه يتقاتل الأحياء؛ وقد ضاعت علي من أجل ذلك فرص كان يمكن الاستفادة منها، لا يمكن استرجاعها! كان الغرور الديني قد أفسد على كل شعور بالوجود وبجماله، وكنت مؤمناً بأن من في المجتمع لو كانوا يرون رأيي وبزهدون زهدى لوقفت الأعمال كلها، ولما وجد العالم بدياً من أن يخرب! كنت أنظر إلى من يهتمون بالحياة ومن فيها، ومن يهملون لها ويجهلون ويخالفون من أثباتها بعين أقل ما فيها الاحتقار والاستصغار! وكنت لا أبالي بأحد مهما كان عظيماً ومهما كان قادراً على النفع والضرر. وما كنت أفكر في أن أجد فرصة للقاءه أو الاقرب منه أو للاتصال به؛ وكنت لا أخالق إنساناً رغبة فيا يتخالف الآخرون من أجله. وكان شعارى في تلك الفترة قول ذلك المذمور

المخدوع مثلي:

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك رضى والآلام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
فلم كنت أعتقد أن الكل هين، وأن جميع ما فوق التراب وما في العالم من جمال وطيبات وحاجيات، ومن أقوام وأمم وشعوب، تراب! وكنت لأبالي أن يحلو لي شيء من ذلك أو يمر، ولا أن رضى أو يغضب، ولا أن يعمر أو يخرب، كما يقول هذا الشاعر المسكين. وكنت أرى أني ابذلك أرضي الله، وأنى إذا أرضيته فلن يشيرني شيء... وكانت الدنيا كلها تدور من حولي من غير أن أدور معها أو أحس دوراتها! وكان يخيل لي وإلى غروري الديني الأعمى أنه لا قوة كقوتي؛ لأن الله معي واهب القوي! « التمتع من عند صاحب الأغلال » فليقو العالم كما يشاء، وليجمع من لأسباب ما طاب له، وليحاول من أجل نفسه ما يحاول، فإن ذلك كله لا قيمة له ولا خطر بالنسبة إلى قوة من استقوى بطاعة الله، ومن ترك الأسباب جملة مستمسكاً بأسباب الله وحدها. وكأني يبدو لي أنه بقدر إيمان الإنسان بذلك، وبقدر كراهته العالم والوجود والدنيا والانسانية كلها، وبقدر استصغارها واحتقارها إيها وكفره بها ومغاضبتها وبجوابتها - بل سبها ولعنما - يكون قربه من الله ورضاه عنه ودلاله عليه. وكانت هذه الاعتقادات أو الخيالات تهبط في وتعلو، وتبطل في وجودها خاصياً، وعالمها خاصاً ودنيا خاصة، تدور من أجل واحد وتوجد من أجل واحد.

أيضاً - واحد أرضى الله ووهب له كل معانيه فذهب الله له على حسب مايقطن، بكل مايريد ولو كان في جملة مايريد إعزاز الأمم وإذلالها،

•••

هذا ملك كان هذا الرجل فيه من غير شك، دونه ملك الثراء والقوة والجاه. ان هذه العزة النفسية التي تملأ جوانب كل متدين متوكل على الله حتى توكله، وتغلب نفس من يكون مع الله بالقلب والنفس والروح والبدن، هي أقوى ثمرة الملك المادى في الدنيا، ثم لا يتألفا كثير من أهل المال والسلطان، ومع ذلك فقد استبدل بها ذلك الرجل طامعاً غتاراً حالاً الله أعلم بها وبه فيها، فما اغتنه نال من القوة والمال كثيراً، وسيدأب وينصب في سبيلها من غير ان يتألم ما يصبو اليه منهما كل من يرى المادية هي كل شيء. وأن ليس بعد الدنيا شيء، وسيجد نفسه مضطراً إلى التزول على حكم الدنيا وأهلها وأسبابها التي يرى أنها طبيعية حتمية لا مفر منها. فيبذل في سبيل التناجح والمال من ماء وجهه ما كان يصونه حين كان فقيراً مع الله، ولم يكن الرجل فيما بلغنا مع الفقراء حقاً إلا بالنسبة إلى ما يطعم اليه ويطلع فيه الآن، فقد كان له راتب من الحكومة السعودية لعله كان أديبين جنبها في الشهر، ولعله لا يزال يأخذه إلى الآن من غير أن يرضى عن الحياة ويستشعر من القوة والعزة فيها ما كان بماؤه حين كان مع الله بالصورة التي وصف

وانك لتجد مفتاح ضلال هذا الرجل فيما قصص علينا من أمر حياته الدينية قبل أن يفتتن عن الدين. لقد أراد أن يسلك سبيلاً من الزهد في الدنيا ليس هو من رجاله، فتشدد على نفسه وعصى الله ورسوله بتشده،

فقد نعى الرسول ﷺ عن التشدد والتنعط في الدين في أكثر من حديث كريم قال: «لن يشاة هذا الدين أحد إلا غلبه» وقال «ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ان الملبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وقال «ممن رغب عن سنتي فليس مني» في حديث مشهور نعى فيه رجالاً من حرمان انفسهم مما احل الله لهم من الطيبات، ولما بلغه تشدد عبده الله بن عمرو في الصيام والقيام نهاه وقال له «لا صام من صام الا بده» وكذلك امر الله سبحانه في مواطن كثيرة من كتابه بالأخذ من الطيبات التي احل لعباده (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين. قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال سبحانه (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً افى بما تعملون عليهم) وقال سبحانه (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية. جنتان هن بين وشمال؛ كلوا من رزق ربكم واشكروا له: بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم)

فصاحب الأغلال لم يطع الرسول فيما أمر من القصد، وأوغل في الدين بغير رفق بنحس الرجل والراحلة واقطعه الطريق.

حرم على نفسه الطيبات، وبالغ في حرمان نفسه رجاء الدرجات العلى عند الله؛ وما كان عليه في ذلك من بأس لو أنه كان من رجاله، لكنه لم يكن هنالك

وكانه لما عجز عما يكلف به نفسه مما لم يكلفه الله، وبرم بالزهد ومطالبه، صادف أن قرأ بعض ما نقل إلى العربية من مذاهب الملل والنحل

في الحياة، وبعض النظريات القديمة في النشوء، وبعض محاولات من يحاولون تميم نظرية نشوء الأحياء على النفس والعقل والروح والدين، فلا يرون هناك إلا المادة، ويرون الدين نتيجة طبيعية لتطور الإنسان، لا بشرية إلهية من عند الله بالمعنى المعروف في الأديان. صادف للمسكين هذا قفراً ولم يهضم، وغره نسبة تلك الآراء إلى العلم فأزلهما كلها من الثبوت منزلة واحدة، وقبلها كلها من غير تمييز ولا مقدرة على التمييز. ولقد كان ينده وسيلة التمييز لو أراد ولم يكنسه سيل الشك الذي فتح على نفسه، كان يده القرآن الذي كان يوقن عندئذ أنه من عند الله، وأنه كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله؛ فكان يستطيع أن يعرض ماقرأ على ما يصدق من كلام الله، فلم يمكن التوفيق بينه وبين كلام الله ينده من غير تردد لو كان يقينه وإيمانه إذ ذاك قائماً على أساس من البرهان، إذ ليس بما يجوز في عقل تكذيب كلام الله عندما يؤمن به؛ وتصدق نظريات الناس، لكن تدينه فيما يبدو كان أساسه التقليد رغم أنه كان فيه من للتشددين الحس. فأخذت الشكوك تنوشه، وصر للمسكين في قترات من المذاب النفسى يستطيع أن يتصوره الإنسان، حتى استقر أمره تدريجياً على ما استقر عليه ولو لينجو من ذلك المذاب ولو أنه أطلع الله فلم يقف ما ليس له به علم من تلك الآراء والفروض النسوبة إلى العلم والتي يعلم أنها ليست من الحقائق ولا من سنن الفطرة ولكنها تفسيرات لوقائع يقول بها العلم اليوم ويميزون عليها أن تنبأ غداً، لو أنه اهتمى بهدى الله في هذا لنجا من الشك وآثاره، لكنه في اللحظة

التي استيقن فيها ما يجز العلم بطلانه من النظريات أصبح مستحيلاً عليه التوفيق بين كل تلك النظريات المتضاربة حتى فيما بينها - وبين يقينيات الدين، إذ من المستحيل التوفيق بين الحق والباطل مهما اجتهد الإنسان. وقد سلم صاحب الأغلال فيما بينه وبين نفسه بباطل تلك النظريات، فلم يبق أمامه إلا التخلي عما كان يعرف أنه الحق من الدين، لأن تدينه كان قائماً على التقليد لا على البرهان

وقضى الأمر، وصدق إبليس ظنه على عبد الله بن علي القصبي قائمه. ومن المستحيل أن يتقاب متطرف في الدين متطرفاً ضده مرة واحدة؛ كما يستحيل أن ينتقل البندول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار دفعة واحدة؛ لابد من التدرج ولابد من الاستدراج. ويستطيع الإنسان أن يتصور استدراج الشيطان لهذا المسكين قبل وبعد إيمانه بما يناقض القرآن. يستطيع أن يتصور كيف زين إليه أن يقبل من أحاديث الرسول وينبذ، لا يطبق أصول علم الحديث ولكن وفق الهوى. ينبذ ما صحح علماء الحديث إذا ناقض الحديث هواء، وقد يقبل ما رفضوا إذا وافقه. وتستجد أمثلة من ذلك في الكتاب الذي بين يديك نبه إليها مؤلفه للفضال تنبيه محدث خبير، وبين كيف أن صاحب الأغلال ينبذ من الأحاديث ويقبل، وطريق ما نبذ هو عين طريق ما قبل. وليس لذلك من تعليل إلا ما ذكرت لك، ولو كان يصدر في ذلك عن عقل لنبذ الجميع أو لقبيل الجميع ما دام الكل قد اتحد في الاستناد. وأكبر الظن أن صاحب الأغلال قد صار إلى الحال التي لا يقبل فيها من الحديث شيئاً ولكنه محتج

بما يظن أن فيه حجة له عند المؤمنين بالحديث

مزين لصاحب الأغلال التحلل من الحديث أول الأمر فيما نظن؛ والافتقار على القرآن رغم تحذير الرسول أمثاله في قوله ﷺ «لَا تَقْرَأُوا أَحَدَكُمْ مَتَكُنًا عَلَى أَرِيكته يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي» بما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري؛ ما وجدنا في كتاب الله اتيناه^١ وكما كان الأخذ في الحديث بالهوى سبيلا إلى نيل الحديث، كان كلاهما سبيلا إلى القول في القرآن بالرأى وبغير علم رغم تحذير الرسول أمثاله في قوله ﷺ «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^٢

وهذا الرجل يقول في القرآن بغير علم بل وبغير عقل، لأن أقل ما ينبغي على المتعرض للقرآن بعد التزام أصول اللغة أن يراعي سائر القرآن فلا يتناقض بعض آية ببعض؛ أي لا يفهم بعض آياته على وجه متناقض لبعض آياته الأخرى. لكن صاحب الأغلال لا يراعي اللغة ولا يراعي امتناع التناقض في القرآن. فالله سبحانه يقول (قل لئن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وصاحب الأغلال يقول «نعم لنعلم أنه لا خير يمكن أن يصيبنا إلا ما تقدمه لنا أنفسنا وأيدينا وأعمالنا، تدفعنا أنابتنا الخالصة الخاصة إليه». هو لم يذكر الآية ولكن نص عبارته يدل بوضوح أن في ذهنه وهو يكتب كأنما هو يريد أن

(١) رواه الشافعي في رسالته ص ٨٩ تحقيق القاضي أحمد شاكر

(٢) رواه الإمام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير من مطبوعات دار الأمل طبعة بدستور وتحقيق الشيخ جميل افندي الشطلي مفتي الجنبالة فيها

يورد نقيض الآية في توفيق واجراء

وينكر على الناس فهمهم للقضاء والقدر، وزعم أن القضاء معناه الفراغ والانتباه، لا معنى له في القرآن غيره، وأن القدر يحملته وجلة استعماله في القرآن وفي الشعر أيضا «يراد به التقدير أي جعل الشيء. ذا مقادير معلومة، أي يراد به جعل الشيء منظما في كنهه وكيفه..» وكل الآيات التي جاء بها تفيد هذا ولكنها تفيد أيضا التقدير من ناحية الزمن مقدارا وتحدد أجل، ولو قال هذا لما كان بينه وبين المسلمين خلاف، لكنه يرى أن اعتقاد المسلمين في القضاء والقدر من أقوى أسباب تأخرهم فأراد أن يصرفهم عما اعتقدوا بتأويله آيات القرآن لهم تأويلا يتناقض مع آيات أخرى في القرآن كآية التي أشرنا إليها آنفا، ونعمد من غير ذكر لها أن يتناقضها بقوله «لا خير يمكن أن يصيبنا إلا ما تقدمه لنا أنفسنا» الخ وكآية الكريمة التي احتج عليه بها الاستاذ الناقد في رده: آية سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير) وصاحب الأغلال لا يمكن إلا أن يكون حفظ الآيتين فيما حفظ من القرآن أيام زهده وتبته، فهو يكتسبها عمداً لأنه لا يجد لها تأويلا لا يتناقض مذهبه الذي يدعو إليه، ولا مذهب

إليه في فهم آيات أخرى مثل بعض الآيات التي نزلت في غزوة أحد.. وبلتحق بهذا الباب تجاهل الرجل الآيات القرآنية التي يعلم أنها تنقض مذهبه في مسألة الأسباب وخضوعها لمسببها سبحانه، ومسألة الطاعة والمعصية وأثرهما في هذه الحياة

الطاعة والمصيبة : فمتد ان طاعة الله ومصيبته لا أثر لها مطلقا في نتائج السعي والكسح لهذه الحياة . إن كان لها أثر فأثرهما سيكون في الآخرة ، أما في هذه الدنيا فالقفل كله للأسباب المادية والقوانين الطبيعية المسيطرة على الحياة ، والتي يستوى أمامها المؤمن والكافر والطائع والناصي . بل هو يتجاوز هذا ويؤمن أن الله جل جلاله لا يكون عادلا إن هو فضّل في الدنيا من يطعمه على من يمضيه إذا ما استويا في العمل ، فكيف إذا بز المامى المؤمن في الكسح والمجاهد ؟

وليس مهما أن يعتقد صاحب الأغلال هذا أو ماهر شر من هذا ، فهو حر في ذات نفسه إن شاء آمن وإن شاء كفر . لكنه يؤمن للمسلمين أن من أسباب تأخرهم وتفوق الأجنبي عليهم اعتقادهم ان طاعة الله تقدم ، وأن مصيبته تؤخر في هذه الدنيا ، وأن اعتقادهم هذا يخالف القرآن . والقرآن الكريم ينقض زعمه هذا ، وهو يعلمه . يعلم أن الله قص علينا في كتابه خبر الأمم الماضية الذين أهلكتهم الله لما كفروا به وعصوا رسله ؛ في سورة يونس وهود والشعراء وغيرها من سور القرآن الكريم : أهلكتهم بنفس العوامل التي يقول هذا الرجل إنها طبيعية . سنة لا تخضع لسلطان ولا تتأثر بطاعة ولا بمعصية . بالخسف والرجم والأعاصير والبلي والطوفان . وأهلكهم بغير هذه العوامل الطبيعية كالصيحة والطير الأبايل ، فكيف أمكن لهذا الرجل أن يتجاهل تلك السور وأمثالها ويهكم بمن يسترشد بها ويقس عليها ، إن كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما يقول في آخر الكتاب ؟ وإن كان لا يؤمن . يكتب الله ولا

بالقرآن فكيف أطمعه شيطانه الغرور - حين زعم للمسلمين ما زعم - أنهم سيصدقونه ويكذبون القرآن ؟

ومن عجب أن يحتج صاحب الأغلال لرأيه السخيف بآيات في القرآن لم ترد إلا لتؤكد أن الكفر والمعصية يهلكان وأن الإيمان والطاعة ينجان . احتج لاطراد ما سماه الأسباب الطبيعية بقوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وأبى عناده وأبى خيائته للبحث وروح الحق أن ينظر في مساق هذه الآيات في القرآن . ولو كان مخلصا يريد الحق لرجع إلى مواضع ثلاث الآيات الكريمة ولعرف أنها كلها سيقت لا لتقرير اطراد السنن التي يسميها طبيعية ولكن لتؤكد أن هلاك الأمم بالكفر والمعصية سنة اجبارية لله ليس لها تبديل ولا تحويل . في سورة فاطر (ولا يحقق المكر السيء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء . في السموات ولأف الأرض إنه كان عابا قديرا)

وفي سورة الفتح (وأخرى لم تعدوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا . ولو قاتلكم الذين كفروا لوكروا الأديار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وفي سورة الأحزاب (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما نفوا أخفوا وقُتلوا قتيلا . سنة الله في الذين خلوا من

قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

إن الله قد علم أن من السهل أن يؤمن الناس كما آمن صاحب الأغلال بأن الظواهر الطبيعية تجري على سنن ليس لها تغيير ولا تبديل؛ لكن من الصعب أن يؤمن الناس أن الله في الاجتماعيات سنناً لا تتغير أيضاً ولا تتبدل، منها هلاك الناس بالكفر والمعصية، ونجاتهم بالإيمان والطاعة. فافتضت حكيمته ورحمته سبحانه أن يلفت الناس إلى هذه السنن المتعلقة بهم مصيرهم في الدنيا قبل الآخرة، وأن يجعل توكيده عدم تخلف سننه مُنصباً على الاجتماعي منها لا على ما يسميه الناس بالطبيعي عالمهم يؤمنون ويعملون بمقتضى إيمانهم قبل أن يمسه من الله عذاب لا ينفعهم معه إيمان

وكان أن تلك سنة الله في الأمم فكذلك هي سننه في القرى وفي الأفراد وآيات القرآن في هذا الباب كثيرة لتحذير الناس من عاقبة الكفر والظلمين مثل (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها برقصون. لاتركضوا وأرجعوا إلى ما أترفم فيه ومساکنكم لعلكم تسئلون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فإزالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) سورة الانبياء

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه، وجعلناهم سمماً وأبصاراً وأفئدة فآغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء. إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون. ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون. فلولا نصرهم الذين اتخذوا من

دون الله قرباناً آلهة، بل ضلوا عنهم. وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) سورة الأحقاف.

وصاحب الأغلال يدعو المسلمين إلى عبادة القوة والمال والانقطاع لها؛ وطلب العلم من أجلها لا من أجل الدين. حتى يكونوا في القوة أئداد الغرب وفي المال أئداد اليهود، متجاهلين كل هذه الآيات وأمثالها رغم علمه بها وتدريبه لها أيام كان يقطع الليل تسبيحاً وقرأناً.

والأفراد شأهم في الطاعة والمعصية وأثرها شأن الجماعات، يعلم ذلك أيضاً صاحب الأغلال، لأنه قرأ خبر قارون في سورة القصص، وكيف أنكر أن يكون لله عليه نعمة، معللاً قوته وغناه بما يمل به صاحب الأغلال اليوم قوة القوى، وغنى الغنى (قال إنما أوتيته على علم عندى؛ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جماعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) (نفسفنا به وبداره الأرض) فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) قرأ صاحب الأغلال هذا من غير شك كإفراء نتيجة الحوار بين السافر والمؤمن الذين ضربها الله مثلاً للناس في سورة الكهف (وأحيط بشمره فأصبح مُقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً. ولم تصكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً)

قرأ هذه الامثلة الخاصة كما قرأ النسل العام في قول الله سبحانه من سورة الزمر (وإذا مس الإنسان ضر دعائنا، ثم إذا خولناهُ نعمة منا قال إنما أوتيته على علم؛ بل هي فتنة؛ ولكن أكثرهم لا يعلمون، قد قالها الذين

- ط -

من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فأصابهم سيئات ما كتبوا ؛
والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كتبوا وما هم بمعجزين .
أولم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون)

ولو شئنا لصاغنا لصاحب الأغلال الآيات على تذكر ويرجع إن
كان يؤمن بالقرآن حقا كما يقول ، أما إذا ركب رأسه واتبع هواه وحاول
تخريفها كما حرف غيرها من الآي ليثبت أن الله سبحانه لا يتدخل في
الأسباب ، ولا يكشف الضر بالدعاء ، ولا يسط الرزق أو يقدره كما يشاء ؛
ولا يسلب النعمة من أحد ينسبها إلى علمه هو لا إلى الله ، كما ينسب صاحب
الأغلال مال ذوى المال وقوة ذوى القوة ، وكما يريد من الناس أن ينسبوا -
أما إذا فعل ذلك فإنه يكون قد حقت عليه كلمة الله التي قررها في قوله سبحانه
(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)

مسألة الأسباب

إن مسألة الطاعة والمعصية وأثرهما في حياة الإنسان فرع من مسألة
عامة هي مسألة الأسباب ، وكان من الممكن أن يخرج صاحب الأغلال من
ما ذكره الشك الذي لا بد أن يكون وقع فيه في تطوره الاعتقادي ، بتوفيق
مبدئي بين اعتقاده الديني القديم واعتقاده الطبيعي الجديد لو أنه اعتبر طاعة
الله سبباً من الأسباب الفعالة في هذه الحياة - وهذا طبعاً قبل أن يتطرق
في تفسير التطور ويعتبر الروح نتيجة لتطور المادة والطاقة ، ومظهراً من

- غ -

مظاهرهما ، أي في الوقت الذي كان يعتبر فيه الروح أم وكفى إنسانية
الإنسان وإن المادة لا اختيار لها . في ذلك الوقت حين عرضت له مسألة
الأسباب الطبيعية وعدم تخلفها كان يستطيع أن ينزل الروح منزلة للمادة
في وجوب طاعتها لله ، لأنه يقر بأن المادة لا يحبس لها من اتباع السنن
التي سنّها الله لها ولا هلك . كذلك الروح لا يحبس لها من اتباع
السنن التي سنّها الله لها ولا هلك . ولا بد أن تختلف سنن الروح عن
سنن المادة بقدر الاختلاف بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، وبقدر امتياز
الروح على المادة بأن لها اختياراً وعقلاً ، وأن المادة لا اختيار ولا عقل لها .
وسنن الله التي سنّها الروح تمثل في الدين الذي أنزله الله لهداية الإنسان .
فلم يكن للإنسان بد من أن يعطي الدين طاعة لله وإلا هلكت روحه كما
يهلك النجم والشجر لو لم يعلم الله ، غير أن الهالكين لا بد أن يتنزهوا ويختلفوا
 باختلاف طبيعتهم وسراعة لامل الاختيار العقلي في الروح . لذلك كانت
المادة وما إليها يعمل لها وله جزاء المعصية رأى العين في الدنيا ، أما الروح
فالحكمة في منحها الاختيار تقتضي تأجيل الجزاء تأجيلاً قليلاً أو كثيراً
حسباً تقتضيه حكمة الله ورحمته ، وإلا فأى فرصة تكون هناك للإنسان
لوعمل له الثواب أو عجل له الثواب ؟ إذاً لا جبر على الإيمان إجباراً لأنه
يرى الكفر والمعصية تنبعها العقوبة فوراً ، ويرى الإيمان والطاعة يتبعها
الثواب ، وإذا تعطلت الحكمة في منح الروح الاختيار . وهذا الفرق
بين الجزاءين من ناحية التعجيل والتأجيل هو سبب خفاء الأثر المادي
للطاعة والمعصية الروحيين وإن كانت أثراً حقيقياً كأثرهما في عالم المادة

- ث -

من غير تقرير

فطاعة الله هي إذن السنة العامة في ملكوت الله في عالمي المادة والروح ، لا بد منها للنجاة والسعادة وإلا كان الهلاك الحتمي الذي ليس منه فكاك . وعالمنا المادة والروح تتساند قوانين الله فيها ولا تتناقض؛ أي لا بد للإنسان من طاعة الله سبحانه فيها جميعاً قبل أن تتحقق سعادة الإنسان كاملة . ومن هنا جاء تعطل النجاح المادي لبعض المؤمنين الذين هم أكثر طاعة في عالم الروح منهم في عالم المادة ، وتكثر نجاح بعض الكافرين والعاصين الذين هم أكثر طاعة في المادة منهم في عالم الروح . وطبعاً هناك درجات كثيرة لا تخص من الطاعة والمصيبة في كل من الملمين وفيا بينهما وفي نتائج ذلك كله . فن الخطأ الكبير التعميم مما يبدو للإنسان على سطح الحياة أو في باطنها لأن الإنسان لا يمكن أن يرى إلا جزءاً صغيراً جداً مما يجري ، كما أنه لا يفهم إلا جزءاً مما يرى . ولو فهم كل ما يرى لما أمكن أن يفهمه حق الفهم ؛ لأن ما يراه جزء من كل خاضع لله تجري فيه سنته ويجري عليه إرادته .

وصاحب الاغلال ومن لف لفه يؤتون من ناحية العجز عن التوفيق بين سنن الله التي يرون أنها يجب أن تكون صارمة ، وبين إرادته التي يرون أنها تستتبع التنفص من الصرامة ، والتدخل في السنن بالتغيير والتبديل . وهم حين يرون هذا يقومون في نفس الغلظة التي يرمون بها خصومهم ؛ غلظة قياس الله سبحانه على الإنسان . هم يرمون المؤمنين بالله بأنهم يقيسون الله على أنفسهم فينسبون إليه من الصفات ما يجدونه في أنفسهم وفي عالمهم

- خ -

ويقومون هم في نفس العيب الذي يميون به المؤمنين بقياسهم لإرادة الله على إرادة الناس ، ويخلفون لأنفسهم الصعاب والمشاكل الروحية والنفسية والعقلية بتوهمهم أن إثابة الطائع ومعاقبة العاصي في هذه الحياة وبسببها تستلزم المحابة واتباع الهوى بالمعنى الذي عرفوه في أنفسهم وفي الناس . أذن المستحيل أن يعاقب الله ويثيب كما يشاء طبق العدل وطبق الحكمة ؛ وإذا لم يكن ذلك مستحيلاً فقد انحل الاشكال لو كانوا يفقهون .

الواقع أن العيب الذي يرمى به المؤمنون من هذه الناحية هو عيب خصوصهم وحدهم لا عيب المؤمنين . إن المؤمنين يصفون الله سبحانه بما وصف به نفسه في كتبه ، في القرآن والإنجيل والتوراة . ولولم يصف سبحانه نفسه بصفات الكمال لوجب أن يصفه بها العقل . عند من يسلم طبعاً بوجود الله . إن من غير الممكن ولا الجائز في العقل أن يكون المخلوق مريداً مختاراً أو يكون خالقه مجرداً عن الإرادة والاختيار . ومثل الإرادة والاختيار بقية صفات الكمال . فالغلظة ليست في أسناد الصفات لله ، ولكن في تصورها . والفصل بين الحق والباطل في ذلك هو تحقيق الكمال المطلق اللائق بذات الله سبحانه .

وتقييد الله سبحانه بالقوانين الطبيعية بالمعنى الذي فهمه ويفهمه أمثال صاحب الاغلال هو في حقيقته ونتيجته تجريد لله سبحانه من الإرادة والاختيار . إنه تقييد لا يمكن أن يصح كون الإلغى الرمز قياساً على فهمهم المدل في تطبيق قوانين الإنسان في حكوماته ، تلك القوانين التي يجب أن تطبق على جميع رعايا الأمة الواحدة ذات الحكومة الواحدة من غير محاباة

ومن هنا القياس الآخر الذي قاس به صاحب الأغلال حكومة الله على حكومة الناس حتى قال في كتابه : « وإن حكومة يامل شعبها هذه المعاملة فلا تسوى بينهم على مقتضى الأسباب والأعمال ، بل تفرق بينهم وتفرق بين نتائج أعمالهم وأعمالهم لأنها تفرق بينهم في الحب والبغض ، لأن منهم الموافقين ومنهم المخالفين على حسب الأحزاب والمبادئ ، والأشياء الأخرى - أن حكومة تفعل ذلك معدودة من ثمر الحكومات وهي حكومة لا يصح الانتكال عليها ولا الاعتماد على حكمها ولا الإيمان بحكمتها ، فكيف يسوغ للمافل أن يصف الله بهذه الصفة ؟ »

إن صاحب هذا الكلام يرى المتدينين أو المسادين بداهة وينسبهم بمرمهم بأنهم يقيسون الله على قدر أنفسهم ويقيس هو حكومة الله على حكومة الناس - أهواء وأحزاب وشيخ إلى آخر ما هنالك . ثم هو مع ذلك لا يحسن القياس . فالقياس ينبغي أن يكون أساسه الطاعة - طاعة القوانين - والجهد والإخلاص في العمل . فإذا كانت القوانين واجب احترام الحاكم وتماثل من يطلق اللسان فيه كان من الواجب معاقبة من يخالفها في ذلك من غير تفرق . وإذا كانت القوانين تقرر عقوبات على مخالفتها في كل حكومة راشدة كان من الظلم ومن الفوضى أن يسوى بين الطالع والعاصي في المعاملة فلا يعاقب العاصي ولا يقدر المطيع . فلو كان صاحب الأغلال يعقل ما قاس حكومة الله على حكومة البشر ، أو على الأقل لأحسن القياس

إن قوانين الله في ملكونه يجب أن تطاع . وأهم هذه القوانين هي

حب الله وتوحيده وإتياع أوامر الله واجتناب نواهيه - هي عبادته كما ينبغي أن يعبد فيها بين الإنسان وربه ، وفيها بينه وبين الناس .

هذا هو القانون العام . أما التفصيل فيجده الإنسان في الدين الذي أنزل الله به في الفطرة التي أمر الله الإنسان أن يلتزم أسرارها ففيها باجتماع متماثلين لكن شتان ثم شتان بينهما فاللادة مادة والروح روح ؛ والتسوية بينهما كالتسوية بين المعصية والطاعة : خرق وظلم ويديوان هما مصدران للحق ليس لهما ثالث ولا يمكن أن يكون : دين الله والفطرة . والاسلام هو دين الفطرة ، بل هو بالنسبة للإنسان فطرة الله نفسها كما وصفه الله في كتابه ، وهو وصف لا يمكن أن يكون جاء عن خيال إنسان : (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ودين الله المتمثل في القرآن أم وأوسع من العلوم الطبيعية كما نعرفها ، لأنها جزء منه شتلتها بعض آياته إجمالاً وتركبت تفاصيلها لطلبها الإنسان بأمر الله . فمن العجب أن يتصور متصور أن يقع بين الاسلام وبين الحق بين العلم - طبيعي أو غير طبيعي - تناقض . ومن الخذلان - ونهوذ بالله من الخذلان - أن يتكلف مسلم ما ليس له به علم ، فإذا عرض له فيها تكليف ما لا يتفق مع الاسلام ، لم ما تكليف وشك في الاسلام !

إن استباحة الشك في كل شيء بدية أميب بها شباب هذا الزمان يطغونها جربة فكر وانطلاقاً من الإغلال . وقد أصيب صاحب الإغلال بهذه الإفة فيكون نتيجة كتابه وإن لم أجده أشار إليها فيه إلا بقوله .

ولا يمكن أن تبلغ أمة من الأمم مبلغاً من الحضارة ما لم تشك وبالم تفهم . فالتشك والتهم شرطان ضروريان في تحصيل الحضارة والعلم والتقدم والذي لا يعرف أن يشك لا يعرف أن يفهم ، وصاحب الكتاب لا يعرف أن يشك لأنه لا يعرف شروط التشك السليم ، وشروط التشك العلمي المبني على أساس من التفكير العلمي . أما التشك للشك طلباً لحرية فكرية مزعومة وتحلل حتى من قيود التفكير ، فغير منه سهولة التصديق .

إن التصديق بالباطل كالشك في الحق ، كلاهما بالغ الضرر بالإنسان . فالتفكير الذي يقبل شيئاً من الباطل على أنه حق يفسد على نفسه كثيراً من الحق الذي لديه ، لأن كل تفكير يدخل في قياساته ذلك الباطل القليل فيؤدى حتماً إلى نتيجة باطلة تعتبر هي أيضاً عند المفكر حقاً من الحق ، فتضلل له باطلاً آخر بالتزاوج مع الحق أو الباطل الذي عنده . وهكذا مذهب الباطل . والتشك في الحق يفقد المفكر قوة هائلة كانت لديه ، بانتقاص جزئيات الحق عنده فلا يستطيع في التفكير تحليلاً ، كالتأثر الذي تنف من جناحيه الريش . لكن ضرر التشك في الحق لا يقف عند هذا ، لأنه يستتبع حتماً الاعتقاد في باطل أدى إلى ذلك التشك ، أو باطل هو ضد الحق الملقى شك فيه .

فضرر التشك في الحق مزدوج : لأنه يعطل الحق فلا يتفهم به في تفكير . ويكثر سواد الباطل عند التشك فيفسد عليه التفكير . والمساوئ إلى التصديق يشترك والشك في عاقبة تكثير سواد الباطل ، لكنه يعطل على أي حال مستقفاً بالحق الذي لديه ، والذي لم يفنده التشك عليه .

وأشوأ أنواع التشك هو التشك الديني ، خصوصاً في المسلمات التي أجمعت عليها كل الانسانية في جميع الأديان مثل وجود الله سبحانه وبهته الرسل ، وبعث الانبياء بعد الموت . وأهل الشاكين في الدين عذراً مسلم نشأ على الاسلام وقرأ القرآن ولو ببعض فهم ، لأن الاسلام أكثر الأديان احتشاً للعلم وأوثقها اتصالاً به ، وأشدّها احتراماً للعقل واعتقاداً عليه . فلو أن المسلم حين تعرض له الشبهات يتسك بمجمل الاسلام كما يتسك الفريق بمجمل النجاة ، ويتطلب من الشبهات مغزياً ، اذن لوجد المخرج من غير أن يخالف العقل أو اليقيني الثابت من العلم . لكن القيرط الضروري لهذا ألا يقبل مطلقاً شيئاً غير يقيني الثبوت حتى ولو قال بذلك الشيء . فريق كبير من العلماء ، فإن وجود فريق من العلماء وإن قل لا يقول به ، دليل كاف على احتمال بطلانه . وقد يكون في ذاته باطلاً فلا يتفق مع الثابت من الدين فيفضل المسلم به كما فعل صاحب الاغلال .

وصاحب الاغلال لا يقتصر على قبول كل ما وصل إلى سمعه من أكثر الآراء العلمية نظراً ولكن يزيد عليه ويتوسع فيه ما يستطيع . فهو مثلاً يقبل نظريات التطور بمخايفها من غير أي تده لها فيما يبدو وإلا - وهو يتأول صريح القرآن بما لا يتفق مع صريح اللغة ولا مع سائر القرآن - لوجب أن يشك في نظريات تطور الانسان لأنها أولى بالتشك لانها لا تعتمد في الغالب إلا على بعض أجزاء هيكل الانسان - جمجمة هنا ، أو بقايا هيكل هناك . وأحياناً لا تعتمد إلا على سن واحدة يبنى العلماء عليها بقية الهيكل - فهل من أجل هذا يستبيح مسلم أن

يشك في القرآن إذا أعززه التوفيق بين آياته ونظريات التطور في خلق الانسان ؟ على أن التوفيق بين مبدأ التطور العلم وبين القرآن سهل ميسر . وعلى أي حال فالتطور جملة أدل على فضل الله سبحانه لا كما يتصوره الطبيعيون .

ويجاوز صاحب الاغلال تطور الاحياء إلى الجناد فيقول بتطوره ولم يقل به أحد ، ويذهب في ذلك إلى أبعد الحدود ، فيحاول أن يفسر البعث بالتطور بعد أن يؤكد اطراد الترقى التطوري ، واستمرار التطور من غير انقطاع ولا انكسار ، مع أن هذه نقطة كثير فيها الخلاف بين التطوريين . وقد يستقيم له تخيل سموات غير السماوات وأرض غير الأرض عن طريق التطور كما حاول في تفسير (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) لكن التطور المطرد الترقى حتى في الجناد ان استفهام مع هذه الآية فلا يستقيم مع آيات نصف الجبال وانفطار السماء وانتثار الكواكب . وحتى لو استفهام مع هذه فلا يمكن أن يستقيم مع بعث الأموات فرداً فرداً معاً اتسع خيال القائل بالتطور الآلى الناشئ عن طبيعة المادة وطبيعة الوجود الذي يقول به صاحب الكتاب

صاحب الاغلال والامانة العلمية :

ومعها يمكن تاريخ التطور الاعترافى لصاحب الاغلال فقد تطور فعلاً إلى ما تطور اليه مما يشتمل في كتابه ويتبدى من خلال الرد عليه . لكن بقيت نقطة لها أهميتها يبنى التساؤل عنها ، إذ على نتيجة بحثها يتوقف الشيء الكثير من الحكم على بواعث صاحب الاغلال .

هل كان صاحب الاغلال مخلصاً فيما يدعى من طلبه الحقيقة بما كتب ؟ إن الانسان قد يؤتى من ناحية الخطأ في التفكير أو من ناحية قلة العلم بل قد يبالغ في الشك من غير مبرر فلا يلحقه من ذلك عار ، لأن اخلاصه في طلب الحق يشفع له . فلنتظر أين صاحب الاغلال من الاخلاص إن أول مانلقى من دلائل عدم اخلاصه في طلب الحق تجاهه الكثير من آيات القرآن المضادة لمذهبه . إن الرجل جابه المسلمين بشيء كثير فلا يمكن تحليل تجاهله تلك الآيات بالخوف من طاقية بحبها وحرص مذهبها عليها أو تفسيرها تفسيراً يوافق مذهب الذي ساقه في الكتاب . وقد كان يستطيع إذا عجز عن التوفيق أن يمرض الأمر من طرفه في كتابه مبنياً موقف القرآن الكريم والحجج التي تشهد للرأى الذي لم يستطع التوفيق بينه وبين القرآن ، ثم يطلب إلى أهل العلم والرأى حلاً للمشكلة التي وقع فيه . هذا إذا كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما ذكر في آخر صفحة من الكتاب .

لقد أنكر أن يكون لله سبحانه سلطان على العوامل الطبيعية من نحو تسخيرها لقوم إذا أطلعوه أو إرسالها على قوم إذا عصوه . وقد رد عليه مؤلف هذا النقد الجليل بالآيات القرآنية للقررة لمعجزات الرسل ، وذكرت هذه المقدمة غير ذلك من الآيات القرآنية في اهلاك الأمم التي أمرت على عصيان الرسل ؛ وكلا الفريقين من الآيات أغفلها صاحب الاغلال لكن هناك آيات أخرى تتصل بحياة البشر ولها نفس دلالة الصنفين السابقين فن آيات التصريف قوله سبحانه في سورة الاسراء : (ربكم الذي

يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا . وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا : أفأنتم أن يحنف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلًا ؟ . أم أمنتكم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فبرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها ؟)

ومن آيات المن و اظهار القدرة : قوله سبحانه من سورة النور : (ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار)

ومن سورة الروم (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين . الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبشرين . فانظر إلى آثار رحمة الله .) الآيات

فهذه آيات نص في موضوعين على الأقل من المواضع التي خالف فيها صاحب الاغلال اجماع المسلمين ، وهو طبعاً يعرفها وكان عليه أن يعرض عليها مذهبه الذي ذهب إليه إن كان لا يزال يؤمن بالقرآن لكن لا يزال هناك احتمال بعيد ضعيف أن صاحب الكتاب لم يكن

يعرف هذه الآيات وأمثالها ومواضعها من القرآن . فهناك آيتين لا يمكن أن يتطرق اليهما مثل هذا الاحتمال ، لأنه استشهد باحدهما وأختها تنقض مرناه الذي استشهد عليه، وهما آيتا الأحزاب خطاباً منه سبحانه لزوجات الرسول (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقرب الصدقات لآتين الزكاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً) . فقد فسر (واذكرن) بمعنى علمن الرجال والنساء ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ولم يتعرض لقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) بصرف النظر عما في معناه الذي ذهب اليه في (واذكرن) من غرابة وتكلف وبعد .

وهناك شاهدا آخر أظهر من هذا . فقد زعم صاحب الاغلال أن الاسلام يسوى بين المرأة والرجل في كل شيء ، وأورد دليلاً على زعمه قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وسكت عن بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) وهو سكوت ينطق بقلة حظ صاحبه من الأمانة والأخلاص .

على أننا إذا جاوزنا استشهاده بالقرآن إلى استشهاده على سوء رأى بعض أئمة الدين وجدناه يخون في الاستشهاد هنا كما خان في الاستشهاد هناك . لكننا لن نستطيع أن نشير إلا إلى مثلين مما كتب في أمر التوكل على الله وما اقترأ فيه على المسلمين .

أول التالين ما نقله عن عوارف المعارف للسهروردي من حكاية يشنع

الاول قوله في باب التوكل أيضاً :

« وفي قواميس اللغة . توكل على الله واتكل استسلم » وإذا رجعت إلى القاموس وجدت « استسلم إليه » لا استسلم فحسب . وحذف « إليه » يوم الاستسلام لغير الله ؛ وذكرها يقيد بأنه إلى الله ويذهب بكل ما أراد صاحب الأغلال الاستشهاد به عليه ، إذ لا حرج على المسلم بل الفقر كل الفقر - أن يستسلم إلى الله إذ هذا من المعنى الاساسي للإسلام . هذا واحد .

الثاني أنه أراد أن يهيم أهل الحديث النبوي بالوضع على النبي ما لا يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم قد قاله ، فأورد فيها أورد حديث « أكثر أهل الجنة البئله » ونقل معناه عن قاموس النهاية لابن الأثير وأسقط ما نص عليه ابن الأثير في آخر شرحه إذ قال « فأما الآله وهو الذي لا عقل له فغير مراد » . واستباح صاحب الأغلال هذا الاسقاط ليوم قارنه أن المعنى على التبادر من اللفظ .

لكن لعل من أظهر الدلائل على خيانة الرجل في البحث يتتأ استشهد به فغير فيه لفظة لو ذكرها على أصلها ما أسعفه البيت بما يريد من النعي به على قوم يزعم أنهم يعبدون فيور أناس بعد الموت وقد كانوا لا ينصفونهم في الحياة : قال « وقد قيل في هذا المعنى أو ما يشبهه : لا ألفينك بعد الموت تعبدني وفي حياتي ما زودتني زاداً والبيت « تدنني » كما هو معروف ، لكن لا بأس فيما يظهر من مثل هذا التحريف والتليس بالحذف والتبديل في مذهب صاحبنا الجديد

بها على التوكل والتوكلين : حكاية القنبرة العمياء التي لما شاهدها أحد المتوكلين في البادية تنشق لها الأرض عن سكرجة فيها سمسم وماء فأكلت وشربت رجع هو عن السمي والطلب . والحكاية موجودة في السهروردي حقاً لكن موجود بعدها غير بعيد منها حكاية التصوف الذي خرج إلى البادية وأقسم ألا يسأل أحدا شيئاً حتى كاد يهلك فنودي أن وعزى وجلالى لا رزقتك حتى تدخل الأمصار ، فدخل فرزق فنودي مرة أخرى : أردت أن تبطل حكمتي في الأسباب ، ألم تعلم أن رزق العباد على يد العباد أحب إلى من أن أرزقهم بيد القدرة ؟ هذا أو قريب من هذا هو خلاصة الحكاية الثانية ، وهي ضد مراد صاحب الأغلال من الحكاية الأولى على خط مستقيم ، وقد كانت الأمانة تقتضي أن يذكرها معاً أو يتركها معاً ، لا أن يقتصر على ذكر ما يلائم مراده من التشنيع .

والمثل الثاني هو ما افتراه على الامام الغزالي في أمر التوكل ، فقد اقتبس جملة أنزعها من موضعها فدلّت على غير مراد الامام وترك آراء الغزالي في التوكل وشروطه ومراتب أهله إلى آخر ذلك التحليل العلمي الدقيق مما تجده في باب التوكل في الاحياء ، ومما هو وما رماه به صاحب الأغلال على طرقي تقيض . لكن صاحب الأغلال لا يكتب ابتغاء الحق ولكن ابتغاء التشنيع . ولا بأس عنده في سبيل تحقيق غرضه من التلبس والتحريف

والشواهد على عدم أمانة الرجل كظيرة في كتابه تقتصر مما في منها على ثلاثة قصيرة ولكنها كبيرة الدلالة .

- ى -

والآن لا بد من وقفة عند هذه الظاهرة في هذا الرجل الغريب .
لا نظن الرجل كان يستبج مثل هذا الفس والكذب في أيامه الأولى التي
حدثنا هو عنها . أيام كان يحذر الآخرة ولا يبالي بالدنيا ، وأيام كان يرجو
الله ويخشاه ولا يرجو ولا يخشى سواه . أما بعد أن صار سبباً محضاً ومادياً
يرى المادة غاية الحياة ، فقد انقلب عن فضائله الأولى التي طاقته عن بلوغ
حظ الناس من الدنيا ؛ وأخذ يسلك إلى الدنيا سبيلها غير متقيد بقيده عليه
يختصر الطريق إلى ما فاته منها ، فكان هذا الذي قصصنا عليك من خيائنه
في النقل وفي التفكير . والغاية تبرر الوسيلة عند من يتجمل من قيود
الدين ، على ما في النجاة عند هذا الرجل من سقوط .

وبعد فقد طالت هذه المقدمة فوق ما كنا نريد ، لكن لا بد لنا من
ذلك من أن نلخص وجه العبارة في هذا المثل الفذ من أمثلة الانقلاب الديني
- مثل هذا الرجل الذي كان بالأمس من المؤمنين الحُسن فأصبح يرى
التدين لا يأتي بخير ، ويرى الدين لا فائدة فيه
أما فرق ما بينه اليوم وبين نفسه بالأمس من حيث السلوك فقد
رأيت طرفاً منه فباقتضينا عليك . ولو قرأت كتابه لرأيت سحق ما انقلب
إليه : تقرأ له فتقول دهرى يشكم ؛ ثم تقرأ فتقول صبيوى يشكم ، ثم تقرأ
فتقول شيوعى يشكم . ولعل في هذا ما يفسر طلبه الدنيا عن طريق
مناصبته الاسلام العداوة ، ومبالاته في ذلك حتى ليغيب إليك أنك إزاء
كلب أو ذئب غفور يحاول أن يعقر من الاسلام كل ما يرى لولا أنك ترى

- لك -

أحياناً من خداعه وخيله ، ودورانه ولفه ، ما يندرك أنك تجاه عدو يكيد
ولكن كيد مفتون مغرور .
فلنترك الرجل وما اختار لنفسه ، ولننساك كيف أمكن أن يقع مثل
هذا الانقلاب ؟ كيف أمكن أن يأتي الرجل بمصر متدينًا زاهدًا متشددًا
كما يقول ثم ينقلب فيها إلى ما انقلب إليه ؟ أى وسط وأية بيئة مصرية
أثرت في الرجل ذلك التأثير ، ونقلته تلك النفقة ؟
إن المشتغلين بالأصلاح في مصر لا يستغنون عن كشف تلك البيئة
والعوامل فيها ، فلها إذا كانت قد أثرت ذلك التأثير في ذلك الزاهد
الأحس على حد وصفه لنفسه في طوره الأول ، فأى تأثير يكون لها في من
يتمرض لها من شبابنا وليس لهم من الوفاة الدينية ما كان لذلك المسكين ؟
على أنه سواء عرفنا تلك البيئة أو لم نعرفها فلا مناص لأولى الأمر
القوامين على المسلمين في مصر وفي غير مصر من أن ينظروا يجد في هذا
المشكل ، مشكل صيانة النفس الاسلامي ووقايتها مما استجد في البيئة
الاسلامية من العوامل المهددة للدين في النفوس . والعبارة في صاحب
الاغلال من ناحيتين : ناحية تربته الدينية الأولى فهذه ثبت أن مثلها
لا يصون ولا يبق . فيجب أن تتجنب مثلها في تربية نشئنا . والآخرى
ناحية البحث عن تربية اسلامية صالحة تصون وتبقى وتكنى على الأقل رد
عادية الشبهات الحديثة التي لا بد أن تمرض للسلم في هذا العصر الحديث
حتى إذا وجدوها - وجودها ميسور - اتخذوها ونفذوها على الوجه
الذي يكفل تحقيق النرض منها في يثبات التعليم والتربية على اختلافها .

- ليل -

ولابد من اختلاف في صور تلك الترية يناسب الاختلاف في تلك
البيئات . لكن الروح يجب أن تكون واحدة . روح القرآن وروح
العلم العليي : علم الفطرة التي دينها الإسلام .

وإلى أخوي في الإسلام اللذين أتالما لي فرصة التعبير عن هذه الآراء
خالص تبحي وشكري ، ثم خالص دعائي أن يجزيها الله عن الإسلام
وأهله خير الجزاء .

محمد محمد النمرادوي

شعبان سنة ١٣٦٧

يونية سنة ١٩٤٨

نأسف لوقوع بعض أخطاء في هذه المقدمة ، فقد وقع في صفحة (س) في
السطر الرابع كلمة (رجال) وصوابها (رجالا) وفي السطر العاشر منها كلمة (الرسول)
وصوابها (الرسل) .

- ٢٢ -

كلمة الأستاذ الأدب سيد قطب
نشرت بمجلة السوادي

هذي هي الأغلال

لم أكن أتوى أن أكتب شيئا عن هذا الكتاب ، لا خيرا ولا
شرا . فلعل صاحبه أن يصل إلى أهدافه الحقيقية من طريق الشر والخير
سواء .

وللكتاب وصاحبه مع قصة ما كنت لأفشيها للناس لولا أنها
تكررت مع غيري فلم تعد سرا .
أهدى إلى الرجل كتابه ، ومضت فترة لم أكن قد فرغت فيها
لقراءته . ثم تفضل فزارني مع صديق كريم عزيز أحمل له في نفسي ودا
مكينا ، وسر لي الصديق ثم أعلن أنه وافد إلى في مهمة . إن حرية الفكر
في خطر .

فهذا الرجل صاحب الكتاب قد عنت له أفكار وآراء جريئة فأودعها
كتابه ، وخصومه من الرجعيين والتفيعيين في الحجاز يدسون له هناك
وأنه على وشك أن يستدعى لمحاكمته ، وربما لشنقه ! وأن على كاتب
يقدر رسالة الفكر أن أشارك في الذود عن حرية الفكر الموشكة على
الاختناق .

ولم يكن بد من أن أحس في أول الأمر فعزى على صاحب فكر وقلم أن يسمع ويرى خفق حرية الفكر ولا يحمس أو يثور، ووعدت أن أفعل في حدود ما أستطيع .

وجلس الرجل وأخذنا بأطراف الحديث - في دارى - وشيثافشينا بدأت أسمع رائحة في الحديث . رائحة ليست نظيفة .

هذا رجل يريدنى على أن أفهم أن الإنجليز في الشرق قوم مصلحون لاستعمرون . وأن وسائلهم في الشرق أرقى وأكرم من وسائل المسلمين عند ما استعمروا الشعوب .

وليس - المسلمين - هم الأتراك مثلاً فأجد عذراً ؛ ولكنهم أصحاب محمد بن عبد الله وعمر بن الخطاب . بل القرآن الذى أباح التخريب والتفليس .

وكان ذلك كله رداً على ما قلته له : من أن الاستعمار لا قلب له ولا ضمير . وأن الحضارة الأوروبية الحديثة تستخدم وسائل غير إنسانية في الحروب وغير الحروب .

إن المسلمين صنعوا تلك الشاعات ، وبعد ما صنعوها جاء القرآن ليبررها لهم ، « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » ! ولم يرد أن يستمع إلى حديثي عن وصايا النبي للقياد ، ولا إلى وصايا خلفائه الإنسانية الرحيمة .

فليكن ! فقد تكون تلك عقيدة يجاهر بها صاحبها ويتحمل تبعاتها وتأتجها ! ثم ماذا ؟

ثم يجب أن تنفى المنصر الاخلاق من حياتنا . فالحياة لا تعرف المناصر الخلقية ؛ ولا قيمة لها في الرق والاستعلاء . هذا والمسلمون لم يكونوا في أى عصر من عصورهم حتى أيام محمد إلا فساداً نجاراً . وم الآن في البلاد المحافظة أفسق وأفسر ، ولا عبرة بهذا كله . فقد كانوا أقوياء وم فساد نجار لأنهم أخذون بوسائل الحياة المادية ، وم ضمقاء اليوم - مع فسقهم ونجورهم - لأنهم لا يأخذون بوسائل الحياة المادية .

والمول على هذه الوسائل ، لا على بر أو فجور ! فليكن أيضاً ؛ فقد تكون تلك عقيدة الرجل ، وأنا مستعد أن أسمع لكل عقيدة يجاهر بها صاحبها ، ويتحمل تبعاتها وتأتجها .

وطال الحديث . وأنا - بعد هذا كله - لا أزال متمزماً أن أقرأ الكتاب ، فإن وجدت فيه حرية رأى حقيقية وفكرة ناضجة قوية . دافعت عن الرجل ولو خالفته في فكرته كل المخالفة !

ثم عدت إلى الكتاب . وهنا تحول شعورى إلى استمزاز عميق . هذا رجل يناقش يريد أن يطمئن الطمئة في صميم الدين خاصة ثم يتوارى ويتحصن في الدين وينكر ما قد يفهمه القارى من بعض النصوص ومن روح الكتاب كله ، وراء النصوص .

ثم هذا رجل يسفط ولا يأتى بشئ « دون كيشوت » جديد يطمئن في الهواء ويحارب أفكاراً لم يمد لها وجود منذ خمسين عاماً على الأقل .

ثم هذا رجل يسرق أفكار غيره بالنص ، وينكر أن يكون قد قرأ شيئاً من هذه الأفكار .

ثم - وهو الامم - هذا رجل مريب !

١ - « طبيعة الدين - غالباً طبيعة فآرة ، فاقدة للحرارة المولدة للحركة المولدة للإبداع »

« وزجع لتكر مرة أخرى أن الدين نفسه لا ذنب له وليسكن الذنب ذنب النفوس البشرية التي لم تستطع أن توجد التبادل بين الكفتين والتوفيق بين الروحين : روح الدين ، وروح العمل للحياة »

هكذا : طبيعة « للدين » غالباً طبيعة فآرة فاقدة للحرارة . الخ . ثم « الدين نفسه لا ذنب » وأمثالها في كل موضع كثير : والحديث عن الخلق كالحديث عن الدين ، فهو دائماً ضد المنصر الأخلاق براه قيدا معجزاً وضعفاً زرياً . ثم يتوارى بعد هنية وينسك ما تنطق النصوص .

هذا رجل تنفصه الجرأة على أن يقول ما يريد أن يقول ، وإذن فلا حرية فكر : ولا خطر على حرية الفكر ! إنما هي دعوة خبيثة ملتوية ضد الدين ، وبخاصة الاسلام وضد الروح الخلقية في النفس والضمير !

٢ - من من الشعوب الاسلامية الآن يكتفي في مجاهدة الغربيين بالدعاء بأن يحرق الله بيوتهم ويمنم أطفالهم ؟ . الخ

فقد تكون هذه بعض دعوات للتأخر . التقليدية ولكن الشعوب هذه هي نجاهد وتقاسم وتكافح وتنور وتسيل دماؤها في كل مكان . ولكن المؤلف لا يرى في المسلمين إلا هؤلاء : انفاعلين على بعض المتأخر . وبجس . بكتابه ليقول : إنكم جميعاً - سواء - أخطأتم الطريق

بالاختصار على هذا الدعاء .

وهكذا معظم كفاحه لتصحيح أفكار المسلمين « دون كيشوت » يطعن في الهواء ، ويتأزل الأشباح ، ويحارب الأفكار التي حاربها الزمن منذ خمسين عاماً أو تزيد

٣ - وفصل ضخم - هو أحسن فصول الكتاب - عن الإيمان بالإنسان وهو عنوان كتاب للاستاذ عبد النعم خلاف ، ولا يشك إنسان في أن مؤلف الأغلال انتفع بهذا الكتاب انتفاعاً كاملاً ، وليس في هذا من حرج . ولكن الرجل حيناً سمع من اسم الكتاب أبدى أنه لم يسمع به أصلاً . . . لم أحترم هذا التجاهل ، لأنه ليس سمعة الباحثين المخلصين .

٤ - « نؤمل اليوم أن نحسينا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط المالحق (الغزو الصهيوني) مع انهما هما الخصمان : إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضلها حيناً نظن أن في حولنا - لو تغلبت هاتان الدولتان - أن نحمل أنفسنا بقوا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها ، فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية ؟ أما نحن فنكاد نكون مجردين من كل ذلك »

وإذن فعلينا أن نبدأ في الاستعداد لحياة أنفسنا وإلى أن نستمد يجب أن نحافظ على بقاء قوة إنجلترا بجانبنا لتحسينا من الغزو الصهيوني ! هنا رائحة ما !

هذا رجل لا يخاف عليه من اعتقال ولا شفق ولا سواها ، إنه رجل

- من ض -

يعرف طريقه جداً فلا داعي للخوف الشديد !

وعلمت أن الاسطوانة التي أدبرت على أذني أدبرت على آذان
الكثيرين واستهضت بها أربحية الكثيرين ، وقد تحمس الأستاذ اسماعيل
مظهر فكتب كله قوية في الكتلة عن الكتاب . وأنا واثق أنه لم يقرأه إلى
نهايته . وإلا فلن تفوت فطنة الأستاذ اسماعيل أن تتبين في ثنايا الكتاب
شيئاً غير نظيف !

وكنت بد هذا كله على نية أن أسكت لولا أن وجدت بدء ضجة
مفتعلة تمعلل الكتاب أكثر من قيمته وتصور المسألة في غير صورتها
ولابد أن الأستاذ السوادى وأنا أعرف أربحيته - قد تأثر بالاسطوانة
التيبة ففتح صدر جريدته للدفاع عن حرية الرأي المهددة بالشنق ، لقد
كنت على استعداد أن أدافع عن الرأي المخالف لو وجدت شيئاً ذا قيمة ،
ولو وجدت إيماناً حقيقياً بفكرة ، ثم لم أشم هنا وهناك رائحة شيء مما
شيء غير نظيف .

بسم الرحمن الرحيم

عبد الرحمن (التجري)
(سكنه الله الفردوس)

الحمد لله كما حمد نفسه ، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفين
خصوصاً خاتم المرسلين محمد وعلى أصحابه بدور الهداية وشموس الرشاد
وألم ومن تبعهم على صراطهم المستقيم إلى يوم الدين .

(وبعد) فلما ألفت علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدى
رسالته المسماة (تنزيه الدين وخلته ورجاله بما افتراه القصيمي في اغلاله)
لم يذكر فيها نصوص كتاب « هذه هي الاغلال » بألفاظها ونصوصها بل
أكتفى بذكر معانيها اختصاراً ، مشيراً إلى أرقام صفحاتها استقذاراً لها
واستقذاراً ، ولكن دعت الحاجة لذكرها نصاً لأمرين (أولهما) قطع
شغب المشاغب وجدل المجادل والمعادى ، بدعوى أن الشيخ لم يفهم تلك
النصوص فتلظ فيها (ثانياً) أن تكون عمدة لمن ليس عنده الكتاب
« الاغلال » في حكمة عليه وعلى صاحبه بنفسه .

وربما زدت شيئاً يوضح غرض الكتاب ومرامى مؤلفه وأهدافه
التي يرى إليها بعبارة المتنوية ونفاقة الفنوع وجنبه عن الصراحة والصدق
الذين هما أم سند الدعاة المصلحين الذين يريدون الخير لأنفسهم وللناس
اجمعين . وهاك نصوص نصوصه وما أردت نقله وردّه .

(ويشهد له بأنه - يعني النبي ﷺ - في حب الجلال مذهب الكمال أنه كان دائماً يحضن الطبيعة ويحنو عليها ويعمل على اجتلائها وعلى الخلوة بها)
فهذا هو فهم الماديين الذين ينسكرون ماوراء السادة من عالم النيب كربة العالمين وملائكته ووحية لصفوة خلقه وتصويرهم للنبوة والرسالة والوحى السماوى الذى يؤمن به أهل الأديان جميعاً وينسكروه الماديون الدهريون.
لخص الكاتب فكرهم بمباراة مقتضية مبهمة مبرمة - وسيأتى تبسيط فكرته في غضون كتابه وإسفار وجهها ١٢ لا يحتاج معه إلى استنتاج ، بل نقل النصوص بألفاظها كاف واف للحكم على صراى الكاتب وأغراضه وأهدافه .

ثم وصف خروجه ليلاً إلى البقيع لزيارة قبوره ووصف حاله حينئذ فقال (ص ١٥٧)

« انه في الصحراء انه يساجى الكون والظلام والنسيم والسما . . . انه يخاطب ماحوله بلغة هي فوق الحروف والالفاظ . إنها لغة تموت عندها الالفاظ والحروف . . انه يرى في الكواكب فوق الاشراق والارتفاع والنظام والدوام فتتملى نفسه الكبيرة بهذه المعاني . ويذهب تصوره لها إلى أن رسالته يجب أن تشرق إشراقاً وترتفع ارتفاعاً ، وتدوم دوامها ، وتنتظم انتظامها ، انه يشعر من هذا الاشراق والانتظام والدوام ما يفهم عن نفسه الحدود والقيود والعوائق والموانع انه يقفل من هذا المشهد الرائع معتقداً أنه لا شيء يستطيع أن يقف في طريق الجلال الذى تزود به مما شهد ورأى والذى قفل به ، عن أن يتم وعن أن يأخذ طريقه إلى الوجود ، انه رأى قرأ واحداً وسع نوره الكون ، وشهد

سماه واحدة قد أطلت الوجود وانه الآن يرى قلباً واحداً يستطيع أن يتسع للوجود وأن يملأه ضياء وحرارة . . .

انه لا يستطيع فراق الطبيعة لانه لا يستطيع فراق الجلال . . . إن الليل والنهار والظلام والضياء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف والرعد والبرق والغيم والصحو والرياح والانسائم والجبال والسهول والانهار والغدران وكل النباتات والحيوان وكل ساكن ومتحرك ان كل شيء من هذا يأخذ بلبه وببصره وبلمبه الجلال»

أما وحى السماء وتزول الروح الأمين على قلبه وقرآن منزل عليه من رب العالمين لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ما فعلوا ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فهذا كله ليس له موضع في تفكير كاتب الأغلال ولا يستحق قليلاً ولا كثيراً من جهوده وعنايته التي وجهها لتقرير المذهب المادى وتوضيحه في كل مناسبة من كلامه وفي غير مناسبة كما سيأتى ذلك مبسطاً موجزاً .

أول ص ١٥٨

« لقد بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة ومناجاتها فوق غار حراء وختمها بمناجاتها أيضاً وهو في حجر عائشة بينما كان يجود بأنفاسه فلقد كان في تلك الساعة شاخصاً ببصره إلى السماء لا يحوله عنها هول ولا أهل ويقول (اللهم الرفيق الأعلى)
ونقول للكاتب : الرفيق الأعلى ليس هو الطبيعة ، فقصه زيارته ﷺ للبقيع كانت لزيارة القبور والسلام على الاموات المؤمنين فيه . وسؤاله الله تعالى الرفيق الأعلى كانت دعاء لله تعالى أن يلعقه بأهل الرفيق الأعلى من

للأول الإلهي في أعلى جنات الفردوس التي هزأ بها الكتاب والمؤمنين بها آخر كتابه ، فريداً حتى تم به في حينه .

لهج الكتاب بذكر الطبيعة وتقريبها بين الإنسان والحيوان (ص ٥٥-٥٧) وقرر نظرية دارون الطبيعي الانكليزي « أن الإنسان مترق عن الحيوانات التي دونه كالقرد ونحوه » وليس مخلوقاً من تراب وطين مستنون كما أخبر الله بذلك في كتابه ، فقال (ص ٤٧)

« لعلنا من أن نتصور الإنسان في بداية وجوده عارياً من كل معرفة كما كان عارياً من كل لباس ... »

واستنتج ذلك من حال الطفل يأتي إلى هذه الدنيا حياً يأتي عارياً من جميع المعارف فقال

« وجاء إلى هذه الحياة — ولا مجال لأجدل كيف جاء^(١) — كما يجيء الأطفال اليوم على أحسن تقدير على أن من الواجب أن نعتقد أن هناك فرقاً عظيماً من حيث الاستعداد والطاقة بين أطفال اليوم والإنسان الأول لأن أطفال اليوم يحملون في دماهم ثراث الآباء والاجداد كله بخلاف الإنسان الأول الذي جاء لا يحمل معه سوى ماورث من منبته^(٢) إن كان فيه ماورث — نعم جاء إلى الحياة كما يجيء أطفال اليوم من حيث التجرد من كل معرفة ومن كل لباس لا يعرف لغة ولا كتابة ولا إشارة دلالة على الكلام »

ثم سار في وصف جهالات الإنسان الأول ، وعدم فهمه للأمور

(١) لم ينصح الكتاب بما يعتد في كيفية مجيء الإنسان الأول إلى البشر جنباً منه عن الانصاح وإن كان قد لوح بذلك تلويحاً هو كالنصرح (٢) يريد أصله الحيوان الذي ترق عنه

حواله ، وفزعه من الرعد والبرق والريح وتزول المعار وجريان الأنهار - ورحبه من الظلام ، وتخليه الأشباح المؤذية للمهاجرة . الخ إلى أن قال (ص ٤٨)

« فراح يمد كل ما يرى أو يسمع عبادة ساذجة حقيرة ، فكان الإنسان إذ ذاك يتلخص في شيئين : في الجهل المطلق لشيء ، وفي عبادة كل شيء متقلب مضطرب ونموذ فتقول مرة أخرى إن أحسن وأصدق صورة ترسم للإنسان في ذلك العهد هو الطفل من حيث العري من كل لباس علمي وبدني »

ثم سار في شرح نظرية تطوره من الحيوانية إلى أن قدر أن يتفاهم بالأصوات التي لا تقاطع لها ولا معاني كالأطفال سواء حينما يلحون في طلب حوائجهم بالكاء والصراخ فقال (ص ٤٩)

« ثم ترق بقصد أو بغير قصد^(١) بأن ذهب يتخذ لنفسه طريقة للتفاهم والتخاطب أفضل من التصويت المبهم فذهب يتخاطب بالإشارات والحركات - إلى أن طفر بعد ما لا يمكن تخيله من العناء والمشقة الزمان بما يصح أن يسمي أول لغة انسانية ذات مقاطع وحروف مدبومة ... »

ثم شرح كيف اعتدى للكتابة والكلمات الخ بها هو تطبيق لنظرية النشوء والارتقاء ، وخروج الإنسان الأول آدم الذي خلقه الله يديه وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، خروجه من نحو القرية لا يفهم ولا يتكلم ، ويفزع من كل شيء ، ويبعد كل شيء مما حوله . الخ وأقرأ من (ص ٤٧ - ٥٤) من أغلاله

هذا ومناقضة هذه النظرية لنصوص البيانات لا تخفى على من تأملها ،

(١) يعني ولا دخل العناية الالهية ولا لهداية الرسل ، فأبى قول الله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كنا منك من أحد أبداً ولكن الله يذكركم من يشاء) (وعلم آدم الاسماء كلها)

وعرف ماجاه على ألسنة الرسل كلهم في كيفية خلق أبهم وأبنا آدم ﷺ واسمع كلام أهل العلم الحديث الآن في هذه النظرية على لسان عالم من علماء الأحياء هو «لو كنت دى نوى» مؤلف كتاب «مصير الإنسان» الذى قرظه الدكتور «روبرت مايكن» الحائز لجائزة «نوبل» في علم الطبيعة بقوله «يأتى بانبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية، ولست أعرف أحداً سبقه إلى هذا، وما من أحد يستطيع حمل هذا العبء ما لم يتمرس بأحدث مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء، وعلم الأحياء ووظائف الأعضاء. إنه رجل بنى للحق في العلم والدين، وكتابه من القوة والصدق بحيث لا يتيسر مثله أكثر من مرة أو مرتين في قرن واحد» اهـ

ويقول فيه «ملتون أوردسفر» من كتاب صحف أمريكا الشهيرة «منذ وضع «دارون» نظريته في التطور أخذ الشك في قواعد الدين المسيحي - قلت: والاسلاى (١) والموسوى - ينتشر وقتن الناس بأن يمدوا الإنسان وليد المصادفة في عالم الأحياء؛ وأن ينكروا وجود الروح وحرمتها في أن تختار بين الخير والشر، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى، وأصر أهل الشك أن العلم قد صرع الدين

«يد أنا نسمع اليوم صوتاً جديداً. صوت عالم ينادى بأن العقائد القديمة صحيحة كلها، والداعية الجديد إلى الايمان بالله هو عالم من علماء الأحياء

(١) مع الفارق الكبير، ان الشك الذى ترتب على نظرية دارون في الدين الموسوى والمسيحي كان عاماً أو شبه عام، أما في الدين الاسلاى فكان خاصاً ببعض مقابلة الغرب من المسلمين (غ)

اسمه الدكتور «لو كنت دى نوى» وقد كان من قبل أحد علماء معهد روكفلر ومعهد «باستور» وقد كشف في كتابه العجيب (مصير الإنسان) عن نظرية جديدة للتطور، وحاول من طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تافت اليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة كحرية الارادة ومعنى الحياة والخلود، ووجود الله سبحانه وتعالى، فيجعلها حقائق لا مراءاة فيها

«يستهل عالم الأحياء «دى نوى» كتابه باعترافه بأن العلم عرضة للخطأ فينبغى لنا أن نتق به ثقة عمياء، فليس في هذه الدنيا شئ نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة: وخواصتنا الجنس يشوبها نقص، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال في دفعها (تأمل)

«وليس في طاقنا أيضاً أن نعرف الحقيقة، فاذا مزجت الدقيق بالسنج (١) كان لك منجماً - سحوق أغبر: فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق الأغبر لكنت هذه الحبيبات في نظرها صخوراً ضخمة بيضاء وسوداء، فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن في تقدير هذه الحشرة: ونحن نعيش في كون لا يحيط به إدراكنا، فكل رأى نراه في شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبي في هذا الكون الجبار (تأمل) نجد الدم يبعث بأجزاء ضئيلة من المعرفة، ولكن المبالوى التى تفصل بين مانعرفه من الحقائق إنما هى مهو رجة عميقة، ونحن نعيش على كرة عمرت حوالى أثنى مليون سنة وعلى هذا المسرح العظيم تمت رواائع التطور ولكن (١) الهباب أو غبار الفحم أو الدخان

كيف رفع الستار عنها؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة؛ بل لا نرى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي تنتمي نحن إليها (اسمع)

إن تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناسفتها لنواميس الاحتمال العلمي المحكمة. وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاءً بعيد الاحتمال

خذ - مثلاً - تلك اللحظة التي بدلت فيها الحياة نهجها في التناسل، فقد صرت ملايين من السنين وخلاها « البروتوبلازمة » تتكاثر بالانشطار. كأن فيها حياة خالدة (١) ثم ظهر فجأة أسلوب جديد، فذ في التناسل - هو التزاوج - ومن أدعى الأمور إلى العجب أن الموت (١) جاء قريباً للتناسل الجنسي حين طرأ هذا التناسل على الحياة

إلى أن قال: إن التلويح التي تذب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقة وهي في طريقها متحدرة إلى البحر، وهي تتحدر استجابة لناموس لا يرد وهو « ناموس الجاذبية » أما في التطور فإن الحياة لم تتحدر إلى أسفل بل رفعت صعداً يستجيبها ناموس لا يرد كناموس الجاذبية

(١) يرى بعض علماء الأحياء أن البكتريا أو الجراثيم لا تموت لتكاثرها بالانشطار كل جرثومة تنشط إلى جرثومتين وهلم جرا. فلو هيأت لها الظروف لظلت تنشط هكذا إلى الأبد، ويغفلون عما تحت (لو) هذه من القيود الهائلة، فإن البكتريا تموت إذا جفت وبالتنظيم والحرمان من الغذاء. هذا إلى أن كل شعاع من الأشطار ليس هو عين البكتريا قبل الانشطار. فالقول بخلود البكتريا قول يبدع عن الدقة كما ترى (غ)

ومنذ كان العالم صمدت الحياة في هذا الدراج فبدأت مادة لا شكل لها، ومضت علواً حتى صار لإنسانا له عقل وضمير

فهل عمى العلم عن البيانات التي تدل على التهج والتظام في التطور؟ كلا فإن الحياة في رقيها المتواصل كثيراً ما خالفت نواميس الاحتمال الثابتة حتى نرى أشد الماديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة...

ولم يكن للماديين يد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكي يتمكنوا من أن يدخلوها في نطاق تفكيرهم. ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله وصفوها بقولهم «عدو المصادفة» وماداموا يعترفون بوجودها فليس هوها ماشاوا. وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة إلى أن صار الإنسان مخلوقاً مفكراً وهي ضائعة لسيطرة حافظ أصيل هو حافظ البقاء، ثم ظهر خالق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة - ففكرة الخير والشر - التي يبدلون المهبج في - بيلها. ثم يقول « من الواضح أن زمام التعاور في المستقبل سيكون في أيدي الأخيار من الناس، ولكن ما هو الخير وما هو الشر؟ أما الماديون فيبتكروا وجود الخير والشر وأما «دي نوي» فلا يمكنه بتوكيد وجودها بل يسمي إلى تعريفها أيضاً - إلى أن قال - فالخير ينبغي أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية، والشر هو ما كان احتقاراً لها

وإذا فنبني أن لانياس إذا كان الاختيار ندرة في هذه الدنيا، فإن هذه القلة هي التي ستسير بالارتقاء، فندما شأنها اليوم كشأنها في ملايين السنين وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة، وأسسلاف

الانسان الذى بلغ كمال النبو الروحاني - إلى أن قال

« إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأشياء دلائل الحضارة الحق . بيد أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر لا واحشهم . أساء البشر الاختيار بين الخير والشر ، فالمقل يشير بالمطابقة للمألوف والملازمة والتراضى . ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور ، وإنك لا تجد في تاريخ البشر رجلاً ذهب شهيداً للرأى المتزن . ولذلك ترى الذكاء وحده خطراً ، فهو وحده الذى صنع القنبلة الذرية ، وإذا الناس يدركون أن ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ الأخلاقية مسألة موت أو حياة للناس

وما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان حيواناً رافياً لا أكثر ، ولذلك نراهم لا يثبتون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر .

وضرب مثلاً بسياسة الطغاة الذين يجندون الناس ويميشونهم كالمشربات .. ثم قال « ومن هنا ترى الرجل الذكى عجزاً لأنه لا يستطيع أن يدرك الله الذى لا يدركه الابصار على صورة يفهمها : أهو جبار ذولجية على صورة الانسان ؟ ففي هذا العصر عصر العلم يسهل الرد على السؤال ، فن ذا الذى يستطيع أن يتصور الالكترون (١) وكل عالم يقول لك : إن الالكترون شيء لا يمكن تصوره ، ولا يسمعك أن ترسم شكله وليس ثمة رجل قد رآه ، فالالكترون الذى لا يرى موجود وإن تعمذ علينا أن

(١) هو الكهربي أو ذرة الكهربية السالبة

تصوره ، فما ظنك بالله الذى لا يدركه الابصار ، والذى ليس كشيء ..

« إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها ، وأهم من هذا نستطيع أن نمود إلى العادة القديمة عادة تهذيب الشباب وتكوين أخلاقهم ، فالكفاح من أجل المستقبل ينبغي أن يبدأ في المدرسة ، لأن التعليم سلاح من أسلحة التطور ، ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تحصى أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرون بها مر الكرام ، فكأنك تعلم الزرايع أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الأرض ، فلم لا يفكر أحد في تعليم الخلق للصغار ؟ إن العالم كله يدرك حقاً عظيمة المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر السكان في الدنيا أهلاً للثقة بهم

إن ناموس التطور اليوم كما كان منذ الأزل كفاح نحو العلاء والكفاح لم يفقد شيئاً من حدته وعنفه لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح ، ففي البشر نفحة من روح الله ، ونحن أحرار في أن نهملها ونخدها أو أن تقترب من عرش الله عما نبديه من رغبة في طاعة أمره »

اتبعى ما أردت نقله مما ملخصه عدد المختار (مايو ١٩٤٧) من كتاب (مصدر البشر) للكونت « دي نوى »

وقد استفدنا منه أنه ليس في طاقنا أن نعرف الحقيقة ، وأن العلم (١) عرضة للخطأ ، فينبغي أن لا نثق به ثقة بجمياء ، فليس في هذه الدنيا شيء

(١) يراد بكلمة العلم في لسان أهل العصر واصطلاحهم : الانكار والآراء التى تثبت بالتجربة والاختبار العملي كالكيمياء والطبيعة والميكانيكا ، ويخرجون من ذلك علوم الدين وكذلك علوم الرياضيات والفلسفة

نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة . فحواشي الخس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال في دفعها ، وأنتا نعيش في كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأي نراه في شأن الحقيقة إنما هو رأي نسبي ، وأنه في هذا الكون الجبار نجد العلم يبعث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ولكن لهاوى التي تفصل بين معرفته وبين الحقائق إنما هي مهو وجة عميقة .
وان تاريخ التطور كما مشوب بالآسار والنامضة ، وان كل خطوة خطاها الاحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحياء العلمي المحسنة ، وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاءً بعيد الاحتمال .
واستفدنا منه أيضاً ان للتل الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر لا راحتهم كما يظن كثير من الناس أن المختبرات الحديثة هي دلائل الحضارة ، وأن الذكاء وحده — يعني بدون الأخلاق والضمير — خطر ، فهو الذي صنع القنبلة الذرية فأدرك الناس من ذلك أن خطر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم . فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ الأخلاقية مسألة موت أو حياة للناس فله أحيوا أخلاقهم عاشوا بسلام .

واستفدنا أسفه أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان حيواناً راقياً لا أكثر . وقوله إنه يجب أن نعرف قوانين الأخلاق وأن نلتزمها . وأهم من ذلك أن نرجع إلى المادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب وتكوين أخلاقهم ، وأن يبدأ ذلك في المدرسه ، وذلك بالارتباط بالخلق والدين . وتأمله من حشو عقول الشباب بتفاصيل لا تنجى ، وأما الأخلاق التي لا غنى عنها فيمر ن عليها من الكرام كتعليم الزراع أن يزرعوا الأزهار ون

تعليمهم كيف يحرثون الأرض للحبوب والثمار ، واستفهم منكراً لم لا يفكر أحد في تعليم الصغار الخلق ؟

وجزم قائلاً : إن العالم كله ليدرك حقا عظيمة المزايا التي تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلاً للثقة ، يعني بالأخلاق الطيبة التي معدها الدين والايان بالله تعالى .

فاستفدنا منه جملة عدم الغرور بما يسمونه العلم ، والعناية والثقة بالدين والأخلاق ونشرها بين الناس خصوصاً الشباب حتى يكون للناس مستقبل زاهر بالأمل والثقة والارتقاء والسلام والصفاء (١) .

فتأمل هذا كله ثم ارجع إلى ما فتى به صاحب الأغلال إذ اغتر بالفتنات الذي وقع عليه من آراء التخرصين في هذا الكون الرحب الفضاء الغامض الأسرار ، فأعجب بها وحقر من أجلبا الدين والخلق والعمل الصالح والايان بالله واليوم الآخر والقدر والملائكة الخ . وأخذ يهزأ بذلك والمؤمنين به بسخرية تدل على العجب والرهو وقصر النظر كما ستري ذلك في كتابه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

ثم أعاد الكاتب صاحب الأغلال نظرية تطور الكائنات من المادة السديمية النخانية إلى التجمع وتكوين الشمس ثم السيارات ثم الأقمار —

(١) واستفدنا قبل ذلك وفوق كل ذلك استدلال (دي نوي) على وجود الله بنفس التطور الذي نل به من قبل ، وبأنه قد من الكهير دليل على خطأ من أنكر وجود الآله حين لم يستطع تصوره فإن الكهير موجود ولا يمكن تصوره لأنه تارة يكون موجبا وتارة ماديا كما يبدو من التصوير الضوئي لأناره (غ)

كل ذلك بطبيعة المادة وقوانينها (ص ٢٨٧ - ٢٩٠) إلى أن قال (ص ٢٩٠) « أما الإنسان فليس هناك شك في أنه كان منذ ثلاثمائة سنة (يريد ثلاثمائة ألف سنة) فسقطت لفظ الف كما صرح به في صفحة ٢٨٨) دع أكثر من ذلك أضعف منه اليوم أجساماً وعقولا ومعارف (يعنى أنه كان في الحالة الفردية أو مايقبها) وليس هناك من يرتاب في أنه في هذه الثلاثة المائة [الألف] السنة قد تحسن من ناحيته الموزونة ومن ناحية التفكير ومن ناحية القوة البدنية تحسناً عظيماً » يعنى بتحسّن صورته أنه صار منتصب القامة لا شعر على بدنه ، وبد ما كان يعيش على أربع ، مغطى البدن بالشعر ، ذا مخالب وأنياب بارزة حادة ثم صار إنساناً مفكراً متكاملاً بد ما كان حيواناً أعمى . ثم استدل بتطور الحضارة على تطور الإنسان وبقوله تعالى (وقد خلقكم أطواراً) غير ملتزم بمقاله بعض الشيوخ في تفسير الأطوار قال :

« وأما نطق ما أطلقه الله وأن يجعله على أحسن الوجوه »

يعنى نظرية تطور الإنسان من حيوان قرد أو شبيه به إلى إنسان آدمى . وأما النصوص في البيانات كلها في خلق الإنسان الاول (آدم) من تراب ثم من صلصال كالنخار ثم نفخ الله فيه من روحه ، فلا وزن لها عند الكتّاب ولا قيمة له فضلاً عن الأحاديث كحديث « خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً في السماء وأن الصالحين من ذريته يدخلون الجنة على أحسن صورة كصورة أبيهم آدم » الخ ونشريف الله لآدم بمخلقه يديه ، وتعليمه أسماء كل شيء . وإسجاد الملائكة كلهم له

وقد سمعت كلام أحد العلماء المصريين صاحب كتاب (مصير الإنسان) ورأيه في نظرية التطور ، وفيما يسمونه العلم وعدم الاعتراض به ، وأن

التطور جرى على نهج لا مجال للعلم به الخ.

قول الكتّاب « إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه بوهن المسلمين ويضعفهم ، وأنه يجب عليهم ترك ذلك ، وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر (ص ٢٧ : ٢٩٠ : ٢٩٨ : ٣١٥) في آخر (ص ٢٦) وأول ٢٧ يقول :

« إن الشعوب تمتاز بالإيمان بالنزاهة الإنسانية الطبيعي ولهذا تحاول الظفر كل شيء ، والوصول إلى كل شيء ، والتغلب على كل شيء . . . وتنقل الإنسان في وجوده وحقيقته من طور إلى طور أعلى وأرق . . .

ثم مثل بالآغريق والرومان والمصريين القدماء والعرب وأوروبا الحديثة وأمريكا طبعاً وغيرهم

« عن أوجيدوا التاريخ الإنساني وصنعوا الحضارات - على أقدار مختلفة متفاوتة - بفيض من هذا الإيمان »

« وكل شعب يكفر بالإنسانية - الإنسانية المطلقة إنسانيته هو وإنسانية غيره - ويكفر بمواهبها وثرواتها الذاتية الطبيعية ويؤمن بأنها مقيدة بقيود وحدود لا تتعداها ولا تتخلص منها وأنها ليست مطلقة القوى وليس متروكة لها الطريق ، الطريق الذي ليس له نهاية تمجده ولا غاية تزامه الوقوف عندها - لا محالة أن تفرهمهم ويضعف عمله وأن يقف عاجزاً عن التحليق في سماء اللانهاية وأن يرضى من زمنه بالتأفف الحقيقير والتعذيب اليسير »

وفي آخر (ص ٢٨ وأول ٢٩) يقول

« فالأمم والزجالات الذين وثقروا استأثروا كما ذكرنا بهذا الإيمان والأهم والرجال العاجزون القاعدون - وكذلك الأطفال لم يزرعوا هذا الإيمان بل زرعوا

- وأخيراً به رزقاً - بالاعتقاد اللازم المسيطر بأن الإنسان خلق عاجزاً محدوداً مهيناً حقيراً لا قدرته على التحكم في الطبيعة القاهرة الغالبة، ولا يد له تستطيع الامتداد إلى تغيير هذا العالم الذي أوجده الله ولا إلى تغيير صيفته التي صبغها الله بها ثم مثل بالفقر والمرض والبطالة والجذب والجهالة والاخلاق والاستقلال والسيادة الوطنية وكل مشكلة، وإن هذا الفريق - يعني المؤمن بقدر الله - ليس أهلاً لحل مشكلتهم .. إلى أن قال (آخر ص ٢٨ وأول ٢٩)

« وما عليهم إلا أن ينتظروا من الله أن يضمها لهم كما يفتاؤون ويستهبون وكل ما يجب عليهم في هذه الحالة أن يطلوا الدعاء والبكاء وأن يصدقوا الضراعة والمسكنة وأن يملأوا الانتظار .. أولئك الذين يريدون كل شيء من السماء ومن الآلهة المتعددة الأخرى أما هؤلاء فيعلمون أن عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم وأن يعملوا عليها وأن يطلبوا منها كل شيء، وأن في استطاعتها أن تبهم ما فقدوا وما احتاجوا فيبدعون في الأعمال ويسرون في الطريق . أما أولئك فقصاراهم النحيب والدعاء المذل ثم الانتظار المذل .. »

ومعلوم أن الدعاء أضعف وسيلة يلقى بها عدو عدوه بل أنه ليس بوسيلة وليس له من فائدة سوى أنه يقوم بعملية تمويض (لعله يريد تمويق) وتصريف خيفة (وبمثل مخطيء الجمع) الذين يترعون مسامعنا كل يوم جمعة بهذه الضراعات الكاذبة والانهالات الوقعة الدليلة داعين على الآخرين سائلين الله أن يسقط عليهم السوء أو يخفف بهم الأرض ... ولكن الله لن يصنع ذلك أبداً (وفي ص ٢٦٨ يقول) « لست أريد أن أقول إن التوكل هو الإخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله قد يدخل فيها فيجعلها إن شاء أسباباً ويجعلها إن شاء غير أسباب أو مع الاعتقاد بأنه تعالى قد يفعل من غير الأسباب فإن هذا هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها »

فليعلم غوستاف لوبون في قبره فقد وجد له خليفة يتفق بأجهوانه

الحقاء في كتابه (الآراء والمعتقدات) من إنكار القدر والرب؛ وما وراء الطبيعة والمادة والملائكة، وليس ثم موضع بط دماسله وذكر عباراته بنصوصها وأرقام محالها، ولعل لذلك فرصة أسنح وأوسع .

« فالإيمان بقدرته يوجب بأن ما جمعه سبباً لشيء فسببى كذلك . لن تبطل سببيته بحال ولن يوصل إلى ذلك الشيء بشيء آخر غيره ويوجب الإيمان بأن ذلك الشيء الذي جمعه سبباً لن يوصل إليه بدونه فيوجد السبب بوجود المسبب ويفقده لا يوجد »

وقال في ص ٢١٥ و ص ٢١٦ بعنوان (مشكلة لم تحل)

« فالمشكلة التي ما أنان أحداً قد درسها دراسة صحيحة وافية هي ان فكرة التدبير القائمة على الإيمان بسبب ترجع إليه جميع الأسباب لأنه هو خالقها المهيمن عليها ، المتصرف فيها كيف شاء وهذا السبب الذي هو سبب الأسباب أي الله على اختلاف كبير بعيد بين أصناف المتدبرين فيه وفي حقيقته - لا يحتاج هو إلى سبب في وجوده وقيامه بنفسه وفي فعله وصنعه فإذا وصلوا إلى الإيمان بهذا السبب وإلى الإيمان بقدرة الكرامة التي لا يعجزها شيء ولا يشد عن سلطانها وقبضتها أمر شكوا في الأسباب الأخرى التي هي دونه والتي هي من خلقه وصنعه . وإذا ما صاروا إلى هذا الشك في الأسباب تراخوا فيها وفي الأخذ بها وفي العمل على اقتانها والتعويل عليها وحينئذ تصاب قوائم كلها بالضعف وبالعجز عن الابتاع والتبريز وعن الانتاج والعمل البارع العظيم فإن الإنسان لن يكون سبباً محضاً إلا متى آمن بأن هذا الوجود كله مربوط بأسباب آلية طبيعية تسير إلى نهاياتها وتنتجها سراً آلية طبيعية ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها وأن تتحكم في نهايتها وهو - أي الإنسان - لن ينجح النجاح المرجو إلا إذا كان سببياً محضاً فالإيمان بسبب الأسباب - يعني الله تعالى الرب الخالق - يمنة على حسب ما تصور وبلغ - من أن يكون سببياً ونسباً كونه

سبباً يمنع من النجاح - هذا هو كل ما استطاعت مدارك البشر الدينية أن تبلغ وأن تعرف، تلك لمر الله هي المشكلة الحقيقية الكبرى التي لم يوجد لها حل حتى اليوم »

« وقد يقال بعبارة أخرى - على حسب تصور المتدين - الأسباب إما أن تكون كافية للأخذين بها أو غير كافية فإن كانت كافية فإن الاله وأفعاله وألفانه ؟ فهي إذن غير كافية وإن كانت غير كافية فهي إذن غير خليفة بأن يقول عليها المؤمن تمويلاً صحيحاً ولا أن يلتفت إليها ومن هنا يصبح غير سبى » اهـ

وأقول أنا محمد بن عبد الرزاق حمزة - هذه لمرى هي فلسفة القرن الثامن عشر وما قبله وما بعده إلى نصف التاسع عشر، فلسفة الحاد والكفر والدهرية خلصها غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات ومنه استقى الكاتب فعب منها ونهل، وقامها في أغلاله دما وصديدا من قرحات باطنه وقلبه. وسأفرد مقالا للجمع بين الاصل وفرعه من كتاب غوستاف وكتاب الاغلال ان شاء الله تعالى. ولا بأس بسوق نبذة منه على سبيل التوضيح حتى لا يظن أنها مبنية من كلامه.

قال في كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩

« ومع أن علم الحياة الحديث أصاب في تقضيه مبدأ علة الملل - يعني الخالق سبحانه - فالتأثرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ - يعني إثبات واجب الوجود الخالق سبحانه - يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التي أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة في الكون » أقول : لا تقدر ولن تقدر مادامت تنكر أشرف مافى الوجود وأعلى مافيه وعلاه الروحية وغالقه الأكبر سبحانه وتعالى

ثم قال (ص ٤٧) « لأهمية لارتباط الأشياء والحوادث بعضها ببعض عند أولى النفوس الدينية : فالارتباط المذكور في نظر هؤلاء إن هو إلا أمر يختص بموجودات علوية نمانى عزائمها فقط »

وقال (ص ١٤٨) « لعل أهم ثورة ظهرت في عالم الفكر هي الثورة التي أدى إليها العلم بإثباته ان الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة : إذ بهذا الاكتشاف تبدلت الكيفية التي ننظر بها إلى الكون دفعة واحدة ؛ وهذا الاكتشاف العظيم الذي أخرج الناس من دائرة المعتقد إلى دائرة المعرفة لم يعد، إذ أن كثيراً من الناس يعتقدون أن قوى ما بعد الطبيعة تسير الحادثات وتقدر على تعبير مجراها عند ما يستغاث بها إلى أن قال : والانسان بتركه مبدأ الوجوب في تسلسل الحوادث يعود إلى المبدأ الذي قضى عليه بعد عنه كبير والقاتل إن مصدر الحوادث هو الآلهة ذات الأهواء ، فلو أن الحادثات التي يجبر بها أولو الكرامات في الوقت الحاضر بمكنة لتقهقر العلم طائفاً إلى قرون الاساطير حيث مصير الجروب بيد الآلهة - إلى أن قال :

إن نفس الانسان الدينية تهيم عليه في كل وقت فترغمه على الالتجاء إلى ما بعد الطبيعة وإن كان البحث الدقيق في خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت في نفوسنا » الخ اهـ وليس هنا موضع مناقشة هذا الجاهل في دعواه إن علم الحياة تقض مبدأ علة الملل ، ولا أن خوارق ما بعد الطبيعة أوهام ، وان نقي وجوب تسلسل الحوادث يرجع بنا إلى عصر الخرافات ؛ وإنما قصدنا أن نريك

أصول كتاب صاحب الأغلال ومادة أروائه واستفاته ومادة تفكيره التي انتفضت برمتها وانقلبت رأساً على عقب، وصارت تفكير المجاز عند مفكرى القرن العشرين، وكاتبنا هذا وأمثاله استفوها من كتب غوستاف لوبون وأضرابه كما رأيت، وسانتقل بطلانها والضجك من مفكرها عن أقطاب العلم في هذا العصر الحاضر مثل السير جيز العالم الرياضى الطيبى الفلبكى الانكازى من كتابه (الكون الغامض) ومثل الاستاذ مصطفى مشرفه باشا عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول من محاضرة له نشرت في المقتطف. ومن رسالته «النسبية الخاصة» مما يطرح على تلاقى آخر سير العقلاء ونهاية سبلهم مع ملاب في الدين من أن الله هو الفاعل المختار لا تحكمه أسباب ولا تتحكم في فعله نواميس، وليس العالم مسيراً بلبل طبيعية آلية كما قرره هذا المافون الناقص الفهم والاطلاع تبعاً لمقلديه وأعضائه، فيتوافق العقل الفريخ والدين الصحيح كما قال تعالى (ستريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أوكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقال (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك إلى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب للسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون)

جاء في محاضرة للدكتور مشرفة باشا عميد كلية العلوم الآن بعنوان

(الاضافات الحديثة) (العلوم الطبيعية وأثرها في تطور الفكر الحديث) نشرت بمقتطف يوليو (١٩٣١) ابتدأها بتصوير تطور الفكر عند الإنسان في مختلف أطواره من طفولة إلى شباب إلى كهولة، ثم خلاص من ذلك إلى تشبيه تطور العلم عند المجتمع بتطوره في الفرد ثم قال «فالتفكير العلمى إذاً حتى متطور تؤثر في تطوره الخبرة العلمية، أو بعبارة أخرى الإضافات التي يضيفها العلماء إلى المعرفة البشرية. ثم قال:

« ونحن اليوم — أيها السادة — نعيش في عصر يشهد تطوراً عتيقاً في التفكير، بل انقلاباً بليغ الأثر في بملنا العقل، فوجهة نظرنا اليوم نحو ما يحيط بنا من الكائنات تختلف اختلافاً يتيماً عنها في أواخر القرن الماضي بل تكاد تناقضها مناقضة صريحة »

ثم ذكر أن سبب هذا التطور الإضافات العلمية إلى العلوم الطبيعية في نحو ثلث قرن كما سيصفها. ثم استحسن أن يلقى نظرة على موقف العلوم الطبيعية وحالة التفكير العلمى في أواخر القرن الماضي فقال «الكون آلة»

ثم شبه فلسفة القرن الماضي بفلسفة رجل ناجح في عمله راض عن فلسفته مؤمن بنفسه ثم خلاص فلسفة العلوم الطبيعية في آخر القرن الماضي بقوله «فالكون مؤلف من المادة المحسوسة التي تراها ونلسمها وهي موزعة في الفضاء الذي يحيط بنا ونحكم بوجوده بالبداهة، ثم أن الأجسام للمادة تتحرك في هذا الفضاء بناء على قوانين ثابتة كشفت عنها وطبقها الرياضيون وعلماء الفلك فحصلوا على نتائج ضرب بها المثل في الدقة والضبط — إلى

أن قال - فالكون إذاً في نظر علماء القرن التاسع عشر هو آلة هائلة تشتغل طبقاً لقوانين ثابتة ، هذه الآلة مصنوعة من المادة التي لا تقبل الخلق ولا الفناء .

وتقوم بالمادة أو ترتبط بها حالات كالحرارة وما أشبه هي مظاهر لشيء واحد هو الطاقة والطاقة كالمادة لا تقبل الخلق ولا الفناء . ومهمة العلم هي معرفة القوانين التي تنظم سير الآلة وترتبط الطاقة بالمادة ، والعلماء جادون في هذا السبيل يضيفون القانون تلو القانون .. فإذا استمرت الحال على هذا النوال فلا شك أن الإنسان سيصل إلى معرفة أسرار الكون فهيم عليه ويسيطر على أجزائه

مواطن الضعف

ثم ذكر ما حيرهم في الضوء الذي ينتقل في الفضاء المادي من المادة ، فهو إذاً مستقل عن المادة قائم بذاته لا يمكن أن يوصف بأنه حالة من حالات المادة .

ومثله الحرارة وإشعاعات أخرى ، فليست هي كالحركة هذه الأشعة الضوئية والحرارة وغيرها حيرت ألباب العلماء في أواخر القرن التاسع عشر وناقضت فلسفتهم مناقضة صريحة . فالتجأوا إلى فرض وجود نوع مستحدث من المادة سموه الاثير لكي تقوم به هذه الأشعة وهو ليس بالمادة التي نعرفها ؛ إنما له خاصية أساسية من خواص المادة هي التكيف حتى يصح أن تقوم به حالة كالضوء والحرارة . ثم خلاص الموقف في أواخر القرن الماضي المادة ذلك الجوهر الذي لا يقبل الخلق ولا الفناء . والطاقة عرض

يقوم بالمادة ولا تتصور وحدها عارية عن المادة ، والزمان والمكان يديهيان ثم هناك فوق هذا كله القوانين الطبيعية ، وهي التي تنظم حركة المادة وما ينشأ عنها من التغيرات ، كما أنها ترتب أمور الطاقة أيضاً وأهمها قانون بقاء المادة ، وبليه في خطورة الشأن قانون بقاء الطاقة ثم قوانين نيوتن في الجاذبية ثم قال « وهنا أصرحكم القول بأن وجهة نظر العلم اليوم : » في هذه الفلسفة تشبه وجهة نظر الرجل إلى فلسفة الطفل في حياته ثم وصفها لـ كسبه وهي أم شيء عنده في الوجود ، والمثل والخدمة والطاهي والأطفال الذين يلاعبهم وقواعد اللعب التي يتبعها والأم والأب فما هي الخبرة التي اكتسبناها والتي حولت نظرنا إلى الأمور عما كانت عليه في أوائل القرن ؟

الحقائق المتعلقة

أولاً - إذ علمنا تركيب المادة فالذرات التي تتركب منها جميع المواد انحلت إلى الالكترونات والبروتونات التي هي كهرباء خالصة ، فانقلب الموقف فصارت للمادة حالة تقوم بالكهرباء بدلاً من أن الكهرباء حالة تقوم بالمادة ، والالكترونات والبروتونات (١) تشتت كالضوء إذا مرت في تقوُب ضيقة فهي ذات خاصية موجية كأنها مؤلفة من أمواج كأموال الضوء كما تنبأ بها «دي بروي» العالم الفرنسي سنة ١٩٢٦ وحققها عملياً طمسون وجرمير وغيرهما (١) الالكترتون السكهرب السالب . والبروتون الأبتيب الموجب أو نواة ذرة الهيدروجين ومنها تتكون ذرات بقية العناصر : نواة في قلب الذرة تدور حولها كهربائها الخاصة في أفلاك كأفلاك السيارات حول الشمس

فالمادة إذاً قد فقدت جوهريتها وصارت كالضوء عرضاً يقوم بنيره لا جوهر مستقلاً بذاته. ثم شرح كذلك زوال قانون بقاء الكتلة، فجميع الأجسام تتغير كتلتها بتغير سرعتها

« ولم يقف الحد عند الكتلة والطاقة بل تعداها إلى الزمان والمكان فقد أصبحا في نظر علماء الطبيعة ظليين زائلين لا إطلاقاً لحقيقة وجودها » ثم شرح ذلك وضرب له الأمثلة توضيحاً وأشار إلى نظرية اينشتاين التي تخلط الزمان بالمكان

« الحالة الآن »

« والآن وقد اختلط الزمان بالمكان وزالت معالم المادة واختلطت بالنور ماذا تظنونه حادثاً للقوانين الطبيعية . ان الزمان والمكان لا يسبحان لي يشرح هذه النقطة الشرح الذي تستحقه ولكن سأذكر لكم وجهة النظر الحالية

اننا نقسم القوانين الطبيعية إلى قسمين . قسم نسميه القوانين الاحصائية وهي لا تعبر إلا عن قوانين الصدفة والاحتمال أمثال قانون بويل للغازات، فما هو إلا نتيجة وجود عدد كبير من جزيئات الغاز في اضطراب مستمر بحيث لا نظام إلا نظام الصدفة . (القسم الثاني) نسميه القوانين التتابعية ومثاله القانون الذي اكتشفه جحا في الحياكة المشهورة فإنه كان يسوق عشرة حمير فإذا ركب واحداً منها ثم عدّها كانت تسعة وإذا نزل ومشي ثم عدّها كانت عشرة وهكذا اكتشف جحا قانوناً من القوانين الطبيعية لا يختلف في كنهه عن كثير من قوانين الطبيعة

وربما كان خير وسيلة لختام محاضرتي ان أقرأ على حضراتكم ترجمة ماختم به السير « جيمس جتز » كتابه (الكون النافس) .

قال : لقد حاولنا أن نبحث فيما إذا كانت العلوم الحديثة عندها ما تقول عن مسائل صعبة وربما كانت إلى الأبد بعيدة عن مثال العقل البشري ولا نستطيع أن ندعي اننا نحنا أكثر من بصيص ضئيل من النور وربما كنا واهمين تماماً في لمح هذا البصيص فاننا ولا شك قد اضطررنا أن نجهد أعيننا إجهاداً عظيماً قبل أن نطفر بشيء ما ولذا فليس متزى كلامنا أن العلم عنده قول فصل بل بالعكس ربما كان خير ما نستطيع أن نقوله « ان العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال فان نهر المعرفة قد تفرج في أنجاء سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمح لنا أن نحكم بالناحية التي فهم مصبه اهـ

هذا ما أردت تلخيصه من محاضرة الأستاذ مشرفة باشا عميد كلية العلوم وقد أطلت في تلخيص المحاضرة المذكورة لما فهم من بيان حال التفكير في القرن الماضي وهو الذي حشا به القصص كتابه « الاغلال » معجبا به بريد هدم الدين والأخلاق بذلك وقد وسع الاستاذ مشرفة باشا بأنه كفلسفة الطفل ولعبه بالناسبه للرجل العاقل عند مفكرى القرن العشرين وإن قوانين الطبيعة التي يردنا القصصى أن تكفر بالله واليوم الآخر لأجلها كما كفر بسببها من قبل غوستاف لوبون ما هي إلا كعجار جحا الذي ينسأ حين يركبه ويمده ويتذكره إذا نزل عنه

ثم استشهد سعادة العميد بكلام السير جيمس جتز اننا نزر من الحقيقة إلا بصيصاً ضئيلاً بعد اجهاد الأعين وإن العلوم الحديثة ليس عندها ما تقول

عن مسائل صعبة ربما كانت إلى الأبد بعيدة عن مثال العقل البشري. وإن العلم ليس عنده قول فصل بل بالعكس خير ما يقال إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال لأن نهر المعرفة قد تفرج في اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمح لنا بالحكم على الناحية التي فيها مصبه

والسير جيمس جينز مؤلف كتاب (النجوم في مسالكها) و(كتاب الكون النامض) هو دكتور في الآداب ودكتور في العلوم وعضو المجتمع العلمي البريطاني وقطب من أقطاب العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية من الانكليز الذين يطرهم القصص ويتغنى بهم ، وسأقول لك نبذاً من كتابه (الكون النامض) الذي استشهد بمادة عميد كلية العلوم مشرفة باشا بجائحته بتبين منها جهل كاتب الاغلال بما وصل إليه الفكر العلمي في هذا العصر في مشكلته التي لم تحل وكتابه كله في الكفر بالله والإيمان بالأسباب التي لا تختلف عند الكاتب وأن المؤمن بها لا يمكن أن يؤمن بالله الفاعل المختار الذي يسميه قوة مجنونه خرقاء سقيمة (١). ويبدو منا أن تكفر بديننا وبدن الرسل كلهم لأجل أفكار تركها أهلها وعدوها صيبانيه مجونية هذيانية جعوية قد فيها كفر بالله واليوم الآخر هو غوستاف لوبون قال السير جيمس جينز في كتابه (الكون النامض) ص ١٦٩ س ١١ وما أكثر ما ينبغي عنا أننا لا نستطيع إلا أن نبحث هذه المسائل في صيغ الاحتمالات : وما أكثر ما يدبر رجل العلم بأنه يسدل آراءه على الدوام، وفي هذا ما يشعر بأنه ليس من الضروري أن يؤخذ بقوله جديداً على

(١) راجع ص ٣٢٥ من الاغلال

أنه لا لوم في الحقيقة على العالم الذي يرتاد نهر المعرفة إذا انحرف أحياناً إلى مجرى جانبي فرعي ولم يستمر سائراً في المجرى الأصلي : ذلك بأن المرتاد لا يستطيع أن يتأكد من طبيعة المجرى الجانبي إلا بعد أن يسير فيه ، وأخطر ما في الأمر وأبعده عن سيطرة المرتاد أن نهر المعرفة ملتوي يجري أننا نحو الشرق وأتأ نحو الغرب ، وقد يقبول المرتاد في وقت ما «إني أسير مع التيار» وبما إني متجه نحو الغرب فأكبر الظن أن يمر المعرفة — أي الحقيقة — كأن في الجهة الغربية فإذا تحول اتجاه النهر بعد ذلك نحو الشرق قال «كأن في الحقيقة الآن واقعة في الجهة الشرقية» وأكبر الظن أنه ليس من العلماء الذين عاشوا في الثلاثين عاماً الأخيرة من يستطيع أن يثبت برأى قاطع في اتجاه نهر المعرفة في المستقبل أو في مكان الحقيقة أين يكون ، ذلك أن تجاربه الخاصة تدل على أن النهر لا يتسع مجراه على الدوام فحسب بل تدل أيضاً على أنه دائم الانقواء . ولذلك ينصرف العالم بعد أن يلاق ضرراً من الخيبة متعددة عند كل التقواء عن الظن بأنه قد انتهى «إلى مجرى الحقيقة اللانهائي وأحسن معاله»

«ويلوح أننا على حق إذا قلنا مع هذا الاحتراس السابق إن نهر المعرفة قد انحرف انحرافاً شديداً في السنوات القليلة الماضية ، فقد كنا نظن أن نفترض من ثلاثين عاماً أننا سائران صوب حقيقة نهائية من النوع الآلي ، وأن هذه الحقيقة تتكون من خليط مهوش من الذرات قدّر عليه أن يقوم زماناً ما برفصات خالية من المعنى طوعاً لتأثير قوى عمياء ليس لها غرض معين ، ثم يرد ليكون منه عالم ميت لا حياة فيه . وفي

هذا العالم الآلى المحض ظهرت الحياة مصادفة (١) بتأثير هذه القوى الممياء نفسها، وافترق أن ناحية ضئيلة واحدة على الأقل من نواحي هذا الكون الذرى - وقد تكون عدة نواح منه - قد أصبحت واعية برهة من الزمن ولكنها مقدر عليها آخر الأمر بتأثير القوى الممياء أن تنجمد عن آخرها ثم تترك هذا العالم مرة أخرى لا حياة فيه « اه
هذا ملخص آراء الماديين فى القرون الماضى لخصه لك المؤلف فى عبارة وجيزة وهو الذى يدعونا إليه كاتب الأغلال فى فصله الأخير من كتابه تحت عنوان « مشكلة لم تحل »

فاسمع الآن رأى السير جيمس جينز فيما تطورت إليه أفكار القرن العشرين فى ذلك قال ص ١٧٠ س ١٨ « أما الآن فإن الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد فى الجانب الطبيعى من العلم يقرب من الاجماع على أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية وقد بدأ الكون يلوح أكثر شها بفكر عظيم منه بألة عظيمة ولم يعد العقل بعد خيلاً ألفت به المصادفة فى عالم المادى بل بدأ يحول فى خاطرها أن من واجبتنا أن نحويه ونعده خالق العالم المادى المسيطر عليه - ولستنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية بل

(١) من أكبر أغلاط العلماء الطبيعيين فى الماضى هذا القول الذى أذكره خطأ الآن من أن الحياة ظهرت فى الأرض مصادفة . إنهم لم يقولوه استنتاجاً من قرائن حملهم عليه ولكنهم لما عجزوا عن تفسير ظهور الحياة بعلمهم قالوا بظهورها مصادفة ! وهذا طبعا ليس بفرض علمى ولا بتفسير فكل إنسان يستطيع عند العجز أن يحيل أى ظاهرة على المصادفة . فالقول بالمصادفة والاعتراف بالمعجز التفسير سواء (غ)

نعنى ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكّر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا (١)

« وتلك المعرفة الجديدة تضطربنا إلى أن نمدل رأينا السابق الفطير وهو أننا قد أننى بنا مصادفة فى كون لا يعنى بالحياة أو أنه عدو لها بالفعل ويلوح أن من المحتمل أن يحتفى من الوجود ثنائية العقل والمادة القديم الذى كان من أكبر أسباب هذه العداوة « الخ اه

وافراً ما كتبه أول الكتاب من غرور طبيعى القرن التاسع عشر ورياضييه فى فهم هذا العالم وهو ما يدعونا إليه صاحب الأغلال وكيف انقلب عليهم التفكير رأساً على عقب بعد اكتشاف « بلانك » نظرية الكمة حتى أبطأت قانون الديببة الحتمية الذى يدعونا إليه القصصى تيماً لنوستاف لتكفر بالله ونؤمن به، وأتينا لانكون سببيين ناجحين فى الحياة حتى تكفر بالله وفدرة واختياره ونؤمن بالأسباب التى يعجز الله عن إبطالها أو التدخل بينها وبين مسبباتها وأنه إن فعل كان سفيهاً ومجنوناً أو كالمجنون إلى آخر ما قرره فى فصله الأخير من كتابه بعنوان « مشكلة لم تحل » وقد نقلنا لك خلاصته فيما مضى قريباً نصه

قال جينز ص ٢٠ س ١ « وقد أظهر اينشتين فى عام ١٩١٧ أن النظرية

(١) المهم فى هذا الكلام وأمثاله مما كتب جينز أن علمه الطبيعى جملة يدرك وجود الخالق سبحانه من خلال السنن التجليية فى القطرة بصرف النظر عما يرد فى كلامه من تصوير وتخييل قد لا يتفق مع ما ينبغي للخالق سبحانه من تزيينه من مشاهة الخفوتات . فالاسلام من ناحيته قد احتضن العلم ، والعلم من ناحيته بدأ يتصل بالدين إذ بدأ يدرك وجود الخالق سبحانه (غ)

التي وصفها بلانك - نظرية الكم أن الإشعاعات تسير دفقات متقطعة في قفزات واهتزازات - تظهر في أول نظرة على الأقل أنها تنطوي على نتائج أبعد أثرًا من فكرة عدم الاتصال وظهر أنها ستفقد ما كان لقانون السببية من الشأن في توجيه العلم الطبيعي في مجراه . لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الوثائق أن الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقًا واحدًا وهو الطريق الذي رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته في تسلسل مستمر بين علة ومعلول ، وأن لامناص من أن الحالة (أ) تتبعها الحالة (ب) أما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن هو أن الحالة (أ) يحتمل أن تتبعها الحالة (ب) أو (ج) أو (د) أو غيرها من الحالات الأخرى التي يخطئها الحصر .

نعم في استطاعته أن يقول إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالًا من حدوث الحالة (ج) بل إن في مقدوره أن يحدد درجة احتمال حالة من الحالات (ب) و (ج) و (د) بعضها بالنسبة إلى بعض ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين أي الحالات تتبع الأخرى لأنه إنما يتحدث دائمًا عما يحتمل . أما ما يجب أن يحدث فأمره موكول إلى الأقدار معها تكون حقيقة هذه الأقدار . ثم ضرب مثلاً مادياً بذرات الراديوم وغيرها من المواد ذات النشاط الإشعاعي أنها تتفكك بمجرد مرور الزمن عليها وتختلف وراها ذرات من الرصاص والهلينوم فينقص حجمها باستمرار ويحل مكانها رصاص وهلينوم . قال والقانون العام الذي يتحكم في معدل التناقص غريب غاية الغرابة شهبها بعدد الوفيات أو القتل في كتبية ترى بالرصاص

اعتباطًا من غير قصد لمن يصاب ، فليس لكبير السن أثر في ذرة الراديوم الواحدة بل تموت بمنية نحيط خبط عشواء ولا يدري بأي طريق تختار تلك الذرة للمنية لا بأكثرية اصطدام ولا بشدة حرارة فليس في الاستطاعة تفكيك الراديوم أو تعجيل التفكيك بضغطه أو تسخينه بل للموت يصيب على الأرجح في كل عالم ذرة واحدة من ألفين . ويرجو المؤلف في ص ٢٢ أن التاريخ قد يعيد نفسه فتعرف قانون العلة والمعلول أي فبا بعد أما الآن فلا يعرف

ثم ضرب مثلاً آخر بأنماض الضوء من المصباح الكهربائي العادي وشرح كيف يشع النور فقال ص ٢٥ س ١٦ « وقد بين ابنشتين أنه لا بد من وجود نوع آخر من القفزات وأن هذه القفزات لا بد وأن تحدث من تلقاء نفسها كما تفكك ذرة الراديوم من تلقاء نفسها ومعنى هذا بالاختصار أنه لا بد لنا من أن نلجأ مرة أخرى إلى فرض وجود القدر » وقال ص ٢٧ س ٣ « ومع أننا لا نزال نبيد عن القول الفصل في هذا الموضوع فقد نحيل إلتينا أن نمة عاملا من العوامل لم نجد له بعد اسمًا خيرًا من القدر يعمل في الطبيعة ليمحو أثر قانون السببية القديم الصارم . وقد لا يكون المستقبل كما نمودنا أن نتظر إليه قد حدده الماضي تحديدًا غير قابل للتغيير بل أنه قد يكون إلى حد ما على الأقل متروكًا لتصرف الأقدار معها تكون هذه الأقدار » وهناك اعتبارات أخرى توجه أفكارنا في هذا الاتجاه نفسه

مثال ذلك أن الأستاذ هايزنبرج أوضح أن مألوصه نظرية الكم

الحديثة بنطوى على مايسميه هو « قاعدة عدم قابلية التحديد ». ولقد ظللنا من قبله زمناً طويلاً نعتقد أن أعمال الطبيعة هي غاية مايمكن الوصول إليه من الدقة والاحكام ، ومع اننا نعلم أن الآلات التي يصطنعها الانسان بعيدة من الدقة والكمال ، فقد كنا نصرّ على الاعتقاد بأن أعمال الذرة الداخلية هي المثل الأعلى للدقة والاحكام ثم جاء هابزيريج فأوضح الآن أن أكثر ماتمعته الطبيعة هو الدقة والاحكام (١)

وقال ص ٢٢ س ٣ بعد ماضرب مثلاً لتناثر الذرات بغير نظام ومثله برمي مليون طن من قطع النقود في الهواء وسقوط مايسقط منها على وجهه وما يسقط على الوجه الآخر اتفاقاً فقال « ومن هذا يرى كيف كان من السهل أن يتسلل وهم الجبرية إلى العلم إن كانت الجبرية وحماً » وليس لدينا حتى الآن معلومات موثوق بها عن أية مسألة من هذه المسائل على أن هناك عدداً من علماء الطبيعة وإن كنت أظن أن هذا العدد أخذ في التناقص بسرعة كبيرة يتوقع أن قانون السببية الصارم سيستعيد في نهاية الأمر مكانته القديمة في العالم الطبيعي بطريقة ما ولكن الاتجاه الحديث في تقدم العلم لا يقوى مركزهم في ذلك ، ومهما يكن من شيء فإن السببية الصارمة ليس لها الآن مكان في صورة الكون التي نعرضها علينا علم

(١) العلم الطبيعي في موقفه الحاضر يدرك الدقة والاحكام حتى سننظره إلى تجزئ على السكتل والمقادير المحصورة من المادة والطاقة ولكنه إذا تمددنا إلى عالم غير المحسوس أشكل عليه الأمر وتبيل وقال قائله يمثل هذا القول . ولن ينجو من هذا التبيل حتى يعبد خالق الذرة مع العابدین (غ)

الطبيعة الحديث . وقد نتج من ذلك أن صار في هذه الصورة أكثر ، ما كان في صورة الكون الآلية القديمة متسع للحياة والشعور بقومان فيه مع الصفات الأخرى التي تقرنها عادة بها مثل الإرادة الحرة ، والمقدرة على تغيير الكون إلى حد ما بوجودها فيه وذلك في حدود الصورة نفسها . ومبلغ علمنا أو مبلغ مايسطيع العلم الحديث أن يتناقض به علمنا أن الأقدار المسيطرة على ذرات معنا قد تكون هي عقولنا نحن وقد تكون هذه العقول هي التي تؤثر بواسطة هذه الذرات في حركة أجسامنا فتؤثر بذلك في أحوال العالم الذي يحيط بنا . ولم يعد العلم اليوم قادراً على ألا يميز هذا الاحتمال بفلس له حجج دامغة يرد بها على ما هو متأصل فينا من الاعتقاد بأن لنا إرادة حرة . على أن هذا العلم لا يشير أية إشارة إلى ما قد يكون تقدم السببية أو الجبرية من معنى ، فإذا كنا نحن والطبيعة بوجه عام لانتعجب بطريقة فذة للتأثيرات الخارجية فما الذي يجدد مجرى الحوادث ؟ فإذا كان ثمة مؤثر أياً كان نوعه فإن هذا يلقى بنا في أحضان الجبرية والعلمية وإذا لم يكن ثمة شيء من ذلك فكيف يستطيع حدث أن يحدث (١) »

(١) لم يبق إلا خطوة حتى يتدين العلم مضطراً . إن العلم منكر الجبرية والعلمية كما رأيت وانتكاه هذا يضطره إلى نفي الاحتمال الأول : احتمال تجدد مجرى الحوادث بمؤثر خارجي من عالمها ، فلم يبق للإجابة على سؤاله الاضطراري : كيف يستطيع حادث أن يحدث ؟ إلا جواب واحد هو ما أجمعت عليه الأدباء وما توحى به فطرة الانسان في كل ما عرف من تاريخه إلى الآن (غ)

وفي رأي أنه ليس من المحتمل أن نصل إلى نتائج قاطعة في هذه المسائل إلا إذا فهمنا جيداً طبيعة الزمن الحقيقية خيراً مما نفهمها الآن. ثم أبان صمود فهم الزمن وأن قوانين الطبيعة الأساسية لا تقول لم يبر الزمن بلا انقطاع بل مستعدة لتجاوز احتمال بقاءه ثابتاً لا يتحرك بقدر تجاوز احتمال رجوعه القهري. وذلك أن تقدم الزمان إلى الامام بلا انقطاع وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول وإنما هو شيء أضفناه من تجاربنا الخاصة إلى قوانين الطبيعة المحققة وليست هي متصلة في طبيعة الزمن وإن كانت نظرية النسبية تهم أن تسم الرأي القائل بتقدم الزمن تقدماً مستمراً وبوجود الصلة بين العلة والمعلول بمسح الزم والحداد «

إن ماهية الزمن وما يكتنفها من غموض هي التي تمنع أفكارنا من التقدم وتقف بها عند حد محدود. وإذا كان الزمن من المسائل الأساسية وإذا كان فهمه على حقيقته سيظل أنه فوق مستوى مداركنا، فأكبر ظننا أننا سنظل أعجز من أن نقضى برأى حاسم في النزاع الطويل الآن بين الجبرية والقدرية (١)

« على أن أحل إلقاء، بدأ الجبرية وقانون السببية من علم الطبيعة بعداً إلى حد ما من التطورات الحديثة في تاريخ نظرية الكمية (الكونتم) ثم ذكر قوانين بقاء المادة والكتلة والطاقة، واعتراض علماء القرن التاسع عشر بذلك. ثم قال ص ٥٩ « وكان من عادة علماء الطبيعة في القرن (١) يعني القول بقانون السببية والجبر وعدم تخلف المسبب عن سببه، والقول بانغرام قانون السببية وتدخل القدر الإلهي والارادة الحرة في نظام الكون والخلق.

التاسع عشر أن يتحدوا عن هذه القوانين كأنها هي للسيطرة على الخليفة. وعلى هذا التفكير وضع الفلاسفة قواعدهم التي فرضوها على طبيعة الكون الأساسية. غير أن هذا كان يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة «

ثم ذكر كيف هبت العاصفة بالبحث النظري الذي قام به السير ج ج طلمسون بتغيير كتلة أى جسم مكهرب إذا ما حرك الخ وقال ص ١٤٠ « وقد يرى كثيرون من الناحية الفلسفية العامة أن أهم ما أتيه علم الطبيعة في القرن العشرين ليس هو نظرية النسبية وما أدت إليه من إدماج الفضاء والزمن معاً، ولا هو نظرية الكمية وما يبدو منها في الوقت الحاضر من إنكار لقوانين السببية، ولا هو تمزيق الذرة وما كشف عنه هذا التمزيق من أن الأشياء ليست كما تبدو في ظاهرها. بل أهم من هذا كله إقرارنا العام بأننا لم نفهم بعد الحقيقة النهائية، فكأننا كما قال أفلاطون في تشبيهه الشهير لأشكال محبوسين في كهنا مستديرين الضوء، ولا نستطيع أن نشاهد غير الظلال على الجدار، وكل ما يطلب إلى العلم الآن هو أن يدرس هذه الظلال، وأن يربطها بأسهل طريقة مستطاعة «

اتمنى ما أردت نقله من كتاب الكون الغامض للسير جيمس جينز العالم الفلكي الرياضي الطبيعي الإنكليزي المصري الذي مات من بضع سنين. وقال (١. ن. داس أندريه) في مقدمة كتابه « من أسرار الفطرة » تعريب الأستاذين الغراوي والكرداني، بعد ما ألخص نظريات الطبيعة في الذرات في نصف القرن الماضي ونظريتها في أول هذا القرن، وأورد

سؤال نافذ عالم الطبيعة إذ يقول: منذ نحو نصف قرن أخبرتنا أن الذرات صلبة لا تقبل انقساماً ولا انكساراً، مُخلّقة كاملة أول الخليقة واستمرت منذئذ في كمال غير منقوص. واليوم نخبرنا أن الذرات بنيات متفككة يسهل جداً كسرها. فأنت تتحدث عن ذرات شائعة تتكسر وتتحول إلى ذرات أبسط، بل وتبحث في احتمال أن تكون الذرات الأثقل قد تكونت في الأصل من الذرات الأخف. فأى قوليك تصدق؟ إن نظرتك التي يقبلها جيل بنبذها الجيل الذي بعده؛ فمن أين لنا أن نتق أنك هذه المرة على صواب؟ فأجاب بقوله: إن الجواب الصحيح في رأيي هو أننا لا نزعم لنظرياتنا أى صدق مطلق، إن الذي نزعمه إن نظرية مثل نظريتنا الذرية الحديثة لها مزايا عظيمة - إلى أن نال:

والنظرية تكون أحسن وأفضل كلما قل ما تستلزمه من افتراضات أصلية لتفسير ما يراد تفسيره. ولنا نزعم لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجود؛ فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تعديل كثير من تفاصيلها. ثم قال: من هذه الوجهة تكون أية نظرية علمية خاصة مجرد أداة وقتية نتخذها لنقتطع بها من كتلة الفطرة معرفة لنا بالعالم للمادى، وقد تحل محلها في أية لحظة نظرية جديدة.

ثم قال: فالفرق إذاً بين أى اعتقاد ديني، وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة، أنه لم علم يثبتون جوله أو يستقطون. وفي التخلي عنه العار والاثم. أما النظرية العلمية فهي عند أهلها صحيحة مادامت نافعة، ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته

وسيلة مؤقته تعينه على طريقه، ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأتمم. اهـ

فهذا عالم طبيعي يكتب رسالة في نظريات الطبيعة الجديدة على ضوء ما اكتشف في أول هذا القرن وآخر الماضي يقول: لا نزعم لنظرياتنا أى صدق، ولنا نزعم لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجود فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تغيير كثير من تفاصيلها، ويعتبر رجل العلم نظرياته حتى أحسنها وسيلة مؤقته، ويرجو خيراً منها (١)

وقصدى بهذا هو الرد على هذا المرور الذي يريدنا على الكفر بدينا لأجل ما سماه العلم والأسباب تبعاً لسنمه وغوستاف في كتابه «الآراء والمعتقدات» فهذا كلام أهل العلم المعصرى فيه، وهذا كلامهم في الأسباب التي يريد منا أن نعتقد بحز الله تعالى عن تعطيلها إذا شاء عطلها، وأنه لا يوجد مسبب إلا بسبب، وأنه من يؤمن بالله فاعلا يختار لا يكون سبباً فلا يكون ناجماً كافرره في فصله الأخير؛ ونقلنا لك نصوص عبر ساراته الشنيعة في ذلك الفصل الذي يشكك فيه في وجود الله تعالى

ولست أكذب هذا لأهل الإيمان بدينهم، وبكتاب ربهم وبما جاء فيه من أوصاف الله تعالى وكالاته وقدرته وحكمته واختياره، وما انفقت عليه الديانات في الإيمان بالله واختياره. وإنما كتبت هذا للذين اغتروا بكلام صاحب الأغللال فتشككوا في كلام الله وكلام نبيه، وآيات الله التي (١) فكيف يمكن أن يبنى عاقل على النظريات السامية معها كانت، نقداً يشكك به في أصل من أصول الدين اليقينية (غ)

التي أيد بها رسله ، وأكرم بها أوليائه ، بل تشككوا في الله سبحانه الفاعل المختار . وقد كشف عن اعتقاده أن المؤمن بالله فاعلا مختارا لا يمكن أن يكون سببياً مؤثماً بالأسباب ، ولا أن يكون ناجحاً ، وقد أشاد بالأسباب في كتابه وعقد لها فصلاً خاصاً ، فأبان بهذا أنه لا يؤمن بالله العظيم رب العالمين خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يقول الدهريون علواً كبيراً الذين قدّم بغير عقل ولا بصيرة ولا فهم كلوبون وقد نقلت لك من كتاب الآراء والمعتقدات ما تامل منه أصول كتاب الأغلال . فالرجل الذي يصف أنبياء الله ورسله في كتابه « حضارة العرب » ص ٣٤ بأنهم من ذوى الهوس ، ويقول فيه آخر « ص ٣٣ » « حقا إن من عجائب التاريخ أن يلي نداء ذلك المهوس الشهير - يعنى النبي ﷺ أعلى الله قدره وصانه من هذا الشين - شعب جامع شديد التشككة لم يقدر على قهره فتح ، وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدول ، وأن لا يزال يمسك وهو في جأته ملايين من الناس تحت لواء شرعه » الخ

فهل مثل هذا الجاهل الوقح يقبل ويجمع أصول دهريته مواد لتحريف دين الأنبياء إليها ؟

فاسمع كلام صاحب الأغلال في المتدين ومن يؤمن بالله واليوم الآخر وأقرأ من وسط « ص ٣١٦ » إلى وسط ٣١٧ كيف تهكم بالمتدينين وبإلههم وشبههم وشبه إلههم أفصح تشبيه إلى أن قال « ص ٣١٧ »

« اننا اذا تصورنا ذلك كله لم يعدر علينا أن ندرك كيف يحز المتدينون

- على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم^(١) وأمزجتهم وأجناسهم - عن أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً ، وأن يكونوا فيها مخلوقات متألفة

(وأمر آخر) ذلك أن المؤمنين يرون دائماً أن الله حينما خلق العالم وخلقهم قد ضمن أرزاقهم وكفلها وتمهد بحمايتهم ورعايتهم في كل أمورهم أو جلها . . . فيصيحهم هذا الاعتقاد بمنزل ما يصاب به الطفل المدلل المكسول بين والدين مدللين رحيمين تربين أى يصاب بالنواكل والاعتقاد على القوى الخارجيه وحينئذ لا يصنعون لأنفسهم ما يجب أن يصنع وما لن يظفروا به إلا اذا صنموه هم ولا يمكن أن يكونوا في أفكارهم مثل الذين يرون أنهم متروكون موكولون لقوام ولا تقصمهم .

ومثل بالطفل المدلل مع ذلك الرجل العصاى الذى يعمل ويناضل يعيش وإلا فلا سبيل له إلى البقاء .

ثم قال في آخر « ص ٣١٧ »

« ثم ان المؤمن يمتدح مادة - بأن الله تفضل عليه وأوجده من صميم العدم فن الواجب عليه أن يشغل بخدمة ذلك الرب المتفضل بالانقطاع لعبادته . . . وأن يصرف - ان استطاع - كل قواه وأعماله وأوقاته أو أكثر ذلك الى القيام بفكر ذلك المنعم الخالق المتفضل . . . وحينئذ يجئ ماجزاً في تناوله الأمور والحياة ويكون دون ذلك الذى صرف جميع قواه وأوقاته في سبيل الانتصار في معركة الوجود والبقاء »

(١) تأمل ذكر « أنبيائهم » لتعرف ثقافته حينما يذكر أنه يريد الدين الباطل فإكان الأنبياء ليأتوا الا بالدين الصحيح فهم عنده لم يهبوا الحياة شيئاً جديداً ولم يكونوا فيها مخلوقات متألفة يعنى كالملاحدة والزنادقة الذين وهبوا الحياة وتألقوا فيها بزعمه ، وبالبته أعلن دهريته صراحة بدل هذا النفاق المفضوح وهاجم بطلا لا تعلباً مراوفاً محتالاً

هذا هو رأيي في الإيمان بالله والمؤمنين به لا يحتاج إلى تعليق، تكفى قراءته للحكم عليه.

أما رأيي في الإيمان باليوم الآخر ركن الإيمان في كل الأديان السماوية كلها، والذي قرنه الله مع الإيمان به في غير آية، فقد مهد لذلك بذكر الآمال والأهداف، وإن المؤمن هدفه الأكبر وأمله الذي يملأ قلبه هو الإيمان بالآخرة. ثم رتب الحكم على ذلك فقال (ص ٣١٨)

« على أن هنالك ما هو أكبر وأظهر في إيجاد الاختلاف بين المتدين وغيره في هذه القضية

ثم ذكر أنه لا بد للإنسان من أمل وأنه لا يحيا إلا بأمل، واختلاف الناس بحسب اختلاف آمالهم. إلى أن قال آخر هذه الصفحة

« على أنه لا خلاف في أن أسمى هذه الآمال وأقواها في الاجتذاب والتوجيه والسلطان هو ذلك الأمل الضخم الذي في تلك الحياة الفخمة الأبدية التي بنال فيها المرء المخلود وكل ما يرجى من حاجات الجسم والنفس بدون أن يكدر ذلك شيء من المكدرات المعروفة التي تقرب لتمام هذه الحياة الأولى القصيرة، فإذا استطاع إنسان أن يشغل هذا الأمل وأن يغنى ويتغنى به، فلا محالة من أن يشغله ذلك عن كل شيء في هذا الوجود وقد يطغى عليه وعلى وجوده حتى لا يدع لهذه الحياة شيئاً وقد يدع شيئاً قليلاً أو كثيراً، وقد يغنى عن هذه الحياة وينيب عنها لأنه ليس من أهلها لا ينافس ولا ينافس، ويصير كذلك الرجل الورع الطيب (يعني عبد الله بن عمر) الذي صرفه ورعه ودينه عن كل ما هنا حتى قال فيه معاوية بن أبي سفيان، وهو يضع خطوط الطريق لابنه يزيد، أما فلان (يعني ابن عمر) فقد أعجزه الورع فدفع له دينه يدع لك دنياك فإذا لاحظنا على المتدينين - أفراداً وشعباً - عجزاً عن إيجاد الحياة وعن

التحليق بالصناعة والوراثة أو التجارة أو العلوم المادية الإنسانية، أو عن أي شيء مما من وسائل الحياة وأسبابها فلتعلم أن أحد أسباب هذا العجز هو التصور لهذا الأمل العظيم (أمل الإيمان بالآخرة وسعادتها) والانبهارف إليه بأكثر العقل وأكثر الأمل وأعظم الاهتمام

ثم مثل بيلي بن أبي طالب وجيوشه وانهمزامهم واستيادهم لإيمانهم أمام معاوية وجنوده - يعني لعدم إيمانهم - ثم قال ص ٣١٩

« وإذا ألقينا الرجل النقي الورع المحافظ على فروضه وعبادته ينهزم هزيمة في كل عمل يتناوله أمام ذلك الذي جعل فرضه ودينه وعبادته هو التحليق بتجارته أو صناعته مصيراً ذلك إليه المطاع المعبود وربه

فالمؤمنون يشتغلون إذن بآملهم في الآخرة عن أن يصنعوا لهم في الدنيا أملاً جسيماً عظيماً فيأبون عادة عاجزين عن اللحاق بالآخرين الذين صنعوا لهم هذا الأمل ثم أعطوه كل نفاطهم وإبداعهم فأصبحوا فيها السادة الغالبين

ثم مثل بأوربا أيام كانت مؤمنة بالكنيسة في ذلها وهوانها، وضعفها وعجزها. ثم قال :

« فها أن مرقت من إيمانها وتنازلت عن ذلك الأمل الأخرى وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هي ألفتها التي وحدتها وأبت الاشتراك بها صمدت بالحياة الضعوف الذي أعجز أبصارنا بنوره والنظر إليه. وقد قال أحد فلاسفة الإنجليز المعاصرين^(١) المدرسين اليوم في إحدى الجامعات البريطانية - وهو ملحد كما هو الظاهر - إن أوربا لم تستطع أن تكون أوربا إلا بعد أن اعتنقت نفسها من رق الإيمان بالآخرة وبالله »

(١) الظاهر أنف الدبارة هي لوستاف لوبون فالمعاصرة هي له لالسكراب خوف ما توهمه عبارته وسرقته التي لم يمز فيها الكلام لصاحبه. ولعله يريد سبنسر فيلسوف الإنجليز

ثم مثل بروسيا القيصرية المسيحية منذ أقل من ثلاثين عاماً كانت مثلاً طيباً للفقر والضعف والسكنة والجليل حيناً كانت مسيحية متدنية صالحة . فلما أن مرق بها البلاشفة وصنعوا لها أرباباً أخرى وعبادة أخرى صارت هي روسيا اليوم قاهرة ألمانيا التي لم تكن تقهر . الخ .. والواقع يكذبه فروسيا الدهرية الشيوعية ليست خيراً الآن من روسيا القيصرية للمسيحية في النقي والقوة ، ولا روسيا الشيوعية الدهرية هي التي كسرت ألمانيا وحدها بقوتها ودهريتها ، وأسباب هزيمة ألمانيا معلوم لأطلسال السياسة ، فقصمات استدلال الكاتب كنتاجها فلسفة وكذب على الواقع ولكن الهوى في اختصار الدين ورميه بكل باطل يعنى ويصم ، وما الحيلة فيمن يخون (١) ثم يستدل بخرقه بيهتان يفضحه الواقع المشهود ؟

ثم مثل بتركيا اليوم وكل الأمم الحديثة والقديمة وباليابان والصين ، ثم بالهند واختلاف الديانات فيها . إلى أن قال ص ٣٢١

والمقلاء يعلون اليوم جيماً أن الهند لن تظهر بالحياة المرتجاة ما لم تغير أديانها أو تغير فهمها لها أو تتركها . وقد أكذبه الله في كذبه على المقلاء ، والهند اليوم تسلمت مقاليد حكمها ، وصارت دفة البلاد بيد أهلها ، هندوسها ومسلمها كل في بلاده بدون تغير دينهم . فأعجب بالجرأة على الله وعلى غيبه ومستقبله

ثم مثل بإبداع الاغريق والرومان والمصريين القدماء (٢) وغيرهم لمباقيهم في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل أمهم ورجاهم للشود

(١) خرق كذب واختلق ومنه قوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات غير علم) (٢) المعروف أن مدينة قدماء المصريين ورفيقهم إنما كانت بدافع الايمان بالآخرة

« وهوت الأمم الأخرى التي انصرفت بأمالها عما ترى ونحس ونجد ، إلى ما لانحس ولا نجد ولا ترى ، حتى ان رجلاً فيلسوفاً عظيماً هو الدكتور غوستاف لوبون لما لاحظ هذا قال في كتابه الموسوم (بالآراء والمعتقدات) « إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر » لأنه على ما زعم قد وقف بالخنسار عن التقدم إلى الامام . قال « ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة إلا في عهد الوثنية وعبادة الاصنام » (١)

نبرأ الكاتب في حاشية سفلى هنا من كل زيف وإلحاد ، وأن غرضه من هذه الأقوال الاعتبار وطلب الفائدة ، لا الايمان بها ، مع أنه قررها أولاً وأعاد وكررها في تقريرها ، فإستشهد بكلام غوستاف لوبون إلا بعد ما قرره في عمل الاغريق وما عطف عليهم وإبداءهم لعبادتهم مانحس . الخ ثم إذا كانت في هذه الأقوال فائدة واعتبار فلم لا يؤمن بها ؟ هل يستفيد الانسان ويعتبر الا بما يؤمن به ؟ وأي فرق بين قول غوستاف وقول الكاتب « وهوت جميع الأمم التي انصرفت بأمالها عما ترى ونحس ونجد إلى ما لانحس ولا نجد ولا ترى »

أليس هذا هو الكفر بعالم النيب الذي هو أحد أركان الايمان في الديانات السماوية كلها ، فأنه وملائكته واليوم الآخر والجن وخبر الرسل المتقدمين : كل ذلك من النيب الذي يجب الايمان به والذي امتلأ به كتاب

(١) لم يكن يختر ببال أن يصل السفه والشطط بملحد أي كان إلى تفضيل الوثنية على الاديان السماوية ، وعبادة الاصنام على عبادة الله ، وعقل ينزل به السفه إلى هذا الدرك جدير ألا يؤبه بأي قول يقوله في أي ميدان من ميادين القول لأن يؤمن به ويحتج بقوله في نقد دين ما ، بله دين الاسلام (غ)

الله تعالى حتى ان أول وصف للمتقين في أول سورة البقرة قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) فاذا قرر الكاتب أن الامم التي تترك ما نجد وترى ونحس إلى ما لا ترى ولا نجد ولا نحس، تهوى. فهذا هو قول غوستاف: ان الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الاصنام
فهل يظن الكاتب أن القراء لا يقول لهم فيقرر كلام لوبون أعظم قرير، ويستدل به ثم يندثر الرماد في الميون بهذا الحاشية التي تنقضا ما في أعلى الصحيفة

ثم مثل بملاحظات فردية بنجاح غير الاتقياء فقال ص ٣٧٧

« ومن الملاحظات الفردية في هذه القضية أن الأحاد الذين تراهم ينجحون في التجارة أو الصناعة أو العلوم أو غيرها من الجوانب الانسانية هم دائماً من غير الاتقياء الورعين وأنه لا يقدر على المنافسة القاسية إلا أولئك الذين تركوا الأوامر الدينية جانباً وراءهم حتى اننا إذا حاولنا أن نلتبس في تاريخنا قسمة مكان أولئك الأفاضل القلائل الذين بلغوا في سماء الشعر والأدب الخالد أو قاموا بنظريات علمية لها بقاء وخلود أو جاؤوا بفلسفة ذات شأن معترف به بين الفلاسفة لم نجد لهم إلا بين أولئك الذين وصفوا بالفردي والانحلال الديني أمثال المتنبي وأبي العلاء وابن الرومي والملاحظ وابن سينا والرازي والفارابي وابن رشد وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وسواهم. ولا زال حتى اليوم نرى أنه لا يقوم بنصره شؤون الدولة الكبيرة كالوزارة والسفارة وأمثالها الاجامات تختار من غير الاتقياء حتى اننا (يريد أمثنا يعني السعودية) التي شهرت بالتدين وبتأسيس ممالكها وحكمها على أوامر الله نجدها تعرف هذا وتعترف به وتكمل أمورها الرسمية ذات الشأن إلى غير المتدينين، وهذا لانها تعلم بالاستقراء والتجربة

أن هذه الشؤون اذا أسندت الى جماعات الصالحين لم يحسنوا ولم يستطيعوا القيام بها »

ثم استشهد بقول عمر « لوددت أني وجدت رجلاً قوياً تقياً مسلماً أستعمله » ويقول « إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الورع » الذي لم يفهم الكاتب مراد عمر منه فلم يكن عمر يوماً ما دهرماً حتى أيام جاهليته بل كان يعرف الله ويخافه بالتيب ويقدم في حكومته المؤمنين ورضاهم ويأمنهم ويبعد الفسقة به الكفرة به الدهرية، وحكاية إنكاره على عامله أبي موسى الأشعري استكثابه لنصراني معروفة .

وهنا نسأل الكاتب سؤالين نرجو جوابهما صريحاً بدون مداورة أو روغان.

(الاول) مؤسس المملكة العربية جلالة الملك عبد العزيز بن سعود هل هو مع نجاحه الباهر تقي ورع صالح أو فاجر متمرد تارك لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول انتفضت قاعدته رأساً على عقب، وان قال بالثاني - ولا أظنه يقول به وان اعتقده - كذب به الواقع الملموس المحسوس . فهو مخالف للواقع على كل حال

(ثانياً) عمر بن الخطاب ذلك المبقرى الناصح الذي فتح الشرق والغرب هل كان متديناً تقياً ورعاً متبعاً لدينه مصلحاً مسليحاً عابداً أو كان فاجراً فاسقاً تاركاً لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول تبعثر كتابه شذر مذر، وتبخرت بحوئه وجهوده . وتناثرت أفكاره وذهبت أدراج الرياح وانمحق ما يدعو اليه ويشير به من الكفر بالله واليوم الآخر والفجور والابحاد .

ولأن قال بالتالي باهت التاريخ والواقع ، وصار مقترفاً كذاباً أفاكاً ، قليل العقل والحياء .

ثم نسأل عظماء رجال المملكة السعودية من وزراء وسفراء وغيرهم : هل هم حقيقة جاز فستاق ليس لهم دين ولا تقوى ولا ورج ، فذلك نجحوا وأُسندت إليهم هذه المهام لعدم دينهم ولفسقهم وجورهم ، وعدم تقوam وورعهم ؟ ثم نسأل الحكومة السعودية نفسها : هل هي حقاً وثقت بمن لا دين له لعدم دينه ، وأنها لا تتفق بالمتدينين من أجل دينهم ؟ وهل حقاً ما قاله ذلك الكاتب فيها وفي رجالها ؟ تريد أجوبة صريحة في ذلك كله

المتدينون لا عقل لهم بتجربة الكاتب وحكمه عليهم . قال ص ٣٢٣
ثم انه قد علم بالتجربة أن المتدينين يفقدون الميزان الفكري الذي توزن به الأمور في الغالب ^{١١} ويصبحون من الناحية النفسية أناساً طبيعيين خيبرين فاقدين لكل مناعة عقلية مستعدين استعداداً غريباً للوقوع في حبال المعضوذيين والدعاة المضللين ، يحين عن كل الحقائق التي يراها ويستفيد منها الآخرون ويرتفع لديهم سعر التهريج والدجل ارتقاعاً عجيباً وتثبت أرضهم الدعاة الكثيرين - دينيين وغير (١) فان أردت الأصول التي فرعها الكاتب من كلام غوستاف في كتابه (الآراء والمعتقدات) فاسمع لقوله لوبون ص ١٤٦ « المتقيد هو إيمان لا يتطلب ثببات أمره أدلة - إلى قوله « وبراهين المؤمنين في الغالب صبيانية بالنسبة للعقل ومع ذلك فليس من خصائص العقل أن يقضى فيها لاشتقاقها من عناصر دينية أو عاطفية لا صلة بينه وبينها . ولما كان العقل غير مشترك في تكوين المعتقدات فإنه لا حد لسرعة التصديق في المؤمن ، ولا يتخيل أن المؤمن يعاقد الأشياء من غير برهان بدليل أنه يستشهد بالبراهين على الدوام ، غير أن هذه البراهين التي يقع بها تدل على ما فيه من سذاجة متناهية ، وسرعة تصديق متأصلة »

دينين .. ويصيخون لكل ناعق ويهزون بسخاء نادر جيورهم وقديهم وعقائهم لكل سائل لأنهم بعد أن عزلوا ^{١٢} العقل وتنازلوا عن تحكيمه عجزوا عن أن يعرفوا الحق من الباطل ، والصادق من الكاذب ، والقائد من المصائد ، فصدقوا المستحيلات والمتناقضات ، وأمنوا بأشنع الترهات ، لأن الدامم من كل ذلك وهو العقل - قد أبعد وعزل »

ثم مثل لانهيار عقل المتدينين بتصديقهم لما كان يشاع في الحرب الماضية ثم استطرده فعمم عدم العقل عند المتدينين قديماً كاهو الحال الآن ، واستشهد بأشعار من ذلك ثم كلف نفسه تحليل ذلك فقال ص ٣٢٥

« ومن الواجب أن نعرف سبب هذا الاستسلام والضعف الفكري لدى هؤلاء المتدينين والذي يظهر لنا كثيراً أن من أسبابه أنهم ينكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط عقلي وتحليل ثابت بل يرون أن الوجود كله - بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مجنونة - أو هي كالجحشنة - في أفعالها وتصرفها (أنظر كيف يعبر عن الله الفاعل المختار) ولهذا فلا فوائيد ولا ضوابط للمعجزات والحوادث - تأمل شك في آيات الأنبياء ومعجزاتهم - فكل

(١) من الذي قال أن المؤمنين المتدينين عزلوا العقل وتنازلوا عن تحكيمه ؟ وأي قيمة لقول كذا مادام مصدره الهوى والتجني على الدين وأهله ؟ ومن الذي قال إن الإسلام يعزل عن العقل - والرجل يكتب للمسلمين لاليهود ولا للمهندوس والاسلام يحكم العقل ويأسر بحسن تصرفه واستعماله في مئات الآيات ان الرجل يكذب ويفترى ويتخذ من افتراءاته حججاً على الناس ممن يكرهه ؟ وللناس ممن يود أن لو كان مثله في الدنيا . ولقد كان يستطيع أن يقلد أهل الدنيا في أخلاقهم وسننهم ويجربها في نفسه لنظر أين تقضى به من غير أن يظعن في أهل الدين كل هذا الطعن المنكر المكذوب (غ)

فى « جاز وكل شئ مستحيل »^{١١} فيصابون بالنساد الفكرى العام وإذا اختلت الوسيلة فكذلك النتيجة . وإذا انهار الأساس انهار بلا شك ما رفع عليه ! ولن نجد ميزانا فكريا لدى هؤلاء الذين يعيشون في هذا الجو المسحور المجهنم المائج بالخرافات والمعجزات والكرامات التى صنمها الشيوخ والصالحون ساخرين من القوانين الطبيعية »

فأعاد ما كرره سابقا ان الايمان بررب فاعل مختار يفعل ما يشاء على مقتضى حكمته لا على موجب هوس الماديين الطبيعيين وأغلامهم المتقيدة لأفهامهم ، وأنه يؤيد رسله بالآيات والخرافات التى تسمى عيون معارضهم وتغير أصحاب الفكر المادى ، فيلجأون إلى الهبت والتكذيب بما لم يحيطوا به علما . قرر الكاتب أن هذا كله مناقض للمقتل مبعد له . الخ ما سمعته من

كلامه . ثم مثل ضعف عقولهم بقسوة قلوبهم معللا لذلك فقال ص ٣٢٥ « وهذا التعليل صحيح على وجه الاجمال كما يبدو لنا كما علل بعض علماء النفس والاجتماع القسوة التى يتصف بها المتدينون غالباً إذا قدرنا وأخذنا خصومهم أخذاً عادياً من الشفقة الانسانية - بكثرة ممارستهم صناعة التخويف والتهويل للمصاة والكافرين وكثرة قراءتهم النصوص التى تصف الأحوال المعدة لأهل الآلام والشهوات فقد صاغوا طابعهم وأنفسهم بطابع الغضب والقسوة والعنف فارتاضوا على ذلك كثيراً حتى أصبحوا جوعاً تنطق باسم الدين وتفترس على حسابيه . ومن ثم فالتنازع عند هذه الجماعات المنسوبة إلى الدين الساطقة باسمه لو أنها استطاعت الوثوب على الحكم ووضعت السلاح فى يدها لحكم البشر

(١) كذا والعبارة مختلفة ولعلها كانت هكذا « وكل شئ غير مستحيل » ولكن غير الورعين الذين طبع كتابه عندهم حرفوها له كما أنه مررت بحرينيات أخرى غيرها ص ٢٩٠ س ٧ وس ٩ فكيف لم يصححها ولا غير المتدينين

عهد من الازهار يتضائل ازواه كل إرهاب يستنكره العالم اليوم^{١٢} . وهذا أمر يجب أن يعرفه أولو الرأى والمقدرة وأن يحسبوا له الحساب قبل فوات الآوان ولن نجد أفسى قلباً ولا أفتك يداً من إنسان يقب على عنقه وماله ويقتلك ويسلبك معتقداً أنه يتقرب إلى الله بذلك ويجاهد فى سبيله وينفذ أوامره وشرائعه . والسوء لمن ناموا على فوهة البركان فاثبتن لعله لا ينطلق^{١٣}

فى هذا الكلام استهزاء بالنصوص الدينية الأخروية فى وعيد العصاة والفجرة والكفرة . فاذا ضم مع ما تقدم من التشكيك فى الله تعالى

(١) هذا كلام ملقى إلقاء من غير تقدير ولا حساب وإلا فالتعصب ضد أهل الدين هو وجدته التى تزين لمثل هذا الرجل أن أهل الدين يكونون فى الحكم أفسى على خصومهم من أهل الثورة الفرنسية مثلاً فى الماضى وأهل الشيوعية فى الحاضر (غ)

(٢) وفى حاشية ص ١٨٠ رى المتدينين بالقسوة والخسوة فى معاملة الناس ، وعلى ذلك باعتقادهم أن الاتصال بالله والايمان بمعظمته وكامل قوته يستلزم إهانة خلقه الضعفاء فشتهم وإهانتهم كالبرهان على الثقة بالله وعلى أن الضر والنفع منه وحده . اه قبل تعجب من هذا البهتان الذى يفضحه الواقع أو من الخلد على الدين وأهله أو من هذه الفتحة للفضيحة وإن أردت أن تعرف كيف نبت هذا الفرع الأغلال من أصل غوستافى فقرأ ما كتبه لوبون فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ١٤٦ س ٧

س ٧ « ويتضمن اليقين الدينى واليقين العاطفى فى الانسان احتياجا يذو حل الناس عليه ، فالرء عند ما يؤمن من نفسه قوة لا يتحمل أن يرى غير يقينه عند الباقين ولا يتأخر لحظة عن اقرار أشد المظالم والايمان بأفطع المذامخ فى هذا السبيل حتى لقد خرب أولو اليقين العالم فى كل زمان وبما يخشى على الأمة أن يقودها هؤلاء . . . فليفرن رجل ذو قوة كأمبراطور المانيا أن يقتبس قوته من الله ثم ليتوهم أن الله أمره بشهر الحرب على الملاحدة لئرى كيف يقلب أوروبا كما قلبت فى الماضى بفعل مثل ذلك اليقين » اه

واحتفار المؤمنين بالآخرة ، وتعظيم الفجار والكفار والكفرة بهما، علمت ما يظوى عليه جناح الكاتب وأهدافه في أغلاله . ثم التشهير بالدين وأهله وزمهم بالقسوة والغلظة التي لا تظير لها في تاريخ العالم ؛ ثم تحريض أهل القوة والرأى والسياسة على خنق الدين وأهله وكنم أنفاسهم وعقهم قبل أن يشوروا كالبركان، ثم الهزء بالجهاد في سبيل الله ورعى أهله بالقسوة والوحشية . كنت أعجب كيف جاءت هذه الأفكار الهدامة الفجة الدهرية لمثل هذا المطوع (١) العاوى الذى لم يؤت من العلم ما يوازى الشهادة الابتدائية فضلا عما فوقها من فنون العلم والعرافان ، وبدايته ونهايته العلمية معروفة لدى عارفه فقط ثم خطر ببالي أنه طالع كتب غوستاف لوبون مثل كتابه « الآراء والاعتقادات » « وروح الاجتماع » « وسر تطور الأمم » الخ وأمثاله من الهدامين لجود التصرائية في المصور المتأخرة ومحاكية سيطرة الكنيسة على أهلها بالمدوان والظلم والجهل

فتعذى هذا الكاتب بهذا التقيح والصديد ونفته سموما على دين الاسلام وأهله ولم يعلم - وهو يدعى العلم والفهم - أن الاسلام وأهله وتاريخه غير النصرانية وأهلها وتاريخها ولكن (من لم يجعل الله له نورا فإنه من نور) (ومن يضل الله فلن نجد له ولما مرشدا) (أرأيت من اتخذ إليه هواه وأضل الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ أفلا تذكرون)

(١) المطوع بلغة نجد هو المنتبه للمتدين وليس بهم وهم كصنف الفقهاء بمصر الذين يظهرون بمظهر العلماء وملايهم وليسوا بهم .

أراد الكاتب أول ص ٣٢٦ أن يعتذر عما سبق من فيج وسموم وأقذار في وجه طهارة الدين وثقافته فاعتذر بمذير (احدهما) أن الدين «إذا أخذ على غير وجهه وقصد به ضارا ومفسدا لأخلاق الانسان وكل معانيه الطيبة .. (وثانيهما) أن البشر عاجزون - فيما يبدو لنا حتى اليوم - عن أخذه وفهمه وتصوره على وجهه النافع المفيد بل هم إما أن يبقوا غير متدينين أو متدينين تدبنا بالطلا - كما أثبت هذا جملة تاريخ الانسان ولا بد من إيهتياهم فترات أو مضات قليلة خافتة » ويظهر أن المبادئ الانسانية العظيمة تآتى دائما سابقة لاستعداد الجماهير من البشر فاذا دعوا إليها أو فرضت عليهم - قبل تمام هذا الاستعداد - أخذوها أخذاً سيئا ضاراً بهم وبالمبادئ نفسها وذهبوا يعملون بها على غير وجهها وصوابها ومن هنا تآتى النكبة . . والدين هو أحد هذه الأمور الجلية التي يحزن الناس عن تصورها تصورا صحيحا لأنها جاءت قبل استيفاء استعدادهم الموقوت، فراحوا مغميا هذا التصور الباطل »

فالدين في نظر الكاتب لم يفهمه الناس إلى اليوم ، والرسول تبعث عبثا وأتباعهم لا يعرفون الدين حتى يحىء هذا الكاتب ومن تعذى بأفكارهم فيفهمون الدين فهما دهريا ، من أسباب التخلخف ، ولا يمكن لله أن يبطأها ، ولا أن يحول بينها وبين مسببها . وكذلك من فهم الله فاعلا مختارا يؤيد رسله بالآيات ويخرق لهم النوااميس التي لا تخرق عنده هذا الكاتب وأمثاله . فقد فهم الله قوة مجتوبة أو كالجنونة فلم يفهم الدين فهما صحيحا ، ومن كان سببيا ناجحا فلا بد له من الشك في الله وقدرته ، ومن آمن بالله فلن يكون سببيا ناجحا له عمل في الحياة متألقا فيها . أما أنبياء نبي إسرائيل وأنبياء المتدينين عموما فكانوا كالأعمان بالله واليوم الآخر نكبة على البشر تأخيرا للحياة وأهلها . الخ

يعنى اليوم الذى يقدر البشر فيه أن يدركوا من حقائق الأديان ما لم يدركوا وأن يفهموها ويفهموا مراميها السامية كما أريد منها وبها وحيثئذ - حيثئذ فقط ستبلغ بهم السمو المقدر لهم قديماً .

ذلك اليوم الذى يترقبه الكاتب فيما نراه نحن هو يوم انتشار الفوضى الأخلاقية والدينية ، يوم يمشى الناس عراة كاليهاثم ، ويتساقدون في الطرقات كالجر ، كما أشار إليه الحديث الصحيح « إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وعلى كعيب كعيب » ويوم تطلع الشمس من مغربها وحيثئذ (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون) ويتطامس معالم الدين حتى لا يقال في الأرض الله الله . يوم تهب ريح طيبة فتقبض كل نفس مؤمنة ، وتكون حيثئذ الدهرية مستحكمة ، والإيمان بالطبيعة وجمالها - على حد تعبير الكاتب - قائماً ، أخذاً بزمام الناس ، وحيثئذ تكون الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى يفجأهم وضعتها ...

يريدنا الكاتب فيه أن تكفر بالقرون الفاضلة من الصحابة والتابعين وزحف القسوة بهم وتهمهم ، وأن تكفر بهؤلاء الأئمة ومعارفهم وفضائلهم ، وما قالوه وعملوه أو تركوه لنا ، وتهكم بمن يدعو إلى الأخذ بما أخذ به الأولون ، فقرر نظرية النشوء والارتقاء في المادة والجماد والنبات والحيوان ؛ وحكى ما تخيلوه في كيفية نشوء هذا العالم من مادة سديمية وكيف تجمعت وتكثرت شمساً وسيارات وأقاراً بكلام غير مفهوم بلسان العلم اليوم ولا بلسان الدين أمس ، فقال (ص ٢٨٨)

« ثم أخذت هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه والاستعداد والنجوى فيها للتطور تنقسم على نفسها وتنقسم عنها النجوم والسيارات والتوابع ليكون لكل شمس من هذه الشموس مجموعة متماسكة من هذه المجموعات التى يدعوها اليوم المجموعات الشمسية أو المجموعات النجمية التى إحداها مجموعتنا الشمسية التى نحن إحدى رماياها .

فأنت ترى في تعبيره هذا أنه لم يقل أو لم يعرف ما قاله العلم اليوم في تولد الشموس والسيارات وتوابعها ، ولو قرأ كتاب (النجوم في مسالكها) وكتاب (الكون الغامض) كلاهما للسير جيز الفلكي الانكليزي ، لكان له تعبير آخر أقرب إلى كلام أهل هذا الفن . ولسنا في صدد حكاية كلامهم ، فهو مبسوط في عمله ، والفرض التنبئ على أن الكاتب وقف على نظرية لا بلاس في تولد السيارات من الشموس ، وهي اليوم أضغف نظرية في ذلك وأوهاها ، وقد جدت بعدها نظريات وتستجدد غيرها . والعلم الحق عند

خالق الكون وواهب العلم

ثم تدرج الكاتب من ذلك بعد كلام طويل على إلى نشوء الإنسان في ثلاثمائة الف سنة . وعبر ثلاثمائة سنة غلطاً في موضعين (ص ٢٩٠ و ٩٧) وقد نقلنا كلامه بنصه فيما مضى (ص ١٤) ثم تدرج من ذلك بسفاهة ووقاحة وبذاءة على زعماء الدين فقال (ص ٢٩٣)

« أما هؤلاء الذين قلدوا الزمام الدينية واختيروا لقيادة الفكر الاسلامي في احوال سيئة فاسية ولأسباب يتكرها الدين والعلم قد عصفت بهم نوبة من نوبات الفساد الذهني وموجة من موجات العماية الأصلية واجتاحهم إعصار من أعاصير الجهل التليد البليد فقاموا وهم يترنحون من الغباوة ويتأيلون على أنغام الشيطان ليوقموا على أكذوبة علمية من أعظم وأشهر الأكاذيب العلمية في التاريخ ففسد زعم هؤلاء - بين هتاف الغباء المتواصل - في كل كتاب كتبوه وقول قالوه أن سمادة الإنسان وطريق تقدمه وراءه لا أمامه، وأن عليه أن يتلفت خلفه أبداً وألا يمد بصره بين يديه أبداً وأن يرجع القهقري وينكس إلى الوراء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ليظفر بالسعادة والعلم والمثل والمقتل والاخلاق وبالعدالة والنظام الاجتماعي المبرأ من العيوب والنقائص وزعموا أن كل خير هو في أعمال الماضي وكل شر هو في أعمال المتأخرين وأن كل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف وأن كل ما يمكن تصوره من الخير فقد مضى، وكل ما يمكن تصوره من الشر فقد بقى ... »

إذ قد ادعوا أن الإنسان في كل نواحيه العقلية والعلمية والاخلاقية والخلقية والجسمية قد أخذ حظه من الكمال في الزمان الأول ثم عاد يتناقص وراح ينحدر مسرعاً في سلم الرذيلة والجهل والانهطاط والضعف في كل شيء وأنه لا يمكن أن يتوقف عن انحداره حتى يقضى عليه القضاء الأبدى الأخير الخ . وحسبك من شتم هذا الوقع لمن احترم السلف وعظمهم : واعتقد

فيهم الخير والفضيلة بذاء وما هذى به من تحقير خير القرون وأزهر عصور الاسلام وحقده الذي لم يقدر على إخفائه على الاسلام وأهله وعلمائه ومحاميه . أما مسألة تقدم الإنسانية أو تأخرها ، وهل هي في ارتقاء أو انحدار ، فستأخذ من أحدث آراء العلم عن لسان استاذ في جامعة من جامعات العلم بأوروبا التي يعيدها الكاتب ويؤمن أنهم هم الناس فضلاً عن نصوص الدين كما ترى : فإذا نشترى : آلد أم البير ؟

جاء في مجلة الاثنين عدد ٦٧٦ (٢٦ مايو سنة ١٩٤٧) تحت عنوان (يوم القيامة قريب) « يقطع العالم الألماني شيلر الأستاذ بجامعة « بون » أن الإنسان سيختفي قريباً عن ظهر الكون ، وأن يوم القيامة أقرب مما يظن الكثيرون ، وهو يضع لحكمه هذا « حثيثات » نوردتها فيما يلي :

١ - لم يطرأ أى تحسين على النوع البشرى منذ مدة طويلة من السنين ، وهذا ثابت بالنتائج التشريحية للجسم والمنح

٢ - فإن عقل الإنسان في القرن العشرين لا يختلف وعقل الإنسان منذ فجر التاريخ . وليس أدل على ذلك من أن قدماء المصريين كانوا عابرة في شئون الهندسة والمعمار والكيمياء وفنون الحرب ، والفنيقيين كانوا نوابغ الجغرافيا والملاحاة والتجارة . وقدماء الاغريق كانوا أرباب الأدب والشعر والنحت والموسيقى

٣ - وإذا كان الإنسان قد توصل إلى عدد من الاكتشافات والاختراعات العظيمة خلال القرنين الأخيرين ، فليس يعنى ذلك أن عقله قد ارتقى أو تطور ، بل مرجع ذلك إلى المصادفة في غالب الأحيان ، وإلى

تراكم المعلومات التي توارثها الإنسان في العصر الحديث عن آبابه وأجداده خلال مئات السنين الماضية

٤- بدأت الجماعات نهوى وتحلل خلقيا ، والخلق هو رباط المجتمع السليم ، وليس أدل على ذلك من انتشار دور الرقص والملاهي للمتذلة ، ونشئ الآراء المتطرفة المادية . وفي هذا دليل على ثورة الجنس البشري على الأوضاع التي فرضتها الأديان (تأمل)

٥- ويقرر شيلر أن حدوث حربين عالميتين في مدى عشرين عاماً دليل على عدم رضا الجنس البشري عن النواميس الخلقية التي تقيد بها في عصر نهضة الضمير الانساني ، ودليل على انطلاق غرائزه الحيوانية التي كانت على أشدها منذ آلاف السنين . ومعنى ذلك أن البشر قد وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة التي تشابه مرحلة طفولتهم الأولى مع فارق واحد هو أن الطفل مرّجوعاً للتقدم ، والشيخ ينحل ويفنى

ويقول « شيلر » إن في ذلك كله علامات الساعة ، وأن المتدينين قد نون أسعد الناس بهذه النهاية المأجلة »

فليتدبر كاتب الأغلال كلام العالم الألماني لسله ينظف جروحه الصديدية من جراثيم الأفكار الفوستافية وميكروبات الدهرية البائسة . وليفهم كلام هذا الأستاذ الجامعي الأوربي حتى يناقش حيثيات حكمه بالحكمة والعقل والأدب لا بالسفاهة والسباب التي كالمها لسلفنا والمؤمنين بفضائلهم وبما جاء في ديننا وبما يشهد له الواقع من انحطاط الناس خلقياً وأدياً بل وجسمياً وتدهورهم في ذلك كله عن سلفهم كما يشهد بذلك الواقع

الشاهد في المراسم والمواخير وشواطئ البحار (١) وسنشير إلى شيء مما جاء في القرآن وصحيح الأحاديث بما انفرد من نقاش بعض آراء الكاتب في هذا الباب

قال الكاتب أول ص ٢٩٤

« وقد حاولوا - والبلاهة تحذو لهم - أن يبرزوا هذه الدعاوى بروايات وأخبار نسبوها إلى الرسول عليه السلام وإلى أصحابه وإلى الأئمة المقلدين وجنّوا في نشر هذه الأخبار والروايات والآراء وفي تزويجها حتى أمكن لهم أن يصيروا من هذه الخرافات ثقافة عامة يلتقي عليها وينضوي إليها أربعمئة مليون من الأجناس المختلفة . . وقد استسلم لهذه الثقافة أو لهذه الخرافة كل الطوائف وحتى أصبح اعتقادها والتصديق بصدقها مما يتساقى على الخلاف والجدل وحتى قام عليها من الإجماع بين الخواص والعوام ما لم يقم على قضية أخرى . ولو أن قائلًا قال أنه لم يدر على خاطر أنسان الشك فيها وفي صحتها كل هذه القرون لما كان قائلًا باطلاً ولو سئلنا عن أكبر غلطة نهض عليها الإجماع الحقيقي أكبر مدة من الزمن لذكرنا هذه القضية في أول ما نذكر

(١) وإن ارتقت صناعاتهم المادية فلم يدم مجتمعهم الخلق والأدبي والديني ولا سعادة لامة إلا بقيام دينهم وما ينشأ عنه من خلق وأدب . وقال نقولا

حداد في آخر مقال ميلاد عصر الذرة ص ٢٥٦ مقتطف ابريل سنة ١٩٤٦

الأرجح أن هذا الانسان لن يتوب الى الله وأن مدنيته الحالية شاخت وهرمت وهي تحمل ما بين جوانحها عوامل فناءها هي ابتدعت التقنية والقدرة الذرية ستفنيها وهكذا سينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرض قبله الدينوسور وأصناف الانسان السبعة التي تقدمت - إلى أن قال : هل يمكن أن ينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرضت أحياء قبله ولكن أين العقل ! العقل بلا أخلاق لا يبقى الانسان من الفناء . ١ هـ

فانظر إلى تكذيب خيار الأمة وخير قرونها، وجلة أئمتها وعلمائها،
ورميهم بالبهتان. ثم رى إجماع الأمة الحقيقى بالطرافة والبطلان؛ ثم رى
الأمة التى شهد الله لها بأنها خير أمة أخرجت للناس - خواصها وعوامها -
بالجمل والكذب والزور والبهتان. وترك اليك أيتها المؤمن الحكيم والتعليق

قال الكاتب ص ٢٩٥

« كان أقوى ما عززوا به هذه الاغلوطة أنهم قلدوها مصلح البشرية عليه
السلام ومحابته وانهم ذهبوا يجمعون الروايات من هنا وهناك ويجمعونها من
كلامه إلى أن استقرت في الأذهان هذا الاستقرار الذى صار من العسير التشكيك
فيه وزحزحة .

من هذه الروايات الرواية التى أوردناها فى مطلع البحث وهى (لا يأتى
زمان الا والذى بعده ثم منه)

وقد ردها الكاتب بأمر مضحك يستمعها لضحك مسمى من فهم
الكاتب وعجة قلبه وعقله . وهذه الرواية فى صحيح البخارى من رواية
سفيان الثورى عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه
ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا .. فن ذا الذى يريد الكاتب أن يكذبه من
هؤلاء الرواة : أهو سفيان الثورى أو شيخه أو أنس بن مالك ؟

والكاتب يردنا كما فى ص ٢٩٥ بأمر قال :

(١) انها سب للدهر فتكون مخالفة للرواية الأخرى الصحيحة ولا نسبوا
الدهر فان الله هو الدهر)

فأقول له : من عجة عقلك وهواك أثبت ، فبيان الحقيقة ليس بسب ،
فن قال عنك إنك صعيدى كأن أبوك أو جدك ممن تكبت بهم نجد فليس

سأباً ، ومن قال لعنة الله على الصمى الذى يلتصق بالتصميم ، لعنة الله على من
يلتصق بقوم وهم ينكرونه ولا يسترفون به ، فهذا هو السب ، فالسب
الذى عنه الدهر هو كقولهم يا خيبة الدهر يا نحس هذه الأيام ، ويا شؤم
تلك الليالى الخ .

وأما قولك : هذه السنة جذب ، وهذه السنون شداد فحط ، وغير
ذلك فليس من السب فى شئ ، كما يعرفه كل عربى مستقيم السليقة والقطرة
والعقل والفهم ، وشتان بين هذا وذاك

ثم من أين لك صحة الحديث الآخر « لا تسبوا الدهر » والذين روه
هم مثل من روى حديث « لا يأتى زمان » الخ . السكك من مشكاة واحدة ،
وعن رواية متشابهين وأئمة عدول . فلماذا رددت هذا وقبلت ذلك : ألخوى
أم العمى ؟ أم نظرية النشوء والارتقاء ؟ أم تسفيه إجماع الأمة المصومة ؟ أم
اتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وبيان حقيقة الزمان ليس سباً له كما قدمنا ، وهى بيان لأهله بأسلوب
عربى معروف جاء مثله فى أبلغ الكلام وأفصحه (واسأل القرية) (وكم
أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة) فقصد الحديث أنه لا يأتى أهل زمان إلا والذين بعدهم شر منهم
فى الخلق والدين والحشمة والآداب . وهذا هو الواقع حذوك النمل بالنمل
(٢) رد الحديث لكونه يدل على أن كل أهل زمان يكونون شرراً

من الذين قبلهم . ثم قال :

« إن هذه دعوى يكذبها الحس والعقل والذبح ، والاديان كلها لا تخرج عن

أن تكون بمجملتها تكذيباً لهذه الدعوى، لأنها جاءت لنقل الناس من حالة عامة إلى أخرى متغيرة - وقد نقلتهم - وكان الناس الذين قبلوا الدين هم بلا ريب خيراً من الذين قبلهم ممن كانوا على خلاف الدين فكان الأنبياء والمؤمنون بهم خيراً جداً من الذين قبلهم « إلخ. ما فرر... »

وأقول له: من عجة العقل أو من الهوى أثبت. فالحديث يقول « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه » فيحكم على الزمن المستقبل بعد التكلم به أي بعد زمانه عليه السلام، كما يدل على ذلك الفعل المضارع المنفي بلا، كما يعرف ذلك من عرف العربية ذوقاً أو قواعد أو جمع بينهما، ولم يقل الحديث « كل زمان » حتى يرد به هذه اللوازم التي لا ترد على لفظ الحديث، والعامي الذي لم تفسد فطرته بذوق الفرق ويميزه بين « لا يأتي زمان » أنه للحكم على الزمن المستقبل، وبين « كل زمان » أنه تعميم للحكم على كل زمن مضى ويأتي، وشتان بين الحكمين عند من عقل وأنصف؛ ولم ينظر إلى ارتفاع الصنائع والمخترعات، ويعمى عن تأخر الخلق والدين

(٣) رده الكاتب بسفاهة تدل على قلة التفهم والانصاف، وعلى عدم

معرفة التاريخ فقال ص ٢٩٦

« وفي الرواية قصة هي كوثيقة الجريمة التي تعلق في عنق المتهم قالوا آي الناس انس بن مالك وشكوا اليه ما يلقون من الحجاج بن يوسف فقال انس اصبروا فانه (لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم... وإذن فالرواية سبقت في مقام الامر بالصبر على مظالم الحجاج بحجة أنه لا أمل فيما يطلبون من العدل ومن الحكم الصالح ولا أمل في أن يوجد أحسن من الحجاج ومن خليفته المرخى له في عنانه ليخوض في عدوانه إلخ... »

إلى آخر ما أطال الكاتب في ترديده لرد الرواية والنهك بها وبرواتها، ومن آمنوا بها

وأقول: إن ما جمعه من القصص كوثيقة الاجرام في عنق المتهم هي أول دليل على صدق الحديث وصحة القصة التي روى لأجلها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرراً به المذب القراتا ذلك أن أنس بن مالك رحمه الله وقد استفاد من حجة النبي وخدمته، وما سمع من أحاديث الحضر على الجماعة والنهي عن الفرقة، والخروج على أئمة الجماعة ولو جاروا، وما استفاد من عبر التاريخ، والواقع من النتائج السيئة التي حصلت للخارجين على الجماعة، وما وقع بهم مما يبكي له التاريخ، ومن قصة خروج الحسين بن علي سبط النبي وابن الزهراء وسيد شباب أهل الجنة وابن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب: في خروجه على ابن زياد وما حصل للحسين مما تبكيه ونحزن له، وتتمنى أن يكون الحسين قد سمع مشورة عقلاء آله وأحبابه عليه كإن عباس وغيره من عدم الخروج على يزيد وواليه، وأن يأخذ بأقوال جده في عدم الخروج، وبسنة أبيه في رضوخه لأحكام عمه مع تقده لسياسة الأموية وعصبيتها، وبسنة أخيه الحسن بن علي الذي تنازل عن يمينه في الخلافة وحقه في الولاية لخصمه وخضم أبيه معاوية حقناً للدماء حتى منحه جده على ذلك مقدماً بقوله فيه مشيراً إليه « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فتحققت نبوة النبي عليه السلام فيه في هذا التنازل الجامع لكلمة المسلمين. فلم يخف على أنس هذا كله، ولا عواقب ما كان من خروج

عائشة وطلحة والزبير على رضى الله عنهم أجمعين في وقعة الجمل ، ولا خروج الخوارج عليه في النهروان

فهل يريد الكاتب الجاهل بالدين والتاريخ وعبره أن يشير عليهم أنس بالخروج حتى يكون لهم في التاريخ ما كان لفتنة عبدالرحمن بن الأشعث ومن معه الذين بنى برؤوسهم بناء ، وسميت الوقعة بوقعة الجملاجم تخليداً لعبتها التاريخية .

إن كاتبنا حيناً شكاً من ظلم ملوك مصر بقوله ص ٢٩٧

« من مظاهر ذلك هذا الذي تشهده في كل الطوائف في البلدان الاسلامية أو الشرقية من الخنوع لغلواء أولئك الجلادين الذين يحاولون اليوم أن يقوموا بتمثيل أدوار أسلافهم من الطغاة وقد رأينا البائسين المحرومين يجهدون لفة كبيرة وسعادة نفسية ووجدناهم تشرق من وجوههم الكالحة المغيرة إذا أبعروا هؤلاء الذين أخذوا منهم كل شيء ولم يعطوهم شيئاً يحرون بهم بل أنهم يقتلون صفوفاً صفوفاً ليستمتعوا برؤيتهم وليسعدوا بمشهدهم إذا ذهبوا أو جاؤوا بمواكبهم التي يجب أن تملأ النفوس حقداً وغيضاة من غير أن يتألموا من ذلك أو تطرف له أعينهم بل لعلهم يذهبون يدعون لهم من أعماق صدورهم يسألون الله أن يزيدهم مما أعطاهم وأن يرفع من مقامهم فوق رؤوسهم أكثر مما رفع ولا ريب أن هذه الروح التي برئت من الاحقاد النافعة ، ومن الغضب والغيظ لرؤية المظالم والظالمين أثر من آثار هذه الروايات الخ .

فأنت ترى الكاتب مع حقه لهذه المظاهر الملوكة والموآكب لم لم يستطع أن يتكلم في أهلها إلا بحسرة عجائز الخوارج وتبهيدات عذارى الفوضويين — هذا وهو في القرن العشرين الذي بعده أرق مراحل كثيرة من قرن سائلي أنس ، القرن السابع الميلادي ، فإذا كان وهو يزعمه قد ارتقى

عنهم بتطور ثلاثة عشر قرناً علماً وشجاعة وزعامة وإصلاحاً وبدناً ، لم نسمع منه غير أنات المرضى وآهات المكظومين ، أفلا يعذر أنس فيما أشار عليهم من الحكمة ورعاية مصلحة الجماعة الاسلامية حينئذ ، وليس مراد أنس أن حكم المجاج لا يأتي ما هو خير منه ، ولكن يريد أن الجماعة الاسلامية في زمنه خير من الجماعة التي تأتي بعده ، فالخروج عليها وتمزيق ثملها سفه وطيح ، وعواقبه وخيمة كما سطره التاريخ في دفاقره ، ودلت عليه حكمة أحاديث الحث على الجماعة والتمسك بها ، والبعد عن الفرقة وشروها .

ستعود فيما بعد — قبيل آخر الكتاب — إلى شيء من نفاق الكاتب وجبنه ومناقضاته ومدحه لأفوام يرجو منهم فئات خبزه ، ثم ذمهم تحت ستار من التفاف حفظاً لعيش دنيء . (١)

أطال الكاتب الكلام وكرر في تحليل هذه الفسكرة ، فكرة تعظيم الأوائل واحترام القديس من ص ٢٩٨ - ٣١٨ وأخذ يعدد مالها من شرور في نظره ، وتحسر ويخج نفسه حزناً للألوف الكثيرة من مؤلفات أهل تلك القرون ، وأنها شيء ضار غير نافع ، إلى أن خرج بالنتيجة التي يريدنا ويتناهاها « ص ٣٠٨ » فيقول

« يجد المصلحون اليوم . يعني نفسه . عناء وإرهاقاً في محاولتهم هدم ما شاده الجهل الأول ويذهب كل ما يبذلونه أو أكثره في هذه المحاولة هباء والمائق الأكبر هو أن هؤلاء الذين يراد اصلاحهم يرون الكمال في أولئك

(١) ومن ذلك طلبه من ذمهم بالظلم والغش أن يشتروا له بيتاً بمصر ببضعة آلاف من الجنيهات حتى يرى بسبب ذلك منهم بالجنون والحق . ومن مد رجله لا يعد يده

القداس الذين يجدون هذه الأباطيل والخرافات في كتبهم من المستحيل أن يجيبوا بين الكفر بأباطيلهم وبين اعتقاد الكمال المطلق فيهم - والسبيل التي لا سبيل سواها لإخراج هذه الجماعات المنكودة مما هي فيه أن تعلم الكفر بهؤلاء والشك فيهم وإساءة الظن بهم ويعلمهم وأن تعلم أنهم كانوا تحت ظلمهم بهم جسداً وإنهم أبعد عن الكمال من المعاصرين ومن المتأخرين وأن تعلم كيف تثق بنفسها وبعقلها واستمدادها

إني لأنظر إلى هذا الميراث الثقيل الباهظ الملقى في طريق المسلمين، وإلى هذه الأسفار التي تزوج أعدادها ويميز تمدادها - وما فيها مما لا يستقيم لإبادة أمرها ووجودها معه فأفزع وتذهب الأفكار في كل وجه ثم تزوب مجتمعة في جمعة على أنه لا خلاص إلا إذا استطعنا أن تكفر بهذا الميراث وعلى أنه لا يمكن الكفر به إلا إذا عرفنا كيف نزل مورثنا إياه عن هذه العروض السجوية التي صنعتها لهم على حساب قوانا العقلية والدينية ثم أجلسناهم عليها ثم جنونا تحتهم لنسبح بحمدهم ونقدسهم ونزهرهم عن كل ما يحظر بالبال من انهم أو نقص أو ضعف . فهل من سبيل إلى هذا على أنه لا سبيل سواه ؟

فاجمع بين هذا وبين رى أنبياء بني إسرائيل أنهم نكبة على البشر ؛ ورمى المتدينين وأنبيائهم بتأخير الحياة وإطفاء نألقها، وأن الإيمان بالله كان نكبة على البشر ، وانظر ماذا بقي في جعبته من الخط على الدين وأهله وأنبيائه ، والإيمان بالله واليوم الآخر

وتقول على سبيل التنزل : لا سبيل إلى هذا الكفر والروق ، وهمم تاريخ الاسلام والكفر به وبرجاله وزرائه ورائهم وبالدين كله بهذه السهولة التي يريد الكاتب ويريدنا عليها لأجل أن نستبدل بذلك كله حضارة مادية غريبة من كل فضل ، متهتكة ؛ يشكو عقلاؤها من شرورها ،

ويعترفون أن السعادة لم تمر بياب من أبوابهم كما نقله الأستاذ الامام في آخر تفسير - سورة «المصر» عن ما كس نوردو في كتابه المسمى (الأكاذيب العرفية لتمدنا الحديث) قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى « إن ما يرى في بعض الامم من ظاهرها السعادة ليس إلا لمان السراب حتى إذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئا »

وقال ما كس أيضا في كتابه المذكور مامنه : إن الناس كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ، ولم يكونوا في زمن أبعد عنه منهم في هذا الزمان . ثم قال ياترجته « إنك لو طرقت أي باب تسأل : هل مرت السعادة بهذا البيت ؟ لأجابك عجيب : إذا شئت فاطرق بابا آخر ؛ فإن السعادة لم تمر بيبتنا » وهو يقول ذلك بعد أن ذكر ما عليه حال الامم الأوروبية جميعها ، ونسبته من السعادة والشقاء ، وبعد أن أجمل من وصف أحوالهم والمصائب التي تنوع لهم ، والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ، ما يرحمهم لأجله المقصرون عنهم ، ويؤهد الراغبين في مثل حالهم ، ويصرفهم عن اقتفاء آثارهم ، ويسبب ذلك وأنه بعدم عن الحق ؛ ونزوع أنفسهم إلى الباطل ، وفقدان الصبر في طلب المال ، وهرولتهم خلف داعي الشهوة لا يصمون له أمرا ، ولا يخالفون له إشارة . ومنشأ ذلك خلو نفوسهم من الركون إلى الاله الواحد خالق الجميع ورازق الأحياء ، ومقدر الأسباب لمكاسبهم على حسب ماوههم من القوى والقدر . اه وكما سمعته من كلام أستاذ جامعة بون الألمانية وكما يشهد به الواقع المحسوس

وها هو ذا غوستاف لوبون إمام الكاتب ومقلده ينصح للشرق

يقاؤه على دينه وخلقه وأدبه ، وينسب على الغرب ويتوقع له شرّاً عاجلاً
قال لوبيون في كتابه (حضارة العرب) ص ٣٦
« إن ما بين الشرق والغرب من الاختلاف عظيم ، وهو يبلغ في
عظمته ما يتعدى معه اعتناق أحدهما لمبادئ الآخر وتفكيره
«وتماثل مجتمعاتنا تحولاً بعيد المدى في الوقت الحاضر ، وقد قلبت
مبتكرات العلوم والصناعة كياناتنا المادية والأدبية رأساً على عقب ؛ ويقامى
الغرب خلافاً شديداً في مجتمعه ، ويكابد في سبيل معالجة الشرور التي نشأت
عن ذلك الخلاف أزمة عامة تسوقه بإطراد إلى تعديل نظامه ، ويثمن من
عدم الانسجام بين المظاهر والمتقدات الجديدة ، ويألم من تصدع مبادئه
الأجيال السابقة . وتتل يد التغيير في الغرب الأسرة وحقوق المالك والديانة
والأخلاق والمتقدات ، وتصيح هذه الأمور موضوع جدل ، ولا يقدر
أن يتكهن بما يتمخض عنه العلم الحديث .
(قلت) قد أغنى الواقع عن التكهن فلقد ولّد العلم الحديث بما
أعطى الناس من صنائع وغرور بها ، وبما أفقر النفوس من الخلق والدين .—
شروراً طار لها في حرين عالميتين في أقل من ربع قرن ، حصدتا من
النفوس والرجال والنساء والأطفال ما الله به عليهم ، وخربت البيار وأهرت
الأبدان ؛ وأجاعت البطون ما تقشعر له الأبدان ؛ والحرب الثالثة على
الأبواب ربما تأتي على البقية الباقية من الحضارة والعمران
قال لوبيون : وقد كلفت الجماهير في الوقت الحاضر بمبادئ سلبية ،
وقد بلغ كلفها بها درجة الجساسة . قال : وحال الشرق غير ذلك ، فالشرق

في ملأ يئنه وسكون ، ولا عهد له بما عندنا من الانقساتات والحيانة
الصاخبة ، وقد بلغت شعوبه إلى هي أكثرية البشر . درجة ظاهرة من
التسليم المهادى الذى هو عنوان السعادة على الأقل ؛ وتتمتع شعوب الشرق
بما خسرناه من التماسك ، ومعتقدات الشعوب الشرقية قوية ، وتحافظ
أشهرها على استقرارها القديم ، وبقيت مقومات المجتمعات القديمة كالديانة
والأسرة والنظم والتقاليد والمبادئ سوى التي أصابها في الغرب من الهدم
مأصباها . مؤثرة في الشرق ميطرة عليه ، وليس على الشرقيين أن
يفكروا في تبديلها ...
فهذا لوبيون الذى يقلده كاتب الاغلال يفرق بين الشرق والغرب ؛
وينسب الغرب ويندبه ويتوقع له ما حققته الأيام من الخراب والدمار ، ويمدح
الشرق وينصح له أن لا يغير أوضاعه وخلقه ودينه . فإذا يقول كاتب
الاغلال في كلام إمامه هذا ؟ هل يرميه بالجهل والغباء أو بالتفاهت وسوء
النية ، أو يرجع عما أدنى به العقلاء والخلق والدين والآداب ، فيكفر عن
هذا التشليل بالرجوع عنه ونصح الناس بما نصحه العقلاء قديماً وحديثاً
أنه لا صلاح لهم إلا بدينهم وخلقتهم وآدابهم . وإن كنت أستبعد أن
يتركه شيطان الغرور والاعجاب بالنفس أن يراجع الحق ، فذلك ما لا يرجى
منه ولكن القلوب بيد الله تعالى يقبلها كيف يشاء
ونقول للذين يريدون القوة ويتوهمونها من كتاب الاغلال : إن
هذا الكتاب سموم وجراثيم للهلاك ؛ وليس من القوة في شيء ، بل هو
هدم لكل مانع قينا من قوة ومن طريق إلى الفلاح والفوز ، وليس بعد

تقويض الدين وآدابه وعقائده ، والكفر باختيار الله والتركيز وإنكار قدره ومشيتته ، والكفر بالآخرة والعمل لها وتحميق أهلها والمؤمنين بها من غاية في الفساد والشر

وبالجملة فليس ثم إلا دين الله وأنبيائه ورسله والصلحين من خلقه ، ودهرية فرعونية لويونية تكفر بالله رب العالمين وتبطل كنهه ورسله وآياتهم ونصر الله إليهم وخذل أعدائهم . وأسباب متصلة الحلقات محكمة الارتباط ينفي بها غوستاف ومقلده وقبله «أوغست كنت» وقبلهم فرعون ينفون بها رب العالمين الفاعل المختار ، أو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، خالق الأسباب والقادر على وقفها وإبطالها ، والفعل بدونها ، وتأيد رسله متى شاء بوقفها أو إبطالها . الخ مما تقوم الديانات ويؤمن الرسل والمؤمنون بهم .

وهالك كلمة هندية في قيمة الحضارة الأوربية مدعمة بشهادة أحد أبناء تلك الحضارة . قال السيد أبو الحسن على الحسيني الندوي في كتابه « ماذا خسر العالم بالمحطاط للمسلمين » الذي شرح فيه فساد المجتمع العربي والفارسي والروم قبل البعثة المحمدية ، ثم شرح الإصلاح الإسلامي العالم للإنسانية أجمع ، ثم تكلم على أصل المدينة الأوربية الحالية وبذورها الاغريقية والرومانية وخلوها من الروح والمعنى والخلق ، معزراً أقواله بشهادات حكماء الغرب - إلى أن قال :

قال الأستاذ جود في كتابه المرشد إلى الشر المعصر ص ٢٦١ :

يقول دسراييلي : إن المجتمع في عصره يعتقد أن الحضارة هي الراحة

أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هي إله الشباب المعصرى ، وأنه يضحي على نصبه بالهدوء والراحة والسلام ، والمطف على الآخرين بالقسوة .

ثم قال جود : إن الأوربيين قد فقدوا تماثل القوى والأخلاق ؛ والتوازن بين العلم بظواهر من الحياة الدنيا وبين الدين منذ قرون ، فلم تزل القوة في أوروبا بعد النهضة الجديدة ولم يزل العلم يتمركز على حساب الدين والأخلاق ، ولم يزل ذاك في ارتفاع وارتقاء ، وهذان في انخفاض والمحطاط حتى بعدت النسبة بينهما ، ونشأ جيل كأنه ميزان لصقت إحدى كفتيه بالأرض تمثلاً « كفة القوة والعلم » وخفت الثانية « كفة الأخلاق والدين » حتى ارتفعت جدا ، فبينما يترامى هذا الجيل الناظر في خوارقه الصناعية ، وعجائبه الكونية وتسخره للذة والقوى الطبيعية لمصلحته وأغراضه كأنه فوق البشر ، فإذا هو لا يتميز في أخلاقه وأعماله في شرهه وطمعه ، وفي طيشه وتزقه وفي فسوقه وظلمه ، عن البهائم والوحوش . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة إذا هو لا يدري كيف يعيش ؛ وبينما هو قد بلغ الغايات ووراء الغايات في كاليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادئ الأولية والبسيطات للحياة الإنسانية والمدنية والأخلاق ، فتراه يصعد إلى السماء ويريد أن يتأطع الجوزاء ، وهو لم يتقن شؤون الأرض ، ولم يصلح مائتة قدميه . وقد خولته العلوم الطبيعية قوة قاهرة ولكن لا يحسن استعمالها كطفل صغير أو سفيه مجنون يملك أزمة الأمور ، ويؤتي مفاتيح الخزائن ، فهو لا يزيد على أن يعيث بالجواهر الثالية والتفائس المحزونة ،

ويبحث في دماء الناس ونفوسهم
ثم قال جود الانكليزي : إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة
الجديرة بالآلهة ولكننا نستعملها بمقل الاطفال والوحوش . ويقول في
موضع آخر : إن هذا التفاوت بين فتوحاتنا الصناعية المدهشة ، وطفولتنا
الخلقية المجهلة نواجهها على كل منعطف ومتنرجح ، ونستطيع أن نتحدث
من وراء البحار ، وركب فوق الارض والبحر ونحتها ، وتنصب آلات
الاذاعة في منازلنا ، ونستمع في سيلان إلى دقات ساعة لندن الكبيرة ،
الاطفال يتحدثون على الاسلاك . البرقيات المصورة ، آلات الكتابة
الصامتة . تملأ الاسنان من غير وجع . الثمار تنضج بالكهرباء ، الشوارع
تفرض بالمطاط . أشعة رونتجن توافد نطل منها إلى داخل أبداننا . الصور
للتحركة تتكلم وتنطق . نكشف عن الجرمين والمذنبين باللاسلكي .
النواصت تذهب إلى القطب الشمالي والطيارات تطير إلى القطب الجنوبي
ومع ذلك كله لا تقدر في وسط مدنتنا الكبرى أن نخصص رجة يلعب
فيها أطفال الفقراء في راحة وسلام ، ونتيجة ذلك أن تقتل منهم ألفين ،
ونجرح منهم تسعين ألفاً سنوياً . قال فيلسوف هندي في انتقاده للاذع
لاطرائي بمجانب حضارتنا - وكان بعض سائق السيارات قد نجح في
قطع ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميل في ساعة ، أو أن طائرة طارت من موسكو إلى
نيويورك في ٢٠ أو ٥٠ ساعة (لا أحفظ)
قال الفيلسوف : نعم إنكم تقدرون أن تطيروا في الهواء كالطيور ،
تسبحون في الماء كالسماك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تعيشون

على الأرض !! ثم قال جود (ص ٢٤٧)
قد استطعنا أن نساغر بسرعة زائدة من مكان إلى مكان ، ولكن
الأمكنة التي نساغر اليها قلما تصلح للسفر . وقد زويت الأرض للرحالين
وبدأت الأمم ، ووطئ بعضها عتبة بعض ولكن كان من نتيجة ذلك أن
توزت العلاقات بينها وأصبحت أسوأ مما كانت ، أما المرافق التي استطعنا
أن نتعارف بها إلى جيراننا عادت فحشرت العالم في حرب . اخترعنا آلة
الاذاعة ونحدثنا بها إلى الشعوب والامم الشقيقة ، فكان عاقبتها أن كل
شعب استنفد موارد الهواء لا يذء الشعب المجاور ومعاكسته ، فيقنمه
بفضل نظامه السياسي على نظامه
وقال : انظر إلى الطائرة تحلق في السماء فيخيل لك أن صانعيها لهمهم
وليأقنهم وصناعهم م فوق البشر ، وأن من طاروا عليها أولاً كانوا في
علوهمهم وجراتهم وعزمهم أبطالاً مناوئين ، ولكن انظر الآن إلى المقاصد
التي استعملت فيها الطائرة وتستعمل في المستقبل ، أليس هي قذف
القنابل وعزيق جيش الانسان وخنق الأحياء وإحراق الأجساد ، وإلقاء
الغازات السامة ، وعزيق أبدان الضعفاء من النساء والوليدات إرباً إرباً .
فهل هذه إلا مقاصد الحق أو الشياطين ؟
وقال ص ٢٦٢ : ماذا عسى أن يقول المؤرخ كيف كنا نستعمل للمادن
والذهب ؟ يذكر أننا توصلنا إلى معرفة الذهب وأماكنه باللاسلكي ،
ويعرض صوراً تمثل اللبافة والمهارة التي كان أصحاب المصارف يزنون بها
الذهب أو يعدونه . سيذكر المعجزة البيوتية التي كنا نقل بها الذهب من

ة إلى عاصمة ، وتقاوم بذلك قانون الجاذبية والتقل . سيستحل أن يقول إن أشباه الوحوش الماهرين في فنوحاتهم الصناعية كانوا عاجزين عن التعاون الدولي الذي كان يقتضيه ضبط الذهب وتقسيمه تقسيماً صحيحاً ، كانوا يُمنون بدفن المعادن بأقصى سرعة بمكنة ؛ كانوا يخرجون الذهب والماس والمعادن بكل مهارة من بطون أرض أفريقيا ، ليدفنوه في ظلمات مصارف لندن وباريس ونيويورك . أما ما أردت نقله عما نقله السيد النابوي من كلام الأستاذ جود الانكليزي . والأستاذ جود هو رئيس قسم علوم النفس والفلسفة بأحدى كليات جامعة لندن

وقال الأستاذ السيد أبو عبد الأعلى المودودي الهندي في فصل من فصول كتاب «تفتيحات» تحت عنوان «الأم المريضة» :

ظهرت الحضارة الغربية في أمة لم يكن عندها معين صاف ، ولا نبي عذب للحكمة الإلهية . لقد كان فيها قادة الدين ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية ، لم يكن عندهم إلا خيال ديني لو حاول أن يسير بالنوع الانساني على صراط مستقيم في طرق الفكر والعمل لما استطاع ، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسدأ في سبيل ارتقاء العلم والحكمة ، وهكذا كان ، فكان عاقبة ذلك ان الذين كانوا يريدون الرقي نبذوا الدين بالعراء ، واختاروا طريقاً لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختبار والقياس والاستقراء ، ووثقوا بهذه الدلائل التي هي نفسها في حاجة إلى الهداية والنور ، وجاهدوا واجتهدوا بمساعدتها في طرق الفكر والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم ، ولكن ضلت خطواتهم

الأولى في كل مجال وكل جهة ، وانفجرت فتوحهم في ميادين العلم والتحقيق ، وعاولهم في سبيل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة ، إنهم فضلوا أن يسيروا من نقط الاحداد والمادية ، ونظروا في الكون على أنه ليس له إله . نظروا في الآفاق والآنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد والمحسوس ، وليس وراء هذا السلاف الظاهري شيء ، إنهم أدركوا من نواميس الطبيعة بالاختبار والقياس ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى فطرها ، وجدوا المخلوقات مسخرة فاستخدموها لأغراضهم وجعلوا أنهم ليسوا سادتها ومدبرها ، وإنما هم خلفاء سيدها الحق ؛ فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها ولا عليهم تبعات وحساب ؛ فزاع أساس مدينتهم وتهذيبهم وانحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة أنفسهم ، واتخذوا إلههم هوام ، وفتنتهم عبادة إله الهوى ؛ فساروا بهذه العبادة في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل على طرق شتى ؛ وسبل متفرقة خلاصة رائعة ، ولكن مصيرها إلى الهلاك . هذا هو الذي - يخ العلم الطبيعية فصارت آلة لهلاك الانسان . ضاعت الاخلاق في قالب الشهوات والرياء والخلاعة والاباحة ، وتسلبت على العيش شيطان الآثرة والشح والفتك بين الانسان ، ودس في عروق المجتمع وشرايينه سموم عبادة النفس والانانية ، والاخلاد إلى الرغائبة والتنم ؛ ولطغى السياسة بنصرة الجنسية والوطنية ، وفروق الانوار والاجناس وعبدة القوة وتأليهها والتفني بها ، وجعلها هدف الانسانية الاكبر . وبالجملة إن البذرة الخبيثة التي ألقيت في تربة أوربا وبهضتها الاخيرة نبتت منها دوحه خبيثة أثمرت ثمرات يائسة سامة ، وأزهرت

أزهاراً بهيجة شائكة فروع خضراء تنفث غازاً ساماً لا يُرى لكنه يسمم دم النوح البشرى . وغار- وهذه الشجرة الخبيثة من الغرب قد مقتوها، وأمسوا بتدمرون منها، فقد خلفت في كل ناحية من النواحي مشاكل ومُخفداً محزواً عن حلها، وما حلوا عقدة إلا ظهر غيرها، ولا قطعوا فرعاً إلا نبتت فروع شائكة أخبت منه، فهم في معالجة أدوائهم وإصلاح شؤونهم كمالج الحمار بالخر، ومدواي الأدمان بالمداومة عليه وكنافش الشوك بالشوك التي تنكسر مع أختها، عالجوا الرأسمالية الظالمة الاشتراكية المتطرفة، حاولوا استئصال الديمقراطية الزائفة فنبتت الدكتاتورية المستبدة الخائفة . أرادوا أن يحلوا مشاكل الاجترار فنبتت حركة تذكير النساء وحركة منع الولادة . أرادوا تشريع قوانين لاستئصال المفسدات الخلقية فهاجت حركة المصيان والجنايات . فلا ينتهي شر إلا بولادة شر، ولا فساد إلا إلى فساد أكبر منه . ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شروراً ومصائب حتى صارت الحياة الاوربية جسداً مقروحاً متسماً يشكو كل عضو منه أوجاعاً وأوصاباً، وأعياء الداء أطباءه، واتسع الخرق على الراقع . الامم الغربية تملل ألسناً بقلوب مضطربة وأرواح متعطشة إلى ماء الحياة، ولكنها لاتعلم أين معين الحياة، وأكثرهم لا يزال يتوهم أن مصدر مصائبهم من فروع هذه الشجرة فتراهم ساعين في قطع اللروع، ونزع الأغصان، مضيقين إوقاتهم في ذلك، ولم يعلموا أن أصل هذا الشر كله من أصل تلك الشجرة، فمن الحماقة أن يترقب الانسان فرعاً صالحاً من شجرة خبيثة . وقليل من عقلائهم من أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد

وشجرتها خبيثة يجب أن تبحث من فوق الارض، ولكنهم لطول مهديم قروناً عميدة في ظل هذه الشجرة حتى نبت لحم ونشئ عظمهم من ثمارها لم يعرفوا أصلاً آخر غير هذا الأصل يستطلع أن يخرج فروعاً وأغصاناً وورقاً وثمرات طيبة صالحة سليمة نافعة، فهم ومن قبلهم في النتيجة والمآلة سواء، فهم يتطلعون علاجاً يداوى سقمهم؛ ويرفع عنهم كرمهم؛ ولكنهم لا يعملون ولا يعملون أين هو؛ ومن علمه منهم - إن وجد - لا يطلبه ولا يرغب فيه .

انتفى ما أردت نقله من كتاب (ماذا خسر المسلمون) للعلامة السيد علي أبو الحسن الندوي أستاذ التفسير بدوة العلماء بلكهنؤ بالهند مما خلاصه من كتاب المستر جود الانكليزي رئيس قسم علم النفس والفلسفة بأحدى كليات جامعة لندن من كتابه (المرشد إلى الشر المعصرى) وما خلاصه من مقالة «الأمم المريضة» من كتاب «تنقيحات» الذي كتبه على شكل مقالات الأستاذ أبو عبد الأعلى المودودي الدهلوى منشى، مجلة «ترجمان القرآن» الأردية بلاهور أوسع المجلات الهندية وأكثرها رواجاً وحظوة عند الطبقة المثقفة وهو من كبار علماء السياسة والاقتصاد والفلسفة المعصرية مع التضلع من الدين وعلموه، وهو مؤسس (الجماعة الاسلامية) الواسعة الانتشار بالهند وأقوى جمعياتها الدينية . وللاستاذ المذكور كتاب «الجهاد في الاسلام» وكتاب «الحجاب» و«تفهيمات» في مباحث دينية في الدفاع عن مسائل إسلامية . وكتاب «تنقيحات» في المسائل الناشئة عن اصطدام الحضارة الاسلامية بالحضارة الغربية . الاورينية؛

واصطراح الفكر الاسلامي والتربي . ورسالة (دينيات) في التوحيد والعقائد لطلبة الكليات، نقلت إلى الانكليزية . وكتاب (نظام الاسلام للسياسة) نقل إلى الانكليزية أيضا ، إلى غير ذلك . وقصصنا من هذه الكلمة أن يعرف كاتب الاغلال نفسه ، ومقدار ثقافته المصرية كما وكيف ، فلا يجب بنفسه بما قرأ من أفكار دهرية مهلهلة مزقة ، فيذهب ينفاهة وقلة حياء يدعو إلى آراء بالية ، وجسد مسم لا روح فيه ولا معنى . فهو لاء حكام الغرب والشرق ومنهم هؤلاء الأقطاب الثلاثة : جود الانكليزي والسيد عبد الاعلى المودودي والسيد أبو الحسن الندوي ، وغيرهم كثير قد عرفوا شرور المدنية الدهرية الغربية وحذروا منها ، وأشاروا بالتسك بقديمتنا الذي يمدد كآب الاغلال أغلالا غلت يداه إلى عنقه وملاأ الله فمترابا ، وأطفأ شعلته التي يريد بها حرق ما بقى لنا من ثراث فاضل ونجيف ما بقى في السكوب من عائلة أخلاقية ، ومن نمالة دبلية .

وإن أنس قلن أنسى ما حدثني السيد أبو الحسن الندوي عن أخيه السيد عبد العلى الندوي رئيس ندوة العلماء في معرفته بثقافة المصر وتخرجه في جامعة لكهنؤ من كلية الطب الحديث بها ، ثم جمعه بينه وبين الطب القديم الذي استفاده من حكيم الهندوزعيمها الكبير (أجل خان) ثم فضلته من علوم مصر بلغة أهله (الانكليزية) ثم قيامه بإدارة ندوة العلماء وإمامة مستشفى الحى وعلاجه لمرضاه جنديا وروحيا مع الزهد والورع ، والسير على طريقة الصالحين الأولين ، فلم يطش طيش كاتب الاغلال لتبذ كل

فضيلة بدعوى أنها غل . والكفر . بالاسلام . وعقائده وآدابه : وروحانيته وعبادته وملائكته وقدره ونعمة الايمان بالله واليوم الآخر والتوكل عليه والثقة به الخ ما هذى به . وما نفثه من سمومه وجراثيمه القاتلة السامة (فإنا لله وإنا إليه راجعون) (ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هدبتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

نقلت مجلة مسامرات الجيب عدد ٩٤ (٢٧ إبريل سنة ١٩٤٧) تحت عنوان « هل للطبيب أن يقتل المريض ؟ » قالت :

« وفي مدينة بنسلفانيا (أمريكا) عثر على جثث خمسة أطفال ووالدهم وأبيهم ، ووجد الأطفال في القاية مغطين بملامات وعلى مقربة منهم الأب والأم ، وتبين بالبحث أن حالة الاسرة المالية قد ساءت إلى حد أصبحت معه لا تجد قوت يومها ، فلما اشتد اليأس بالأب ، وتقطع قلبه لمشاهدة زوجته وأطفاله يتضورون جوعا ، ويتلونون بالألم وهم يعتصرون بطونهم ، باع بعض ملابسه واشترى بشئها مسدسا . وبعض رصاصات ، وبعد أن أنام أطفاله في القاية وغطاه بالملامات ، أطلق عليهم الرصاص وأرداهم قتل في الحال ثم قتل زوجته ثم قتل نفسه »

يريد منا الكاتب أن تكفر بديننا وتاريخنا لهذه المدنية الوحشية البغيضة الخليعة الرقيمة فنصبح بهائم ووحوشا كسرة ، ولا أريد أن أكثر من الشواهد والامثلة من الواقع وكلام العقلاء على فساد هذه المدنية وضررها بالناس وإن ترخفت وبرقت لهم بظواهرها الخلداع

كشرب الصغارى ، فذلك يقول فيه الوصف

نعم اننا نؤمن أن الدنيا تترق ، ورفيها محسوس ملموس كهذا الذى
أجادوا بدي فيه الكاتب لأنه لا يؤمن بغيره ؛ وهذا هو مبلغه من العلم
وأمله من الحياة ؛ وغرضه من الوجود . اما الفضائل المتنوية والأخلاق
وروح الدين فقد تأخر إلى الوراء مراحل ، والتاريخ والواقع والآيات
والأحاديث وأقوال العقلاء كلها شاهدة بذلك .

وقد قدمنا كلام الاستاذ الجامعى شيلر في ذلك ونذكر الآن طرقاً
قليلاً من اشارات القرآن وتصريحات الأحاديث وإن كان لا يؤمن بها
للكاتب . لكننا نذكرها للمؤمنين بها لاله . فمن ذلك قوله (١) (أولئك
الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية
إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجداً وبكياً . غلف من بعدم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ،
فصوف يلقون غياً) وقوله (غلف من بعدم خلف ورووا الكتاب
ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله
ياخذوه) وقوله (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلّمهم إن الناس كانوا بإيئنا لا يوقنون) وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ويأجوج ومأجوج هما اللذان قال
الله فيهم (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) وقال تعالى
(والسايقون الأولون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين
(١) سورة مريم والشاهد فيها قوله (غلف من بعدم خلف) الخ

وقليل من الآخرين)

والأحاديث كثيرة شهيرة في دواوين أنفسه التي يؤمن بها المسلمون ،
فمن ذلك حديث « لتبين سنن من قبلكم ذراعاً بذراع حتى لو جملوا
جعر ضب لدختموه وراءهم » وحديث حذيفة الذي رواه البخارى ومسلم
وأبو داود - واللفظ للبخارى - قال حذيفة « كان الناس يسألون عت
الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركنى . » فقلت يا رسول الله إنا
كنا في جاهلية وشر حتى أتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟
قال نعم . قلت فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن . قلت : وما
دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتسر . قلت فهل بعد
ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم من أجلبهم إليها قذفوه
فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .
قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك الزمن ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم
قلت فان لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال فاعزل تلك الفرق كلها ، ولو
أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

وحديث « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على
فصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ،
ولكنكم غناه كغناه السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ؛
وليقذفن في فلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب
الدنيا وكرهية الموت » رواه أبو داود من حديث ثوبان ،
وأحاديث فتنه السجال الكثيرة التي تبلغ حـ سد التواتر المعنوى ،

وأحاديث البابية وطلوع الشمس من مغربها ، وحديث « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وحديث « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وعلى كنع بن كنع » وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وليس المراد ذكرها بألفاظها وأسانيدنا فلها عمل مبسط موفى من دواوين السنة بمنوان « الفتن والملاحم وتغير الزمان » آمن بها المسلمون وإن جمدها الجاحدون ، وحكمة قيلها لبيان الواقع من جهة ، وللاحتياط لتأويلها والعمل على التفادي منه بقدر ما يمكن لا للاحتجاج بها واليأس من رحمة الله بسببها . كلا ثم كلا

إن الكاتب لا يؤمن بها وبما هو أظهر منها من أصول الإيمان والاسلام كالإيمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على الوجه الذي آمن به المسلمون وصدقه المؤمنون ؛ ولكن على وجه دهرى إلحادى تلقفه من نفثات سموم غوستاف لويون وأمثاله ولكن هل لنا أن نسأله : هل بنأيا عصره ورافضاته وخليعاته خير من أمهاته وعماته وخالاته في القرون الماضية في العفة والحشمة حسبما تقرره نظريته الارتقائية مخلقا ودينا ؟

﴿ الأسباب - أوهم الناس فيها ﴾ ص ٢٧٢ - ٢٨٦
بدأ الكلام بالتمثيل بالتربة الننية بالناصر اللازمة للآليات ، ويصدر البذر فيها ووقته المناسب وسقيه وفاق أصول الرى الصحيحة ، فإذا هو قد نبت حيا ، ومثل بالتربة الخبيثة وعدم إمكان الآليات فيها وبالخى إذا قطع عنه الهواء أو الطعام والشراب فإنه يموت . كل ذلك دليل على لزوم السبب لسببه وعدم انفكاكه عنه بحال ؛ وأنه لا يمكن أن تدخل بينهما قوة فتحل ما بينهما من ارتباط ولا أن يتدخل الله تعالى فيلغى السبب أو يوجد بغير سبب وإلا كان قوة مجنونة أو كالجنونة الحقاء السفهية . وسيأتي له في باب مشكلة لم تحل إن من يؤمن بالله الفاعل المختار لا يمكن أن يكون سببياً فلا يكون ناجحاً في الحياة وأن من يؤمن بقدره الله تعالى على كل شيء فقد آمن أن الكون محكوم بقوة مجنونة أو كالجنونة ، ونقلت نص كلامه في ص ١٧ والرد عليها من كلام علماء القرن العشرين مشرفة بإشأ والسير جيمس جينز في ص ٢٠ فارجع إليه وكن على ذكر منه . ونهكم بالخوارق والمعجزات واستهزأ بالقائلين بها . ثم قال هنا أول ص ٢٧٣

« أساء المسلمون الظن بالأسباب »^(١) وأصكروا من القول في تقليل

(١) أى مسلمين ؟ ان المسلمين الأولين أخذوا بالأسباب كل مأخذ ، والا أمر بالأخذ بالأسباب أمراً ، فإذا كان المسلمون الآن لا يحسنون الاخذ بالأسباب على وجهها لضعف في التربية بنواحيها فهل معنى ذلك أنهم لا يقولون بالأسباب ؟ وليس السبيل الى تنبيههم هذا الذى كتبه صاحب الاغسل ، فانه إنما يضلهم السبيل بمحاولة إيهامهم أن التقدم رهن بتكرهم الدين ، وإتباع سبيل غير المؤمنين (غ)

وأثرها - بل في تجريدها من كل قيمة وأثر ، وملأوا المناير والكتب والنواير والمجالس كتابة وخطابة بأن تحصيل السبب وإفيا ليس معناه تحصيل المطلوب ، وأن فقدته ليس معناه يفقد المطلوب ، فقد تأخذ بأسباب شيء أحسن أخذتم لا تنال غرضك وقد تنال كل ما ترجو بدون أن تأخذ بسبب واحد من أسباب ذلك . وقد زعموا أن القول بذلك قول بعظمة الله وقدرته الشاملة وتصرفه المطلق

وقال ص ٢٧٨ « ومن أعظم ما جعلهم يسيئون الظن بالأسباب شيئا واحدا - أنهم حسبوا الإيمان بقدرته الله المطلقة في تصرفها وعملها بنافي الإيمان بالأسباب وحسبوا أنهم إذا آمنوا بالسبب فقد قيدوا الله به وألزموه ألا يخرج عنه وأن لا يعمل بدونه والله عندهم غير مقيد في فعل من أفعاله بل هو يفعل ما يشاء بلا قيد ولا سبب ولا إزام »

وثانيهما - أنهم وجدوا المسببات كثيرا ما تتخلف عن أسبابها ووجدوا أن الإنسان قد يؤدي السبب على الوجه الأوفاي الأكل فيها يبدو ثم لا يصل به ذلك إلى غرض منشود كما وجدوا أن المرء قد ينال حاجته وغرضه بدون سبب »

هذا الذي يحكيه عنهم عاليا عليهم زاريا مخطئا لهم هو الصحيح يشهد به الواقع ويؤيده الاستقراء ، ونزیده على ذلك أنه ربما يعتقد في الشيء زمنا طويلا أنه سبب لسبب لكذا أو مسبب عن كذا ثم يظهر بعد ذلك خطأ هذا الاعتقاد والأمثلة في ذلك كثيرة في الطب والكيمياء والطبيعة ، فكم من الأمراض الجرثومية كان يظن الناس أنها من فساد الهواء أو النجاء

(١) أما عند الكاتب ومن قلده الله مقيد بسنن صارمة ونواميس طبيعية لا تنفصم أو قل عنه هو هذه السنن وأما الآيات والخواص والمعجزات والديانات التي أتت بها فآدمها من وراء ظهورك وبهتت نقلتها ولو تواتروا حتى تكون سببنا ناجحا متألقا في الحياة .

كالعقول والملازم عرفتم بعد ذلك جراتيها ، وكم أدوية اعتقد فيها ثم ظهر بعد ذلك خطأ الاعتقاد وكم من الآيات والخواص خرقها الله لعباده كما شئت بذلك كتب الديانات التي لا يؤمن بها الكاتب وإن آمن بها من ثم خير منه ديناً وعقلاً - والآيات والخواص لا يعرف الناس لها سبباً والا لما كانت خواص ، فهذه عصا موسى التي تحول حية تسعى ماسيها وكذلك يده البيضاء في جسده الآدم وانفلاق البحر له الخ وهذه فلأبراهيم التي صارت بردا وسلاماً وإخصابه بالنسل والذرية بعد العقم والشيخوخة منه ومن زوجه وهذه آيات عيسى بن مريم وهو أول الآيات ولادته من أنثى بلا ذكر وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يديه ، وآيات نبينا محمد ﷺ من تكثير الطعام القليل صاع من شعير يطعم منه مئات الناس نحو الألف وكف من ماء يتوضأ منه المئات ، وقرتان من ماء تفتحان فيستقي منها الجيش الكثير - أناسيه وإبله والقربتان لم تنقصا شيئا . ودعاه مستجاب لشفاء مريض وزول معار وكثرة تمر يسد دينا لجار عوييق بعد ذلك طعام الأسرة سنهم وكان الدائن لا يقبل ذلك الخمر في سداد بعض دينه ، وأنشقاق القمر والأسراء إلى بيت المقدس ، والعروج إلى السماء والإخبار بالنبوءات المستقبلية الكبيرة ، ووقع كثير منها كما أخبر وسيقع الباقي حتما وكرامات الصحابة والتابعين - ومن يمدح من صالحى هذه الأمة المدونة في كتب الثقات الأئمة وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى طرفا صالحا منها في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وتكلم عليها عليها ، ورد على منكرها في رسالته « المعجزات » وكلاهما

منطويح منتشر بين الناس، سائر فهم مسير الشمس.

يريد منا الكاتب أن تكفر بذلك كله وأن تكفر بقدرة الله تعالى على اخلاف الاسباب وسلبها سببها متى شاء وعلى عدم قدرته أن يوجد بلا سبب أو أن يخرق نظام الاسباب والسبببات، بل تواميس صارمة لم تتخلف ولن تنخرم. ومن اعتقد الله قادراً عليها إيجاداً وسلباً وتعطيلاً فقد اعتقده قوة مجنونة أو كالمجنونة؛ وأن الايمان بجمعية الاسباب وتسلسلها لا يمكن معه الايمان بمخالق فاعل مختار؛ فلا بد أن تكفر به سببها وتعالى حتى تكون سببها ناجحين عنده، والا فلا نجاح لنا ولا نألق في الحياة

ثم يريدنا أن نؤمن بقدرة الانسان التي لاتحد ص ٣٧ وأنه «ترك غير محدود القوى الذهنية وان له أن يشارك الله في عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضيقة الواهنة إلى رحاب الالهية التي تصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد»

وانه أي الانسان أول ص ٦٩ «ما خلق إلا ليعال الطبيعة والحياة ولينازع الله في علمه وقوته وقدرته

ورجاؤه أو خشيته ص ٦٧. وقد تحقق الأيام أي الأمرين - الرجاء أو الخشية - أحسن. أن يأتي الزمن الذي يقال فيه: الانسان الصناعي والحيوان الصناعي.

وهذا ما لا يزال العلم أمامه حيران عاجزاً ولكنه لم يعترف بالمعجز ولم يفكر في (١) هذا كلام مجنون لا يفتقه ما يقول ولولا رجاء أخى المؤلف في ماضيت

في قراءة هذا السخف المزوي عن صاحب الأغلال (غ)

الاستسلام للاخفاق، ومحاولة صنع المادة الحية وإيجاد الحياة (١) في المادة لا يزال من المعارك الملتحمة التي لم يكتب للعلم حتى اليوم الظفر بها إذ يكاد يكون سر الحياة من أسرار الطبيعة التي لم يرفع عنها العلم الستار. ولكن الانسان يقول انه انتصر في نضال هو أشد (٢) من هذا النضال الدائر الحاض من أجل الانتصار على سر الحياة ولغزها. وعلينا نحن أن نلزم الحياء حتى نرى لمن يكتب النصر. وقال في ص ٢٧٩ «أما تخلف المسببات عن الاسباب فهذا ما لا يكون أبداً وإذا تم السبب وجد المسبب لمعالة ولا يقع شيء في هذه الدنيا إلا إذا اجتمعت أسبابه وإذا اجتمعت أسبابه فلا بد من وقوعه على كل حال»

(١) الانسان لا يستطيع أن يوجد شيئاً مطلقاً مهما تقدم به العلم وكل ما يستطيعه هو استخدام ما أودعه الله في المادة والطاقة من خواص، حية كانت المادة أو ميتة، وقد عبر العلم في الماضي عن بأسه من إيجاد المادة أو إعدادها بقانون محفوظية المادة أو بقاء المادة كما كانوا يسمونه. ثم ظهر أن المادة لا تبقى وانها تنعدم كإدخالها إلى طاقة، وحتى هذا الاندماج قد كشفه العلم من غير أن يكون له فيه بد أو يكون له عليه أدنى سلطان فالعناصر الشعاعية كالإدوم واليورانيوم تتحلل إلى أشعة طبق سنن لا يستطيع العلم لها تغييراً ولا تحويلاً، فلا هو يستطيع أن يزيد في سرعة التحلل ولا أن ينقص منه بأدنى مقدار مهما اجتهد فإذا كان العلم عاجزاً حتى عن تعويق الاندماج أو تعجيله فهو عن إيجاد المادة فضلاً عن إيجاد الحياة اعجز

فالعلم إنما يكشف عن الموجود كما أوجده الله، واختراعاته إنما هي تطبيقات للمعنى التي فطر الله عليها الأشياء فهو حين يكشف عن قانون لم يوجد هذا القانون وكل ما هنالك أنه بعد أن كان مجهول الموجود صار يعرف بعضه فيخيل إلى الجاهلين أن العلم يخلق ويوجد، والعلماء أعرف الناس بمعجزهم من الخلق والإيجاد (غ) (٢) هذا كلام جاهل بالعلم وتاريخه فليس في أهل العلم من يقول أن الانسان جل لغز أصعب من لغز الحياة ليوم نفسه أو غيره أن جل لغز الحياة ميسور (غ)

ثم استطرد للذكر آجال الأمم والأفراد وخطأ الذين يقولون ان
للأمم شيخوخة وضعف وهما . ونقول له ما بال النار التي أوقدها أعداء
إبراهيم لم تحرقه حيناً أتى فيها بل صارت برداً وسلاماً عليه وما سب تحول
عصا موسى حية تسمى وكيف ولد عيسى بنير أب ولا تلقيح . وكما أعد من
أسباب تخلفت مسبباتها عنها ومسببات بلا أسباب . ألا فليكشف
الفتن كما كشفه إمامه غشاف إذ صرح أن الخوارق والمعجزات أوهاهم
أنخدع بها راؤها ورواها . ولا يجادل بالتواتر التي لا يتكره إلا مباغت
ولكن بالقرآن ، فاما إيمان به وكفر بالمادية الدهرية وإما إيمان بها وكفر
بالقرآن الملوأ بالآيات . ثم قال ص ٢٨١ :

وهذه الآراء مصدرها كلها هذه الفكرة الباطلة - وهي فكرة إنكار
الأسباب أو التهور من شأنها أو الاعتقاد بأن الله يفعل بدونها أو يدخل بينها
وبين مسبباتها ويحول بينها وبين نهاياتها .

نعم نؤمن بأن الله يفعل بها وبدونها وله أن يبطلها متى شاء ، ولهن
الأسباب وليسقط عبادها وليسقط النجاح الديني معها وليسلم لنا ديننا
وإيماننا . وأغرب ما ترى من تحريف الكلام عن مواضع قوله ص ٢٨٢
وأما قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى
مضاجعهم) فالمعنى فيه أن هنالك أقواماً من أشرف العرب يجب عليهم شرفهم
ومكانهم من قومهم وفي قومهم وتوجب عليهم سيادتهم ذات الحقوق المعروفة
المرعية وطروفتهم القاهرة الحاكمة أن يخرجوا للقتال على أي حال حتى ولو كان
في هذا الخروج الهلاك الحقن إذا ما أهاب بهم داعي الجهد وأن لم يدعهم الرسول
وأصحابه إلى ذلك حكم هذى الظروف عليهم المحفوفة بالأخطار وأسباب

الهلاك هو معنى كتب القتال عليهم ومعنى برزهم إلى مضاجعهم وليس معنى
هذا أن هناك قوة خفية تترجم قوماً معينين بالخروج لأنهم مرادون للقتل
لاخرى لا تغفل ، ولتعد فهناك الأشياء كلها من جديد

يعنى على ظلمات المادية والدهرية فهاذا أنجب ! من تحريف الآية
وتحميل (كتب عليهم القتال) ما لا يحتمله حتى عند بريرة الأعاجم فضلاً
عن العرب أم من إنكار القدر والقوة الخفية التي سافت من كتب عليهم
القتل إلى مضاجعهم . ولما شعر بدخف ما أتى به في ذلك أشار إلى أنه تجديد
في التهم وأنه يطرد هذا السخف في التجديد (١)

وأسأله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في
أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها)

ثم سار في تقديس مادية الأسباب والاستدلال على ذلك من طبيعة
العرب وبلاذم حتى قال آخر ص ٢٨٣

إن العربي هناك ليرى الزبح الملقحة بالبخار تهب على سماءه الصافية فتنتعقد
السحابة الثقيلة المتراكمة فلا تلبث أن تنهار وإبلا مدراً على أرضه الجدية اليابسة
العابسة فتوجد الحياة . يوجد الأحياء ثم يكرر الجذب والشمس المحرقة على تلك
الأرض المحضراء المشوشة فاذا كل شيء عابس هامد وهكذا تتكرر العمليات

(١) وأسأله عن قوله تعالى في أول السياق (ثم صرناهم ليلتين) وقوله
(وما أصابكم يومئذ من النجم) . فياذن الله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة إلى من كتبتم)
الذين آمنوا سألني في قلب الذين كفروا (الرعب) وما يزيد منه تحريفاً مضحكا
مبكيا كالذي سمعناه في تحريف (لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم)
ويظهر أن الكاتب أراد من شرائع السماء مسخاً دهرياً مشوهاً فذراً أو أن يدس
محمه المادية الدهرية في عسل الشرائع الإلهية .

أمام بصره وبصيرته. ما بقي -بلا اختلال ولا اختلاف- ولا تدخل قوة من القوى في هذا فأين ما لا سبب له وأين السبب بدون مسببه ؟

فهل فطنت إلى قوله (بلا تدخل قوة من القوى) في هذا أى في نشأة السحاب ونشأة الحياة ؟ أليست هذه هي الدهرية ؟ وقوله (فأين ما لا سبب له وأين السبب بدون مسبب) أليس ذلك هو الكفر بالله وبآياته ومشيتته وقدرته . ونقول ان سنى الجذب والتجذب وجدت أسباب الأمطار فيها ولم توجد الأمطار . والشمس وحرارتها والهواء موجودة كلها ولم توجد أمطار . ويستسقى النبي ﷺ لأمته فلا ينزل عن المنبر إلا وتهطل الأمطار كأفواه القرب ؛ ويمطرون سبتاً كاملاً (أسبوعاً من سبت إلى سبت) حتى يضجوا إليه ليدعو برفعها فيدعو قائلاً اللهم حوالينا ولا علينا ويشير يده إلى السحاب فيتمزق تمزق الثوب وينجاب عن المدينة . فأين الأسباب التي عبدها الكاتب ويريدنا على عبادتها من دون الله تعالى ؟

واسمع لو أن آخر من ألوان الهزء بالله وقدرته وشرعه والأعمال الصالحة

ص ١٩٧ س ١٠

« ومن الأمثلة السيئة للجهل بسنة الحياة أو بسنة الله^(١) في الحياة أن الناس يريدون أن يبلغوا جميع أغراضهم المادية والمنعوية بغير وسائلها الطبيعية فهم يريدون أن ينالوا الثراء الوفير والأولاد والصحة والقوة وأن . . . وأن . . . ماذا ؟ إنهم يريدون أن يدركوا ذلك كله بالدعاء المجرد تارة وبالبكاء والضراعة (١) وتطعن إلى هذا العطف التنويى بأو التفسيرية تعرف أن الله في إيمانه وفلسفته هو سنة الحياة ليس هو رب العالمين خالق الأسباب ومسبباتها القادر على انقاذها وإبطالها والخلق بدونها متى شاء وكيف أراد

تارة وبالصلاة تارات وبالصيام أخريات وبالإيمان حينئذ عمل وبالتقوى أحياناً وبقرأة القرآن أو بترتيب الأذكار والأوراد والاحزاب ، ثم يزعمون أن القرآن والدين قد دلام على هذه الحقيقة . والدين والقرآن بريشان مما يزعمون

وذكر ص ٢١٤ الإعلان عن خطبة خطيب في محاضرة عنوانها (الثقة بالله) فذكر خلاصه الخطبة واستحسن الناس لها وعلق عليها هازناً ساخراً بقوله « انه حينئذ سيهمهم كل شئ ، وسيهلك لهم أعداءهم وسيقدم لهم صك الاستقلال التام ملفوفاً بحبر مصنوع في السماء تحت إشراف الملائكة » باللهزء بالله وملائكته . ثم ذكر نجوم السماء الثلاثة التي تملأ الفضاء والتي تواجهك أينما توجهت والتي تزخر بساتعاً من حبات اللؤلؤ ذات الأشعاع المتوهج المتوقد الدائم الضوئية ومرور الأحقاب وهي محافظة على نظامها وسيرها ومداراتها بلا اضطراب ولا اختلال ولا فوضى ولا تصادم ، وأن الذي يحسبها هو النظام الإلهي ثم قال ص ٢٢٦ س ٤

« ثم سل قائلاً : أرايت لو أن الجن والانس والملائكة وكل المخلوقين - أولين وآخرين - وقتوا في صعيد واحد ثم سألوا الله جاهدن أن يفسد هذا النظام أو أن يغيره أو أن يتخلى عنه . أكان من الممكن أن يجيب الله هؤلاء الداعين أو يقبل هذا الدعاء »

والجواب أن هؤلاء المخلوقات من جن وإنس وفيهم الرسل والأنبياء ثم الملائكة ليسوا من البلاءة والجهل بالله وسننه أن يدعو دعاءاً أحق لا فائدة منه وأنهم ان أجمعوا على دعاء كان مستجاباً ، ولكن الفرض هو تعجز الله بما يسميه نواميس ونظاماً ، والهزء بالجن والرسل والملائكة أنهم لم يعرفوا ماعرفه الكاتب من مادة الكون وطبيعة نواميسه وقوانينه

وأحيلك على ماقرره علماء الطبيعة في القرن العشرين من انتفاض قانون السببية، وأنه تحول إلى قانون احتمال شبه مشرفه باشا بجمار جحا المنسى. وقرر جيمس جينز فيما مضى من ٣٣ بطلايت غرور مادي القرن التاسع عشر في تلازم الأسباب والمسببات وإعلان آلية الكون وصرامة تومايسه الطبيعية فاربع إليه إن شئت

ولا نحتاج أن نذكر للكاتب الوقائع التي لا تحصى ولا تمد دعا فيها الداعون بهم فاستجاب لهم وخرق السن وهدم الطبيعة بقدهاء زكريا الشيخ الهرم وامرأته المسافر وإبراهيم وزوجه المقيم المعجوز ونار إبراهيم وإحياء موتى عيسى وولادته بغير لقاح ذكرى ودعاء موسى على فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الخ

لا نحتاج إلى شيء من هذا فالكاتب لا يؤمن به، وإنما نذكر على سبيل الفكاهة وترويح النفس ما ذكرته مجلة الدنيا المصورة عدد ٦ سنة ثالثة ابريل سنة ١٩٤٧ من مذكرات متهم بالقتل نجا من الاعداء بمعجزة هو جون فوجن فضت عليه محكمة تكساس بالولايات المتحدة بالاعدام لأنهم بقتل أحد رجال البوليس وكان القاتل غيره ولما سأله قسيسه حلف له أنه لم يقتله وإنما ارتكب ما ارتكب من النهب والسلب لإطعام امرأته وأطفاله الجائعين وكان صادقا فيما قال وقد عرفه قسيسه الإيمان بالله العظيم الذي هو أعظم من رئيس الجمهورية الذي كان المتهم لا يعرف أعظم منه فتعرف إليه بد الكفر به ولجأ إليه ودعاه ولما أخذ إلى الترفة المخضراء حيث كرسى الاعداء الكهزباني وأخذ الجلاد بيد الهرم ليجلسه على الكرسي

ونجاة خيم الكون على الترفة المخضراء، ووقف المحرك الكهزباني وحدثت المعجزة للمرة الثالثة إذ كان قد وقف قبيل ذلك مرتين - وأعيد الهرم إلى غرفته، وقال قبل إعادته لحاضري التنفيذ: أيها السادة هل جئتم هنا لتشهدوا جريمة . جريمة قتل برى منهم بالقتل همة غير صحيحة، هل تأكدتم الآن براءتي . وقال في مذكراته: كنت أول من دخل حجر الكهزباني في ولاية تكساس وخرج منها حيا . ولقد أيقنت حقا أن هناك إلها يأخذ بيد المظلوم فجثرت على ركبتي وصليت بحرارة

تأجل التنفيذ أسبوعا ليرسلوا المحرك لاصلاحة، قال المتهم ليصلحوه وليفعلوا به ما شاؤوا، إنه لن يصعقني (قال ذلك لحارس الليل) فسمعتة يقول لحارس النهار: لقد جن جنونه فراقبه قال المتهم مضت ثلاثة أيام وأنا مطمئن النفس وفي اليوم الرابع فتح باب غرفتي ونادى البشير: لقد صدر أمر العفو عنك يا جون فاذهب فأنت حر لوجه الله . ١٠ هـ

لعل الكاتب يؤمن بمثل هذه القصة أكثر مما يؤمن بما جاء في الآيات والأحاديث في إجابة دعاء الداعين وإكرام الله تعالى لرسله وأنبيائه وعباده الصالحين . وما ذكره الهيباوى الذي هم باغتياالسلطان حسين كامل رحمه الله تعالى تحت عنوان « خمس ليال في غرفة الاعداء » في أحد أعداد مجلة الاثنين من أنه ليلة صبيحة التنفيذ بات يدعو الله تعالى ويقرأ عدية ياسين حتى أخذته النوم العميق ثم أوقف فاذن بمحكمدار القاهرة « رسل أو هارفي باشا » ومماونه فما شك أنهم أخذوه لحيل المشنقة ؛ فقال الحكمدار جئت بنفسى لأبشرك بيشري إلنا الحكم الاعداء واستبدال الإشتغال

الشافة به قال فطار فرحا حتى صار يرقص أمامهم ويستعيد البشارة وما ذكر في أحد أعداد المختار من نحو سنتين من انقطاع جبل المشتقة بأحد من أرادوا اعدامه مع أنه جرب في حمل كيس من الرمل ضعف وزن الجرم قبل ذلك، وكان ذلك مما أبطل التنفيذ الخ

يقول في مسألة رفع الانسان إلى مقام الربوبية وعدم الفرق بين الخالق والمخلوق والايان بارتقاء الانسان إلى مراتب الالهية ص ٣٦ « من الواجب المفيد أن تعرف من أين جاء الانسان هذا الكفر بذاته وانسانيته . . يلوح أنه كفر هذا الكفر لأنه أراد أن يؤمن بالله الايمان الذي تصوره فقد تصور أن أساس الايمان بالله قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق أو بين الله وعباده فانه يجب أن يعتقد بأنه كامل في كل شيء قوى في كل شيء والعبد يجب أن يعتقد بأنه ناقص في كل شيء ضعيف في كل شيء »

فهذا الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الله وعباده في السكال والقوة والعلم هو أساس الديانات كلها أوجب العقل والفطرة والتجربة وإن أنكره هذا الكاتب وسماه ص ٣٧ س ١٣ « فلسفة مجنونة مخدولة وتدين ممدخولا » وهزأ بالدليل العقلي الذي يفرق بين الخالق والمخلوق وهزأ بالديانات التي تقرر ذلك ، فحكى ذلك حكاية للنكر الهزازى بقوله آخر ص ٣٦ « ثم البرهان العقلي يقضى ألا يكون المخلوق الحادث مثل القديم الأزلى وإلا فلا فرق بين القديم والحديث ولكن المسألة كلها قائمة على التفريق بين الحديث والقديم أو بين القديم والحادث ولولا هذا لما كان هناك عابد ومعبود، ولكن الديانات كلها مبني على العبودية »

يعترف بأن هذا هو بناء الديانات كلها وأنه حكم البرهان العقلي ثم يحكم عليه بعد عدة أسطر من هذه الصفحة بأنها فلسفة مجنونة مخدولة ودين مدخول ويقرر مع الهزؤ بمن يخالف ذلك بعد أسطر :

إن الانسان ترك . ولا يقول خلق . غير محدود القوى الذهنية وأن له أن يشارك الله في عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الالهية التي تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد »

وسخّف الخطباء والعلماء والوعاظ وجميع رجال الدين وغير رجال الدين الذين يقولون مؤكدين لنا « بأن الانسان ما خلق ليكون عالماً ولا ليكون شيئاً كبيراً ولا لينال الطبيعة والحياة ولا لينزع الله في علمه وقوته وقدرته آخر ص ٦٨ وأول ص ٦٩ وقال ص ٦٧ « وقد طفق من أجل ذلك يبسارى الطبيعة ويساميا في كل أفعالها ومجاثيا » ومثل بالبتروك والمطاط والأؤلوق الطبيعي والصناعي ثم قال « واننا لنخشى أو نرجوا وقد تحقق الأيام أى الأمرين أحسن — أت يأتي اليوم الذي يقال فيه الانسان الصناعي والحيوان الصناعي »

أى أنه يصنع الانسان انساناً وحيواناً لا يفرق عن الانسان الحقيقي والحيوان الحقيقي الذي سماه الطبيعي الذي هو صنع الله تعالى ثم ذكر محاولتهم الوصول إلى سر الحياة ومحاولة صنع المادة الحية ورجلهم الوصول إلى ذلك ثم قال في معرفة الانسان ما كان وما سيكون ص ٥٨ س ١٥ « انه . أى الانسان . راح يؤله هذا الوجود ويشهد تولده وتكونه وتوالده وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد : كيف ولدت مادة الكون (سكذا) وبني ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشمس (يا لها من دهريه مفرورة) وقال ص ٥٩ « ثم لم يقف

يعمل عند هذا الحد بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه وذهب يحزننا عما
يحي من عمر هذا الانسان وغيره من الاحياء ويخبر عن الاحداث والحوادث التي
لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال ترتقب »

(بالتمجيد السخيف) ثم حرف قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق أنفسهم) وإنه نفي عنهم المشاهدة لا العلم ص ٦٠ وطبق
على الناس وقت نزول القرآن قوله في المشركين (يملكون ظاهراً من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) آخر ص ٦١ وعمها في الجميع ولم يستثن مع
أنها في الكفار الذين لا يعرفون غير الدنيا وهم عن الآخرة غافلون أمثال
من قديم الكتاب وارتضى فلسفتهم الدهرية. ثم قال ص ٤٨

« ماذا ترى الآن في هذه الحياة التي تتجرجر بأعمال الانسان والقوى المادية
والفكرية التي أوجدها » هذا المخلوق. كيف استطاع الخروج من تلك الظلمات
الاذلية حتى وصل إلى هذا العصر وكيف استطاع الوصول في سيره المستمرة واستطاع
أن يسدد وقع أقدامه المتحركة في الظلام بدون أن يكون له هاد إلا طبيعته
ومشيد الحاجة ونور يبصر به السبيل إلا أنه وبدون أن يكون له قوة دافعة
إلا استمداده المولد للطاقة بعد الطاقة بدون عطل أو توقف »

لاحول ولا قوة إلا بالله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون
شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (وما بكم

(١) لقد قلنا من قبل إن الانسان عاجز بكل المعجز عن الإعدام فضلاً عن
الابحار بل هو في آله عاجز بكل المعجز عن أن يسترد من محسوها ما يكافئ كل
أوجل ما وضع فيها من وقود. إن أهل العلم وحدهم الذين يعلمون مبلغ
قصورهم مما ينبغي لأنهم أعلم بما يبذلونه وما يحصلون عليه. أما من عديم الفطن
فيهم عن الطفل في أبيه من القدرة على كل شيء (غ)

من نعمة فن الله) (ولو شاء الله ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله
يرزق من يشاء) (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة
ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) (هل أتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئاً مذكوراً) (وخلق الانسان ضعيفاً)

علق على قول المسيحي الذي جعل في تأليه المسيح فائدة للتصاري
وتقديماً لهم على المسلمين أول ص ٣٩

« ليس يخاف ما في هذا القول من محاولة للتشكيك بالمواعظ الانسانية والحقيقة
الانسانية وكل الفرق بين هذه الروح التي أملت هذا الكلام وبين تلك الروح التي
أملت قولهم (ما للتراب وللعلم الخ) لقد عظم الفرق في التوجيه والانحاء فعظم
الفرق في النتيجة والغاية » ثم انظر إلى قوله ص ٩٧ في المتنازين من الناس الذين
يهيئون الشعوب ما هي فيه من اديان ومعارف وصناعات ومخترعات ومكتشفات
ولولا هؤلاء لما استطاعت الانسانية أن تنعم بشيء مما تنعم به اليوم من وجوه
هذه الحياة المشرفة الواضحة فلعل هؤلاء الذين أعطونا هذه الحياة وعودونا على
التحرر والخطو إلى الامام شكر الانسانية أجمع »

فجعل الاديان كالمعارف والصناعات والمخترعات من هبات الاقوام
المتنازين الذين أعطونا هذه الحياة الخ

ثم انظر قبل ذلك بعدة أسطر تحقير الدين وأهله وللمتسكين به
بقوله ص ٩٧

« وقد جهت وهانت تلك الأمة التي تحتاج إزاء الحقائق السافرة المدعوة
إلى براهين دينية تقنعها بفائدتها وجواز الأخذ بها وإذا ما رأيت أمة تنير غبار
الجدل الديني أمام ما يجده من مبتكرات العقل الانساني .. مجرزة أو مائعة محملة

أو محرمة - فاعلم أنها أمة فاشلة مريضة بعقلها وتفكيرها ودينها »
هكذا يكون تقليد الملاحدة كلويون فالرسل والأنبياء والمؤمنون
بهم الذين يقفون عندما شرع الله تعالى حلاً وحرمة خطراً وإباحة فأشلون
مريضون بمقولاتهم وتفكيرهم ودينهم أيضاً في نظر الكاتب ومن قلده.
فبشرى للإباحية المصرية من رقص وفسق وجور وعري وتهتك وخلاعة
وذم آخر ص ٩٧

« هذه المخلوقات البشرية التي تأتي مفارقة إليها واعتيادها لأنها إيمانهم
بمحاسنها المجردة فأرأت وأحست واعتادت فهو الحق - ومالم تحس وتألف فهو
الباطل وشبههم بالمجاورات ثم تناقض ومدحهم في آخر ص ٣٢١ وأول ص ٣٢٢
إذ يقول (وقد أبدع الأغريق والرومان والمصريون القدماء وغيرهم من الشعوب
القديمية لأنهم كانوا يبالغون جداً في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها
وصيروها كل أمليهم ورجائهم المنشود وهوت جميع الأمم التي انصرفت بأمالها
عما ترى وتحس وتجد إلى ما لا تجد ولا تحس ولا ترى - واستشهد بكلام غوستاف
لوبون « إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية
أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام »^(١)
فإذا نصدق وماذا تكذب المدح أو الذم وبأيها يؤمن الكاتب أم هو
التقليد يجمع - صاحب (كلذي استهوته الشياطين في الأرض جيران له
أصحاب يدعوته إلى الهدى اثنتا أن الله هو الهدى) لقد فتن
هذا الكاتب بما قرأ من معربات كتب غوستاف لوبون فنقلها نقل تقليد
(١) إن الذي يقرن بين وثنية الأغريق والرومان والمصريين القدماء وبين
تقديمهم وقرن بين الإسلام وبين تأخر المسلمين الآن إنما هو كذبة الطفل الذي
رأى بقرة بيضاء نجاب فظن أن بياض لبنها من بياض جلدها ! (غ)

بدون فهم لما فيها من تناقض أو ينهم منكوس وصار صدى ردها بلا عقل
حتى أن غوستاف لما استشهد بكلام فيلسوف إنكليزي معاصر له ذكره
الكاتب قولاً لنفسه حتى كأنه هو الذي اطلع على كلام هذا الفيلسوف
بنفسه؛ فرحى للتقليد، والسرقة والتحلل بتياب الزور. ألا فليذكر لنا الكاتب
اسم ذلك الفيلسوف الإنكليزي المعاصر الذي ذكر كلامه آخر ص ٣١٩
إن كان قد وقف بنفسه على كلامه من كتاب له أو محاضرة أو من مجلة أو
جريدة، وإلا فهو لص غير شريف، ومصور لأفكار غيره تصويراً
مشوهاً مختلاً، ومستقى بذير أدب من حياض غوستاف الحجوة الخيمة
بدون اعتراف بمصدر تفكيره، ولا سند أقواله، بل يخرج أقوال غيره
مخرج البتكر الخزع الختلق المخرق لها؛ بلا حياة ولا حشمة ممن يطلعون
على ذلك منه

وقال في شرحه لكلام غوستاف: إن الإيمان بالله وحده كان نكبة
على البشر. الخ ص ٣٢٢

(يريد بعمود الوثنية تلك المبادئ التي سادت عبادة الطبيعة ومجاليها الجلية
ويعني بعمود التوحيد تلك المبادئ التي أعلن فيها الدعوة إلى عبادة الله وحده وإلى
العمل للأخرة وحدها والتأمل فيها دون الدنيا كعمود انبياء بني إسرائيل وأصحابهم)
فهل عقل الكاتب قوله « عهود أنبياء بني إسرائيل » وأن منهم
موسى وهارون وداود وسليمان ويوسف الذين أسس الله على
أيديهم عز هذه الأمة الإسرائيلية وسادتها وملوكها؛ وما كتب لهم
التاريخ من أثر ومن عمل؟ أم هو التقليد الأعمى لما كتب غوستاف

بدون عقل وفهم؟ وهل نسي الكاتب ما كتبه سابقاً عن علوم اليهود وفنونهم، وعن حكم سليمان في طلب النقي، وعن أمة أولئك الأنبياء، أو نسي عز بن إسرائيل أيام داود وسليمان ومن قبلهما إلى موسى وهارون، وما ناله المصريون من حكمة يوسف وبديده في وزارته أيام خصب بلادهم وجديها وهو من أنبياء بني إسرائيل الذين ذم الكاتب عهودهم الدينية تقليداً لسنمه غوستاف بلا عقل. أو هو المحوس في ذم الدين ورجاله وقادته من الأنبياء والحكماء والعلماء؟

وقال ص ٢٣١

(وقد ثبت في تاريخ كل الأمم التي أوجدت^١ التاريخ أنها كانت تذهب هذا المذهب في حب الجلال وتصوره - على درجات متفاوتة - . كما ثبت من جهة أخرى أن الأمم التي لا تكون كذلك تعجز عن أن تبذل في الحياة وعن أن توجد لها بين سطور التاريخ حديثاً يقرأ فيشوق . ومن الواجب أن نعتقد أن الأمم أجمع إنما هي صنع خيالها وأن خيالها إنما هو هبة رجالها الذين استطاعوا أن يسبقوها في التصور والتصور وأن يحدوا لها على أنغام المثل العليا . . .

يقال له : هل قرأت تاريخ هذه الأمم وتخصصت في كليات هذا التاريخ؟ أم هل التقل الحرفي أم هو مدح الطبيعة والجمال وإبداع الحياة وهبة رجال الأمم لها؟

(١) لقد أوجدت الأمة العربية في عصر الخلفاء الراشدين التاريخ من غير شك فهل كانت تذهب المذهب الذي يزعم صاحب الأغلال؟ إنه يدعى الدماوى جزافاً بغير حساب ليثبت مذهبه عن طريقها . وليس من يفعل هذا من يقام له وزن ولا حساب (غ)

وقال في مدح الأبلهية والانطلاق من حدود الأدب والحشمة ص ١٥٩ (وقد لوحظ ولا يزال يلاحظ وعلم النفس يقرر بمباحته صدق هذه الملاحظة - أن الجماعات التي تضيق عليها رغباتها وتحرم من ميولها الطبيعية حرماناً هو العنت والإرهاق تحمي أبداً عاجزة في عقلها وقلوبها وعواطفها ومشاغرها عن الفعاق بالجماعات الأخرى التي أطلقت ميولها من الأغلال والحرمان. هذه حقيقة يقرها علم النفس والاستقراء والتاريخ)

بشرى لكم أيها الفجار والفساق رجالاً ونساءً أفقد أياخ لكم الكاتب حل العقال ليصككونوا أقوياء في العقول والقلوب والعواطف والمشاغرة وتلحقوا بالجماعات الأخرى التي أطلقت ميولها من أغلال الأدب والعفة والحشمة والدين؛ فتلحقوا بالفسق والفجور وركب الحياة وموكب الانسانية. وليس العجب من جرأته على علم النفس الذي يحمله تقرير ذلك ولكن العجب اقتراؤه على الاستقراء والتاريخ، لا أقول لهذا المباحة أقرأ تاريخ الامم براطورية الرومانية للمؤرخ الانكليزي « جيون » وأسباب انحلالها وما كتبه العلماء وسطره التاريخ عن زوال الدول بسبب الزاغبة والفسوق والترف. وما أخبار ترف الامويين والعباسيين والمماليك وغيرهم بمناهة على من أرادها. وما أصاب الامم المنقرضة بسبب الفسق والفجور حروب أوروبا المدمرة بسبب التنساز على الترف والزفاغة من العقلاء يبيعد

وقوانين انكسار الصارمة بعد الحرب في منع الترف أو تقليله إلى جد المدم حتى ما أمده ضرورياً في حياتنا اليومية كالدهن والسمن والبيض وللحلم . وأقرأ مقال « أستطيع بريطانيا أن تنجح » للكاتب الأمريكى

(فرنسيس وكارين دريك) في مختار بونه ٩٤٧ تقلا من مجلة اتلانتيك الشهرية تنفي عن نقل الشواهد على ذلك مبدوءاً بقوله : هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الافلاس وهي تمناني نقصاً في الأيدي العاملة وقلة الطعام وتلفاً في الآلات » واجمع بين قول الكاتب هنا وما نقلناه عنه في ص ٦٠ تعرف الهاوية التي يريد الكاتب أن نتردى فيها ، ويكني عقلك وقبك ودينك في وزن ذلك وتأنجه . ثم اجمع بين مقاله الكاتب الامريكى في ديون انكلترا الباهظة الفاجحة التي تعد بمشرات ألوف للملايين ومئات ألوف للملايين وبين قول الكاتب في الاغلال ص ٢٢٢ س ٢١ في وصف بريطانيا « إنها ذات التراء الخفيف » فن صدق ؟ هذا للتطفل على مالا يعرف أم كاتبها المجلة الامريكية الشهرية اللذان يكتبان ما يعرفان من حقائق واقعية لمسأها بأيديهما .

ومثل ذلك مدحه للإنجليز في اسقاطهم تشرشل ص ٣١٣ بقوله :

« إذ لا شك في أن الانكليز إنما استقطروا تشرشل لإيمانهم بأن من الممكن أو من المحقق أن من سيخلفه سيجيئهم بأفضل وأعظم مما يجيئهم به واهب النصر لو أبقوه مكانه . . ولا ريب أن شعباً يعتقد هذه العقيدة في تشرشل وفي خلفه شعب يؤمن أشد الايمان بالمستقبل وبالتطور وبأن المستقبل وأهله دائماً أفضل وأكمل من الماضي وأهله ، تقوده هذه الأفكار الجلية . . لمسير جيداً مباراته وإزاله عن سلطانه الضخم الواسع »

الحل ما استطرده ورى به المسلمين أنه لو كان فهم تشرشل لميدوه وعدوا إسقاطه جنوناً وخيانة وكفراً بالله ونجيب المسلمين الذين يذكرون سلطهم وأسماءهم الذين عند الكاتب لم يضلوا شيئاً « بل صنعوا ما يستحقون

عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى » لأنهم حفظوا الدين وحافظوا عليه وجاهدوا فيه وولاه وهذا مما يستحقون عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى عند الكاتب الذي يفضل الانكليز واستمرارهم على المسلمين حتى على صحابة محمد ﷺ كما صرح بذلك عندما خانته حزمه ونفاقه أمام الكاتب الشهير سيد افندي قطب رئيس لجنة التأليف بوزارة المعارف المصرية

فهل يعجب الانسان من جيل هذا الكاتب بسياسة الانكليز وطرق قيام الحكومات فيهم تبعاً للحزب الفائز في الانتخاب وسقوط حكومة الحزب الفاشل وأن فوز إيتلي وسقوط تشرشل كان بسبب فوز حزب العمال وفشل حزب المحافظين . ولهذا أسباب معروفة ذكرها الكتاب السياسيون في الصحف السائرة في حينه خلافاً لما علل به الكاتب واستطرد في مدح الانجليز . أو يعجب لمدح الكاتب للإنجليز في تراثهم الخفيف وسياستهم وسلطانهم الضخم الذي يمسر عند الكاتب ازالهم عنه ولستمرارهم الذي يفضله الكاتب على عهد الاسلام الزاهر في عصر رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضئ الله عنهم ومن بعدهم وقتولهم الوضاعة في غرة جبين الدهر . ثم يشيع اليأس في نفوسنا وبرهنا بطش اليهود وقوتهم ويحسب لنا البقاء في احضان الحماية الانكليزية أو الامريكية ولو قرأ الكاتب ما كتبه السياسيون في اخطائه تشرشل الشنيعة أيام وزارته لكف عن كيد المدح له جزافاً . وقرأ في مختار يوليو مقال « فصل خفي من التاريخ » وفي عدد ١٣٧٠ (٢ شعبان سنة ١٣٦٦) من جريدة أخبار اليوم مقال الأستاذ عباس العقاد ومحمد التايبي تننيتي عن نقل

الشواهد - بقوله من ٢٢١ س ١٧

« ثم قل اليوم أن تحميها بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط الماحق - مع أنها هما الخصمان - إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضلها حينما نظن أن في حولنا - لو تحلت هاتان الدولتان - أن نحمل أنفسنا بقواتنا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها .

فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية . أما نحن فنكاد نكون محرومين من كل ذلك »
وإذن فالخرج هل هو أن نبقى تحت حماية بريطانيا ذات الثراء الخفيف والسلطان الضخم الذي لا يقهر أو تحت حماية أمريكا الفتية الناشئة التي فارت قوتها اليوم ؟ أو نعمل على الانصاف بالمشاعة الذاتية الداخلية التي تخيلها الكاتب ذراً للرماد في عيون من لا يقرءون ما بين السطور ؛ ولا ينظرون ما وراء الستار ويفضون الغلف لينفذوا إلى ما بداخلها . إن كان الكاتب يريد بالمشاعة الذاتية الداخلية التي يشير بها علينا : المادية الحسية مع ترك الخلق والدين قبس ما أشار به وأخدع به من غش ، وأكرم بما بقي منا من بقية دينية خلقه ، ولعل الله وزجوا رحمة أن يمن علينا بالرجوع إلى الدين الحق من كتابه وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة وخيار التابعين ، فنصبح خير أمة أخرجت للناس ، ونطفي شر هذه المادية الدهرية التي قدمها لنا كاتب الأغلال بروح الله وشرعه وقدره وفضله وموعنته .

فسر القدر تفسيراً مادياً على خلاف ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة وكلام سلف الأمة وأئمتها في ذلك ، غفطنا : فلهما قالوه وذهبوا إليه ، ثم

ابتكر له هذا المعنى فقال أول من ٢٤٩

« فاقدر بجملة وجلة استهالاته يراد به التقدير أي جعل الشيء ذاتاً مدير معلومة أي يراد به جعل الشيء منظماً في كنهه وكيفه »

ثم شرح هذا التقدير الكمي والكيفي بكلام طويل ممل ، واستدل بالآية (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنبأاً ذلك رب العالمين . . . ذلك تقدير العزيز العليم) إلى أن قال ص ٢٥١ « قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) يراد به القدر الذي ضل فيه الناس وصيروهم حامل ركود والمحطاط مع أنه هو القوة والوثوب والنشاط . وختم الآية بقوله « العزيز العليم » هو كالتدليل على أن المقصود بالتقدير وضع الأشياء في مواضعها وخلقها متناسبة متكافئة والعليم هو الذي يفعل ذلك ويقدر عليه) فهل سمعت في المعجم أو البربر من فسر العليم بالذي يفعل ويقدر ؟

ثم قال في آخر الصفحة

« وقوله اثنين طوعاً أو كرها إشارة إلى قاعدته وإلى أنه سنة محتومة لا تغير ولا تبدل » إلى أن قال ص ٢٥٢ س ١٧ « إن العالم يشبه إلى حد بعيد صناعة كبيرة فيها ملايين الآلات والمعدد الدقيقة وكل هذه المعدد والآلات تسير وتدور وتتحرك بدورها لا ينقص لثاية مقصودة ولا يجاد شيء متفن عظيم بدون أن تقف هذه المعدد وبدون أن تتصادم أو تتعارض أو يصيبها ما يحدث الخلل . إن هذه الصناعة لابد أن يكون كل جزء فيها وكل آلة وكل عدة مقدره بتقدير حكيم دقيق من ناحية حجمها وناحية موضعها وناحية كنهها ؛ ومن كفر بهذا التقدير في هذه الصناعة النخضة فقد كفر بعقله ، والإيمان بهذا التقدير هو الإيمان بالصناعة المذكورة والإيمان بها هو الإيمان بصانعها وكذلك هذا العالم إنمائه ونظم وجوده ويقاؤه وبقائه كل ما فيه بالقدرة المدونة في أجزاءه الصغيرة والكبيرة ولا يمكن للإيمان بالله مع الكفر بهذا كما لا يمكن الكفر بالله مع الإيمان

بهذه الأقدار إلا أن ينأى المرء عن عقله بغيره ولكن الكفر بهذه الأقدار هو كفر بالإنسانية العاقلة المنكرة فلا يكفر اذن بالله إلا من كفر بالإنسانية وبغزائها العقلية والمنطقية »

فبشرى للطالعين والدهريين الذين يقولون بآلية الكون وحكمه بنواميس طبيعية قائمة بالمادة ، إذ شهد لهم الكتاب انهم بايمانهم بهذه النواميس التي سماها أقداراً يؤمنون بالله ولا يمكن أن يكونوا كفاراً بالله مع إيمانهم بهذه الآلة العظيمة الدقيقة . ثم ويل للمؤمنين بالله الذين يؤمنون أنه قادر على خرق هذا النظام والتصرف فيه ، وكم خرق من عاداته وسننه على أيدي رسله والمصطفين من خلقه — ثم الهبل والتكل لمقلاء القرن العشرين إذ يمتدحون بتدخل القدر في إبطال قانون السببية وعدم القطع به بل آكل إلى قانون احتمالي جعوى (١) وارجع إلى ما نقلت لك من كلام عميد كلية العلوم وصاحب كتاب « الكون النامض » وصاحب كتاب « مصير الانسان » آتفاً تستغنى عن تكرار الاعادة

أما معنى القدر فقد شرحه الأئمة والمحدثون والمفسرون بما يملأ قلب الكاتب غيظاً وحقدًا وبغضاً لهم بما هو مبسوط في كتبهم . وأخصر كلمة نقولها هنا حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام وأنه خلق (١) نسبة إلى حكمة جحا إذا كان بعد جيره فيفقد منها ما هو راكبه فتترك الركوب حتى لا يفقد منها شيئاً والمثل ضرب به عميد كلية العلوم على مصطفى مشرفة باشا في محاضرة التي خلعت منها ما يرد على كاتبنا ومن قلدتم من دهرية القرن التاسع عشر وما قبله

العلم فقال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » والحديث الآخر « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وفي القرآن الكريم « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »

وجواب موسى لفرعون عند ما سأله عن القرون الأولى فقال موسى (عليها عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) (وعنده مفاتيح الغيب لا يدركها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (ومن لم يعمل الله له نوراً فإنه من نور) (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكناكم من أحد أبداً ولكن الله يركى من يشاء) وحديث نوح آدم وموسى وقول آدم فكيف وجدت أن الله كتب على ذلك قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى « ورد الغالطين في الاحتجاج بالقدر ليس باتكاره ؛ ولكن بتعليمهم إياه على الوجه الصحيح الذي يرشدهم إلى التوكل على الله ، وعدم الحزن على ما فات ، بما لا يوافق أهواءهم كما جاء في الحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، فإن غلبك شيء فقل قدر الله . وما شاء فعل » ولقد كتب في افتتاحية مجلة الرسالة أحد كتابها الأستاذ عباس البقاع

معتزلاً بالقدر ، مؤمناً به على الوجه الذى يقرره الدين ووجبه ، وذكر صاحب كتاب « أومن بالإنسان » ما معناه : إن علينا أن نسير فى أعمالنا قديماً فإن نجحت وإلا علمنا أن اللناية الإلهية أغراضاً غير ما نريد وما نحجب

قال فى ص ٢١٥

« قال أحد القواد المبشرين^(١) الذين عركتهم الحروب وعركوها » إذا احترب فوريقان كان الله مع أقوامها » ثم أخذ يوجه قول هذا القائد بقوله « وإذا استمعنا إلى قول الله فى كتابه » إنا تنصروا الله بنصركم ويثبت أقدامكم » استمعنا أن ندرك ما فى قول هذا القائد من حق وصدق فإن هذه الآية قد جعلت نصر الله لنا إنما يأتى بعد نصرنا له ونصرنا له تعالى هو نصرنا لأنفسنا^(٢)

(١) لعله هنر مؤسس النازية الألمانية . والكاتب لم يصرح باسمه مدهانة للأنكبر يسترضيه وكلمة زعيم ألمانيا من الخطابات التى يراد بها شخص المم ليست من القواعد العالية ، التى تخرج الكاتب إلى تكلف ترجيحها بهذه السخافات المضحكة المكية

وقرأت فى بعض الكتب أو الصحف أنه ويلهم غليوم الثانى عاهل ألمانيا قبل الحرب الأولى وموقد تلك الحرب الماضية قبل هذه

(٢) ويكون حل الآية وتفسيرها على زعم الكاتب هو إن تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، فبالها من محبة مضحكة لقد ضحك الناس قديماً على الإجماع الذى فسر قوله تعالى (والساء ذات الحلب) إذ قال أما الساء فهى السماء وأما الحلب فلا نعرفه نحن ولا أنتم . وهنا يقول معنى الآية على ما فسرهما الكاتب إن تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، والمفرد ليس فى الميدان الله ولا الإيمان به ولا الثقة به والترك كل عليه ، فبافرة حينك بالوبون عطوع تحذى صعيدى بقر دهرتك من كتاب الله تعالى .

وإذن الله لا ينصرنا إلا إذا نصرنا أنفسنا ولا يمكن أن ننصر أنفسنا إلا إذا كنا أقوىاء وأذن الله مع الناصر لنفسه والناصر لنفسه هو الأقوى وأذن الله مع أقوامها وهذا هو القانون العادل الشامل فى هلك به فقد هلك بالحق والعدل ومن هلك بهما فلا ناصر له »

ونسأل الكاتب الفيلسوف : أين كان الله ومع من فى غزوة بدر ؟ ومن كان الأقوى منها ؟ وما معنى (ولقد نصركم الله يسدراً وأتم أثلة) ؟ ومع من كان الله فى جهاد موسى مع فرعون ؟ وقوله (ذروني أقتل موسى وليدع ربه) وما معنى قوله تعالى (وزيد أن نحن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها)

وقال فى ص ٢٢٧

« والقصر هو النظام كـ... ويجب أن يعلم بأن الخلاف الذى قام بين الأنبياء والمصلحين وبين جميع أصناف المخالفين هو فى أمر واحد تحت أمور كثيرة هذا الأمر هو أن الأنبياء والمصلحين كافة انما جاءوا بالنظام والدعوة إلى النظام فى كل شئ ، وإلى الإيمان بهذا النظام . ثم شرح هذا النظام أن قال « ولا انتظار للخوارق والمعجزات التى تطلب من وراء الأسباب ومن وراء القوانين الطبيعية ثم استدلل بقوله تعالى (لن نجد لسنة الله تبد) ولن نجد لسنة الله تحويلاً) ثم قال :

« فهى لا تغير بل تجري على وتيرة واحدة أزلاً وأبداً ولا تصرف عن سبيلها بل تغضى فيه غير مبالية بمن هلك ولا بمن نجا » وقد قطع بعض الآية عن بقيةها . وعن سياقها ، ليتأتى له تحريفها ،

والاستدلال بها على ما ذهب إليه من الباطل . إن الله لا يخترق السنين الطبيعية ، والنواميس الآلية الميكانيكية جرياً وراء ما ذهب إليه طليمير القرن التاسع عشر ، وفرده غوستاف في آرائه واعتقاده . ولو جاء بالآية تامة مع سياقها قبلها وأراد أن يفهم الحق الذي دلت عليه لما هوى في تلك الحفرة المادية الدهرية على وجهه

سابق الآية ولاحتها وسياقها هو (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكون أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً . استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً . أولم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنه كان علياً قديراً . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهورها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً)

فأنت ترى أن الآية في سياق تهديد فريش لكفرهم ونفورهم من النذير ، واستكبارهم على دعونه ، وأنهم إذا أصروا على كفرهم ومكبرهم فلا بد أن يصيبهم ما أصاب أمثالهم من الأمم الماضية ، فإذا جاءهم ذلك فلن يرد عنهم راد ، ولن يحولهم عنهم محول ، وهي كآية (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو تأتيهم العذاب غلباً) وقوله في

ذكر ما أصاب المكذبين من الأمم الماضية (أكفركم خير من أولئك) أم لكم براءة في الزبر) وانظر إلى ختام السياق بقوله (وما كانت الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) بهذه التأكيدات المتكررة من نفي الشأن مع لأم الجحود مع التأكيد بزيادة « من » وتنكير « شيء » في سياق النفي ، وتكرير النفي في قوله (ولا في الأرض)

فهل يتصور العاقل أن ينقض آخر الكلام أوله ، أو هو الفهم المغلوب ؛ أو هو المادية الآلية وتقرير آلية الكون ونفي اختيار الله وخلقه وقدرته الشاملة ؛ وتسمية ذلك قوة مجنونة أو كالمجنونة ؛ والتعق بجمادات لوبون في آرائه واعتقاداته ؛ إذ ادعى أن الخوارق أوهام ، وإن نفي تسلسل الأسباب يرجع بنا إلى عصور الأساطير ، وإن علم الحياة تنقض القول بعلل العلل — يعنى الله تعالى ، وإف الأنبياء والمؤمنين بهم منهوسون ، وأن الجنات أمل كاذب ، والآخرة وهم باطل الخ يريد الكاتب أن يمزق الدين رقفاً فيخيطن منها ثوباً مهلهلاً يلبسه تلك الفكرة الدهرية التي ضحك منها أهلها وسموها فلسفة أطفال وقوانين جحوية ، ونواميس احتمالية .

لو كان لفظ السنة في الآية يفيد ما يريد الكاتب أن يحملها إياه من أن السنن أزلية أبدية لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتغير ، لناقض ما دل عليه القرآن من آيات الله تعالى التي أيد بها أنبياءه كآيات موسى وعيسى وإبراهيم وصالح والنبي محمد ﷺ ، فيكون القرآن على فهم هذا الكاتب ينقض بعضه بعضاً . وهو ما تولى الله سبحانه وتعالى نفيه عن كتابه بقوله (ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكيف سلخ في عسبل الكاتب أن ينفي الله أن تبدل السنن والنواميس أزلا وأبداً في موضع من كتابه ثم يقول في موضع آخر (قلنا يانار كوفي برداً وسلاماً على إبراهيم) ويقول (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) ويقول (ويكلم الناس في المهد) وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنتفع فيها فتكون طيراً باذني وتبصر. ألا كره والأبرص باذني، وإذا تخرج الموني باذني ويقول (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكيف شق البحر لموسى؟ وكيف آتى صالحاً النافه مبصرة؟ وكيف وكيف وكيف؟ الخ ما ذكر الله عن أنبيائه ورسله وآياتهم وخوارقهم. ولكن الأمر كما قال الله (وما ننزّل إلا آيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) فهل يثبت القرآن في موضع ما نفاه بآيات في موضع آخر؟ أو يهدم ما بناه أو يتعارض ويتضارب فيدل على أنه من عند غير الله؟ تعالى الله وتبارك كتابه وصدق رسوله وسائر رسله. وكذب الدهريون والماديون ومن جرى في ركاب بغالهم ليظهر بمظهرهم وإن ضحك منه العقلاء ومن تعلق بهم وهو فيهم ملصق ليس منهم

ثم فسر القضاء بمعنى الفراغ فقال أول ص ٢٥٨

« فالتضاء إذن المقرون بالقدر يراد به الفراغ والانتفاء فالواجب علينا أن نؤمن بأن الله قد خلق الخلق ووضع النواميس والسنن ثم فرغ منها بحيث لا يحتاج إلى تعديل ولا مراجعة ولا تكيل أو إصلاح أو تدارك... وقال في أول ص ٢٥٩ « فالتضاء والقدر معناه أن الله قد أوجد هذا العالم مقدراً بمقادير مضبوطة محكوماً بسنن لا تقبل التغيير وأنه تعالى قد فرغ من ذلك فراغاً

لا يعقبه تعديل ولا تعديل ولا زيادة ولا نقصان لأن ذلك هو شأن الضعفاء أو الجبله أو السفهاء - وتعالى الله عن ذلك .

واجب من تفسير آية (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن على الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) ص ٢٥٧:
(و فرغ من إيهاء ذلك إلى بني إسرائيل)

فهل رأيت أعمياً فسرهما هذا التفسير فضلاً عن عربي كاتب يزعم نفسه مجدداً مصلحاً. واجمع هذا التفسير مع تفسير آية (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ليكون عندك نموذجان من تحريفات الباطنية القرامطة لكتاب الله ليبلسوا منه رقاعاً مهلهلة تدل على ممانيتهم. عقولهم وأفهامهم من سخف. وبألبت القوم كانوا أصح من ذلك وأعدل وعلما أن دين الصابئة والجوس ووثنية اليونان ودهرية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحافات غوسناف لوبون في آرائه واعتقاداته مناقضة كل المناقضة للحنيفية ملة إبراهيم ومن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فلم يحاولوا الخلط بين ما لا يختلط، ولا للزج بين ما لا يمزج، ولا لجمع بين التقيضين؛ ولا القبض على الشرق والمغرب، فأراحوا أنفسهم وأراحوا الناس معهم، وكشفوا النقاب عن آرائهم ونحلهم، فن شاء وافقهم وشرب من وردم بلا غش ولا تمويه ولا مكر ولا خداع، ولكنهم رأوا أن الناس لا يستجيبون لهم بسهولة إذا كشفوا القناع وصرحوا بما يريدون، فلجأوا إلى هذه المهازل وتلك المضحكات من التحريف والتسخيف.

وما تحريفات أبي زيد الدهموري لكتاب الله تعالى من الناس يبعيد ولكن كاتب الأغلال طم الوادى وأتى إلى الدين من أصله بقلمه مادية دهرية حتى يصبح الناس أحياء متألقة، وكان الأجدر به أن يتمهل ويتأني حتى ينظر مآل الدهرية الأوربية ومدنيتهم التي يحطم بعضها بعضاً، كالنار بأشكل بعضها بعضاً، وقد أضرمتم على نفسها حريقين طاحتين في ربع قرن، والشر يطير لإشغال حرب ثالثة، لا يعلم مدى ضررها وخرابها إلا الله تعالى. كان عليه أن يتمهل حتى يرى عواقب هذه المدنية المادية وماذا يكتب لها من حياة أو فناء؟ وهل تقوم من هذه التكتبات التي انصبت عليها: نساء تعرض فروجها لتسد رمق حياتها، فتيات يمين عرضهن بقرص أو قرصين من الخبز الأسود لا يطرد الجوع. وعصابات مخزية، ومذاهب هدامة

هذا هو ما يدعونا إليه كاتب الأغلال ليخرجنا من نور ديننا إلى ظلمات دهرية مادية سببية تنكر الرب وتكذب رسله وآياته

في التوكل: أخطاء الناس فيه

تقل الكتب بعض أخطاء فيه وسمى أشخاصاً، ونقل كلاماً لهم تشهيراً وتهجيناً ثم خلص إلى النتيجة التي يريد بها من صرف الناس عن الله وعن الثقة به والتوكل عليه، واحتقار من يؤمن به ويعتمد عليه إلى الإيمان بالإنسانية التي هي كل شيء عنده فقال ص ٣٩٤

« إن الشعوب التي تلقن أنه لا يصح لها أن تعتمد فيما تحتاج إليه على قواها وسواعدها وتلقن أن هناك قوة عليا مستعدة أبدأ للقيام بكل مايراد منها استقلالاً فاعلموا إلا الضعف والاستسلام والانتظار... »

إن الشعوب التي يقضى عليها بأن تاقن هذه الخرافات والمخالات هي شعوب غير جديرة بالحياة والاستقلال في جانب واحد من جوانبها... ولكن الأمم الجديرة بالكرامة والحياة هي الأمم التي تلقن منذ تستطيع الفهم أنها إنما وجدت في الأرض مجردة من كل ما يملك الناس مسلحة بكل أسلحة الجهاد والنضال لتوجهي حياتها بنفسها ولتعمل كل مايرزم لبقائها وسلامتها وسعادتها وتلقن أن الإنسانية مجموعها هي التي أوجدت هذه الحياة وبنت هذا المجتمع وسخرت كل هذه الطبيعة بقولها وأهلها دون أن يعينها معين^(١) ويشاركها مشارك وأن هذه الإنسانية لو أنها انتجت هذا المنحى في الانتكال وراحت تلتئم من تشكل عليه ومن تكل إلى قوته القيام بما تريد وبما لا تستغنى عنه لظلت حتى اليوم — أي من يوم وجودها — منتظرة مرتبة ما لا سبيل إلى حصوله،

(١) فروع متدلية من قول غوستاف أن علم الحياة تقضى مبدأ علة الملل وأن الآلهة للناس هو الأمل، وأن خيالهم وحرصهم هو الذي أوجد حضارتهم إلى ما نراه مبنوياً بصرح العبارة في كتابه الآراء والمعتقدات وكتاب حضارة العرب. واعفى من نقل نصوصه وهذياناته

ولبقت كاحدى هذه التفاضلات الجبرائية أو لا تقدرت كما افترضت في سالف الدهور الاحياء التي عجزت عن مغالبة الحياة ومجاوبة الطبيعة الماتية .

ثم شبه (ص ٢٦٥) للتوكلين على الله بالطفل الذي يلقي أن حوله قوة غالبة عزيزة لا يتمتع عليها شيء ، وإن هذه القوة على استمداد لأن تهب له كل ما يشتهي في كل وقت ، وفي كل مكان ، ثم خلص بهذا السؤال : هل من الجائر أن يصنع مثل هذا الطفل خيراً ، وأن يقوى على شيء ، ثم صرح أن الرجل التوكل على الله شر من ذلك الطفل فقال ص ٢٤٥
ثم ليعل أنشراً منه ذلك الطفل أو الرجل الذي يعلم هذه التعاليم الانبشالية ويلقي كل هذه الملقنات للاستسلام والانتظار

والجواب سهل جداً فإن المسألة لا تخلو من أمرين : فاما أن تكون الدهرية الوجودية الطبيعية التي تنفي الخالق وتصفه وربوبيته صحيحة ، فيصح تبهما لها هذا التفرع الكلي الذي فرعه الكتاب وشرحه ، وأعاد فيه وأبدى ، وإما أن يصح دين الرسل كلهم ودين رب العالمين خالق الناس ومربيهم ومرسل رسالهم إليهم ليعلموا الإيمان بالله والاعتماد عليه وأنه لا حول لهم ولا قوة عندهم إلا منه سبحانه وتعالى وأنه (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) وأنه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يسلك لها وما يمسك فلا يرسلك له من بعده) وأنه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وأنه (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين). (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (فأله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى ما لا يحصى من الآيات (فابتغوا عند الله الرزق) (إن الله هو الرزاق

ذو القوة المتين) وهذا لا شك صحيح لا يصح إيمان المؤمن بدونه بل هو لب الإيمان وغرة اليقين وملئق إجماع الرسل والديانات ، وحينئذ تبين أن الكتاب يدعو إلى فلسفة دهرية وفكرة الجادية وشرعية فرعونيه (ما علمت لكم من إله غيري) (أنا ربكم الأعلى) (وما رب العالمين) (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وعند غرق هذا الرب الجاحد رب العالمين ذهب غروره وكبره وجووده وطنيانه واعتزف صاغراً (أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ثم فسر الكتاب التوكل ذلك التفسير الذي هو روح كتابه ومحور دعوته ، وشرحا مبسطا لمفاتيح غوستاف وهي الأسباب والإيمان بها مع الكفر بالله وتمجيده فقال بعد ما ضرب مثلاً بالوكيل الذي رضاه وتعتد بأن ما يقوم به من أعمال وأسباب وما سيضع من وسائل أعمال مؤدية للغاية وأسباب موصلة إلى النتائج ثم خلص إلى ما يريد فقال ص ٢٦٧ س ٦

(وهكذا ننظر إلى التوكل على الله فالتوكل الصحيح عليه هو أن تتق ثقة مطلقة في أن ما وضعه لمباده من أسباب ووسائل لتبلغهم غاياتهم هي أسباب مؤدية إلى مسيبتها وتأنجها بلا تخلف . . .)

ومثل بالعلاج الصحيح في أدائه بلا رب إلى الشفاء والبدن النصحيح في التربة السليمة مؤد ولا رب إلى الانبات واختلاط الذكورة القادرة على الاختصاص بالآثونة القادرة كذلك مؤد إلى وجود الولد إلا أن يوجد مانع من الموانع الطبيعية ثم قال

« وهكذا القول فيما يدعى أسباباً ووسائل، فكما ارددت ثقة بهذه الاسباب التي جعلها الله كذلك ارددت توكلًا عليه وثقة به وبأعماله وتصديقًا بأخباره حينما أخبر بأن الاسباب موصلة إلى غاياتها، وإذا شككت في الاسباب والطرق التي جعلها الله وجوزت ألا توصل إلى شيء فقد نقص توكلك على الله وإيمانك بنظامه وأصيب يقينك بأخباره وأصبحت من الشاكين غير المتوكلين... » إلى أن قال ص ٢٦٨ س ٣

« أما غير المتوكلين حقًا فهم أولئك الذين لا يشقون بسنة من سنن الله ولا بناموس من نوااميسه ويجوزون عليهما الاختلال والاختلاف »

فبشرى لفرعون إذ كان من المتوكلين حقًا حينما أخذ بالاسباب من جنود وجيش وملا وركب وسار وراء بني إسرائيل ليردهم إلى حظيرة عبوديته . وأما موسى الأعزل الحارب بنى إسرائيل الى شاطئ بحر عميق مغرق ، فغضب البحر بمصادفانقلق ، وانفجرت له سنن الكون ونواميس الطبيعة ، فلم يعرف التوكل بالشرح الذي شرحه كتبنا ، وكذلك سائر الأنبياء ابراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط . فأعداء ابراهيم لما أوقدوا النار واتقين بها ليلقوا فيها ابراهيم كانوا عند الكاتب خير المارقين بالتوكل وكانوا سادة المتوكلين المارقين بالله

أما ابراهيم الذي قال حين ألقى في النار (حسبي الله ونعم الوكيل) فكان مثلاً طيباً - عند الكاتب - للجهل بالله وبالتوكل عليه ، وكان الذي قال للنار (كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) عند الكاتب - قوة مجتونة أو كالمجنونة ؛ - سفهية فوضوية ، تضع سنننا ونحرقها ؛ وتعارض النواميس الطبيعية التي لا تعارض ولا تختل أزلاً وأبداً

وكذلك موسى حينما دخل أعزل من كل سلاح مادي إلا إيمانه بالله وتوكله عليه - على فرعون جبار الدنيا في عصره بقوة المادية وملته وجنوده . وكذلك سيد المتوكلين خاتم الرسل حينما خرج لقريش في قلة من صحابته نحو الثأبثة إلى نعيم التمام الذي خرجوا به ليجمعوا عيرهم حاملة أوزانهم ومادة حياتهم بقضيتهم وقضيتهم وخياهم ورجلهم . الخ (وبعد) فاما أسباب لا تختلف أزلاً وأبداً ، وما يخالف ذلك فكذب عند الكاتب . وإما رب يفعل ما يشاء بسبب وبغير سبب ، ويجري السبب أو ينقضه أو يبطئه كما أخبر بذلك واتفقت عليه رسله وعقلاء الناس وبالجملة فاما دهرية أو إيمان ، واختار لنفسك ماتظمن اليه وما ينتلج له صدرك . وكل مبسر لما خلق له .

قال الكاتب خلافاً لاجماع المسلمين بل المتدينين بل العقلاء ص ٢٦٨ « لأن التوكل كما ذكرنا هو الايمان بالاسباب . لست أريد أن أقول هو الأخذ بالاسباب مع الاعتقاد بأن الله تعالى قد يفعل من غير الاسباب . فإن هذا هو السفه والنقض الذي لا ضابط لها ... ولا شك أن الاعتقاد بأن الله يدخل في الاسباب ويدخل بينها وبين الآخذين بها فيجعلها حيناً أسباباً ، لأنه راض عن الآخذين بها ويجعلها أحياناً أخرى غير أسباب لأنه غاضب على الآخذين بها ويجعلها ... ويجعلها ... و ... و ... وهكذا يتصرف نقضاً وبناءً في نوااميسه وخلائقه - على حسب رضاء وسخطه وجهه وكرهته على حسب اختلاف الأديان والمذاهب وعلى حسب تغير مشيئته ، نعم إن الاعتقاد بأن الله هكذا يصنع يناقض التوكل على كل احتمال »

وهكذا يلون الكاتب عقيدته و دهرية القرن التاسع عشر أو ما رضاءه

من حقائق غوستاف لويون : بالألوان المختلفة والحقيقة واحدة، وعمر واحد تدور حوله الرسا دورات متعددة، ولا تخرج عن هذا المحور معها تكدت الدورات : دهرية مقنعة بخرق بالية

ثم نزع إلى حديث الملقى عليه حيناً قال حسبي الله ونعم الوكيل ، وقول النبي ﷺ « إن الله يلوم على المعجز ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » والحديث الآخر « إن الله يلوم على المعجز فابذل من نفسك الجهد فإن غلبت فقل توكلت على الله » ثم قوله ﷺ « فان غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » شارحاً بقوله ص ٢٧٠

(معناه إذا أعطيت من تسك المستطاع ثم غلبت وجب عليك أن تعلم أنك إنما غلبت بالحق والقوانين التي لا تفرق بين من يقومون تحت طائلها ويحتكون إليها وإذا كان ذلك كذلك وجب عليك الرضا بالحكم وإن كان غلباً أو هزيمة لأنه عدل ووجب عليك التناء على الحاكم القاضى وإن كان قضاؤه عليك لأنه عادل غير محاب ولا أنه عالم غير جاهل ووجب أن تقول حسبي الله ونعم الوكيل)

وعلى هذا التفسير فعلى كل مظلوم في حكم أن يثنى على قاضيه ويرضى بالحكم معها كان، إذ أن الرسول ﷺ قد علم للغلوب على أمره أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل التي هي بحسب تفسير الكاتب : الرضا بالحكم والتناء على الحاكم، فإسفاهة الذين وضعوا محاكم الاستئناف والنقض والابرار، وقضاة فوق قضاة لتظفر شكواى من لم يرضوا الحكم الأول ويروا أنهم مظلومون، فقد فسر لهم الكاتب ما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوه عند الغلب « حسبي الله ونعم الوكيل » بالرضا بالحكم والتناء على

الحاكم، وإذا فلا قضاة ظلمة ولا محكوم عليهم يظلم، وما غلبوا إلا بالقوانين العادلة والقضاء العدل الذي يجب التناء عليهم وتقبيلاً ووسهم وأيديهم وأرجلهم من مظلوميتهم . وفي الحديث الصحيح « إنما أنا بشر أفضى بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من أخيه بشيء فأتاه هو قطعة من النار فليأخذ أو فليدع » وفي القرآن في قضاء داود في النعم والحرب قوله تعالى (ففهمناها سليمان)

ولكن هذا التحريف المضحك المبكى سببه الانحراف عما يعرف الناس من أوضاع دينهم ومحاولة إطفاء الشمس واستبدال فتيلة بها ، بل دعوة الناس إلى ترك شمس الدين وضياه إلى ظلمات الدهرية المادية ، والأسباب والمسببات الصارمة والنواميس الطبيعية المطرقة أزلاً وأبداً ، ووصف الله بقوة مجنونة أو كالمجنونة سقيمة فوضوية إذا تحكمت في الأسباب أو أبطلها — عند الكاتب

قال ص ٢٧٠ :

(وأما قول صاحب الناقة أطلقها وتوكلت فانه يذهب في هذا القول وهذا العمل إلى أن معنى التوكل هو الاستسلام وترك الجليطة والمقل مؤملاً أن يفعل الله ما يشاء وأن ينزل من أجل نافته جبريل وميكائيل في يد أحدهما خطام وفي يد الآخر عقار ليحفظا له الناقة من الضياع والحرب ^{١)} فرد عليه الرسول هذا قائلاً (أغفلها وتوكل) مبيناً له أن الاتكال معناه الأخذ بالوسائل مع الاعتماد عليها وعلى أنجاحها ومبيناً له أن من سلك الطريق لزم أن يطمئن ولا يخشى من وراءه (١) وتأمل ما في الكلام ولا يؤذنبك مانبه من رائحة الهزء بملكين كريمين من خيار ملائكة الله جبريل وميكائيل وحط من قدرهما وعملهما في ملكوت الله

الاسباب جوراً ولا عدواناً كأن يهاجم ناقته المقولة روح من الأرواح أو عنيت من المفاريت أو شيء آخر خفي من الأشياء الأخرى الخفية (١) . . . أو كأن يصنع الله بناقته بعض الأشياء التي يزعمون أنه يصنعها خروجاً على السنن والاسباب والمادات بقصد الامتحان أو الابتلاء . . . وهذا ما يشير إليه قوله كل (أي المعلن وثق بالنتيجة ما أخذت بالحيلة الكاملة)

وختم الباب بهذه النتيجة آخر ص ٢٧٠ وأول ص ٢٧١ (وإذا ما فهم التوكل كذا الذي ذكرنا كان قوة من أعظم القوى وكان سهواً يسوق الإنسانية أعنف سوق إلى العمل وإلى إفراغ الجهد كله ، وكان فاعلاً لدار الكسل والركود والانتكال انتظاراً لما وراء الأسباب ولما في الغيب مما لن يجيء وما ليس في الحسبان والتوكل بهذا المعنى هو روح الإنسانية ومعنى زایلها فقد حانت وفاتها وهو بهذا المعنى روح الأديان وروح الإسلام)

وقبل أن نتكلم على النتيجة الأخيرة نسأل : هل تنبه فكرك إلى ما افتراه على صاحب النافذة مما لم يدركه من أمه في نزول جبريل من السماء بزمام وميكائيل بمقال ليحفظا له ناقته ، ولو خلقت بالله أن هذا الخاطر لم يحضر ببال هذا الأعرجي لرأيت أنني صادق ، ولكن الهزء بعالم الغيب من الله وملائكته عند الكاتب لا حد له ينطلق إليه متناسبة ويغير متناسبة كما جعله هنا غلظ هذا الأعرجي صاحب النافذة الذي ظن أن التوكل يكفي بدون أسباب - وكثيراً ما كان يكفي عنده ما يريد الله

(١) ولعل الكاتب لا يصدق ما حكى الله في قصة عرش بلقيس (قال عنيت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليباركني أشكر أم أصكر) الآية

خرق سجنه لتأييد رسله وكرامة صالحه

وأما أمل الأعرجي في أن الله يفعل ما يشاء في حفظ ناقته بما يعرف وما لا يعرف ، فأمل صحيح ، فله أن يلقي السكينة على مشاعر النافذة فلا تقوم ولا تهرب ، والله أن يسر من خلقه الانس أو الجن من يحفظها للأعرجي حتى يعود وإن تهكم الكاتب المبادئ الدهري بذلك وبالأرواح الخفية ، وبالاسباب النيبية ، وأفعال الله بأسباب ظاهرة وغير ظاهرة ، ويثير أسباب الكلية بل بقدرته ، فسنرجي البحث معه فيها إلى ما بعد وتفسير الكاتب لقول النبي ﷺ له « اعقل ما وتوكل » بقوله « فاعلمن وثق بالنتيجة إذا ما أخذت بالحيلة » افتراء على مراد سيد العقلاء وخاتم المرسلين ، فكيف من صاحب نافذة عقلها ولم تحصل الطمأنينة ولا الثقة بهذا السبب ، وكيف من التوق تنفك عقلها بنوع من حركتها ، ومحاولات سهلة منها لذلك وتنطلق هاربة ، والواقع شاهد عدل ، ويتعالى مراد النبي ﷺ في قوله « وتوكل » عن هذا التهافت الذي يحتمل إياه الكاتب . وإنما التور الطاهر من هذا التعليم النبوي في هذا أن يثق صاحب النافذة بمد عقلها بالله تعالى القادر أن يجعل هذا العقل مفيداً مؤدياً ما قصد منه فلا تحاول النافذة الانفلات منه ولا يتسلط عليها مخلوق من شياطين الانس أو الجن فيحل القتال ؛ وهكذا نشرب الدواء ونعتمد على الله أن يجعله نافعاً ونبذر البذر مراعين ما يلزم بحسب طاقتنا العملية والعملية معتمدين على الله أن يكمل نقصنا وأن ينم ما فاتنا بجهلنا ، وأن يدفع النوائل والمعوقات التي نعلمها والتي لانعلمها عنه حتى ينبت ويقوم على ساقه ويثمر ،

وهكذا في كل شيء له سبب أو لا سبب له نعرفه أو نعرفه معرفة ناقصة ونسأل الكاتب سؤالاً أرجو جوابه بلا بهت ولا مكابرة : هل عرف الناس جميع أسباب الأشياء وجميع عواقبها معرفة قطعية لا خلاف ولا نقص ولا شك فيها ولا انتظار لمزيد عليها ، أم هي اجتهادات وتخمينات تمسك الناس بها أمس وقد يرفضونها اليوم أو غدا ؛ والكاتب يعترف أنهم لا يزالون يجهلون سر الحياة ويحاولون فهمه . فهل على الناس عيب إذا توكلوا على الله واعتمدوا بقولهم عليه بعد أن يعلموا ما يعرفون من الأسباب على قدر طاقتهم . ومبلغ علمهم

ثم نسأله سؤالاً آخر : هؤلاء الفاشلون في فضال الحياة سياسياً أو حريياً أو اقتصادياً ما سبب فشلهم ؟ والأمثلة كثيرة في الناس : نابليون وهتلر وموسليني حتى تشرشل الذي يتغنى الكاتب بمقرته ، لا يزال يتكشف للناس الغلط تلو الغلط في سياسته ؛ وتشير إلى ذلك صحف أمريكا وبلخصاً أعداد المختار من حين إلى حين كعدد يولية ١٩٤٧ في مقال (فصل خفي من التاريخ) وكقول محمد التايبي في أخبار اليوم (أول يولية) : « إن روسيا تسيطر الآن وهذا بفضل أخطاء سياسة تشرشل الشنيعة أثناء الحرب على معظم وسط أوروبا وجنوبها الشرق ، وفي وسط هذا القسم الكبير المهم من أوروبا تقوم اليوم حكومات شيوعية تصدع بأوامر روسيا »

ما هو سبب فشل هؤلاء الفاشلين وهم لم يألوا جهداً في إنجاح أنفسهم ؟ إن قال : القدر وسلطته الغيبية فهذا هو المطلوب ، وإن قال :

بجهلهم بأسباب النجاح وسلوكهم بغير قصد غير طريفة فهو المطلوب أيضاً فلا عيب حينئذ على المؤمنين بالله في توكلهم على علام الغيوب . بعد بذل الجهد فيها يعرفون ليكمل نقصهم في العلم بالأسباب ؛ ويقوى ضعفهم فيها ضعفوا فيه منها ؛ ويبدم بالموثوق والمهداية والالهام ، ويقوى همهم في ذلك .

وسؤال ثالث : لماذا يفشل أفراد وأقوام في الحياة وينجح آخرون هم أقل من أولئك علماً وعملاً وقوة ومعرفة بأسباب النجاح ؟ فإن أراد أمثلة من الأمم نغذ مصر واليمن وبلاد العرب والشام والعراق وإيران ، ثم صنع القسطنطين للمستقيم لعلم كل واحدة منها وعملها ومعرفتها بأسباب الحياة وطرقها ، ثم علل استقلال المستقل منها وفشل الفاشل عن الاستقلال فيها ، كاليمن وبلاد العرب في جانب ، والآخرى في الجانب الآخر

ولا تزيد تعليلاً سخيفاً كتعليل الكاتب فشل علي بن أبي طالب وانهيار جيوشه بسبب دينهم ، ونجاح معاوية وجنود الشام بسبب قلة دينهم ، فهذا تعلييل سخيف لم يسبق الكاتب إليه عاقل فبا نعلم ممن كتبوا التاريخ بطله وأسراره ، اللهم إلا إذا كان أمثال غوستاف توبون وأمثاله أصحاب الفلسفة المادية الآلية الطبيعية التي يضحك منها اليوم عقلاء القرن العشرين ؛ ويعلمون الاعتراف بالقدر وعالم الغيب ، والتصرف باللهي الذي يسخر الكاتب منه ومن المؤمنين به . والواقع والتاريخ ووقائمه قضية عدل وشهود أبحاث وزهادة لما قلنا .

وسؤال رابع : لماذا فشل الكتاب في الحصول على ثمن يتبعصر

يبلغ ٥٠٠٠ جنينه ممن طلبه منهم حتى رموه بالجنون والحق : أهو القدر الذى غلوب انغلاق بين أصابع مقدره ؟ أم هو جهله بأساليب الحياة الذى كان يجبره ويكمله استخارة الله قبل الطلب ثم الاعتماد عليه والتوكل والدعاء فى إنجاح الطلب ؟

هذا أم الحرمان من الفساعة والزهد وعدم الرضا بما قسم الله حتى هوى فى حفرة الذل والتسول فأذل نفسه بسؤال ما لم يجيبوه اليه وحقوه فيه واستزدلوه ؟ ولقد سأل أقوام دون الكتائب مطالب أكثر مما طلب فنجحوا فيها فشل فيه ، أليس هو القدر الذى أفشله فيها أجيب أمثاله ممن م دون الكتائب عند نفسه علماً وأدباً وفضلاً ، فلماذا فشل ونجحوا ؟

سأرجى البحث فيها ذكر من حب الدنيا وفى الزهد فيها وما موهه من آراء وما حرفة من فهم الآيات ، وما شوه به الدين من آراء ، إلى فرصة أخرى إذ يحتاج ذلك إلى بسط وتفصيل

وكذلك فى مسألة اختلاط الرجال بالنساء ومدح التبرج والعري ، والاعتذار عن الفسوق والفجور والآراء الهدامة الشاذة كقوله ص ٩٨

(ان النساء شقائق الرجال وأنهما سواء فى هذه الحياة وفى القدرة عليها ، والحاجة اليها ، وفى أعمالها ومطالبها ، وأن ما فيها معاً من أعضاء وغرائز وميول متشابهة متساوية من عقل وفكر وروح وحياة وتكوين عام لينادى بسقوط هذه الفروق المدعاة بينهما ، فان ذلك تفريق بين متساويين متماثلين ، وهذا باطل فى قانون العقل وقانون العدالة العامة بل وفى كل القوانين حتى القوانين الطبيعية العمياء)

ولا أريد أن أرد عليه فيما ادعى من المساواة بين الجنسين وعدم

الفرق بينهما عقلاً وقانوناً حتى لدى القوانين الطبيعية العمياء بقول الله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (وللرجال عليهن درجة) ولا بأسدلال الرسول على نقصان عقل المرأة بأن شهادة اثنتين منهن بشهادة رجل ، ويقعدها عن الصلاة والصيام وقت حيضها ونفاسها — لا أستدل عليه بذلك إذ لا يؤمن به وإن آمن بلفظه حرفة بما رأيت من غرائب التحريف البربرى الأصعب حتى يحرم على وجهه إلى ما تردى فيه من تهتك وإباحية ؛ وإنما أترك الكلام للواقع والمشاهدة ؛ وعلمى (الفسيولوجيا) منافع الأعضاء (والبيولوجيا) علم الحياة ، فهى أعقل من الكتائب وأعرف بخلق الرجل وبدنه وأعضائه وغرائزه ، وبالمرأة ، وكلامهم فى هذا مبسط مبين ؛ وأنا مثلت الكتابة والنقل ؛ وسأرجى ذلك إلى فرصة أخرى

(وبعد) فهل يحض الكتائب ويحبل ومريض ؛ وهل له مبيضان لتوليد البويضات الجنينية ورحم لنمو الجنين فيه وتديان لإرضاع المولود ؟ وهل يرفض ويتكسر ؟ ولا أسأله عن الطبخ والنسل والخبز ، وسكنى البيت وتديره وتربية الأطفال وغسل ثيابهم وأقذارهم ، وغسل الثياب وكها . وبالجملة ما تقوم به زوجته داره ، وسائر النساء فى دورهن فضلاً عما اختصن به من أعضاء الحمل والولادة بفعله يقوم بذلك بدله زوجته . وهل زوجته كتبت كتاب أغلاله واتصلت بدعاة التبرج وجالستهم ؟ لا أظن ذلك فيها ولا أظن قدرتها على ذلك . فضلاً عن فقد أعضاء الذكورة وما لها . فالرجال رجال والنساء نساء مهما تلونت الحيلة

وللتقارى، أن يحكم على قوله بما يستحقه من وصف التعقل والهدوء أو
التهور وعدم الاتزان. ذلك قوله آخر (ص ١١٠)

(ولعل إزام المرأة البيت للأسباب المذكورة) أى صيانة لمن من الخلطة
بالتجار (لا يقل سخفا عن هذه العملية الوحشية الشنيعة) عملية اخضاع الذكور
الذين يخدمون النساء «لأسباب المذكورة أيضا»

ثم وضع هذه وما معها قبلا وبعداً بل الفصل كله - مع قول الله تعالى
لا تهرس النساء العالمين زوجانه ﷺ أمهات المؤمنين (يا نساء النبي لستن
كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه
مرض وقلن قولا معروفا. وقرن فى يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطمن الله ورسوله. إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) واحكم أيهما أذكرى
وأهدى سبيلا وأقوم قبلا وأصدق حديثا: آله أم أصحاب الأغلال

لقد كانت ابنة الشاطىء، وهى امرأة مثقفة وسيدة مهذبة، أعقل من
صاحب الأغلال، وأوسع علما وحكمة حينما بينت فى هلال يونية ١٩٤٧
سخف تسوية المرأة بالرجل وسفه ذلك فى مقال عنوانه «عدل لاخير فيه»
فى مقال طويل تمتع بماء بالبراهين الواضحة تقتطف منها ما يأتى. فاتها
بعد أن ذكرت حجج من يدعون نصرته المرأة ثم سألت وأجابت: ماهذه
للمساواة المرجوة بينهما: أمساواة فى الخلقة والتكوين؟ محال. أمساواة
فى الشخصية؟ مستح وانحراف. أمساواة فى العمل؟ خلل واضطراب.
أمساواة فى الأعباء والمسئوليات؟ ذلك هو قرار قانون الحياة من أول

الزمان. أم مساواة فى الحقوق المدنية فهو حاصل وأيده الاسلام حين
قرر للمرأة حق التعامل، واعترف بشخصيتها المدنية، وجعل لها نصيبها
العادل من الحقوق المالية والواجبات (قلت) والموارث

ثم ذكرت أن المساواة بمعناها المطلق لا توجد حتى بين أفراد الرجال
أنفسهم - وضربت أمثالا كقبول بعض الطلاب فى بعض الكليات
العلمية ورفض آخرين لتفاوت تأهله شكلى كتمرة فى مجموع الدرجات أو
قبراط فى الطول والعرض، أو سبق ولحق بيوم واحد فى العمر والسن
فيصبح هذا رئيسا وهذا مرءوسا. بل اختلاف فى مواهبهم: هذا صانع
وهذا مهندس وهذا قاض - محام - طبيب - تاجر. ولو طالبوا جميعا بحق
المساواة المطلق لاضطرب الأمر واختل النظام

ثم قالت: وهل الأمر بين الرجال والنساء إلا مثل هذا أو شبيه به
أو قريب منه: لكل حرفة التى يصلح لها، وعمله المناسب لشخصيته
ومواهبه. ولو خيلنا للمرأة - باسم المساواة - تتخل عن عملها فى البيت
وتدع حرفة الامومة لتنطلق فى ميادين الرجال صانعة أو مهندسة أو تاجرة
أو موظفة بشركة لأنها إنسانة آدمية لكان مثلنا مثل من يوجه الرجال
جميعا نحو ميدان واحد دون نظر فى مدى حاجته اليهم أو تقدير الحاجة
للميادين الأخرى اليهم.

اللهم انى لا أجد فرقا بين اشتغال النساء بالامومة واشتغال الرجال
بالصناعة والتجارة والسياسة إلا كما بين توزيع الأعمال بين القضاة والعلماء
والمهندسين والأطباء والموظفين والصناع. هى مسألة توزيع أعمال وتوزيع

كفريات، واستنار مواهب، واستغلال قُوى، وانتفاع بمقدورات. ولا ظلم ولا تصف ولا أثر ولا بنية استبعاد كما زعموا

قالت: فان أبوا إلا أن يسموه ظلماً فالمستول الأول عن هذا الظلم هي الطبيعة الأولى (١) التي فرقت في الخلقة بين الرجل والمرأة بل بين الرجل والرجل، والمرأة والمرأة. الطبيعة التي جعلت في كيان الأنثى مكان الولد، وفي نديها النبع الإلهي لذاته، وفي مخلقها الصبر على تكاليف تربيته وحضائنه، وجعلت في الرجل خشونة للقاتل وقوة المكافح وجلد الصيد.

الطبيعة التي لم تخلق قط المساواة المطلقة بين أى اثنين من الناس ولو كانا توأمين، ولم تخرج قط من مصنعها مثلين متساوين وإنما وزعت المواهب وفرقت الكفايات، لتضمن صانداً لكل حرفة، وعاملاً لكل عمل، وبطلاً لكل ميدان. هي المستولة عن هذا الظلم وهي خصمنا الواحد، فان شئنا أن نطالب بالعدل وتحقيق المساواة بين الجنسين فلن نجد حكماً تختصم إليه لينصفنا من الطبيعية الظالمة ويحكم لنا عليها وههنا ههنا. فإكانت أحكام الطبيعة بالتي تستأنف أو تنقض أو تعقب. فليصيحوا أن المساواة بين الجنسين عدل وحق، وليضحجوا من ظلم الطبيعة وتفريقها، فلن يجدى الصباح ولن تنفع الشكوى

(١) تريد الكتابة بالطبيعة فطرة الله التي فطر عليها خلقه وقدره السارى فيهم النافذ عليهم وأما وصفها بالظلم ونحوه فتتكلم بلسان الخصوم لتزيمهم الحجة من كلامهم على حد تعبير الخليل في محاجة عباد النجوم للكوكب والقمر والشمس (هذا ربي) من غير اعتقاد لذلك.

هبوا المستحيل قد كان واستطاعت المرأة أن تقوم بهذا العمل أو ذلك مما قام به الرجال قبل تراننا ندخل الرجل إلى البيت ليحترف الرضاعة والحضانة والتربية مما قامت به الأنثى من عهد حواء أم تراننا ترك البيوت معطلة خلاء؟ أسئلة لا تنتهى وما أحسبها تنتهى فنبال: أى خيرى ذلك العدل؟ ولمصلحة من هذا الانقلاب؟ أمصلحة المرأة وقد كانت بأوثقها من القلب الحبيبة الشائقة، واللهممة الفاتنة والسيدة الحاكمة، نعمتو لها جباه الملوك وترنو إليها أبصار الفرسان، ويتخذها الرجل في بيته حرماً مصوناً لا يسه النيار ولا تجرحه الأعين، ولا تناله الأيدي ولا تتطاول إليه الأعناق. أم مصلحة الرجل سيفقد فيها موضع حبه، ومثار فتنه، بل سيفقد سره الأكبر الذى يغربه بالكفاح، ويهون عليه مايلقى في موكب الحياة، ليرى إلى جانبه ذلك المسخ الجديد الذى يثير الرحمة ويبعث على الرثاء؟ أم هي مصلحة الجماعة وسوف تحرم بهذا الانحراف — إن حصل — بينها السعيد يتكامل فيه الجنسان ويتعاون الزوجان على حمل الأمانة العظمى، ليرى مكان هذا البيت نزلاً كثيباً بأوى إليه رجل مجهد محروم وزميلة له شقية تصلة قد أنهكها جهاد لم تتموده وأرهقها عمل لم تنهأ له

ألا إن في المساواة معنى من العدل لا خير فيه أو هكذا تراها الانسانية. أما الطبيعة فتراها وهماً من الأوهام. وأما المرأة التي مزقوا حجابها وأخرجوها من بيتها فتراها لونا من الظلم لا مساواة فيه.

(بنت الشاطىء: من الأمناء)

انتهى ما نقلته ملخصاً من هذا المقال القيم المدعم بالجيج العقلية

للتزعة من طبيعة الوجود وحقيقة الواقع وعلم التفسيرولوجيا والبيولوجيا. ولا يسوأنك ماذا كرت الكتابة مكرراً من لفظ «الطبيعة» وظلمها وتحورها ففى ترد باطل المدافعين عن تبرج النساء بلسانهم وتبرأهم لا بلسان الدين وعبارانه

ولها كلمة أخرى فى آخر مقال «الاستبائيات فى المدرسة والبيت» فى هلال ديسمبر سنة ١٩٤٧ قالت

«ألا ليت قوى يعلمون أن المرأة الغربية لم تترك بيتها راضية، ولم تحرف عن رغبة وهوى، وإنما أخرجت من البيت تحت ضغط عنيف من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية فاهرة، واحترفت عن حاجة واضطرار؛ وهى بعد لا تزال نحن إلى البيت الذى محرمت منه، وترى فيه نعيمها المفقود وحلمها الجليل

» ألا لينهم يعلمون أن فى الغرب مذاهب سياسية واجتماعية ناتت بالأنوثة عن صغب المعترك السياسى وغيار الطرقات وشذوذ المساواة، وأبقنها فى دنياها موضع العزة وجمال البيت وصانعة الأبناء وأتى الحياة، اه ولو كان هؤلاء الدعاة إلى الدعارة والفجور واختلاط الجنسين يكفهم قال الله تعالى . قال رسوله ﷺ . قال العلماء — لما أحتجنا إلى كل هذه التطويلات من كلام أهل العقل والتجربة ومقررات علم منافع الأعضاء وفى قولها فى وصف لبن الأم بأنه النبع الإلهى للذء الطفل وكذلك استشهاده بما أقرته الشريعة الاسلامية من حقوق المرأة المدنية، ودفاعها عما قرره الدين والفطرة والعقل من صيانة المرأة وحجابها — دليل إيمان

الكتابة وعقلها؛ وحبها للفضيلة والخلق الكريم، على خلاف ما دعا اليه كاتب الأغلال من تبرج المرأة واختلاطها بالرجال وما يتبع ذلك من فسق وجور واختلال، عمتاً عن آداب البيانات والشرائع وقوانين الفطرة والحياة والوجود، ودعاتهم الأخلاق والحشمة والعفة، وما جره التبرج والفجور والاختلاط مما يندى له جبين المروءة والحياة والخلق الكريم ولقد حدثنى وجيه جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف عن سفير إيطاليا بها أنه قال له : أحب من دينكم أمرين :

(١) تحريم اختلاط الرجال بالنساء (٢) تحريم الربا

وقال السفير : كيف أتق بالمرأتى تذهب مع شاب صديق أو خليل لها فى رحلة إلى جبال الإلب عدة أيام أو أسابيع : شاب مكتمل الرجولة والفنوة والحيرة ؟ ثم مدح تحريم الاسلام للربا وحته على إقراض المحتاج وإمهاله بدون قسم ظهر معيشته بالربا

قال الوجه : زوج أحد اللوردات بنته فوجدت بكراً فشكرها أبوها على محافظتها على بكارتها وقدم لها هدية لذلك . ففصرت على عجزتها وقالت له : اشكر هذه فهى سبب حفظ هذا .

وذكر لى أحد المختلطين بالانكليز عنهم أنهم لا يرفعون بكارة البنات ويقولون هل تعرف بكارة للشبان فتعرف بكارة للفتيات ؟

وذكر أن امرأة سفير فرنسا كانت تشق سكرتير السفارة فكانت تخلو به فى حجرته فاذا طرق السفير عليهم أجابت ارجع فسألتك . تعنى بعد الفراغ من خلوتها بخديتها . فهل هذا ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ؟

وتهكم الصاوى الكاتب في أخبار الدنيا تحت عنوان هل صرنا أقل من الصبين؟ حينما منعت الرقص المزدوج، فهكم بفسيرة الأزواج الذين يروون زوجاتهم تنتقلن من ذراع خدين إلى ذراع آخر وهن مخمورات بخمرة الهوى وخمر المدامة. فأى إنسانية هذه؟ أم هى حيوانية المدينة المادية الدهرية الفاسقة الفاجرة التى انطلقت من كل حياء وحشة وخلق إنسانى.

إن تعليم المرأة الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق وشيئا من قوانين الصحة وتدير المنزل ومبادئ العلوم مع الحشمة وعدم الاختلاط، أمر لا يجادل فى حسنه وطلبه ووجوبه عاقل. أما فن الرقص والغناء والاستحمام المختلط على الشواطىء، دع زيارة المسارح والسينات والمواخير والخلاعة والمجون. فهذا فليتنصح به كاتب الأغلال لمن يحب، وعليه أن يبدأ به فى بيته وذويه ليقننى به المعجبون به ويبقرته وتبوغه كمن ناصروه فى صحف مصر وأطروا كتابه

وقد أبان مالى عشماوى بلشا فى حديثه مع مراسل الأمانة (شعبان ١٣٦٦) حيرة العقلاء فيها وصلت إليه حالة المرأة المتعلمة إذ يقول «أم أنكم فى مشكلة المرأة المثقفة وقد وقفت عند مفترق الطرق بد أن نهيا لها إعداد مضطرب الرنجلنا بغير غاية معروفة أو رسالة مرسومة»

يريد كاتب الأغلال فى كتابه (ص ١١٩) أن يصور الرسول الكامل فى جسده وروحه، فى قواه البدنية والخلقية والروحية إنسانا فاعز الجسم

واهى القوى بليد الهمة صوفيا هندوسيا، أو راهبا نصرانيا، فيستبعد عليه تفوقه فى القوى الجنسية ويظنها منافية لما بث له من جلال الأعمال. ولعله تأثر فى ذلك بما كتبه المصللون المغرضون من دعاة النصرانية فى رميهم للنبي الكريم بأنه شهوانى، ولكن الله الذى أكل خلق رسوله وخلق جسد وروحه أعلم منهم ومن كاتب الأغلال بما فطر عليه نبيه من التفوق فى كل كمال بدني وروحي إذ يقول (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) فهذه الاباحة للزواج التى لا حد لها من رب النبي وخالقه لا تكون عبثا ولا لغوا إلا عند من لا يؤمن بالقرآن ولم يعرف الرسول ولا رب الرسول

وعهدنا بالكاتب فى كتابه ذم التجرد والزهد والمعنويات والمرض وتقديس النسوة والمادة والصحة والمالقة وما إليها، فإله اختار هنا للرسول ما مجنه واستقبحه، وباعده مما دعا إليه وألف كتابه له؟ وعقلاء الناس على خلاف الكتاب يرون أن كمال القوة الجنسية والزعات الجسدية والشهوات البدنية، لا تتنافى مع سمو الأخلاق وعظمة العطاء، وبطولة الأبطال. وها هو ذا (جون سيتوارت ميل) الانكليزى يقول فى كتابه «الحرية» تعريب طه السباعى باشا (ص ١٠٢)

«إن الشهوات والزعات ليست إلا جزءا متما وركنا جوهريا من

صفات الانسان الكامل شأن الروايع والمعتقدات كحذوك التعل بالنمل .
وليس يخفى من طغيان التزعاجات إلا عند اختلال توازنها . أعنى عند
ما تشد طائفة من الليول والأغراض مع بقاء غيرها مما كان يجب أن يجاريها
في القوة ضعيفاً معطلا . والسبب الحقيقي فيها يقتضيه الثامن من التباين
ليس قوة الشهوات ولكنه ضعف الضمير . وليس هناك تلازم طبيعي بين
قوة الشهوة وضعف الضمير ، بل الأمر على عكس ذلك ، فانك إذا وصفت
امراً بالتفوق على غيره في قوة العواطف وتنوع الشهوات فكأنك تسلم
بأن نصيبه من مواد الفطرة البشرية أوفر وأجزل ، فهو لذلك أقدر ولا
شك على عمل الخير وإن يكن أقدر على ارتكاب الشر ، وما قوة التزعاجات
إلا اسم آخر للنشاط والهمة وقد تصرف الهمة إلى ناسد الأغراض ؛
ولكن لا مشاحة في أن الطبيعة الموصوفة بالهمة والنشاط هي أبداً أقدر
على جلائل الامور وحاسن الافعال من الطبيعة الموصوفة بالبلادة والجمود
وان توقد الاحساس الذي هو مصدر قوة العواطف وحدّة التزعاجات هو
أيضاً مصدر أشد ما يعرف من حب الفضيلة وأبلغ ما يوصف من ضبط
النفس . ولن يستطيع المجتمع أن يتردى فروضه ويصون مصالحه إلا
بترية قوة الاحساس هذه وإذكاء جريتها

ولا يجب فإ هي إلا المادة الخام التي منها تصور طليان الابطال
وتصاغ نفوس التوائف فكيف يوفق المجتمع إلى غرضه إذا نبذ هذه المادة
جهلاً منه بطريقة الانتفاع بها وتصوير الابطال منها . إن الشخص الذي
تكون شهواته وزعاجاته خاصة بنفسه معبرة عن طبيعته جدير أن يكون من

ذوى الاخلاق . أما الذي لا تكون شهواته وزعاجاته على هذه الصفة من
الاستقلال فليس له من الخلق إلا مقدار ما يكون للألة البخارية . فاذا
كانت عواطف المرء قوية فضلاً عن كونها مستقلة ثم كانت له إرادة
حازمة تتسلط على شهواته وبصيرة ثاقبة تتصرف بعواطفه فهو من ذوى
الاخلاق والمزجة ؛ وكل من يزعم أن استقلال الشهوات والتزعاجات غير
جدير بالتنشيط فانما يقول بأن المجتمع ليس بحاجة إلى قوة الشكسية ،
وشدة المراس ، وأنه لا يستفيد خيراً من ذوى الاخلاق الكبيرة ؛ وأن
علو الهمة ليس من الحسنات للنشوة »

انتع كلام هذا العالم الاجتماعي الاخلاق الانكليزي ، وهو جدير
بالاعتبار وهو شهادة عدل على صحة ما جاء في الاحاديث الصحيحة مما
اختص الله سبحانه رسوله ﷺ وهو البطل الكامل من كمال خلقه ومخلقه
وقوة عواطفه وسجاياه البدنية والروحية إذ يقول « أحب إلى من
دنياكم الطيب والنساء ، ومجملت قرّة عيني في الصلاة » فجمع له بين كمال
البدن والروح . ويقول « لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأكل اللحم
وأزواج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقيامه بمحقوق أزواجه
وإعفافه لمن وهن يزدن على نزع أمر لا يشك فيه مسلم . وإباحة الله له
ما شاء من النساء وما دلت عليه الاحاديث من قوة بدنه وروحه ، وما
اختص به من تفوق القوة الجنسية : تكتسح ظلمات الكاتب وما استند
إليه من شعر الأخطل وخطاه ونجنيه على علم النفس والاخلاق ، وخوضه
فيها لا يمحس سباحته لينقص ما حبا الله به نبيه ﷺ من كالات جسدية

وروحية ليتم له ما رى اليه في كتابه من إظهار فضل الله على خلقه واختصاصه من شاء منهم بما يبدد أوهام المادية الدهرية المائدة لحسية الأسباب، الجاحدة لآيات الله الخارقة لنظام الطبيعة للرغبة لأنوف عبادها وإن أعجب لهوس الكاتب تلك الخيالات التي رد بها ما اختص الله به نبيه من قوة البدن والمواظف والثبوت في الجاني، فمجي أشد من استدلاله على ذلك بحديث «كان إذا دخل العشر شد المزور» فهذا هو النبأ أو الهوى : سحب حكم عشر من الدهر على أيام الدهر أو الحكم بثلاث شهر على ١٢ شهراً، أو رد عدة أحاديث مشتهرة صحيحة عند أهلها بمفهوم خاطيء غلط، لحديث شد المزور. ثم الوقاحة والسفاهة يرى حفاظ الأمة وأمناء الشريعة بالهوس الجنسي. إلى آخر ما سمح به أدبه معهم وهذا الكاتب الاجتماعي الانكليزي - وكاتب الاغلال يطرى الانكليز في كتابه ويتبنى بفضائلهم - قد قرر ما نقلناه عنه فهل يلحقه في رميه بالهوس الجنسي بمن رماهم به من حفاظ الاسلام ورواة الاحاديث أو يبين ويتخاذل عن ذلك ؟

أحب أن أسمع ما يقول فيه إن كان عنده شجاعة علمية أدبية حتى نعرف أن الكاتب نازع على كل حق حينما كان وأبنا وجد. والذي يظهر لنا أنه جن في رد كل ما هو إسلامي ديني ليخيط بدله مزقة دهرية لوبونية طبيعية .

وقد سمعت قرار الفسك الانكليزي في المسألة فاسمع خلاصة أمريكية في ذلك حتى نسمع تأييد الاسلام من شرق الارض وغربها كما قال الله

تمالي (سبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكذب بك انه على كل شيء شهيد) (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأني الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون)

أما الأمريكى فهو مؤلف كتاب (الانسان، ذلك السلام المجهول) وهو حائز جائزة نوبل في العلوم الطبية، وقد لخص المختار مقالته، وهو أعرف وأوثق معرفة بقوى الانسان ومنافع أعضائه إذ قرر ان إفراز الخصبين الداخلي في الدم مما يقوى العقل، وأن العظام من القواد والساسة والحكام كانوا أقوى في الماطفة الجنسية من غيرهم، وأن اثر ضعف الخصيان في القوى العقلية أمر مشاهد: بخلاف كاتب الاغلال إذ كذب بمالم يحيط به علمه ولم يتصوره فهمه، وكذب الرواة والمحدثين فيما نقلوا من قوة النبي ﷺ (١) وكذب أنسا خادم النبي ﷺ في روايته طواف النبي ﷺ على نسائه في ليلة واحدة بنسل واحد (ص ١٢٠) وروى الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ بالهوس الجنسي وتلفيق الروايات في قوة جماعه ﷺ الخ البذامات التي تليق بأدب هذا الكاتب وتربيته ومبنته وعمره على المجتمع الاسلامي وليس الحافظ ابن حجر بأعظم من البخاري امام الدنيا في حفظ حديث رسول الله ومعرفة صحيحه، فقد رماه الكاتب بالجهل بالحديث، وأنه يروى (١) كقوته ﷺ في سائر المواهب الجسدية والروحية والخلقية فهو الانسان الكامل في كل المواهب الانسانية حسية ومعنوية ولو عقل الكاتب حكمة لإحاطة الله له التزوج بعدد لا يجد من النساء لما استبعد وكذب ما جاء من الروايات فيها خصه الله به من القدرة الجنسية التي فاق بها الناس حتى أبيح له من النساء ما لم ينعم لغيره . حكمة تتعالى عن العبث والسفه .

الحديث الموضوع - المكذوب - وهو لا يعرف وضعه وكذبه . صرح بهذا شفاهاً في دار وجيه حجة الأندى محمد نصيف بحضور صاحب الدار وولده الأديب حسين أفندي نصيف وغيرهم من حاضري المجلس حيناً انجر بحثي معه في مسألة سأذكرها بعد إلى الاستدلال بحديث رواه البخاري، فأتلكاً ولا تعلم عن وصف البخاري بما نقلته عنه حرفياً - بل ليس البخاري بأعظم من صحابة النبي ﷺ الذي فضل عليهم الاستعمار الانكليزي بشهادة كاتب شهد عليه بذلك في داره هو سيد أفندي قطب رئيس قلم التأليف بوزارة المعارف المصرية، بل الصحابة ليسوا بأفضل من أنبياء بني إسرائيل وأنبياء التدينين عموماً على اختلاف أجناسهم إذ رماهم بتأخير الإنسانية وعرقلة سير الحياة . بله أن الايمان بالله الذي جعله نكبة على البشر والايان بالآخرة التي جعله مؤخراً للمؤمنين بها عن اللحاق بركب الحياة وهذا كله كان غريباً قبل أن تعرف اهدافه ومراميه التي كشف عنها كتابه (الأغلال) من مادية لا روح فيها ودهرية لا خالق لها، ونواميس صارمة لا آيات ولا خوارق ولا معجزات ولا قدرة خالق ولا اختيار له فيها . والبيانات التي تقول بغير هذا أغلال تؤخر سير الحياة وتغرق ركب الأحياء عند السكائب . وبالجملة تلخيص مشوه أو مبسط لا لحاد لوبون وأضرابه من مادي القرن التاسع عشر وما قبله ثم تمزيق دين الاسلام خرقاً ورقاعاً لتلبسه تلك الفلسفة العفنة التي عافها الناس واستهجنوها وعدوها آراء صيبانية أطفالية . وسأحاول اختصار تلك الكلمة المعجلى التي شغلتنى عن أعمال زهاء أسبوعين

فليس من غرضي استنباط الكتاب الطويل للمل فقد كشفت عن أساسه ودعائمه، وعمده وأركانه التي تتلخص في هاتين الحكايتين - ومن أعطاك مفاتيح دار فقد أمكنك من معرفة ما فيها :
(١) ذهب أديب لموادعة صديق امريكي مسافر بطائرة فكان في الوداع أن قال له : تصحيك السلامة ياذن الله ومعوته ، فقال الأمريكى : الله ماله شغل في هذا !! قال الموادع : يحفظ الطائرة من السقوط ومن المواصف مثلاً . قال الأمريكى إن سقطت فن هذا المغفل - وأشار إلى سائقها الله ماله شغل في هذا . فكتاب الأغلال تبسيط وشرح لهيئة الحكاية الأمريكية .
(٢) ذهب جحا (١) لشراء حمار من السوق فسلل أين تذهب ؟ قال أشتري حماراً من السوق قيل له قل ان شاء الله قال ليه ولماذا أقول ذلك ؟ الحمار في السوق والتمن في جيبي . ولما دخل السوق رزى، بلص سرق نقوده فلما رجع قيل له أين الحمار ؟ قال إن شاء الله ضاعت النقود، فقيل له كان ذلك من أول . وضحك الناس عليه .
وفلسفة كتاب الأغلال هي فكرة جحا وهو ذاهب لشراء الحمار ولكن جحا انتبه إلى الحق بعد ضياع دراهمه فهل يرجع صاحب الأغلال ولو بعد خراب مالطة وبعد ما أفسد ما أفسد من أفكار قراء كتابه ؟
(١) جحا اسم الشخصية هزلية مجوزية تنسب إليها حكايات مضحكة لها مغزى أدبي خلق واختلف الناس فيه هل شخصيته خرافية أو له وجود تاريخي وفي سوق الوراقين تباع كتب باسم نوادر جحا .

الله أعلم بشؤون خلقه والله في خلقه واضلالهم حكم حكيم في خلق إبليس وإظهاره لاضلال خلقه .

فات أحد كبار الإنكليز شيء عزم عليه فقيل له لو قلت إن شاء الله لحصل ، فكان يقول إن شاء الله حتى فبا مضى فيقول عملت كذا أمس إن شاء الله تعالى ، وأعطته المستر كوكسن هيندس خزان أسوان الشهير بمصر أقول سأختصر الكلمة بذكر فرع من فروع مادة الكتاب وهو إنكار تمثل الجن وتصورهم بصورة ، وقد جرى بيني وبينه بحث في ذلك تلخصه في كتابه ص ٢٠١ س ٢٩

« ومنذ شهر قليلة قام بيني وبين انسان عالم نزاع في هذا وقد زعم هو بأن العفاريت يتصرفون في هذه الدنيا وأنه يعرف إنسانا كانوا يخدمونه ويحضرون له النماكة من بلاد أخرى في أوقات تنقذ فيها الفواكه وأنهم - أي العفاريت - تقولوا له البراميل من بلدة إلى أخرى »

أقول : أنا ذلك الانسان العالم الذي عناء ، والذي قام بيني وبينه ذلك البحث الذي رواه مشوها ، ولم يذكر ما استدلت به من آيات وأحاديث منها حديث البخاري « إن شيطاناً قفلت على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته فأمسكه الرسول وخنقه حتى أحس برد لسانه ولم يربطه في سارية المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة ، فذكر دعوة أخيه سليمان (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) فأطلقه » فا كان من الكتاب إلا أن رى البخاري بالجهل بالأحاديث ، وأنه يروى في صحيحه الحديث الموضوع وهو لا يعرف أنه موضوع . وانفصل الحديث عند هذا الحد إذ لم تكن

ندرى ما وراء الآكة وما يخفيه الكتاب في أغلاله من الكفر بالله واليوم الآخر والملائكة والجن والرسل والديانات كلها حتى أعلنه في كتابه الأغلال . وسواء آمن بتمثل الجن وتصورهم أو لم يؤمن ، وصدق ما أخبر الله عنهم في عصر سليمان وغيره ، وإن منهم البنائين والعواصين والمقرنين في الأصفاد ، ومن عرض على سليمان نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين أو لم يصدق . وسواء صدق الأحاديث في ذلك أو لم يصدق ، وما توارثه الناس قديماً وحديثاً مما بلغ مبلغ التواتر الذي لا ينكره إلا مكابر مباحث حتى في عصر المادة هذا يوجد في عقلائه من يروى ما وقع من غرائب الحوادث التي لا يعقلها من لم يؤمن بعالم الغيب ويصدقها المؤمنون به

ولقد كان عقلاء الماديين أعقل من كاتب الأغلال وأبعد عن السفخ فاذا رأوا شيئاً لا يفهمونه ؛ أو صحت عندهم رواية لا تنطبق على قواعدهم المادية : قالوا : هذا شيء لم نعرف وجهه ، ولم يكذبوا به ولا بروايته ، واستحيوا من العناد والمكابرة والهت وإغماض العين لانكار ضوء النهار ولك أن تطلع على ما يختاره « المختار » من حين إلى آخر ، آخرها مقال « قصة شيخ » في عدد يوليو (سنة ١٩٤٧) وراويه عن نفسه رجل من عظماء الإنكليز معتمد الحكومة الإنكليزية في فرنسا . فصدقه أو كذبه . وقبلها في عدد مارس (سنة ١٩٤٧) من مجلة المختار بعنوان (رأيت ملك الجحيم) فيها تمثل الشياطين في غاية من غرائب التبت .

وكل ذلك فرع للسألة الأصلية : الإيمان بالغيب ، بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر ، جنته وناره وحشره ونشوره ، وقضاء الله وقدره على

أوجه الذي آمن به المؤمنون الأولون : الصحابة والتابعون وأيامهم بإحسان إلى يوم القيامة . أم الكفر بذلك وتفسيره تفسيراً مادياً دهرياً لوبونياً طبيعياً وجودياً على ظلمات فلسفة القرن التاسع عشر ، وإن ظن أنه يخدع الناس بذكر الاسماء الدينية وينزلها على مراده الذي اخترعه وحرفه من دين المادة والطبيعة والكون الآلى (ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هدبتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

قال آخر (ص ٢٠٥)

« ولعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح والجن ، وبكل ما جاء عن الله ورسوله ، ولكننا ننكر القوضى وننكر أن يكون الله قد ترك خلقه بلا نظام وبلا قانون يلزمهم الحدود ويرهم السبيل ، أو أن يكون قد تخلى عنهم فقوضى والظغيان »

فرحى لهذا الاعتراف ، إذاً فليؤمن أن الشياطين سخرت لسلطان (كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) (قال عفریت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك .. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءى الفئتان تكص على عقيبته وقال إني بري منكم إني أرى مالا تزون إني أخاف الله والله شديد العقاب) تمثل الشيطان بسرافة بن مالك الجعشمي يوم بدر وقال لهم ما حكى الله عنه فلما رأى الملائكة مدداً يزعمهم جبريل ولّى هارباً فلما نادوا بأسرافة كيف تغر وتنهزم أجابهم الشيطان متمثلاً بسرافة إني أرى مالا تزون .

وحدث نفلت الشيطان على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته وتمكنه منه وخنقه حتى أحس ﷺ برد لسانه وم ربطه في سارية من سواري المسجد لولا تذكره دعوة أخيه سليمان (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) وسارق نمرائي هريرة مراراً وأعلمه النبي أنه شيطان . ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في أحوال الجن وعلاج من يصيبونه بمرض ونحوه ، وكيفية اتقاء شرهم مفعمة بالأحاديث في ذلك طبعها الشيخ منير الدمشقي بمطبعته النورية سماها (إيضاح الدلالة في عموم الرسالة) وقد ساق البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه أحاديث على شرطه فيها جاء في الجن وأحوالهم ، وفي القرآن سورة الجن وفيها وفي الإحفاف استماعهم لقراءة الرسول القرآن في صلاته الفجر حينما كان ذاهباً إلى عكاظ بنحلة الهمانية (قرية بطريق الطائف) وأحاديث إسلام طائفة منهم وسكنهم المدينة . وتمثلهم في صورة حيات وقتلهم لمن قتل منهم حية . والحديث بذلك في صحيح مسلم وأبي داود وغيرهما

وفي نمرود الجن وطيشهم وعينهم من الفوائد ما لا يقل عن نظيره من نمرود المتمردين من بني آدم من تلميننا كيف نصارعهم ولا نخافهم . وتنازلهم ولا تهيبهم ، وزداد إيماناً بقدرته الله على خلق مخلوقات لا تُرى ثم ترى ونوعاً حياً عاقلاً على أسلوب غير أسلوبنا في الحياة والمعيشة ، فإذا تمردوا على ما أكرموا من النظام قاومناهم بما فطرنا الله من قوة ، وما هداها إليه من عقل وتديبر مع الاستعانة به وازددنا علماً بما وراء الحسوس فوق مانعنا من المخلوقات التي نحسها ، وأن هناك أحياء غسبر ما نعرف من

الحيوانات؛ وأن وراء ما ينصر أمم تحيا وتميش بطراز غير ما نعرف من طرز الحياة التي أنفناها رغم أنف الدهريين والملايين، وإن كان في الناس من يجبن عن مصاولة هذه المخلوقات الضعيفة من الجن وهو أرق منهم عقلا وحولا وطولا؛ فهناك من يخاف الفأر والحرة فضلا عن النمر والأسد مع أنه أقوى منها حيلة وفكرًا ومعرفة بطرق اتقانها بل صيدها وجسبها في أقفاصه. فليس في وجود هؤلاء الجناء من الناس وعيث الجن بهم أحيانًا قليلة للمبرة ما يخذل حكمة إقدار الجن على التمل والتصور، ولا فيه فوضى ولا خلل، ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما تصوره الكاتب أنا أو من يمثل الجن وتصورهم؛ وأصدق الصادقين من يحكي شيئًا من تلك الأحوال الغريبة التي تصدقها القرائن ولوائح الأحوال وشواهد الصدق ومع هذا لا أهاب الجن في خلاء وظلام ووحدة ولا تشوشت على حالة من حالات ميشي ولا جرى على فوضى ولا طغيان وأصدق من يحكي أنه رآهم أو قادمهم وانتصر عليهم وفروا منه هارين كسفهاء لصوص بنى آدم.

ومن شاء باهلت على ذلك أن ينزل الله لعنته على الكاذبين.

وليس في قتل الجن وترايبهم للناس فوضى ولا طغيان مطلق ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما زعم الكاتب، وفي تمرد المتمردين من الانس والجن وخروجهم على النظام والقانون بحكم وفوائد كثيرة من التوجه لمقاومتهم والهداية إلى قمعهم وعقوبتهم وإلزامهم النظام والقانون، وتعلم طرق انتقاء شرهم وفضح حيلهم وأطرم على الحق والنظام والشرع.

وهل هناك من فائدة لنظام البوليس والادارة ولقائوت الجنائيات ومجانبتها وقضائها لولا وجود الاشرار الماثلين بالقانون والنظام من بنى آدم. والمجب لسكتب الأغلال أن يظن فيما جاء في النصوص الدينية من قتل الجن وظهورهم بأعمال تهويشية أو عيث وعجون: فوضى أو تخلل الله عن خلقه أو نحو ذلك من التوبيهات التي يرد بها ما جاء في كتب أنبياء الله تعالى، وما تواتر في أخبار الناس عن ذلك. وهل فات السكت أن الحياة كلها كفاح وجلاء وصراع؟ فهذه الوحوش تفترس، وهذه تدافع أو تهرب أو تقع فريسة، وهذه الجراثيم المرضية تهاجم جسام الحيوانات والإنسان وهذه تدافعها. والغلب لهذه تارة وتلك أخرى. وفي هذا الكفاح من علوم الحياة ومن التجارب، وركى العلوم والصنائع ما يعرفه أهله. وقد ذكرنا ما في عصابات النصوص وقطاع الطريق ومقاومة الفاعلين على حفظ النظام والقانون لهم من حكم وفوائد. فهل يعد الكاتب ذلك كله فوضى وتشويش وتخليًا لله عن خلقه، وفسادًا للنظام؟ أو الجاد والاجتهاد في رد نصوص الدين بأوهام وسفسطات وبهرج من القول، وجزى وراء المادة المنكرة لما وراء المحسوس والطبيعة؟

إذا فليترك الكاتب على عقله ودينه

ونسأل الكاتب الفاضل إذا كان يؤمن بما أخبر به القرآن من إرسال الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا ومن ترغ الشيطان للإنسان، ومن إنظار الشيطان إلى يوم الوقت للعلوم لا غواء بنى آدم: هل في ذلك كله فوضى وأن فيه ترك الله خلقه بلانظام ولا قانون يلزمهم الحدود؟

إن كان يؤمن بذلك وأنه لا فوضى فيه ولا تخلل لله عن خلقه ولا تشويش ولا طغيان فليصف إليه تعاليم أحيانا وعيبتهم بما فيه مصالح لئلا آدم بما ذكرنا بعض فوائده، وإلا فليعلم أن شياطين دين المادية والتافقين بإنكار ما لا يحسونه بجواسمهم القليلة المحدودة لما تقض مذهبهم بمشاهدات الناس لحوادث الجن، ومشاهدة الانبياء والرسل للملائكة وتمثل ما وراء المحسوس من عالم الغيب من الملائكة والجن بصور تُرى وتسمع وتشم، باهتوا التاريخ والتواتر والوقائع ليقوم لهم مذهبهم الحيواني في إنكار ما وراء ما يعرفون - وما أقل ما يعرفون - من الوجود ظاهره فضلا عن خفيه وغيبه. وجاء كذب الأغللال جهرف بما لا يعرف جهلا أو غباء أو انحدا على هذه الدهرية المادية التي تكذب بما لم تحط به علما ولما يأتيها تأويله وإنا لندرج اليوم الذي رُق فيه مشاعرنا وجواسمنا وتتقدم الصناعة والاختراع حتى رُق ما بين المحسوس وغير المحسوس من حجاب، فبرى هؤلاء الممن من الماديين ما يذكرون يروونه قبل ذلك. ولستنا نطمح حينئذ في إيمانهم لأنه بيد الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم آية ليؤمنن بها. قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون. ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن اكثرم يخولون)

ومن فروع الأصول المادية الدهرية التي اعتنقها الكاتب وفسر بها

ما جاء في الدين، مسألة إنكار العين وتأثيرها فقد قال (ص ٢٠٦) «وما يتصل بمسألة الأرواح المنتدبة مسألة الاصابة بالعين أو النظرة أو ما يسمى عند العامة بالحدس فإن الحاسد عندهم إنما يصيب بروحه الخبيثة ومسألة الاصابة مسألة ذات ذبول طويلة وحواش ضافية ولا اعتقادها أن جسم في حياة الكثيرين وفي عقولهم وأفكارهم وتصرفهم العام ولها فعل سحري في قوتهم المعنوية والارادية والعقلية ...»

ثم سرد ما هو منتشر بين الناس في تأثير العين من حق وباطل وما هو مبالغ فيه أو أوهام، وهزأ بكل ذلك وبالروايات فيه صحيحها وسقيمها، ومن ذلك رواية الموطأ والطلب من العائن أن يقتل للمعين قتال ص ٢٠٧ وذكروا أنه عليه السلام أمر أن تنسل عورة العائن والمواضع القفرة من بدنه ثم تحجب النساء ثم تصب على الممين ويسقاهن وقد كذب على الرواية بذكر عورة العائن تشيها لها وتشويهها وإنما الرواية في غسل أعضاء الوضوء من العائن: وجهه ويديه ودخله إزاره، وفسروها بطرفه الملقوف على وسطه أو بحمويه الذين يلف عليها الأزار. فحرفها الكاتب إلى عورة العائن إيمانا في التشنيع على الحديث، وخيانة في النقل، لأنه يكتب لقوم فتنوا بالخوف بما يسمونه الجرائم والمكرويات حتى أوردتهم هذا المحسوس جبنًا فاقوا فيه النساء والأطفال؛ وهلمك خلق قلوبهم فقدوا به شجاعة الرجال؛ فضلا عن الأبطال؛ ومجنونوا بما يسمونه النظافة والوقاية من الأمراض، حتى أن الواحد منهم يتقذر من فم جليسه وصديقه الذي قد يكون أصبح منه وأنظف فلا يشرب من كوبه فضلا عن خلطته به في طعامه، بل يتقذرون أصابعهم الطاهرة

فأراد الكاتب أن يظهر لهم الذين هذا المظهر القدر المحتر تنفيراً وتقييماً، فزعم أن الرواية جاءت بنسب عورة العائن، والله حسيبه فيما كذب وافترى على الرواية، ولو جاءت بهذا اللفظ لكان في حله على أحسن محامله الأدب معها؛ فالقورة عند الفقهاء ماتحت السرة وفوق الركبة، وليست خاصة بالقبيل والدبر، أو السوأتين اعترف الكاتب بما جاء في بعض الروايات ثم أخذ يحرفها حتى تطابق أصوله المادية فقال ص ٢٠٨:

نعم جاء في الأحاديث التي رواها المحدثون الثقات «أن العين حق وأنه لو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين» ولكن هل هذه الأحاديث في سبيل من جهل هؤلاء الجاهلين وقد صدقوا ما قالوا واعتقدوا كلاماً لا يوجب شيئاً وأسمى معنى وهذا غاية ما يتوهمون فالعين حق فإن الإنسان الشرير يرى بعينه فيعتقد ويحسد بقلبه ثم يضيف بأعماله وكيدته، والعين حق أيضاً فإن في كثير من الميرون قوة امرأة ناهية بل فائلة أسرة وأن الرجل الموهوب هذه القوة لينظر أحياء إلى من حوله فيخضهم بمجرد النظر ويسلس نظره وعينه أتمنى خلق وأعصى طبع ويبلغ من أنفسهم أقصى ما يريد وأبعد ما يرجو، فيصيحون طوع مشيئته ودهن إشارته فيصبح بينهم الأمر الناهي المتصرف ويصير فيهم الزعيم المبدود أو الشيخ المبدود أو الأستاذ المبدود، القول قوله، والتكثير تكثيره والمجرب هواد والدنيا ديناه . . .

ثم ذكر نخبه من استعباد شخص لامة، وعبادة أمة لشخص وفسره بسر عيذه. وضرب مثل ذلك الشيخ الجاهل السفيف الوقع في كل جانب من جوانبه - كأنه يعني محمود خطاب السبكي رئيس ومؤسس جماعة السبكية المنسوبة بالسانية - ونجاحه في أتباعه، ونصرفه فيهم تصرف

الراعي في قطمان غنمه، أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وصاغهم في القالب الذي يريد منهم؛ أو كأنهم أموات بين يديه، لا يتحرك منهم عضو حتى يحركه، وفرض عليهم أن يخشعوا بين يديه خشوع العابدين في صلاتهم، أو ذلة المشركين أمام أصنامهم؛ وألزمهم أن يدخلوه بينهم وبين الله في أقرب موقف يقفون منه تعالى، وألزمهم أن يضموا خياله وصورته بينهم وبين الله وبين القبلة حين الصلاة؛ وفرض عليهم أكثر مما فرض الله على عبده، وكتب لهم هذه الفروض في كتاب من كتبه «يعنى المهد الوثيق» زورنها يدها ثم أمرهم أن يتعلموا هذه الفرائض وأن يستذكروها حفظاً ليعملوا بها أينما كانوا

وفسر الكاتب نجاح هذا الشيخ الجاهل السفيف الوقع بسر عيذه. ثم فسر حقبة العين أيضاً بأنها مفتاح شخصية صاحبها ومجتمع قواه ومعاينه المختلفة، ففيها يتجلى الحب والبغض والمداوة والصداقة؛ والرحمة والقسوة، والذكاء والغباء، والقوة والضعف والحزن والسرور، والصحة والمرض والمهدوء والتلق. الخ

وأقول للكاتب الفاضل: ما ذكرت من الأمثلة والشواهد والاستنتاج صحيح ولكنه ليس مراد حديث «العين حق» بدليل بقية الحديث «ولو كان شيء سابقا القدر سبقته العين» وبدليل الأحاديث المتواترة المعنى. المعلومة بها كتب الثقات من المحدثين الذين وقفت بروايتهم لحديث «العين حق» التي تدل على تأثير العين التأثير الذي تنكره أنت وتهزأ به، كحديث «استرقوا آل جعفر فأنهم تصيبهم السقعة» وحديث رقية

الحسن والحسين « أعيد كما بالله من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »
وكحديث الموطأ في العين الذي لبط حينما قال له المائى « مارأيت ولا جلد
مخانة قبل اليوم » ولما اغتسل له المائى فجا ما نشط من عقل .
والاحاديث في هذا كثيرة يؤمن بها المؤمنون ويحدها الماديون .
وآية (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) فيها إشارة إلى تأثير
العين ، ونصيحة يعقوب لبنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ولا
يدخلوا من باب واحد كذلك

ونسأل الكاتب عن معنى ما اعترف به من بقية حديث « العين حق »
وهو « ولو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ما معناه ؟ وهل عنده
تحريف له حتى يتفق والمادة التي اعتنقها الكاتب ؟
ولعله خاله حذره حينما سافه معتقفا به ثم حصر عن تحريفه فسكت
عنه فلم يضحكنا بما عودنا من تحريف وتسليم
وليس اعتقاد الناس في تأثير العين اتباعا للأحاديث الصحيحة للرؤية
في ذلك بمخجل لهم ولا عائق عن سبل النجاح كما زعم الكاتب (ص ٢٠٧)
ولا مما يفسد الهيئة الاجتماعية ، ولا مما ينشر الفوضى والخيال المضطرب
القاتل كما زعم (ص ٢١٠) وإن وجد إنسان هستيرى المزاج كالذي عرفه
الكاتب (ص ٢٠٨) أكلته الاوهام والظنون من هذه الناحية ، بحسب
عيون الناس سهاماً مصوبة اليه ، فتخاذل وتمازى ليدفع عنه العيون
المصوبة اليه ، فليس هذا المهستير هو كل الناس ، ولا هو القياس الصحيح
لجميعهم . فالناس سارون على جوار أعمالهم ، جادون في معامهم ، بلا تلكؤ

ولا تخاذل ولا توقف ، فان ظنوا في أحد تأثيراً عيباً تموزوا بالله منه ،
وتحصنوا بالتحصينات الالهية والرق النبوية التي لا يصدنها الكاتب ولا
يؤمن بها . فاذا يضرم إيمانهم هذا ؟ بل لقد أفادم الايمان بالله واللجأ اليه
والاختباء بحماه مما يكفر به الكاتب ويسفنه ، ويريد بكتابه أن يقلعه من
قلوب الناس ليستبدلوا به مادية فاحلة بجذبة مميعة قاتلة مبعدة عن الله كافرة
به ، منزقة في أحوال المادية

ماذا يبقى للناس إذا فقدوا في وسط محيط الحياة المضطرب ومواجه
المصطفقة قنهم بالله وإيمانهم به وسفينته رحمة بهم ، وفلاك حثاته وشفقته
عليهم — إلا الحيرة القاتلة ونار اليأس المحرقة ، والقلق والاضطراب الذي
أودى بذلك الحيران الذي أغرق نفسه في شاطئ بحر الاسكندرية ،
ووجد في جيبه اعترافه أنه لمجد زنديق لا يستحق أن يدفن في مدافن
المسلمين ، وأظنه اسمه « على آدم »

في إحدى افتتاحيات مجلة الثقافة للكاتب الشهير الأستاذ أحمد أمين
مقال قيم فيما فقهه الناس من الايمان ولم يعوضوا خلفاً عنه ، وما أصابهم
من جراء ذلك من مصائب نفسية ومادية الخ
والمعجب أن كاتب الاغلال يذكر تأثير العين بالمعنى الذي يعرفه سائر
المسلمين ، ثم يجترع لها تأثيراً يضرب له الامثال بتأثير بعض الزعماء على
الدهماء بما أوتوا من نجاح في التأثير عليهم بسبب دعائيات أو إفتناع ديني أو
سياسي أو مذهبي ونحو ذلك . وإذا كان العين ما ادعاه الكاتب من هذا
التأثير في الجماعات ؛ فما الذي يكفره من تأثيرها الآخر الذي جاءت به الشرائع

وما الفرق؟ اللهم إلا الاغراق في المادية والكفر بما جاءت به الشرائع من أسرار وحقائق تجدها المادية.

**

يتمك الكتاب بقعة للمسلمين دينهم مع أنهم لا يعملون به الآن فيقول آخر (ص ٢١٠)

وهناك مسألة كبرى نشأت أيضا من الجهل بسنة الله وسنة الحياة ومن الاعتقاد بأن العالم ليس محكوما بالنواميس ذلك أن الناس ظنوا مبادئ الدين يقتضون أن المسلمين لن يُقبلوا لأن دينهم حق، والحق يجب أن يكون أهله منتصرين أبدا وإن قصروا وأعملوا ونسوا أنفسهم وأن الاسلام لن يهزم أمام الأديان الأخرى لأنه الدين المرضي لله والله لن يترك ما رضىه للخذلان والمزعة، وقد جعلوا على أنفسهم أن يصححوا هذه الأغلطة بالاستدلال بآيات قرآنية مطلقة بحجة نسوا قيودها وشروطها فقامعوا ضربا في مناهات الأوهام واستمناحا بأشياء الاحلام، وظنوا ساديين حتى لحق بهم العالم فانتبهوا مذعورين لا يدرون من أين ولا كيف. وقاموا يتلصسون الطريق وقتنا معهم ولكننا وجدنا بعد هذه التهمة الطويلة والأحلام الثقيلة أن أعلام الطريق قد غفت أو كادت، وأن الرقاد الطويل الثقيل الذي هنتناه قد باعد بيننا وبين الأمام القفطى الذي لم يغمض لما جفن فكيف ومتى العاق؟

أقول: إن اعتقاد المسلمين أن دينهم حق، وأن الله تعالى ارتضاه، وأنه لن يُنكَب ولن يهزم، كل هذا حق أيده الآيات القرآنية، والشواهد التاريخية، والتجارب الواقعية الكثيرة. وإلا فإذا يقول الكتاب في فتوحات الاسلام شرقا إلى حدود الصين، وغربا إلى المحيط الأطلسي في عهد خلفائه الراشدين وعهد بني أمية وبني العباس وبني عباس وفي

الاتصارات الصليبية في عهد محمود زنكي وصالح الدين الأيوبي وفي فتوح أوروبا من غربها في الأندلس، ومن شرقها في العهد العثماني إلى أواسطها حيث أسوار فيناب، كل هذا ما كان إلا بدينهم والعلم به والعمل به فكأنوا بذلك سادة الدنيا قوة وغلبا ونصرا وفتحاً

ثم لما صار الدين عندهم اسما بلا معنى، وعصبية جنسية، بلا علم ولا عمل، وناموا كما قال الكتاب قومة ثقيلة أضاعوا فيها دينهم ودينام، واستيقظ الغرب بفضل ما استفاد منهم باحتكاكهم بهم غربا في الأندلس ومدارسه وعلومه وصناعاته، وشرقاً في الحروب الصليبية، استفاد من المسلمين حرية الرأي والبحث الحر، وتقويم الحكم وإرشادهم، وردة أهوائهم وباطلهم، والقيام عليهم للصالح العام، إلى غير ذلك من أصول الإصلاح والخير، ورجع إلى بلاده فبذر بذور الإصلاح فيها بالجميات المدنية والدينية، وبالنشر والدعاية، والصبر على الأذى والاضطهاد، والقتل والصلاب في سبيلها حتى أثمرت مدينة أوروبا الحالية التي خطفت بريقها بصر الكتاب وأصمت رعوها آذانه فلم يدرى ولا يسمع غيرها

لقد أبدع الكتاب القدير سعادة عبدالرحمن عزام باشا في رسالته «الخلافة» في بيان محاسن الدين الاسلامي وعرضه على غلاء الناس عرضا فائقا لإنتشال المجتمع الإنساني من شرور المدنية الأوروبية وأوجاعها وأوجعها، والخفر العميقة التي تردت فيها وأردت الناس معهم ممن اتقن أمرهم، ثم قال وأمل في رجعة الله:

وبعد فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين والمسيحيين الذين

تبتلق نفوسهم دائماً برحمة الله، وتترقب هدها إذا اشتدت السكروب والظلمات، أن ينمضوا مرة أخرى بمرأهم الساسى الذى يقوم من عوج الزناح الفكرى والاقتصادى والنصرى، ويلطف من حدة المزاج الغربى حتى يؤمن بالأخوة الانسانية، ويعمل لخدمة السلام العالم باخلاص نية، وحسن توجه بما ممكن الله له فى الأرض. ذلك ما نسأل الله رب العالمين أن يجعل بتهيئة أسبابه، إن الله بالناس لرؤوف رحيم

وفد كتب المستشرق النمساوى «ليوبولد فايس» المسمى محمد أسد الله رسالة سماها (الاسلام على مفترق الطرق) وصف حال الاسلام، ومهاجمة المدينة الغربية له من كل النواحي، وماذا يجب على المسلمين للتجاسة من شرو هذه المدينة للمادية، وماذا يلزمهم منها وماذا يضرهم، بصحيح واضحة، وغيره صحيحة ونصائح نافعة بآفأها فأنها مفيدة قيمة تدل على تفكير عميق وتحقيق صاف رائق ونصح خالص عن تجربة وبصيرة.

وليس اعتقاد المسلمين في دينهم الحق وأنه لا يغلب ولا يهزم، يوم قاتل، ولا فضحه الواقع كما زعمه الكاتب (ص ٢١١) ولكن اليوم القتاتل هو الجبل بهذا الدين والإعراض عنه؛ وابتغاه العزة في غيره من مادية القرن التاسع عشر التي أفسدت على الناس أدبهم وإن كانت أفادتنا على حد التل «رب ضارة نافعة» أن تراجع ديننا وأن نمحو منه المصق به من بدع وخرافات، وأن نفهمه على وجه الصحيح؛ ونعمل على الوجه الذى يريده الله ويرضاه، فنحن منه ماجئ منه المسلمون الأولون من عز وقوة، وغلب ونصر؛ ونضرب للعالم التل العالى فى أن الدين نور وقوة هداية

وعمل حياة روحية ومادية.

والزمن كفى أن يظهر لنا إن كان تألم الكتاب من انتشار الجمعيات الدينية الكثيرة التي تنادى بعز الاسلام وعبدته الذى سماه الكتاب أغلوطة تاريخية كبرى (ص ٢١١) هل سببه التيرة على الاسلام أو ألمه من الاسلام وخادميه والساعين فى إعزازه ونصره لاعتقاده فيه تأخير له لاهله عن ركب الحياة وموكب الجماعة

أما تعليله لتجتاح هذا المحبول الذى يهذى بالمستحيلات الناصب بالآمال الناقع للجواهر المضلة حتى أخذ برقاب آلاف أو مئات آلاف أو ملايين من هذه القطعان البشرية يقودها كما يشاء «يريد به فضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين، تلك الجماهير المضلة والقطعان البشرية عند الكتاب» بأنه قد هاجم أضعف جانب فيهم وهو جانب الرجاء والامل؛ فانتصر عليهم بدون عناء فلا يمد بجاحه دليلا على أن له قيمة كشأن أمثاله من المخادعين للمستولين على الجماعات بالتلويح لهم بالآمال (ص ٢١٢) فنترك الحكم على صحة هذا التليل لتلك الجماعات من الإخوان المسلمين وفيهم الكتاب الأذكياء والتعلمون النباه

وأما تهكمه بقول الخافض ابن كثير «إن مدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها لأنها المحلة التي أخبر الرسول عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم وبها ينزل عيسى ابن مريم» تهكمه عليه بقوله (ص ٢١٥) ولا نعرف ماذا يقول لو عافى بعد أن كتب هذا فأرى الجيوش الفرنسية ثم الانجليزية تدخل هذه المدينة الاسلامية الجميلة غازية منتصرة أترأه يستطيع أن

يقول إن الاسلام أعطى هذا الضمان الجليل أم تراه يدعى ان ما أورده هنا في كتابيه يصلح أن يكون برهاناً على وجود هذا الصك الالهى المسمى المزعوم. لا ريب في أن الذى جعل مثل هذا الشيخ الجليل الحافظ بهم هذا الوهم هو الغفلة عن سنن الله الصارمة التى لا محاباة فيها ولا فوضى ولا عسوية.

أقول : لقد أخزى الله شامة الكاتب بهذا الامام الحافظ الوائق بما روى عن النبي ﷺ وبمزايا الاسلام ، فهذه دمشق الآن تتمتع على مرأى الكاتب وسمعه بحكومة وطنية تنفذية وتشريعية بوزراء وبرلمان ، ويجيش وطنى من أبنائها ، وطرد الله عنها ما كان أديها به من جيوش أجنبية : فرنسية أو انجليزية تأدياً عارصاً مؤقتاً كصحابة صيف . فإذا يقول الكاتب الآن وقد رأى وسمع ، هل يعترف بفضل الاسلام ويعود إلى حظيره ، ويؤمن بما جاء عن نبيه من أخبار النبى ويحرم العلماء المحدثين الذين رويوا ذلك وأمنوا به ؟ أو يبقى مصراً على النواميس الصارمة والمادية الدهرية التى عجز الله تعالى بسببها ، وكذب رسله وآياته لأجلها ، ومشى وراء صنمه غوستاف لوبون الذى يتبجح بانكار الله وآياته وخوارق العادات التى أيد بها رسله وأنبياء الداعين إلى طرأته المستقيم ؛ ودنيه القويم ، إذ قال في كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩ « ومع أن علم الحياة الحديث أصاب في تقصه مبدأ علة الملل (يعنى واجب الوجود : الله) فانما يرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ ؛ يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التى أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة في الكون — إلى أن قال : ولا نأسف على ذلك لأن كشف

المصير يجعل الحياة شقية ، فاليرى لا يرعى الكلاً مطمئناً إذا علم أن مصيره إلى النجى ، وأكثر الموجودات تتقهقر جزعاً لو اطلمت على نصيبها » وقال ص ١٤٨ « لعل أم نورة ظهرت في عالم الفكر هي الثورة التى أدي إليها العلم بآثاره إن الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة » إلى أن قال « فلو أن الحوادث التى يخبر بها أولو الكرامات في الوقت الحاضر يمكنه لتقهقر العلم طائفاً إلى قرون الأساطير الخ — إلى أن قال : وإن كان البحث الدقيق في خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت في نفوسنا »

»

اغتر الكاتب بما يُذكر في الأوراق والكتب من آراء تقال رهن التمهين والبحث ، فظنّها حقائق راهنة وقطعيات لا تتبدل ولا تتحوّل ، فتراه يقول (ص ٢١٠) وقد استطاع العلم الإنسان أن يصعد إلى الشمس وإلى المجرات يسددها ويقدرها ويعلم ما هنالك . . . وأهل العلم بذلك لم يفتروا هذا الضرور فهذا نقولاً حداد وهو من المفترين في المادية يقول في كتابه «هندسة الكون بحسب ناموس النسبية» آخر ص ١٥٦

« حاشية » نلفت نظر القارىء إلى أن هذا البحث وأمثاله من المباحث التى يطمح فيها العقل البشرى إلى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد لأن المعلومات العلمية والأرصاء والاكتشافات التى بنيت

عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية، أو ربما تيسر لأهل العلم أن يؤكدوها أو ينقضوها بنظريات أوضح منها بما يستجد عندكم من معلومات أقرب إلى الحقيقة وفوق كل ذي علم عليم ١٠ هـ

وذكر مشرفة باشا في رسالته النسبية الخاصة بعد ما ذكر قضاء نظرية النسبية على المذهب المادي ص ٤٤ - ٥٠ قال: والذين يقولون بالنسبية لا يرتكبون الخطأ الذي ارتكبه علماء القرن الماضي وهو خطأ الجزم باستحالة الخلق والفناء بل بالعكس فهم أبعد ما يكون عن الجزم بشيء أو القول باستحالة شيء وإن كان هناك صفة يتصف بها فلاسفة النسبية فهي البعد عن إلقاء أي قول فصل في أية مسألة من المسائل التي يفترضون بعلمها، وهناك صفة أخرى ظاهرة في أبحاثهم وأقوالهم ألا وهي الاعتراف بمحدود الباحث التي يفترضون لها فالسير ارثر دائجتون مثلاً وهو من زعماء فلاسفة النسبية يذكر في كتابه عن «كنه العالم الطبيعي» إن العلوم الطبيعية محدودة في دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج عنها ويترك الباب مفتوحاً إلى المعرفة من غير طريق العلم ١٠ هـ ص ٥٠

يقول الكاتب ص ٥٨

أنه راح يولد هذا الوجود ويصعد تكوينه وتولده، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومنى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشمس ثم كيف راحت هذه الشمس نفسها تله الأتباع والبنين ليحيطوا بها . .

أما كاتب مجلة المتكلم - وهو من نعرف اشتغالا بهذه المسائل -

فيقول في عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ (ج ٣ مجلد ٩٣) في هذه المسألة: موضوع هر الكون يختلف في أركانه عن موضوع حجمه وسعته . ثم طرق لتقدير هذا العمر ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الأصابع وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ والمسألة تدور على قدرتنا على النفوذ بأساليب علمية إلى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق ، ولا يجب إن قلنا دقتنا كما نفلتنا في الماضي ١ هـ

ثم ذكر الطرق التي يبحثوا بها المسألة من قياس سرعة النور والمدة التي قضاهما حتى وصل إلينا من أبعد المجرات والسدم . وتحليل الصخور المحتوية على مواد مشعة - كالراديوم ونحوه - ونظرية النسبية وتعدد العوالم الكونية وتباعدها ومبدأ توزيع الطاقة للتعاامل بين الذرات في الغاز أو بين النجوم ثم ختم المقال بقوله : لم يكن تصور رحاب الكون بالأمر السهل وأشق من ذلك تصور سعة الزمن الفلكي .

بخلاف كاتب الأغلال الذي جعل المسألة موضع الجزم والملاحظة بقوله «دراخ يولد هذا الوجود ويشهد تكوينه وتوالده» وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد الخ

وأهل العلم بذلك يقولون عن طرقهم ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد، وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ ويعترفون بقلة دقتهم في هذه المسائل ، بخلاف صاحب الأغلال الذي يطالع هذه المسائل مطالعة سطحية ويجزم فيها بالأراء الظنية عند أهلها

ويقول الكاتب ص ٥٩ س ٢

« ثم لم يقف عند هذا الحد بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسقيعه، وذهب يخبرنا عما بقي من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذي سبق أن ولده وأن شهد نفوذه وتكونه وعما بقي من عمر هذا الإنسان وغيره. مرتب الأحياء ويخبر عن الأحداث والحوادث التي لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب لتنب ونيتها .
ويقول السير جيمس حنز في كتابه «النجوم في مسالكها» ١٩٠٦ «
(الترجمة العربية) الطبعة الأولى :

« فالذرات للمدخرة في الشمس في الوقت الحاضر تكفيها ١٥ مليون مليون سنة على المعدل الذي تتناقص الآن لكنها قبل أن تأتي على آخر ذرة فيها بزمن طويل لابد أن تكون قد وصلت إلى حالة النجوم الأضعف الأصغر حجما ..

« وإذا أدخلنا في حساباتنا اعتبارات من هذا النوع ترجح فيما يظهر أن يكون لمعظم النجوم مئات من ملايين الملايين السنين ترجو أن تعيشها قبل أن يخبث عليها الظلام آخر الأمر — وسواء استتببت هذه التقديرات في النهاية أم لم تستتببت هناك شيء واحد يبدو لنا مؤكداً هو أن الأعمار البشرية تتلاشى تلاحشياً تاماً إذا قيست بالزمن الفلسفي — لقد رأينا أن الأرض ليست إلا هبالة في الفضاء والآن نرى أن أعمالنا بل وتاريخ البشرية كله ليس إلا هبالة في الزمن » ١ هـ

فترى جز العالم الفلكي الطبيعي أحد أعضاء المجمع العلمي البريطاني يقول ترجيح فيما يظهر — سواء استتببت هذه التقديرات في النهاية أم لم

تستتب — شيء واحد يبدو لنا .
بمخلاف كاتب الأغلال الذي جعل العالم : ماضيه وإيقه ، عند الإنسان كيناء ساعة ، يخبر مما مضى خير حاضره مشاهد ، وعما بقي من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود ، يخبر خالقه وصانعه ، لأن الإنسان — عنده — مخلوق لينازح الله في علمه وقوته وقدرته

وقال السير جيمس حنز في كتابه المذكور في ختامه تحت عنوان (عمر العالم) «لأنستطيع أن نقول شيئاً موثقاً من صحته عن عمر العالم حتى نعلم الحق عن التباعدات الظاهرية للسدائم ، فإذا تبين أنها واقعية كان من الضروري أن تجمع الحوادث الفلكية كلها بطريقة من الطرق في ماض طوله بعض آلاف الملايين من السنين

أما الآن فالشواهد الفلكية العامة تبدو كلها كأنها تصبح احتجاجاً على أن يكون الماضي قصيراً إلى هذا الحد ، إنه لا يكاد يكون من الممكن تعليل الترتيب الحالي للنجوم إذا كانت أعمارها بهذا القصر . لهذا أرى من الأرجح جداً أن التباعدات الظاهرية للسدائم سيثبت أنها زائفة ، وفي هذه الحالة يدل ترتيب النجوم على أن ماضيها يمتد إلى ملايين الملايين من السنين ، كما يمتد مستقبلها إلى نحو ذلك أو إلى ما هو أطول منه . أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ، ونحن يبعدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم .

« ومعها يكن الرأي الذي يكتب له النصر فإن الكون إذا حكمنا عليه بمقاييسنا البشرية للزمن قديم جداً تتلاشى بجانبه أعمار الناس والامم ، بل

كل تاريخ البشر فقد كانت النجوم قريبة جداً مما هي عليه الآن قبل أن يظهر الإنسان على الأرض ، وستكون على الراجح قريبة جداً مما هي عليه الآن حين ينادر آخر إنسان . إن تاريخ الجنس البشرى كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم . اهـ

فتأمل قوله (لانتطيع أن تقول شيئاً موثقاً بصحته) (لهذا أرى من الراجح) (أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ونحن نبيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم) الخ — مع قول كاتب الأغلال : إنه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكوينه وتولده ، وذهب بمحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت — بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه ، وذهب مخبرنا عما يقى من عمر هذا الكون وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذي سبق أن ولده وأن شهد نشوئه وتكوينه ، وعما يقى من عمر هذا الإنسان وغيره من الأحياء . الخ قل لى ربك : أليس هذا هو الثرور الصبباني ، والجرأة السفينة الحفاه ، وقفوا ما لا علم به .

وفي مداعبة لطيفة وحوار فكك نسأل الكاتب : هل درس شيئاً من العلوم الرياضية للتوسعة كهندسة إقليدس وحساب المثلثات المستوية والكروية ؛ وحساب اللورغارات الطبيعية والمادية ، والجبر الابتدائي والعالي والفلك الملمى والعمل . وكلها ماعدا اللورغارات من علوم الأوائل الذين يحقرم ، فضلاً عما توسع فيه المتأخرون من علوم الرياضة العالية ، وحسابات النسبية .

المسألة اليهودية

مضى كاتب الأغلال بالمسألة اليهودية في أغلاله عناية خاصة تسترعى الانتباه والحذر ، فكتب فيها عشر صفحات (٢١٦ — ٢٢٥) وساق فيها من الآراء والاحتجالات ما يسدل الاشتباه والحيرة على غرضه الذي يرى إليه : أهو نصح بعض وإقناط ونحذر من مستقبل الصهيونية وشروطها ووطئها التوى الذي تسعى له سعيًا حيثما متواصلا في فلسطين ، فساق الانذار نلو الانذار كأنه النذير العريان يقول : صبيحكم مساكم ، إن العدو بأسفل الوادي يريد أن ينير عليكم فيصبحكم — أو هي دعوة صهيونية مستأجرة لتفتتير العزائم وتوهين القوى ينشر بأس الصهيونية وذكائها ، وهلمها وخبرتها وصناعاتها وعالميتها ، على حد قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخون أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ومن ذلك تحريف الآيات في ضرب الذلة على اليهود ، وإطفاء نارهم ، وبعث الذين يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وتقطيعهم في الأرض إنما (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)

سأترك الحكم على غرضه وما انطوت عليه دخيلة نفسه ، وذات صدره حتى تظهره الأيام أجلى ظهور ، وحينئذ يكون الحكم للإمام والمقلاد وللقيضاء العدل . وإنما المناقشة معه لفهم القلوب ، والتحريف الشائن لمدلولات آيات كتاب الله ودفع معانيها الظاهرة في الصدور والاعجاز وقلب مفهومها رأساً على عقب ، فهذا ما أخوضه .

هذا ما كان يقوله المسلمون في العصور الخالية في سيادة النصارى عليهم . أما اليوم فقد حل محل هذا الوم ورم آخر ، وصاروا يقولون هذا القول ويهيمون مثل هذا الوم في خطر اليهود وفي ملكهم ومحاولتهم إعادة وطن قومي لهم . . . فقد أكثروا من الادعاء بأن اليهود لا خطر لهم ذاتي، وأنه لا يخشى منهم منفردين على المسلمين ولا على الأوطان الإسلامية لا على فلسطين ولا غيرها . ثم زعموا كما زعموا منذ ٥٠٠ سنة بأن الله قد دفع إليهم بمسند مكتوب بأن اليهود لن يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود هذا العهد فيه وراحوا يتلون الآيات منزليها في غير مواضعها . والآيات التي استدلوا بها هي قوله في سورة البقرة (ضربت عليهم القلة والمسكنة) ثم قوله من آل عمران (ضربت عليهم القلة أينما نجفوا) إلا يجمل من الله وحبل من الناس وبما هو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) ثم قوله من سورة المائدة (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) ثم قوله في الأعراف (واذا تأذن ربك ليمحن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وأنه يغفور رحيم وقلنا هم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) وقد حسبوا أن هذه الآيات فواعل في أن اليهود لن تقوم لهم دولة؛ ولن تكون لهم صولة . ولكن هذا غير صحيح لا بالنظر إلى سنة الله ولا بالنظر إلى كتاب الله . أما سنة الله فانها قد علمتنا بأن من أخذ بأسباب الملك ناله واليهود من أعمل الناس اليوم لهذا الغرض ومن آخذهم بالأسباب

ونقول للكاتب : إن السنن وحدها ليست كافية في نوال المطلوب إلا على قاعدته المادية البهرية ، فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من آلية الكون وحكمه بالنواميس الطبيعية ، مع إنكار القدر والاختيار الإلهي ، وقد قدمنا الرد على ذلك من كلام أساطين القرن العشرين وما

وصفوا به الفلسفة الآلية للمادية أنها أفكار أطفال وصبيان ، وارجع إلى ما نقلت سابقاً من كلام مشرفة باشا عميد كلية العلوم ، وكلام السير جيس جيز العالم الأنكليزي من كتابه « الكون الغامض » ونقول للكاتب الاغلال : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان لم يدخروا وسماً في الأخذ بأسباب السيادة على العالم من قوة عسكرية وحربية وصناعية . فهل نالوا ما أخذوا بأسبابه ، أم هو القدر الذي جمع عليهم ما لم يكن في حسابهم ؟

وأيضاً: فهل الأسباب التي أخذت بها مصر والعراق أقل ، ما هي في اليمن وبلاد العرب وسوريا حتى استقلت هذه وفشلت الأوليان ؟ إن القدر الذي آمن به طبعيو القرن العشرين وأدخلوه في تفكيرهم العلمي لا يؤمن به الكاتب ، وبعد الإيمان به محزراً وغلاماً يعوق التقدم والرفق . لذلك يعد الكاتب أخذ اليهود بالسنن التي يظنونها تصل بهم إلى أهداف الملك والوطن الصهيوني منيلاً لهم ما سمعوا إليه وإن خالقت التصوص القرآنية . ألا فليتظر الكاتب نتائج أخذ اليهود بسننهم فإنها مع جهادهم وإعداد العدد لصدوم وإذلالهم ، مع التصديق بما أخبر الله عنهم منتظرون . ولا يخفى ما ذكر عنهم من ذكاء وغنى وخبرة وصناعة وعلم ، وما هي المسألة قد دخلت في طورها العملي (فل كل مترصد فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

« وأما كتاب الله فان هذه الآيات ليست صريحة في صدى هذه الدعوى أما

(ضربت عليهم الله) في الآيات كلها فان الدالة عند أكثر المفسرين هي الجزية فيكون تفسير هذه اللفظة أن الجزية قد فرضت وقت نزول القرآن على اليهود وفرضها عليهم في وقت من الاوقات لا يلزمه أن تكون مفروضة عليهم كل الاوقات بدليل أنها الآن مرفوعة عنهم مع صدق القرآن بأنها قد ضربت عليهم وإذا قدر بأن المراد بالدالة في الآيات هو المعنى الأول السابق إلى الاقيام لم يلزم منه صدق هذا الوم وذلك لان أخبار القرآن بأن اليهود أدلة في وقت نزوله لا يقتضى أن يبقوا أبد الأبدن كذلك . وما من أمة من الأمم إلا قد صرت بها عصور ذلة وضعف معها كانت اليوم عزيزة منيعة وفي الكتاب (لقد نصركم الله بدير وأنتم أدلة) وكل الناس يعلمون اليوم أن الدالة مضروية على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ولكن لا يمكن الزعم بأنهم سيقون أدلة أبدا . . . وأما المسكنة عند أشهر المفسرين فهي الفقر والمراد هنا الفقر القلبي لشدة جهم المال وقيل المسكنة هي ضرب الجزية وقيل الطراج وكل هذه التفسيرات لا تنافى أن يكون لهم ملك وأن يكونوا يوما ما خطرا مرهوبا .

. أقول : في هذا ألوان من غرائب التلاعب بفهم كتاب الله وتحريفه بقلة حياء (منها) كذبه على أكثر المفسرين أنهم فسرُوا الدالة بضرب الجزية . والمفسرون يعلمون أن أكثر يهود العالم حتى الذين في الحجاز حول المدينة لم تؤخذ منهم الجزية وقت نزول هذه الآيات ، فكيف يفسرونها بما لا يؤيده الواقع ، والجزية زلت في سورة التوبة في السنة الثامنة من الهجرة بعد إجماله يهود المدينة عنها بله يهود العالم كله . ومن فسرها بالجزية فقد فسرها باللازم .

والدلة والصغار والحفارة والمهانة والمسكنة وعدم العزة والأنفة ؛ كلها معانٍ متقاربة لا تنبئ بحال اليهود إنما كانوا وحيثما قطعوا ، سيوا

بأوروبا أو أمريكا أو غيرها . وأما المعنى الثاني الذي وهنه الكاتب بقوله « وإذا قدر أن المراد بالدالة هو المعنى السابق للأطام » عما ذكرناه من حال اليهود - فهو المعنى الحق ، وهو صادق على اليهود وإن كذبه الكاتب وعدّه وجها . فالآيات لفظا «ضربت» الذي يدل على الإلزام وعدم الانفكاك من ضرب السكة والنقش على وجهها ما تلزمه ولا يزول عنها . ثم أكدت ذلك بعبارة (أينما تقفوا) للاستمرار لمعوم الأمكنة ومن لازمه عموم الأزمنة ثم أكدت تأكيداً آخر بالاستثناء الذي هو من أدوات العموم فيها عدا المستثنى بقوله (إلا بجبل من الله وجبل من الناس) وفسر الجبل بالعهد والميثاق ، فهم أذلاء صاغرون إنما كانوا وأيان وجدوا إلا تحت حماية عهد إلى ومخالفة من الناس ، لا بقوتهم الذاتية التي تخيفنا منها الكاتب

فدعوى الكاتب على القرآن إخباره بذلة اليهود وقت نزوله فقط - كذب على القرآن الذي وصمهم بضرب الدالة والمسكنة عليهم إنما كانوا إلا بجبل من الله وجبل من الناس ، وقد عرفت معنى الضرب والعموم في (أينما تقفوا إلا بجبل من الله وجبل من الناس)

وذكره أن أمما صرت عليهم عصور ذلة ثم عزت بعد ذلك ، لا يفيد شيئا في دعواه ، فللسألة في أخبار الله أنهم ضربت عليهم الدالة والمسكنة إنما كانوا إلا بجبل من الله وجبل من الناس ، لا مرور عصور ذلة على أمم بعدها عزة . وشتان بين المسأتين (الأولى) خبر الله القلبي بضرب الدالة على اليهود إنما كانوا إلا بجبل من الله وجبل من الناس (والثانية) مرور عصور مختلفة على أمم . فإين هذا من هذا ؟ ثم استشهادي على ذلك

يقول الله تعالى (لقد نصركم الله يدر وأنتم أذلة) مما يدل على أن معرفته بالبرية تمسدت إلى حد الجملة الشائنة أو هو الهوى وفساد النية فقول الله (وأنتم أذلة) جملة حالة والأحوال تتجدد وتزول (ودوام الحال من المحال) وأما (ضربت عليهم الغلة) أي أغلقت أبواب التجارة من أجل أن الناس وبأوا بنضوب من الله وضربت عليهم المسكنة (فغير جزم عام لا يتخلف حتى تزول السموات والأرض ولو تنجح ترومان رئيس أميركا وهدد بنصره لليهود ترفا لهم لا يتخايه رئيسا أصليا فبما يرجوه في الدورة الانتخابية فستكذبه الأيام ونغونه الأمانى (وليخبلن منال الغلاب) وقول الكاتب (وكل الناس يدايمون اليوم أن الذلة مضروبه على المسلمين على أوسع نطاق وأحكم) فخذ أملاه عليه بنضه للإسلام حتى لم يمد يفرق بين الذلة والضعف . نعم في المسلمين اليوم ضعف لا ذلة حتى الحكوميين بالأجانب منهم فهم عزة بقدر ما فهم من دين وفيهم ذلة بقدر ما تركوا من دينهم ألا فليخبرنا الكاتب عن الذلة بمنهاها الصحيح أين هي في اليمن وبلاد العرب ومصر والشام والمراق على تفاوت بينهم في الضعف والقوة بقدر تمسكهم بالدين ، أما الذلة المضرورة على اليهود أيام دول النصرانية من عهد قسطنطين وما جرى عليهم من تشريد وقتل ألقوا منه في العصر الإسلامي قليلا مع ذلة يستزما خيبتهم وماضيهم وما قدموا ، ثم جاء العهد العثماني وما صبه عليهم وإنما لتوقع لهم تكرار التاريخ عليهم إذا لم يقلعوا عن خيبتهم ونواياهم الشريرة (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن عزا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

عبادا لنا أولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولا ثم رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وتساءل الكاتب متى احترم المفسرين وأخذ بأقوالهم حتى يأخذها عنهم أن الذلة هي الجزية ويعزوه إلى قول أكثرهم كذبا أو غلة فهم لما قالوه أو هوى وسوء نية ليعبر من ذلك على ما يناقض خبر القرآن ووعيده لليهود فيقر بذلك عين اليهود وينال منهم ما يبيته؟ قال الكاتب ص ٢١٧ وأما قوله (كلا أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) فالمراد أن دسائسهم ومكائدهم التي حاكوها بحكام واستمرار للقضاء على الرسول ودعوته قد أخذها الفعل من كل جانب وأهم هزموا في كل حروبهم التي شبوها مريدون القضاء على لاسلام وهذا لا ينق أن يكونوا خطرا في المستقبل . وأول الآية (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بمبا قالوا بل يدها مبسوطة تنفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طائفا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلا أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسمون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)

فأنت ترى أن الآية في وصف اليهود أينما كانوا وحيثما تقفوا ليست خاصة بما فعلوه مع النبي ﷺ فأحبطه الله وأطفأه كما فيده الكاتب بذلك من

عندم ليتوصل بذلك إلى ما يريد من تهديدنا بهم . والمعموم في الآية ظاهر من قوله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن لفظ كلا الذي يسور به الناطقة فضايح السكينة الموجبة، فمن أين جاز للكتاب هذا التخصيص الذي استنتج منه أن يكونوا خطرا في المستقبل .

وتنبه إلى عبارته في مكاتبتهم وفسائهم : أخذها القتل وأنهم هزموا . والله يقول : أطفأها الله ، فكان الكتاب يمدى اسم الله ويتفرع من نسبة فعل إلى الله تعالى ولو نسبته الله لنفسه حتى لا ينخرم تلازم أسبابه ومسبباته وحتى لا يؤمن بقدر إلهي فوق الأسباب والنواميس أو يهدم ما بناه من مادة القرن التاسع عشر وآلية الكون وصرامة النواميس قال الكتاب ص ٢١٧ س ١٦

وأما يمت الله عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة فانه لا ينافي الملك أيضا لأنه إذا كانت لهم دولة وبقيت الحروب بينهم وبين الآخرين مستمرة فان في هذا أشد أنواع العذاب وأشد سوء لهم بالعذاب ولا ريب أن المتحاربين كل منهم يسوم الآخر ويصلبه العذاب .

وهذا من جنس ما قبله تحريفا وتحويها ، فالآية وعيد من الله تعالى وإخبار منه أنه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وسومهم سوء العذاب فسرته نظيره مما سامهم إياه آل فرعون في قوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب بذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء لمن ربيكم عظيم) فسوم سوء العذاب الذي جرى لهم في عهد آل فرعون هو الذي أخبر الله عنه أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يفعل بهم نظيره ، وبعثه عليهم من يفعل بهم ذلك هو نظير ما يبعث عليهم

من عباده الكلدانيين والآشوريين في تاريخهم الماضي (فاذا جاء وعد أولاهما يمئتنا عليكم عبادة) لنا أولى بأس شديد فجلسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عملوا سديرا) فهذا البعث هو نظير ما أخبر الله أنه سيفعله بهم إلى يوم القيامة فمن أين تأييدهم الدولة ويكون لهم الملك مع هذا حتى يتوقفه الكتاب لهم ويشبه بما يكون بين المتحاربين مع أن المتحاربين لا يقال فيهم عرفاولة أنهم يسومون بعضهم بعضا سوء العذاب إلا للتنصير منهم على المخذول اللدال عليه بهم في قول الله (عليهم) ما يدل على الاستعلاء والتحكم والاذلال لمن يذوق ظلم الأسلوب العربي، ثم الغاية بقوله (إلى يوم القيامة) تمود لندوا على ماتوقه الكتاب لهم من قيام دولة وملك لهم ويمسى هذا الخبر لنوا وذلك مما لا يميز على الكتاب ولا يستغريه : لأن دينه الذي يقده واستبدله بالاسلام هو مادة القرب التاسع عشر وما قبله من كون آل لا اختيار خالفه ولا قدر بل نواميس طيبغية صارمة إن تخلفت بقدره خالفها وإرادته دل ذلك عند الكتاب على أن الخالق قوة عجزونه أو كالجبنوة تفق في سبيلها ، وأني لها ذلك كالتق تقضت غزها من بعد قوة أنكنا . سبحانه الله تعالى مما يقول الكتاب فيه علوا كبيرا

قال الكتاب (ص ٢١٧)

فالقرآن لم يقدم لنا صكا بالضمان من خطر هذا الشعب الذكي الغني الماكر بل قدم إلينا الأوامر الصارمة الصريحة بأن نحذر ونستيقظ ونقف وقوفاً متينا

الأحداث الصحاح بأن حروباً عظيمة ستضارم بين المسلمين واليهود وقد يكون في هذا ما يطمئنان اليهود قد تكون لهم دولة وجيوش يحاربون بها ودفاعاً عنها . فليمنأ يهود صهيون فقد مزق لهم الكتاب وعيدات التران فيهم من ضرب الذلة والمسكنة عليهم أيما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من النبل ومن الخير الأكيد من بحث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مستعلياً عليهم ومن إطفاء حروبهم التي يوقدون لآغراضهم كإعادة ملك داود الخ وتوقع لهم ملكاً ودولة يحاربون بها المسلمين بغيره أعين الصورية بهذه الدعاية السافرة لهم .

وإذا كان الكتاب يؤمن بما جاء في الأحداث الصحاح الواردة في ذلك ففيها أن المسلمين ينتصرون عليهم حتى يختبئوا وراء الأشجار والأحجار وحتى يقول الحجر باسمهم : هذا يهودى ورائي . وتخبر بهم الأشجار إلا شجر الفردق فإنه من أشجارهم . وفيها نزول عيسى بن مريم ولا يقبل من أحد إلا الإسلام سواء من اليهود أو النصارى وهذا هو أحد الوجوه في تفسير الآية (وإت من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى أن أهل الكتاب وقت نزول عيسى يؤمنون به كلهم قبل موت عيسى عليه السلام . والوجه الآخر في معنى الآية أن كل كتابي سواء في وقت عيسى أو قبله يؤمن بعيسى وقت احتضار الكتابي تعرض عليه حقيقة الأمر في مسألة عيسى فيؤمن بالحق فيه سواء كان يهودياً أو نصرانياً والمحتضر تختصر له صفحات حياته اختصاراً بلدها سيئاً

قال الكتاب ص ٢١٨

وبما يجب الانتفات إليه أنه لا يحسن منا أن نحكم بأن القرآن قد جهر بأن اليهود لن يكون لهم ملك في عصر من العصور فأتنا لو حكمنا هذا الحكم ثم أطلت الأيام حكمنا هذا لحسينا أن يكون في ذلك شيء من توجيه الاهتمام إلى القرآن ونصومه وقضايه .

ونقول للكتاب : إذا حكم القرآن بحكم قطعي جزئنا به ، وأنه لا تنقضى الأيام والليالي ، ولا تبطله الأعوام والعصور ، لانا نعلم علماً لاشك فيه أنه من عند علام الغيوب (الذى يعلم السر في السموات والأرض انه كان حلياً غفورا)

يقى : هل حكم القرآن على اليهود هذا الحكم أنه لن يكون لهم ملك في عصر من العصور ؟ فقد رأيت النصوص التي حرقها الكتاب ومزقها شر مزق ، ليخرج منها بهذه النتيجة التي يقر بها أعين اليهود وينال بها حظوتهم ، وإن كان يُظهر بذلك التبرة على صدق القرآن ، وزعم إبعاد الأتباع لنصوصه وقضايه ، وستظهر الأيام حسن فهم المسلمين لكتابهم وصوابه ، وإن ارتاب الميطلون ، وتشكك المتشككون (قل كل مترين فربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) (سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ونصيحة الكتاب لنا بقوله (ص ٢١٨)

وأن أعد ما يفرعنا وأعد ما حملنا على أن كتبنا هذا الذي كتبنا في هذه المسألة هو أننا نخاف أن يثق مترجمين أنفسنا ببلادنا بمنجاة من هذا الخطر

لنتقدم لك مع مائدتك علما شيئا سائداً — يريد أن هذا متلنا مع اليهود — ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعين الأسود معنى هذا أن بعض الشعوب فيها سناغونية قريبا الفناء والبدوان وبعضها ليست فيها هذه السناغونية في حاجة إلى حاية خارجية والا ذهبت إلى المالكين واليهود يملكون أننا فاقدون لهذه السناغونية ولهذا فاهم لا يتخونون وغولهم علينا ولا غروهم لئلا . لن يهاجمهم العصور مترك وأنتم موجود فيهم فظان لا يلقى وتقوم من ضحك وهوانك ثم نصح (ص ٢٢١) لفلسطين وغيرها من البلدان العربية لتجارتها من جميع الفزاة والصلحاء تعلم كيفية إيجاد هذه السناغونية التي تكون في استطاعتها تدمير الفازين ومنافستهم منافسة تنهزم من أن يتلبسوا لإقحامهم بيننا موضوعاً ثم قال

أما ما لم توجد فيها هذه المناعة فتمثل عرضة لضروب الغزوات ومنوف الغاذين وان ينشأ من ذلك صراخ واحتجاج ولائى مما تضمنه من هذا القبيل . ولم يشرح لنا تلك المناعة الذاتية هل يريد بها إصلاح خلقنا ودينا والى ما باتبع له دنيانا أو هو رفض ذلك كله والاستبداد به مادى طبيعى لا روح ولا خلق ولا دين فيها كما أعاده وكرره فى كتابه

وقال ص ۲۱۹ س ۱۴

وأما الأحبال الآخر الذي يربطنا معتر العرب والذي نتمل له والذي هو
أقصى أمانتنا - أعني إصعاد الأرباب كجبال سبيل كل يهودي يريد دخول
فلسطين - فهذا الأحبال - على أنه أفضل أحبال - ليس في استناعتها أثبت
معنا على الخطر العميق الذي يهدد أبنائنا حقيقه في جاب من جواب هذا
الوطن العربي وذلك أن اليهود عثب - وهم أهل الكراه والحمايه - التميم
والتعصب القوي المجيء - سيأجلون إلى وسائل كثيره هينه عظيم وعلى من

الحفيظ اللعاز ماه اليوم كما كنا نظن أننا نتجناه من الخطر لسبحي حتى فاض
الإقصاء... . وحينئذ لم يجدي التمدد كما يجد فيا فرغ، وقد لاحظنا أن هذا
الفرور - وهو خلق إنسان غرورا - مستوعب تكبير إخوان المتصوفين
بهذا الخطر الذي يكاد يحاط به (يعني الفرغ) في جزيرتهم) فهم يزود أنهم
لو تخيل بينهم وبين اليهود جماعة لا بدت من الأموال والقوات ومن العلم
والمكر والدهاء لكانت لهم الغلبة ، وإن فقدوا كل شيء من هذه الأمور
من ملكها فهو المنتصر ومن فاتته فلا شيء له .

وقوله ص ٢١٩ س ٦

ولهذه النتيجة - فتح فلسطين لليهود - نتيجة أخرى هي أشد هولاً وأشدّ لفراماً لمن يكرهها ويديرها هي الامتداد العسكري والاقتصادي والثقافي الذي سيكون أترا عتوما احتياط القوى اليهودية الخفية في ساحة شقيقة مثل فلسطين . . . ومن المعلوم أن هذا الامتداد لن يكون إلا في بلاد العرب (قلت مصر والعراق والعمام ولبنان حتى اليمن) ومعنى هذا أن اليهودية لا عمالة من أن تتحدى الأمة العظيمة وتصلب بها ، ولا تدرى كيف تتكافأ الألتان مع ما بينهما من الفروق العظيمة ، ولقول بأن العرب لكسائر قول كل يصدق أصيها ما كابت الأدم والجماعات يفتارعون ويتقاتلون بالأفك والمجازرة والسهام والنبال، وأمثال ذلك ، ولكنه لا يجب أن يصدق في الزمان الذي يكون العلم فيه هو التماسل والحكم والعدة .

وقوله ص ۲۲۰ س ۲۲

وأما فلسطين وسراها من البلاد العربية فهي مازجة عن الاسرائيليين عن تقدير
القصص الراغلين أو ابلاتهم. وعن منافستهم تجاريا أو صناعيا أو زراعيًا
أبليسهم إذني مغنا وأسمد من غلروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب، ومن السهل
عليك أن تبسط يدك أمتنا مطمئنًا فتجذب البيور المسالة الضعيفة من أكلها

- ١٧٦ -

لم مثلهم ثقافة وعلمًا ونشاطًا ومالًا وشأنًا دوليًا ملحوظًا . من هذه الوسائل تنظيم عمليات التهريب برا وبحرا وجوا والتجارب على الوصول إلى ما زعموه وطنهم الذي لن تثبتهم عن دخوله قوة من القوى ومنها محاولة تكثير مواليدهم وتوالدهم بطرق فنية مبتكرة مفرقة . وهكذا حتى يصيروا عددا جسيما في هذه البلاد . حينئذ ينطلقون في سبيل تحقيق أغراضهم الكبرى التي أصدوا لها أسنخ الدهنيات المالية بعدها ذلك الخيال اليهودي الذي ألهيته عبر التاريخ التناسية الطويلة وممارف هذا العصر الفذ ، ثم تلك الشهية المتبيدة التي شرب بالتمتع بها حفدة شيلوك وقاروت إزاه المال والحياة وإزاه المنافسة في تحصيلها ، وإذن فالخطر اليهودي قد صار حقيقة واقعة على كل الاحتمالات والمخالات فلو نظرنا بأجل ما يلعب بأماننا - وهو وقف الهجرة الصهيونية نهائيا - لما كان في ذلك شيء من الضمان إلا عند من اعتادوا أن ينموا تحت مظارق الإقذار، فكيف الخلاص إذن .

(ثم تسأل) لماذا يحاول اليهود أن يتركوا أوروبا مهبط النشاط الانساني الرائع وعمل المبغرية البشرية وأن يتخذوا كل صعب وذلول ليتجمعوا في هذا الوطن الشرق العربي الذي يكاد يكون من الناحية الزراعية والصناعية والعلمية قفريا بدائيا والذي لا قيمة لموارده الطبيعية بالنسبة للبلاد التي يفرون منها .

ثم نرى عنهم أن يكونوا قد خدعوا فاعتقدوا أن مجال العمل والنشاط والحياة في فلسطين أعظم منه في الأوطان التي تركوها كما أنه من غير الممكن أن يكون للبدا الذي قد خالطه رؤوسهم فاختاروا هذا المكان من الدنيا انقيادا لمأظفة دينية وطاعة لنص وجوده في كتبهم المقدسة . كل هذا لا يمكن أن يكون - وإن جوزه على الجماهير المضللة ولكن الرموس التي فطمت هذا الغزو وأوقفت به على الناية ليس من الممكن أن يكون قد ألم بها هذا الخيال أو الخيال فالأمر إذن غير ذلك فاهو ؟

- ١٧٧ -

ثم المفترض أن بريطانيا وأمريكا - أقوى قوتين تحمكنا السلام اليوم - طلبتا إلى اليهود أن يختاروا لهم أغنى وأفضل منطقة في ألمانيا أو اليابان أو إيطاليا ليصيروها وطننا قوميا بقوة السلاح قبل من الممكن أن يرضى لليهود بهذا الوطن المفروض المروض وأن يقدموا على تجربته ؟ أجاب بالتني البات ثم سأل ولكن لماذا لا يفعلون ثم أجاب بقوله من ٢٢٠ س ١٨ .

بالجواب عن هذا نعرف لماذا اختاروا بلدا عربيا وهاذ عليهم تحدى أهله وتحدى جيرانهم وإخوانهم أنهم لا يقبلون مثل هذا الوطن لأنهم يعلمون أن أهله سيدمرونهم في يوم من الأيام أو يجلبونهم على الأقل لا محالة هذا من جهة ولأنهم يعلمون من جهة أخرى أن هذه الشعوب ليست هيئة المنافسة ولا سهلة القضم والبلع أما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهي عاجزة عن الأمرين مما عن تدمير اللصوص الواغلبين وإجلالهم وعن منافستهم تجاريا وصناعيا وزراعيًا فاطمئنتهم إذن مغنا وما أسعد ما ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب من السهل عليك أن تبسط يدك أكنا مطمئنا فتجذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوثارها لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيئا سائفا ولكن من الصعب عليك أن تعمل ذلك بعين الأسد .

ثم حضنا على المناعة الذاتية ولم يبينها لنا بما عودنا من بيانه المسهب الطويل المكرر ففماذا آجبت وهو الشجاع المنوار الذي هاجم المسلمين في صميم دينهم أم ماذا وراء الأكمة ؟ وليس في غم الكاتب ماء فلماذا لم ينطق . أطلبت في نقل ما وصف به الكاتب اليهود وما وصفنا والأمثلة التي ضربها لنا ولهم من الطيور الشعية للأكل السائلة المنخ والبليغ ومن خلونا من

علوم الغنم وصفاته ومكره ودهائه وغناه وماله بجانب تفوق اليهود حفدة شيلوك وقارون في الذكاء والبهاء والشأن المالي ليتفكر في ذلك ناس العرب وزعمائها وقوادحها وحكمائها إن كان للتفكير موضع من عنايتهم في ذلك حتى يبرهنوا أنهم أهل للحياة في العصر عصر العلم والآلة والصناعة وحتى يكونوا جزءاً من قافلة الجماعة وركب الحياة وأنتا تهيب بهم كأهاب بهم السحاب مع فارق جوهرى بيننا وبينه إذ هو يلغى الدين ونحن ننده كما ينده سائر العقلاء أساس النهضة وعمود الحياة التي لا تقوم إلا عليه ، الدين الذي يقوم على حياة الروح والجسد على المعنى والمادة على الخلق والخلق ، على الزهد والفنى ، على الفناعة والسعى والكسب ، على الإيمان بقدر الله واختياره مع الأخذ بالأسباب ، على جريان الأسباب في وديانها ما لم تر العناية الإلهية تحويها لحكمة عالية قد نعلمها وقد لانعلمها . لقد كان من شهوة كثير من الناس انتصار المحور ، وتدمير الحلفاء تدميراً عسكرياً - وإن كانت رأسهم قد تدمر ممتوياً واقتصادياً - ولكن العناية الإلهية لها من الأغراض والحكم ما هو فوق هوى الكثير (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)

وختم الكاتب مقاله بقوله من ٢٢٥ س ١٤

والذي تريد أن تقول هنا هو أنه لا محالة ولا نسب بين الله وبين أحد من خلقه وقد وضع نواويس وسبنا وقوانين تحكم هذا العالم على وفق حكمته العليا وعبداه الشامل . فن وفق لاستخدام هذه النواويس والسبنا والقوانين وسار معها بلا اصطدام ولا خروج فقد مال ما بيني ومن غاندهته النواويس والقوانين

وحاول الخروج عنها فقد هلك ولا محالة ، ولن ينفعه أن يقول أنه مسلم وأنه يصل ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه كما أن هذه الأقوال والدعاوى لن تجدى من ذهب بتحدى سنة الله ، فترك الطعام والشراب والحفاظة على الصحة والحياة زائماً أنه مسلم مؤمن وزاعماً أن المسلم المؤمن معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الإلهية .

ونحن مع الكاتب نقول إن الأقوال بلا أعمال لا تفيد ولا تجدى ولا قيمة لها عند الله ولا عند خلقه ، ولكن نقول إن المسلم حقاً الذي يعرف الإسلام من كتاب ربه وسنة نبيه وسيرة راسخين من خلفائه وسيرة صاحب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ومن تبهم على أثرهم في فهم الإسلام والميل عليه والسير على صراطه فهذا معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الإلهية . لا تعارضه السنن والنواويس بل تخدعه بموثة الغنى الربانية وبالبداية الإلهية وبالتوفيق السابغ ورحمة رحم الرحيم والشواهد من الواقع والتاريخ أعظم البراهين .

فأغزا الرسول ﷺ غزوة ولا انتصر على عدو ولا فتح الصحابة شرق الأرض . وغربها وصاروا سادة العالم ويديم صولجان العز والسيادة إلا بالإيمان الصحيح والإسلام الحق الذي كان نور هدايتهم وشمس سيرهم به تقدموا علماء وعملوا سياسة وسيادة . أن خالد بن الوليد بطل الإسلام وسيف الله الذي لم يندف ففتح العراقين ويطل الشام ما تيرب الدم من الساعة الذي كان مع مفاوضه الفارسي . فلم يضربه إلا بقوة الإيمان والإسلام . وذلك الجاني - وأظنه أباً خالد الدالالي - الذي أتى في النار فلم تحرقه وخرج به عمر بن الخطاب حيناً رآه وقال ما معناه : الحمد لله الذي أراي في أمة محمد

من صارت عليه النار بردا وسلاما كبارهم ما أطفئت عنه النار إلا بقوة الإيمان وصدق الاسلام . وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية من أعرف الناس بالمقول والمنقول ما عهدى شيخ الرفاعية في زمانه بدخول النار وإياه ليتبين الصادق من الكاذب في دعوى الولاية والصكرامة إلا بالإيمان الحق والاسلام الصحيح .

وختاما هل كان الكاتب جادا حينما مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه بالنجاح ومعرفة الحياة ثم وصف أتباعه الذين ينجح فيهم ص ١٤ « بأنهم يعدون بين الشعوب غرضا رالما للهوان والضعف والجهل والمسكنة » وعناهم بقوله ص ٧٦ « وكلنا يعلم أن بلدا إسلاميا مستقلا لا يزال اليوم يعيش على هامش الحياة وعلى الفترة الأولى يعني أنهم يكونونهم على هامش الحياة ليسوا فيها حقيقة بل هم إلى الموت أقرب من الحياة وكذلك مدح جلالة الملك ابن السمود — وهو أهل المدح ثم قال ص ٧٨ بعد ما وصف بعض قادة الأمم وأن كثيرا منهم كانوا يعملون على أن يحولوا بين شعوبهم وبين العلم ويحرمونه عليهم لأنهم يخافون امتناعهم عليهم وعسر طاعتهم لهم إذا تعلموا، ثم قال : « وحتى في هذا العصر لا يزال يوجد فريق من هؤلاء القادة الذين يخشون العلم . ومما يؤلم أنه يوجد اليوم في إحدى البلاد العزيرة علينا من لا يكافئون المعلمين إلا بالسجن والعذاب والمطاردة » فنرى الكاتب بهذا وهل يظن الناس لا يفهمون مغازمه ولماذا هذا الاتهام والتستر بالغلل التي لا تستر والري من وراء جدران الجبن؟

وقف القلم هنا ليعود في فرصة أخرى والحمد لله أولا وآخر

الفهرس

مقدمة للأستاذ الغراوى أبان فيها غرور صاحب الأغلال ، وكيف تطود وأسباب انقلابه من الجبن إلى الشبال ، وحكى أمثلة من تحريفاته وتأويلاته للأيات والأحاديث ، وأظهر ما في كتابه من سوء الفهم والتقصيد كلمة قيمة للكاتب القدير سيد قلب ، أراح فيها السائر عن محاولات القصصى معه ومع غيره كي يؤيدوا كتابه ؛ ولكن الكاتب دم في حديث القصصى معه راحة غير نظيفة

- ١ مقدمة المؤلف
- ٢ زعم صاحب الأغلال أن النبي كان دائما يحتضن الطبيعة ويحنو عليها
- ٣ تحريفه لغرض النبي من زيارة البئيع وقوله ﷺ « اللهم ارفيق الاعلى »
- ٤ تأييده لنظرية دارون
- ٦ كلام العلم الحديث في نقض هذه النظرية
- ١٥ زعم القصصى أن الإيمان يقضاه الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين
- ١٦ إنكاره لفائدة الدعاء وتسميته لمحنة الله المطلقة : سنها وفوضى
- ١٨ استبعاد القصصى لأرائه من غوستاف لوبون
- ٣٨ تمسكه بالمتدينين — بلا تفريق
- ٤٤ زعم القصصى أن النجاح والتقدم لا يكون الا لغير المتدينين
- ٤٥ أسئلة من المؤلف إلى القصصى تنقضى على مزاحه
- ٤٦ زعم الأغلال أن المتدينين يفقدون الميزان السكري
- ٤٨ زعم الأغلال أن المتدينين وحشية نتيجة لممارستهم نصوص القرآن التي نصف الاهوال التي أعدت للعصاة والمجرمين
- ٥١ زعم القصصى أن الناس لم يفهموا الدين لا في الماضي ولا في الحاضر
- ٥٤ سبه وتحقيره لمن أحترم السلف وعظمهم
- ٥٥ عداء التشريح ينكرون تقدم العقل البشرى عما كان عليه منذ أمد بعيد

- ٥٨ رده لأحاديث صحيحة وقبوله لثبوتها بدون تعليق معقول
٦١ استدلاله بدليل هو عليه لا له
٦٤ التجرد من الدين لا يجلب لصاحبه السمادة
٦٩ مفسد الحضارة التريية
٧٨ الترقى في أمور الدنيا يكون وبالاً إذا كان دون الترقى في الدين والفضائل
٨٠ سؤال مفهم من النافذ إلى القصص
٨١ افتراء القصص على المسلمين في مسألة الاسباب
٨٣ الحوارق تبطل دعواه في الاسباب
٨٤ رجمه أن الانسان خلق ليغالط الطبيعة وابتزازع الله في علمه وقدرته
٨٥ تأليه الاسباب . والرد عليه وأنها تتخلف إذا شاء الله
٨٧ تحريف شنيع لآية (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين الخ
٨٨ تقديسه للاسباب ولا شيء غير الاسباب
٩٠ حوادث واقعية في فائدة الدعاء
٩٢ سخره وزعمه أن الانسان يمكن أن يترقى إلى درجة الالهية
٩٥ مدحه لمن قال بتأليه المسيح وزعمه أن النوايع يهبون للام الاديان والفنون
٩٦ تقريره ان الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر ، وان الحضارة القوية لم توجد الا في عهود الوثنية
٩٩ دعايته للانطلاق وراء الشهوات وأن الامة التي تكون كذلك تكون قوية
١٠٢ تفسيره لقدر تفسيراً يخالف النصوص
١٠٦ تحريف شنيع لآية (إن تنصروا الله ينصركم)
١٠٧ تحريفه لقول الله (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) وبيان معناها الصحيح
١١٠ تفسيره للقضاء بمعنى الفراغ
١١١ تحريف جديد لآية (وقضينا الى بنى اسرائيل)
١١٣ زعم القصص أن التوكل على الله خرافة ويورث أهله القتل . أما الامة العزيزة
فهي التي تهم أن عليها أن تعمل (دون أن يعينها معين)

- ١١٧ تفسير غريب للتوكل
١١٨ تحريف شنيع للنصوص
١٢٢ أسئلة خاصة من الناقد
١٢٤ دعوى صاحب الاغلال المساواة بين الرجل والمرأة
١٢٦ أبنة الشاطىء ترد على ذلك
١٢٧ إنكار الاغلال لما ثبت من قوة الرسول ﷺ الجسدية
١٣٧ اثبات أن قوة الميل الى النساء تدل على قوة العقل
١٣٨ زعم صاحب الاغلال أن البخارى كان لا يعرف الفرق بين الموضوع وغيره
١٤٠ مناقشة الناقد لصاحب الاغلال مشافة في الحجاز
١٤٧ إنكار الاغلال لتأثير الدين المعروف واعترافه بتأثير آخر
١٥٢ تمسك الاغلال بالاسلام وأهله
١٥٧ تقريره لآراء حديثة لم يؤكدوها أهلها بعد
١٦٤ دفاع الاغلال عن اليهود وتحريف النصوص الواردة في ذلم
١٧٤ مبالغة في قوى اليهود في فلسطين وضيف المسلمين